

تأملات فى فقه التدافع

الشّيخُ الدُّكْتُور

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ المُهَلْهَلِ الْيَاسِينِ



تأملات في

فقه التدافع

(قضايا ملتهبة)

الموضوع: سلسلة من وحي التجربة.

اسم الكتاب: تأملات فى فقه التدافع.

المؤلــــف: الشيخ د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين.

عدد الصفحــات: ٤٠٤ . عدد الملازم: ٢٥,٢٥ ملزمة

قياس الصفحــة: ١٧×٢٤

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٢٣٠٩٣

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ

٢٠١٢م

مؤسسة السماحة

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت

تأمـــلات في

فقه التدافـع

(قضايا ملتهبة)

الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الإهـــداءُ نـــثرًا

إلى وَالدَتِي مُنِيرَةَ الَّتِي لَهَا مِنِ اسْمِهَا نَصِيبٌ، فَقَدْ أَنَارَتْ لِي طَرِيقَ حَيَاتِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي، وسَلَكْتُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

إلى وَالدَتِي الَّتِي أرْضَعَتْنِي مَعَانِي الخَيْرِ كُلَّهَا، فَكَانَتْ مَدْرَسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَلَّمَتْنِي الإِحْسَانَ إلَىٰ الآخَرِينَ وإنْ أسَاؤُوا، وأَرْضَعَتْنِي مَعَانِي الصَّبْرِ الَّتِي قَرَأْنَا فِي المجَلَّدَاتِ وكَتَبْنَاهَا. لَقَدْ عَلَّمَتْنِي مَعْنَىٰ الإِنْفَاقِ مِمَّا كَانَ فِي يَدِهَا لِتُدْخِلَ بِهِ السُّرُورَ عَلَىٰ الآخَرِينَ.

إلى وَالدَتِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الشَّكْوَىٰ فِي حَيَاتِهَا، ولَمْ تَئِنّ مَعَ كَثْرَةِ أمْرَاضِهَا.

إلى وَالدَتِي الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِهَا - رَحِمَهَا اللهُ - بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ، وَإِنِّي لأذْكُرُ قَوْلَ أحَدِ الأصْدِقَاءِ عَنْ أمِّهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا: لَقَدْ ذَهَبَتْ مَنْ كُنَّا بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ. وإنِّي لأقُولُ: لَئِنْ تَنَعَّمْتُ بِدُعَاءِ أُمِّي فِي حَيَاتِهَا، فَإِنِّي أتَنَعَّمُ بالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا دُعَاءً، ازْدَادَتْ نَفْسِي إحْسَاساً بِالنَّعِيمِ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَنَعَّمُ بِدُعَائِهَا فِي حَيَاتِهَا وأَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَفِي الحالَتَيْنِ، فَإِنِّي أتَنَعَّمُ بِخَيْرِهَا فِي الحيَاةِ والممَاتِ.

وَلَسْتُ أعْرِفُ لإِنْسَانٍ فَضْلاً عَلَيَّ - فِيمَا أنْعَمُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ - خَيْرًا يُعَادِلُ أَوْ يُقَارِبُ فَضْلَ وَالِدَتِي - رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَىٰ. وَأَسْأَلُ اللهَ - سُبْحَانَهُ - أنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا لِي، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي لَهَا.

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهَا الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ؛ فَقَدْ شَطَبَتْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا يُسَمَّىٰ بالإِيذَاءِ، فَكَانَتْ لَا تُؤْذِي أحَداً وَلَا شَيْئاً حَتَّىٰ الأرْضَ الَّتِي كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا، عَلَّمَتْنِي مَعَانِيَ كَثِيرَةً، قَدَّمَتْهَا وَهِيَ تُضَحِّي بِصِحَّتِهَا وَوَقْتِهَا وَسَعَادَتِهَا.

إلى وَالدَتِي الَّتِي أعْرِفُ مِنْ مَدْرَسَتِهَا الْكَثِيرَ، وَلَا يَسَعنِي ذِكْرُهُ فِي هَـٰذَا الإِهْدَاءِ،

وَسَأُفْرِدُ لَهُ رِسَالَةً خَاصَّةً، إنْ شَاءَ اللهُ .

إلى والدتي أُهْدِي ثَوَابَ هَـٰذِهِ الرَّسَائِل ، لَعَلِّي أُؤَدِّي زَفْرَةً مِنْ زَفرَاتِهَا فِي وِلَادَتِي .

وَأهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَىٰ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ .

وَأهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَىٰ رَفِيقَةَ الدَّرْبِ أُمِّ مُعَاذٍ، الَّتِي كَانَتْ لِي عَوْناً فِي صَبْرِهَا عَلَىٰ سَهَرِي وَسَفَرِي .

وَأَهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَىٰ أَوْلادِي جَمِيعاً، ذُكُوراً وَإِنَاثاً .

وَأهْدِي هَـٰذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ أَسْهَمَ فِي إِخْرَاجِهَا، وَجَعَلَهَا بَيْنَ يَدَي النَّاسِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

وَإِنَّنِي إِذْ أَكْتُبُ هَـٰذَا الإِهْدَاءَ، أَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَـٰذَا الْكِتَابُ أَلَّا يَنْسُونَا جَمِيعاً مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِمْ .

الشَّيْخُ الدُّكتُور

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَلْهِل الْيَاسِين



الإهـداء شـعـراً

أُمَّــــاهُ كُنْت مُـنيــرَةً وَمَـنَـارَةً
عُلْيَــا وَصَـرْحًـا ثَابِتَ الأَرْكَـانِ
قَـدْ كُنْت مَـدْرَسَـةً تُعـدُّ نُفُـوسَنَـا
لِصَـنَـائِع الـمَـعْـرُوفِ وَالإِحْسَـانِ
قَـــدْ كُنْت لِلأَيْتَــامِ أُمًّــا بَــرَّةً
وَالجَـارِ وَالْـمِــسْكِينِ أَرْأَفَ حَـانِ
أَرْضَعْـتِنَا الأَخْلاقَ شَـهْدًا سَلْسَلاً
تَـدْنُو ثِـمَـارُ قُطُـوفِـهَـا لِلْجَـانِي
عَلَّمْـتِنَا الصَّـبْرَ الجَـمِيلَ خَلِيقَـةً
وَالقَــوْلَ لِلحُـسْنَىٰ وَكَفَّ لِسَانِ

أَبَتَـــاهُ قَــدْ رَبَّيْــتَنِي وَأَحَطْتَنِي
بِرِعَـايَـةٍ فِـي غِـــبْطَـةٍ وَأَمَـانِ
وَفَّـرْتَ أَسْـبَـابَ السَّـعَادَةِ وَالهَنَا
فَـجَـعَلْتَنِي أَسْـمُـو عَلَىٰ الأَقْـرَانِ
فَـجَـزَاكَ رَبُّ العَـرْشِ خَـيْـرَ جَزَائِهِ
وَأُسْكِـنْتَ فِـي رَوْحٍ وَفِـي رَيْحَانِ

نَوَّرْتَ يَا بَدْرَ الدُّجَـا سُـبُلَ العُــلا
بِالفَــضْــلِ لا فَـظٍّ وَلا مَنَّــانِ
كَـمْ ذَا تُقَـــابِلُ بِالسُّـــرورِ تَدَلُّلِي
بِمَـــحَـــبَّـةٍ وَبِرَأْفَـةٍ وَحَنَـــانِ
أَحْـبَـبْـتَنِـي قَــرَّبْتَنِي رَبَّيْـتَنِي
بِالعِـزِّ فِي ثِقَـةٍ وَفِـي اطْمِــئْنَانِ

أَرَفِـيـقَـتِــي كُنْت الشُّعَاعَ إِذَا دَجَـا
لَيْلُ الحَــيَــاةِ بِـمُظْـلِـمِ الحِدْثَانِ
قَـدْ كُنْت خَـيْـرَ شَـرِيكَـةٍ وَمُـعِـينَةٍ
فِي البِــرِّ عِنْـدَ تَقَــاعُسِ الأَعْــوَانِ
الصَّـبْـرُ فِـيكِ مَعَ الوَفَـاءِ سَجِـيَّـةٌ
بِتَــعَــاقُبِ الأَفْــرَاحِ وَالأَحْـزَانِ

يَا حَـــبَّــذَا **أَفْـلاذُ أَكْـــبَــادٍ** بِهَـا
كَــمُـلَ الـمُــرَادُ وَقَـرَّتِ العَــيْنَانِ
فَـاحْـفَـظْ **مُـعَـاذاً** وَاحْـفَظَنَّ **مُـهَـلْـهِـلاً**
أَمَـدَ الزَّمَـانِ **وَعَـــابِـدَ الرَّحْـــمَنِ**
لاَ زَالَ **عَــبْـدُ اللهِ** فِي حِــفْظٍ وَلاَ
زَالُـوا جَـمِـيـعًـا غُـرَّةَ الفِـتْـيَـانِ

وَلْـتَـحْظَ **عَـائِشَـةُ وَفَـاطِمَـةُ** بِمَـا قَــدْ شَـاءَتَا مِنْ بُغْـيَـةٍ وَأَمَـانِ
وَاحْــفَظْ **هَـيَـا وَمُـنِيـرَةَ** يَا رَبَّنَا مِنْ مُــبْطِـنِ البَـغْـضَاءِ وَالشَّنَآنِ

يَا رَبِّ لاَ زَالَ **الجَـمِـيعُ** بِنِعْـمَـةٍ وَقِـهِمْ شُـرُورَ الحَاسِدِ المِعْـيَانِ
صَلَّىٰ الإِلهُ عَلَىٰ النَبِيِّ مُـحَـمَّـدٍ وَالآلِ وَالأَصْـحَـابِ كُلَّ أَوَانِ

الشَّيْخُ الدُّكتُور

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَلْهَل اليَاسِين



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن «**الكلمة الطيبة صدقة**» والكلمة الطيبة هنا هي كلمة الحق: نصح في الله، وأمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو إرشاد إلى أقوم السبل، أو مشورة صادقة، أو رأي سديد، أو غير ذلك من مسالك غير معوجة تجري فيها كلمة الحق بالخير والبر، هذه الكلمة الطيبة لا تتملق عواطف الناس، ولا تجاريهم في أهوائهم، ولا تسير خلف رغباتهم، بل إنها قد تصطدم بمشاعر الناس، وقد تخالف أفكارهم أحيانا، وقد يعارضونها أو يقبلونها، وليس هذا هو المهم، وإنما الأولى بالرعاية والاعتبار أن تكون الكلمة صادقة، نابعة عن إحساس قوي، خالية من الانفعال والتكلف، لا تحمل أذى لأحد، ولا سخطا على أحد، ولا تثير بين الناس زوابع من سوء الفهم والبعد عن القصد.

وقد حاولت جهدي أن تكون كلمتي كذلك، صادقة في بواعثها، صادقة في غايتها وتوجهاتها، حتى لو آلمت بعض الناس ـ أحيانا ـ وماذا يملك من يتحدث مع الناس أو يكتب إليهم في المشاكل اليومية، والهموم المستجدة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟ إنه في تشخيصه وعلاجه والتزامه الصدق لا يملك أن يرضي كل الناس؛ إذ ليس كل الناس ترضيه كلمة حق ترشده إلى هدى أو تصده عن ردى. وقديما قالوا: لو أنصف الناس لاستراح القاضي. ولا يملك غيور على وطنه وأبناء بلده أن يقف صامتا أمام مشكلات قليلها يأتي رغما عنا، وكثيرها من صنع أيدينا. ولو أحسنا وأخلصنا واجتهدنا ونصحنا لتخلصنا من كثير من المشاكل والعوائق بدون تكاليف تذكر في الأنفس أو في الأموال.

ولذا حرصت أن أبادر إلى إظهار الرأي وتسجيله في الصحف ونشره بين الناس؛ ليكون هذا الرأي ـ مع غيره من آراء المخلصين ـ شمعة تبدد ظلام المشكلات، وقد تساعد

الآخرين على تجنب العثرات ومـنذ الصغر كنا نحفظ: إن أوقدت شمعـة، فهي خير لك من أن تلعن الظلام.

والمشكلات يعرفها كل أحد؛ لأنه يعيشها وقد يكتوي بنارها، ولكن الحلول هي التي يمكن أن تغـيب عن الأذهان، وقـد حـاولنا أن نقـدم بعض الحلول، لعل فـيـها راحـة للمتعبين، وتبصيراً للساكن.

ولا غضاضة في أن أذكـر القارئ الكريم بأن هذه كانت مقالات متـفرقة نشرت في الصحف في أزمـان مختلفـة، لكن يجمـعها أنهـا موجهة لأبـناء الكويت وأنها متـابعة لأحداث داخلية أو خارجية تهمنا ـ كـكويتيين أولا وتهم معنا جميع المسلمين ـ وأنها في قرارها المكين وعـمقها البـعيد تستند إلـى أسس إسلامية، لا يمكن لإنسـان مخلص لربه ولدينه أن ينساق بعيدا عنها، فضلا عن أن يناقضها.

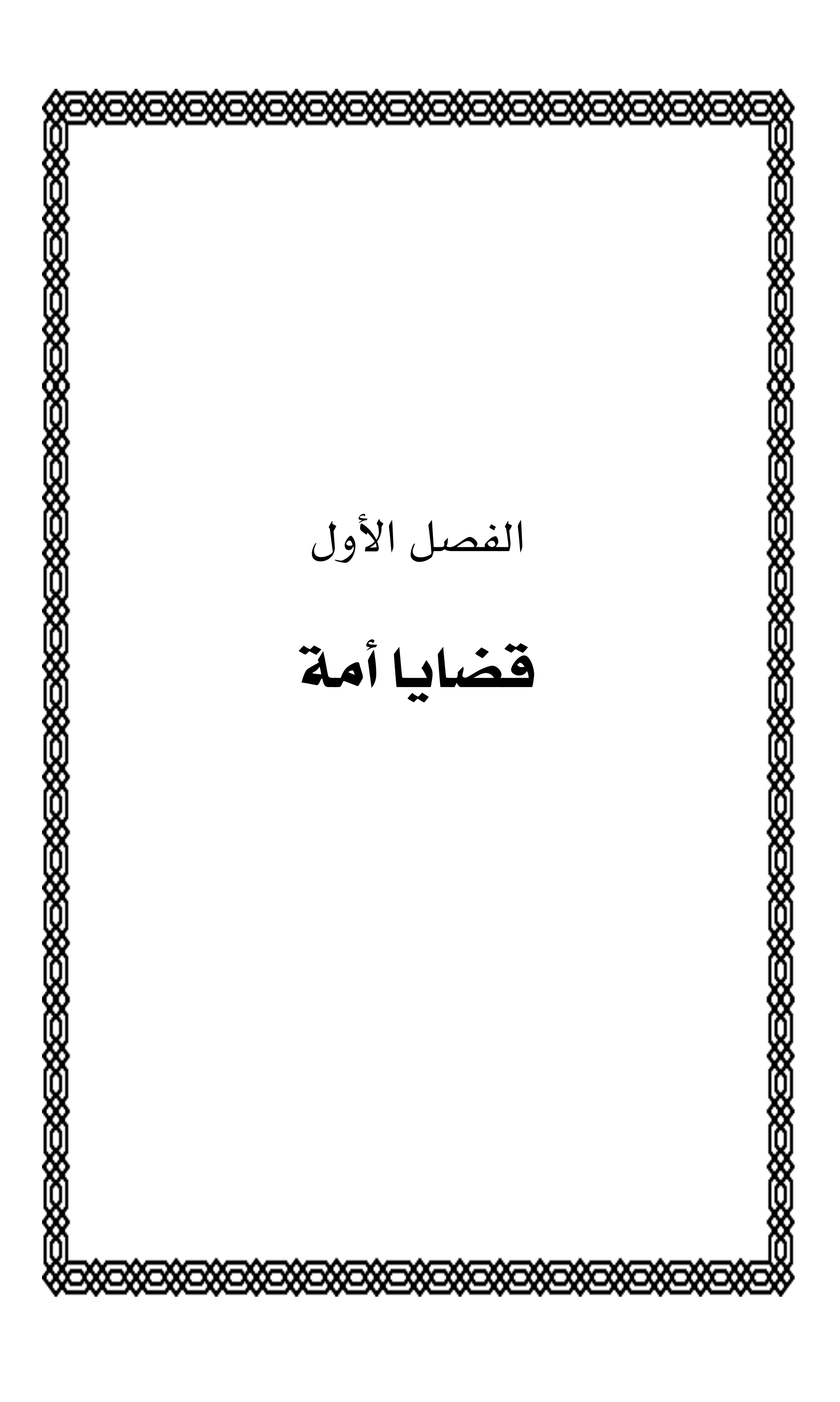
[illegible]

فإن كنت وفقت فذلك فضل الله، وإن كانت الأخرى، فالحمد لله على كل حال.

وسلام على الصادقين.

الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



الفصل الأول

قضايا أمة

مدخل

إن سنة التدافع تعد من السنن الشرعية والكونية التي تكتسب أهمية بالغة فى حياة الأمم والشعـوب، ولقد بين القرآن الكريم أهميـة هذه السنن ومكانتها فى الكثـير من المواطن، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾ (١) ، فالتدافع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان، ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد يتخذ هذا الصراع أشكـالاً وألوانًا، فتارة يكون بالقلم واللسان، وتارة يكون بالسيف والسنان؛ لكنه يبقى دائرًا فى سنة التدافع التي بينها الله عز وجل.

ولقد كان من منن الله على هذه الأمة أن بعث لها محمدًا ﷺ، ليقود لواء الحق ويخوض مـعركة التدافع؛ لـيخرج الناس من الظلمـات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ولقـد عانى ﷺ فى هذا السبـيل الكثير من المصاعب والتـحديات الفكرية والعسكرية والاجتماعيـة والسياسية... ولكنه ﷺ واجه هذه التحديات، حتى رفع راية الإيمان، وأقـام دولة الإسلام ونقل العـرب من رعـاة غنم إلى رعاة أمم؛ ليـؤدوا بذلك دور الشهود الحضاري ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(٢).

ولا زالت الأمة الإسلامية تؤمن بأن ثمة دورًا كبيرًا ينتظرها، ولا زالت تؤمن بأن واجبها نحو البشرية التائهة، ونحن هنا نكتب للذين يسعون لتحقيق الشهود الحضاري لأمة الإسلام فى مكانها الصحيح... إلى هؤلاء تأتي هذه الكتابات وغيرها فى إطار سعينا لتوحيد الأمة فى بنائيها: الفكري والعقدي.

إن الأمة الإسلامـية كغيرها في ممارستـها الحضارية تخضع لنوامـيس عامة تندرج ضمن قوانين التحضّر الكلية وقوانين التحضر الإسلامى الخاصة في نطاق تلك القوانين الكلية.

وقد جاء التعليم القرآني يؤكد هذه الحقيقة في مثل قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ**

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [(١)]، حيث سبق تحضير الأمة الإسلامية المعبر عن بإخراجها خير أمة سياقاً ؛معللاً بقانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ،كشرط يخضع له في الحصول.

ويقتضي هذا المعنى أن مجرد انتماء الأمة الإسلامية إلى الدين الإسلامي واتصافها بصفته الظاهرية لا يكفي وحده مبرّرًا لشهود التحضر، فلا بد من شروط خاصة لا ينهض التحضّر إلا بتوفرها، وقد نبه عمر بن الخطاب # الناس إلى هذا المعنى فقال: «**يا أيها الناس من سرّه أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها** »[(٢)].

فالأمة الإسلامية هي أمة شاهدة على الناس وذلك بمقتضى تحملها للإسلام دينًا؛ إذ هو دين يقوم على قيم العلم والعمل والتبليغ للناس جميعًا، والتحضر الذي يدعو إليه إنما هو تحضر متقوّم بهذه القيم.

وهذا الشهود الحضاريُّ بالنسبة للأمة الإسلامية تكليفٌ دينيٌّ، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [(٣)].

والشهود الحضاري تكليف لا يتحقق في الواقع إلا عبر سنن وقواعد إذا ما اتبعت أوصلت إليه، وإذا ما أُهملت أدى إهمالها إلى القصور دونه.

لقد عاشت الأمة الإسلامية دورة من الشهود الحضاري دامت بضعة قرون، تحققت فيها عناصر الشهادة على الناس تحققًا اقترب من المثال، سواء من حيث الكشف عن الحقيقة الغيبية والكونية، أو من حيث العمل التعميري الصالح، أو من حيث التبليغ الحضاري للعالمين.

وقد تحقق ذلك الشهود لاختيار المسلمين لطريق التحضر انفعالاً بقوة الإيمان الديني الداعي إلى التعمير في الأرض، ولسلوكهم سبيل الأسباب التي جعلها الله

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٤٧) عن قتادة قال: ذكرنا أن عمر بن الخطاب # قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة سيئة فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ....﴾ آل عمران: ١١٠ فذكره. وإسناده ضعيف للانقطاع بين قتادة وعمر ٪.

(٣) البقرة: ١٤٣.

تعالى سنّة لتحقيق التحضر سواء في مـجال التعامل مع النفس، أو في مجال التعامل مع آفاق الكون.

ولكن تلك الدورة من الشـهود الحضـاري آلت إلى الخفوت، والآن الأمـة تسعى للعودة إلى دورها الحضاري في المجتمع الإنساني.

إن حركة التـاريخ في دائرة الحضارات الكبرى الجامـعة ـ كالحضارة الإسـلامية ـ حركـة دورية تنظمهـا مراحل الهـبوط والصـعود. . الهـبوط بفـعل التناحر والفـساد الداخلين والصعود بفعل الاستجابة لتحديات خارجية قوية.

ومن اللافت للنظر أن مـراحل الهبـوط ـ في التجربة الـتاريخيـة لهذه الأمـة قد ارتبطت بأوضـاع داخلية، فهـذه الأمة لم تضـرب من خارجهـا بقدر مـا ضربت من داخلها، بل إن الأعداء الخارجين لم ينفذوا إليها إلا من خلال السوس الذي ينخر فيها من الداخل. .

ولقد أفادنا الأعداء بتدخلهم كثيرًا، وغالبًـا ما كان لتدخلهم فضل إيقاظ الضمير الإسلامي، أو إعلان الجهاد العـام، أو إظهار «صلاح الدين» أو «سيف الدين» مما من شأنه أن يجمع المسلمين تحت راية واحدة.

قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي فيها ثلاث خصلات، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فـأعطانيها، وسألت ربي أن لا يظهر علينا عدو من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يُلْبِسنا شيعًا فمنعنيها**»[1].

إن محور التغـيير في صناعة الحضارات هو «الإنسـان»؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[2]، فالإنسان هو مركـز الثقل بين أركان النهوض الحضاري، والتي تبلورت في:

١ ـ الوجود وهو «الساحة الحضارية».

٢ ـ والإنسان وهو: «الفعالية الحضارية».

(١) أخرجـه مسلم(٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقـاص #، وأخرجه النسائي (٣/٢١٦)، والتـرمذي (٢١٧٥)، وأحمد (٥/١٠٨) عن خباب بن الأرت #، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) الرعد : ١١ .

٣ ـ والعمران وهو: «الهيكل الحضاري».

فالإنسان هو الذي يُسخر له الوجود والعـمران، ولا يُسخر هو لهما، وإنما ينطلق فيهما ليمارس ذاته الإنسانية فيما يحقق خيره ويؤدي رسالته.

إن كانت الحضارة بمعناها العام هي: «**الحصيلة الـشاملة للمدنية والثـقافة**»، فإن الحضارة الإسلاميـة هي التي تملك الحضارة التي قـامت على أساس رسالة سمـاوية ـ هي الإسلام ـ ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(١).

وهذه النقلة النوعية التي جـاء بها الإسلام للبشرية لم تنل إعجاب اليـهود فبدؤوا الحـروب على الإسلام من ذلـك التاريخ وحـتى اليـوم؛ ولقد كـان من ضـمن ذلك مشاركتـهم فى تحالف الأحزاب ومحاولتهم اغـتيال النبي ﷺ... وما تبع ذلك من قتل عثمان وإثارة الفتن والقلاقل داخل الصف الإسلامي إلى أن جاء دورهم في التآمر والإجهاز على الخلافة الإسلامية تلك القلعة الحصينة والدوحة الوارفة التي طالما عاش المسلمون في ظلالها ،وفتحوا العالم تحت رايتها.

وما إن انفـرط عقد الخـلافة حـتى بدأ العالم الإسلامي يشـهد تفـرقًا وانقسـامًا وتشرذمًا واقتتالاً؛ ليواصل اليهود بذلك طريقهم إلى احتلال المسجد الأقصى وما تبعه من تساقط المـدن والقلاع وتهاوى الأقطار ،ولعـل ذلك ما عَبَّـر عنه الشاعـر المصري محمود غنيم:

أَنَّى اتجهت إلـى الإسلام في بلـد   تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

كم صرفتنا يدٌ كنا نصرفهـا   وبـات يملكنا شعـب ملكناه

ولقد اتسع هذا الهجوم وامتد ليشـمل بلاد أفغانستان تلك البلاد التي طالما عانت من المؤامرات من أجل اجتثاثها والقضاء على الإسلام في ربوعها.

وأمام هذا الواقع الأليم وهذه التحديات الجسام يأتي هذا الكتاب «تأملات في فقه التدافع ـ قضايا ملتـهبة» ليعالج الحرب على الإسلام مـن خلال ما يجري في فلسطين وأفغانستان؛ انطلاقًا من سنة التدافع واقعًا وتاريخًا وحاضرًا ومآلاً في ضوء استشراف

(١) الملك : ١٤.

المستقبل وبعث الأمل وإيقاظ الهمم وتبيان أسباب النصرة والعزة وعوامل الضعف والهزيمة، وهذا النوع من الفقه لم ينل نصيبه من الدراسة والتحليل والنظر والتأصيل؛ لذلك جاء هذا الكتاب؛ ليساهم في سد بعض هذا الفراغ.

وهذا الكتاب وإن كتب كمقالات متفرقة في فترات مختلفة إلا أن هذه الكتابات يجمعها وحدة الموضوع، وعمق التحليل، ونبل المقصد، وغيرة القلم، ومواكبة الحدث، واستشراف المستقبل، لا سيما وأن الأمة الإسلامية بدأت تصحو من سباتها وتسعى لاستعادة مجدها ومقدساتها، قال تعالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

---

(١) آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤١.

إطلالة على الزمان والمكان

استشراف المستقبل :

الحركـة التطلعـية في الإنسـان نحو الأفـضل والأحسن تكاد تكون مـرتكزة في طبيعته لا تفارقه، فما من إنسان على وجه الأرض إلا وله آمال يريد أن يحققها، وأحلام يرجو أن يراها واقعـا، وكل فرد إنما يتطلع للمستقبـل من خلال نظرته التي ينظر بها في الحياة، تلـك التي تصطبغ بالصبغة الفكرية العـقلية، أو الشعورية الـوجدانية، أو الحسية المـادية؛ ولذلك تختلف آمال الناس وتطلعاتهم لأنفسـهم ولأمتهم، لكن هذه الآمال لا تنعدم ولا تتـوقف إلا إذا توقفت الحياة ذاتها، بل إننا نقول : إن هذه الطـبيعة ليست قـاصرة على الإنسان، بل تتعـداه إلى بعض الكائنات الحية الأخـرى، فالنمل يدخر في فصول السنة ما يقتات به في فصل الشـتاء، حين تنعدم حركته، فالأمر إذا أوسع مما يظن البـعض. . وتفاوت الناس في تطلعـاتهم لمستـقبلهم مـرده إلى وجود بعض التـرسبـات التي رانت على بعض البيـئات وظهـرت في العادات والـتقالـيد، واتخذت لنفسهـا صورا متعددة من الاتكالية والتـراخي في العمل والكسل، وضعف الهمة، وفـتور العزيمة، وغير ذلك من مظاهر الضـعف التي تجعل الإنسان ذاهلا عن حاضره وما يدور حوله ؛فضلاً عن ذهوله الجزئي أو الكلي عن المستقبل وما يدبر فيه.

والإسلام منذ مجيئـه يوجه الناس إلى الاهتمام بالمستقبل اهتـماما كاملا لا يقل عن اهتمامـه بالحاضر، بل قد يزيد، إن الدين قـد ربط اليوم الآخر ـ وهو مسـتقبل وراء هذه الحياة الـدنيا ـ بالإيمان بالله، فقد جـاء في كتاب الله ﴿. . **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** . .﴾[1]، ومعـنى ذلك أن المسلم يهتم بالمسـتقـبل ابتداء من لحظـته الحاضرة إلـى يوم القيامة، وأنه مـستعد لهـذا المستقبل دائمـا، فهو في حيـاته الآنية يخطط لغـده في ضوء مـعرفـته بما يدور حـوله من الأعداء المحـيطين، والأصـدقاء القريبين، والإمكانات المتاحة، والقوة الممكنة، لا تستخفه الأفراح والانتصارات، ولا تستـذله الأتراح والانكسارات، بل هو دائمًا مـتطلع للأفضل، ساع نحـو الأحسن، مشمر عن ساقه في سبيل الصلاح والإصلاح لنفسه ولأمته وللبشر أجمعين.

---

(١) البقرة: ١٧٧.

والمسلم ينظر للمستقبل بعين تفاؤلية مع شدة الظلام، وكثرة المنغصات، وانتشار المصائب، وهذا أمر بينه الشرع عندما طالب المسلمين بحسن الظن بالله تعالى، والنبي ﷺ كان يُعجبه أن يسمع في كل صباح «يا نجيح» [١]، واليُسر يأتي بعد العُسر، والحق دائم والباطل طارئ!! بهذه الروح التفاؤلية، والمعرفة النبوية الكريمة والاستقراء لتاريخ الصراع البشري بين الحق والباطل؛ كان من الممكن الوصول إلى النتائج لصالح الحق الإلهي.

وهاك صورا من الاستشراف المستقبلي المبني على المعرفة النبوية والاستقراء للسنن الكونية والشرعية، يقول النبي ﷺ لأم حرام بنت ملحان في المدينة والقبائل العربية وقريش متربصون بهم « **أناسٌ من أمتي عُرضوا علي غزاة في سبيل الله، قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة** »[٢] ويقول ﷺ للآخر الذي جاء شاكيا شدة البلاء وهم في مكة يُعذبون: «**والله ليُتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه**»[٣] صحيح أن العلم النبوي الغيبي له أثره في تحديد الزمان والمكان إلا أن مُطلق الانتصار مُهيأ لكل من يتعرف على سنن الحياة الكونية والبشرية؛ قال الله تعالى: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ [٤]، وقال سبحانه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [٥]، وهكذا من يعرف الماضي والحاضر يستطيع توقع المستقبل!! وهنا نقول : لا بد من توقع المستقبل وفهم آثار التغيير الكامنة بعيدة المدى، سواء كانت إيجابية أو سلبية قبل وقوعها، وقد جاء الإسلام لينزع من قاموس العرب «اليأس إحدى الراحتين» وبشائر الخير قد ظهرت في بدايات الصحوة الإسلامية في أواخر الألفية الثانية وستنمو وتترعرع وتكبر في الألفية الثالثة، قال أحدهم للشيخ : «لقد انتشرت البدع فقال : قد أذن الله بزوالها».

والناظر يجد أنه لا تعارض بين الشريعة الإسلامية وأدوات الاستشراف، فعلم الاستشراف لا يقول بالحتمية للأحداث المتوقعة، فقد لا تقع كليا أو جزئيا، أما وقوع

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦١٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي : «حسن غريب صحيح » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٨٢، ٦٢٨٣)، ومسلم (١٩١٢) عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٥٢) عن خباب رضي الله عنه.

(٤) المجادلة : ٢١ . (٥) النور : ٥٥ .

المستقبل الحتمي، فهو ما أخبرنا القرآن والسنة أنه سيقع في المستقبل «**صنفان من أهل النار لم أر مثلهما في حياتي**.. »[١] .

وعندنا في مفاهيمنا الرجل «الملهم» الذي يعرف كيف يتعامل مع الماضي والحاضر لرسم المستقبل مثل عمر بن الخطاب «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون ، فإن يكن في أمتي أحدٌ فإنه عمر**»[٢] .

ولا شك أن سيرة رسول **الله** ﷺ تدل على اهتمامه بالمستقبل، فقد كانت بيعتا العقبة خطوتين هامتين في رسم مستقبل الإسلام، وكان إخبار سراقة بأن له سواري كسرى؛ استشرافًا منه لمستقبل الدعوة، وكانت الغزوات والفتوح تثبيتا للحاضر ودعما للمستقبل إلى غير ذلك من الحوادث الكثيرة التي تدل على الاهتمام بالمستقبل والاستعداد له، والعمل على أن تكون كفة المسلمين فيه راجحة لا مرجوحة ومؤثرة لا متأثرة. وكانت المسيرة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم تسير على نفس الوتيرة ولولا ذلك لما امتد الإسلام شرقا وغربا، وثبتت أركانه، وكثر أتباعه في الجزيرة وغيرها من البلاد على أسس من العدالة التي حقق الناس في ظلها الرخاء والأمن.

عقبات وتحديات :

والمسلمون اليوم مطالبون باستشراف المستقبل،واستكناه ما يطويه في جوانبه ويحمله في حناياه بالنسبة لدينهم وبالنسبة لأرضهم وبلادهم، وثرواتهم وممتلكاتهم، حيث تواجههم تحديات كثيرة، لعل من أهمها في الجانب السياسي وجود بعض الأنظمة غير الديمقراطية في بعض البلاد مما نتج عنه صعوبة التوافق بين السلطة التنفيذية وبقية السلطات، بحيث لا يحدث بينهم احتكاك مزعج أو ارتطام مؤسف.

٢ ـ وفي الجانب الاقتصادي الاستنزاف المستمر من الجانب الغربي لثروات العالم العربي ومقدراته، ووضع العراقيل أمام ظهور قوى اقتصادية جديدة وتفشي البطالة، وإسقاط المقاطعة أو محاولة ذلك، وإغلاق الجمارك، وفتح الباب على مصراعيه أمام السلع والبضائع الأجنبية التي تأتي،ومعها بعض القيم والتصورات التي تهدد الهوية

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الإسلامية في كثير من البلاد، ومع تهديد الهوية يكون التحدي الاجتماعي المتمثل في تفكك الأسرة، والإكثار من حالات الطلاق، وانتشار المخدرات، وتواري القيم، ويضاف إلى هذه الجوانب كلها الجانب الثقافي الذي يهدف إلى الغزو الفكري، وإلى إحلال القيم والتصورات الغربية محل القيم والتصورات الإسلامية.

وإذا كانت هذه التحديات تواجه المسلمين في حياتهم، وتخترق عليهم ديارهم وبلادهم، فإن هناك تحديا أكبر موجه نحو الإسلام ذاته؛ إذ إن المحاولات للنيل من الدين، كانت في الماضي تقتصر على فروع الدين، أما اليوم فقد صارت ترتكز على مهاجمة اللغة العربية (وعاء الدين) بالسخرية من القائمين على أمرها والحط من قيمتهم، ومهاجمة مفرداتها، وطريقة كتابتها وإدخال اللغات الأجنبية إلى جوارها، ثم إلى منافستها والتغلب عليها في ديارها وبين مثقفيها الذين كان منهم دعاة بارزون يسعون إلى التغريب كطه حسين وغيره ممن سار على طريقته، واتبع سبيله. كان هذا في الماضي القريب وما يزال باقيا بالأمة مع اتساع دائرة التحدي للدين وقبل سنوات خلت، تم الهجوم على أعمدة الدين ذاتها من خلال الهجوم على الرسول ﷺ وعلى القرآن بالتأويل والتحريف، بل وصل الأمر إلى إطلاق ما لا يليق من الألفاظ على الله سبحانه، وصحب ذلك في بعض البلاد اضطهاد الإسلاميين، وترحيل البعض منهم إلى غير بلادهم قسرا وعدوانا، كما تم اعتقال آخرين في بلاد أخرى وتم تقديمهم لبعض المحاكم العسكرية، فالهجوم على الإسلام يصحبه ويسبقه ويتبعه، فالهجوم على الإسلاميين لمنع صوتهم، وإعلان صمتهم، ورضوخهم للأمر الواقع الذي انبطحت فيه الأمة أمام المد اليهودي الصهيوني، الذي لا يقبل أن يرى رأسا يرتفع، أو معارضا يرفض، أو إنسانا يقول: لا للتطبيع وما يتبعه من ضياع للمقدسات، ولا أحد يقول ذلك ـ في الوقت الحالي ـ غير الإسلاميين، وبعض المواطنين الشرفاء.

أمام هذه التحديات وغيرها مما يواجه الإسلام والمسلمين كيف يكون استشراف المستقبل؟ وكيف يمكن الخروج من هذا النفق المظلم؟ وكيف نتغلب على المشكلات والتحديات؟ هذا ما نطرحه أمام الباحثين والمفكرين والحكماء في الأمة؛ ليحزموا أمرهم، وليعملوا على إظهار دينهم على الدين كله، وليوجهوا التعدي بالاستعداد والعمل والفكر وإبداء الرأي، ونحن في انتظار ردودهم وأقوالهم.

محن المسلمين بين السنن الشرعية والمقدرات الكونية :

تلح الظروف الحالية علينا أن نكتب عن محن المسلمين وتواليها والتعرض لما وراءها من انقباض وانحسار أو تصبر وانتصار؛ إذْ أني أرى أن سيل المحن ليس من الضرورة أن يدمر سد العز والنصرة لدى المسلمين وهذا ما أشار إليه القرآن في مواطن كثيرة، فهذه الإشارات في موقعة حنين تبين خطر الهزيمة والتولى عن القتال فى شر محنة تلم بالمسلمين، ثم تتبع ذلك بالمن والفصل الربانى بتحويل تلك المحن إلى منح مضيئة، وصدق الله إذ يقول : ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾[١] .

وهناك إشارات قرآنية كثيرة إلى تقديرات وأبعاد ومقاصد حكمة الله من تلك المحن من كونها محنة عقاب وتأديب، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا**﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[٤]، وإما أن تكون ابتلاء لكشف المعادن واختبار المواقف، ولفت الانتباه كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٥].

ماذا تعرف عن السنن الشرعية والمقدرات الكونية ؟!

قد يعجب القارئ من هذا العنوان المضمن فى هذا السؤال، وأقول: إن هذا العنوان ليس ترفاً علمياً زائداً، أو معلومات مهملة، أو فضلة أو فلسفة ألفاظ، أو حبكة بيان!

كلا إنما هو أصل من أصول الإيمان وركن من أركان العقيدة التي تصب فى ذلك الركن الركين ألا وهو الإيمان «بالقدر» ونفاذ مشيئة الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . . . فكيف ذلك، وما هو مفهوم السنن الشرعية وماذا عن تلك المقدرات الكونية .

أولاً : السنن الشرعية:

يعنى بتلك السنن الشرعية ما كان من قضاء الله الشرعي الذي أخبر عنه في كتابه

(١) التوبة: ٢٥، ٢٦ .
(٢) الإسراء: ٥٩ .
(٣) النساء: ١٦٠ .
(٤) الشورى: ٣٠ .
(٥) آل عمران: ١٧٩ .

الكريم القرآن، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ من أصول شرعية وحقائق دينية علم الله بها قبل أن تكون، ووعد الله بنفاذها وقضى بوقـوعها، وإن خالفت ناموس الناس، وما درجو عليه من العادات والسنن الأخرى التي تدخل فى باب السنن الكونية.

وإن لم يُحط بذلك الكيف ولا المتى، ولا الأين، فتلك حدود إنسـانية ضيقة. . . قائمة على الأسباب الظاهرة التى يقلبها الله كيفما يشاء.

ومن هذه السنن الشرعية :

١ـ ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[1] :

فهذه حـقيقة شرعـية أثبتتهـا النصوص وصرح بها القـرآن الكريم، وهى واقعة ونافذة وإن لم تقع فى دنيا الناس عاجلاً، فهى قائمة وثابتة آجلاً ما إن يأذن الله لها.

قال تعالى: **﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾** [2]، وقال سبحانه: **﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا. .﴾** [3]، وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[4].

فلو بدا للناس أن كلمة الـكفر فى زماننا هذا هي العليـا، فإنما ذلك إلى حين، وهذا واقع بقدر الله الكونى سبحانه، وأن قدره الشرعي واقع؟ بما شاء الله وأراده من اعتلاء كلمـته وارتفاع لواء جماعـته ونصرة عباده المؤمنين عـلى أهل الكفر والضلال والإلحاد، وإن كانوا كثرة كاثرة ذوات عدد ومدد. . . !.

٢ ـ نصرة الإسلام وعز المسلمين جماعات وفرادى :

وتلك حقيـقة شرعيـة تمثل محورا رئيسيـاً من محاور الإسلام حـيث تضافرت الآيات تتـرى، وتواترت دلالات الأحاديث على ذلـك وحسـبنا التذكـير بقـول الله تعالى: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** [5]، وقال سبحانه: **﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[6]، وقال سبحانه: **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾**[7].

(١، ٢) التوبة: ٤٠ .
(٣) غافر: ٦ .
(٤) الصافات: ١٧١ـ١٧٣ .
(٥) المجادلة: ٢١ .
(٦) المائدة: ٥٦ .
(٧) النساء: ١٤١ .

وقال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك..** »[١].

ثانياً : ماذا عن المقدرات الكونية :

المقدرات الكونية يقصد بها في سياق حديثنا هذا تلك الأقدار التي شاءها الله وقضى بها في علمه هو؛ لحكمة عظيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه، وهذه المقدرات هي أكبر من الإنسان، حيث تشمل الكون وما وراءه من خلق الله.

فمن تلك المقدرات دوران الكواكب واشتعال الشموس ودورانها وبزوغها وأفولها، قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [٢]، فهذه إشارة من جملة إشارات كونية كثيرة في القرآن تدل على مقدرات الله الكونية التى فطر عليها الكون وهدى كل خلقه لما قضاه قال تعالى: ﴿**الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ [٣] ،وقال سبحانه في محاجة موسى لفرعون: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ . قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [٤] ، وفى الحديث عن النبى ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[٥].

جدلية العلاقة (الاعتلاج) بين المقدرات الكونية والسنن الشرعية :

تعرض علماؤنا لهذه الإشكالية فى إطار تفسيرهم لمشكلة الشر، وهل ينسب الشر إلى الله سبحانه أم لا؟ وأليس الله هو خالق كل شيء؟ وردوا على إشكالات قد تظهر فى الذهن من مثل قوله تعالى: ﴿**وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [٦]، وقوله سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾[٧] . . . إلى غير ذلك ولسنا بصدد التعرض لهذه الإشكالات والردود عليها، فقد أوسعها علماؤنا الأبرار من سلفنا ومعاصرينا ردوداً كافية شافية، وأحيل قارئ مقالي هذا إلى كتابي شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.
(٢) يس: ٣٨-٤٠ . (٣) الأعلى: ٣ .
(٤) طه: ٤٩، ٥٠ .
(٥) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) عن على رضي الله عنه.
(٦) الزمر: ٧ . (٧) التغابن: ٢ .

«درء تعارض العـقل والنقل»، وكتـاب «منهاج السنة النبويـة فى نقض كلام الشيـعة والقدرية»، وإلى كتاب الإمام ابن القيم: «شفاء العليل».

وأبين إجمالاً أن عقيدة المـسلمين من أهل السنة والجماعة هي الإيمان بالله وحده وبأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته جملة وتفصيلاً على ما جاء فى كتابه، وفى صحيح سنة نبيه ﷺ بلا تحريف ولا تكيـيف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل؛ إضـافة إلى الإيمان بقضاء الله وقدره وأنه سبق فى علم الله كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

كما أومئ فى إشارة مختصرة إلى ما ذكره ابن القيم رحمه الله فى «نونيته» على أن الإحاطة بقدر الله وحقيقته مما لا سبيل إليه فهيهات.

محن الأنبياء والمرسلين بين المقدرات الكونية والسنن الشرعية :

قد يسعنا المقام أن نقلب بعض صفحـات من تاريخ الأنبياء والصالحين؛ لنتعرف على موقعها بين يدي المقدرات الكونية والسنن الشرعية :

١- سيدنا آدم عليه السلام :

كرم الله سيدنا آدم وخلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وخلقه على هيئته، وجعل له الجنة نزلاً وهى دار الكرامة لا المهانة قال تعالى : ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ . وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ**﴾[١].

يَا أَيُّهَـــا السُّنِّيُّ خُـــذْ بِوَصِيَّتِي ... وَاسْـمَعْ مَـقَـالَـةَ نَاصِحٍ مِـعْـوَانِ

كُنْ فِي أُمُـورِكَ كُلِّهَـا مُـتَـمَـسِّكاً ... بِالْوَحْـيِ لاَ بِزَخَـارِفِ الْهَـذَيَانِ

وَحَـقِـيـقَـةُ الْقَـدَرِ الَّذِي اخْـتَلَفَ ... فِـيـهِ بِنَا هُـوَ قُـدْرَةُ الرَّحْـمَنِ[٢]

ثم اختبره الله سبحانه بأن نهاه عن شجرة واحدة من باقى الأشجار الكافية الوافية بحاجاته ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٣].

---

(١) سورة طه: ١١٨، ١١٩ .

(٢) شرح قصيدة ابن القيم (١/ ١٢١).

(٣) البقرة: ٣٥ .

وبمقتـضى الأمر والحال فـإنه يجب على آدم ألا يأكل من تلك الشجرة؛ عـملاً بقدر الله الشرعي إلا أنه سـبق عليه الكتاب وأكل من الشجرة، وخـرج من مقدرات القدر الشرعي إلـى دائرة القدر الكوني قال تعالى حاكـياً تلك المحنة: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ . فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ**﴾[(١)]. . . فتلك محنة ظاهرة. . . . غيـر أن نبي الله آدم لما استغفر وتاب وأناب انقلبت مـحنتـه إلى منحـة، وتاب الله عليه، ونفـذ فـيه قـضـاؤه وهبط إلى الأرض واستخلفه الله.

٢. سيدنا إبراهيم عليه السلام:

أبو الأنبياء خليل الرحمن آتاه الله رشده، فاهتدى إلى الله؛ متحنفاً مؤمنا مخبتاً لله سبحـانه غير أنه وقع في قبضـة أهل الكفر من الكفار العاتين، عندما كـسر أصنامهم، فحكى الله قصته، وأبان لنا عن محنته، فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ . قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [(٢)].

وبعد هذا الجـدال وتلك الملاحاة، هب نبي الله منتـفضاً ومدافـعاً عن التوحـيد وعن الحنيفية، فقام بتكسير أصنام القوم، قـال تعالى حاكياً عن إبراهيم وغضبته لله: ﴿**وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ [(٣)].

وهنا اسـتفـاق القوم بعض الشيء غـير أنهم كـابروا الواقع وجحـدوا بالعـقول ومضوا في غيهم سادريـن، حتى هب نبي الله إبراهيم بما أوتي من قوة صادعاً بالحق

---

(١) طه: ١٢٠-١٢٢ .
(٢) الأنبياء: ٥١- ٥٦ .
(٣) الأنبياء: ٥٧-٦٣ .

ومشهـراً بالباطل، فقال فى غـير خوف: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ . أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(١) .

ثم تأتى رياح الفـتنة وعواصف المحنة علـى نبي الله إبراهيم في مجلس الكـفر المنعقـد برئاسة كبـير الوثنيين نمرود، حتى حكمـوا على سيدنا إبراهيم بالموت حـرقاً ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾(٢) ، وهكذا اشتعلت الفـتنة وعدم سيدنا إبراهيم أسباب النجـاة الظاهرة، فلم يئن ولم ييأس من رحمة الله وفـرجه ونصره على عظم خطبه. . . فراح يلوذ بربه يطلب نصرته، حتى نـفذت سنن الله الشرعية فى نصرة المؤمنين، وتوارت السنن الكونية، وفقـدت النار خصوصيتها، وتعطـلت أطباعها تمريراً لسنن الله الشرعـية فى نصرة عبـاده، وحكمت محكمة السـماء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾(٣) .

أزمات المسلمين بين ظلام المحن وسحائب المنن :

لو استـعرضنا تاريخ المسلمين الطويل لوجدنا كـثيراً من المواقف والمحن العاصـفة والتى نجانا الله منها وقلبها سبحانـها إلى نعم، ومحن أخرى كفى الله شرها وأخمد نار الفتنة فيها بفضله سبحانه، وحبذا أن يرجع القارئ إلى كتاب « تاريخ الإسلام » للذهبى أو إلى كتاب ابن كثير «البداية والنهاية» على سبيل المثال للاطلاع على ذلك. . .

ويمكن أن نشير فى هذا المقام إلى رؤوس أقلام عن بعض عن تلك المحن الكبرى :

١ـ محن النبي ﷺ فى تبليغ الرسالة وفى جهاده :

وهي محن شاقة دفعها الله عن نبيه ﷺ وسرى عنه برحلة الإسراء والمعراج. . .

كما امتحن الله نبيه ﷺفى بدر فنصره الله، وفى أحد فسلم الله المسلمين من احتثاث بيضتهم. . . وفى الأحزاب «وهى محنة المحن» وصدق الله؛ إذ يقول : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾(٤) .

وامتحن الله نبيه فى حنين حيث هزم ثم انقلبت الهزيمة نصرًا والعسر يسرًا بفضله سبحانه.

---

(١) الأنبياء: ٦٦، ٦٧ .

(٢) الأنبياء: ٦٨ .

(٣) الأنبياء: ٦٩، ٧٠ .

(٤) الأحزاب: ١٠، ١١ .

٢ ـ محن الخلفاء الراشدين :

وقد ابتلوا بكل المحن وعلى رأسـها محنة فـقد النبى ﷺ، ثم محنة المرتدين والخارجين عن الإسلام، وقـد قيض الله أبا بكر حتى أعاد الأمـور إلى نصابها. . . . ثم جاءت محنة الروم والفـرس، وقد قيض الله لها فكر وتخطيط أميـر المؤمنين عمر ابن الخطاب، فَسَلَّ من جعبة الصحـابة سيف الله المسلول خالدا على الروم فشرد بهم وهزمهم بإذن الله، كما سل رمح المسلمين سعد بن أبى وقاص ذلك الأسد فى براثنه على فارس فنقض عراهم ودحر باطلـهم، ودخلت فارس فى دين الله وكَوَّفَ الكوفة وبزغت شمس الإسلام عالية في الآفاق، وصدق الله؛ إذ يقول: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ**﴾[١].

٣ـ محنة الحروب التتارية وتدمير الخلافة :

وهى محنة المحنات فى ذلك الزمـان حيث جاء المغول بخيلهـم ورجلهم وهجموا على الخلافة فدمروا بغداد فقتلوا خليفتهـا وعلماءها وحرقوا كتبها وأوسعوا الناس قتلاً، ولولا فضل الله لراحت بيضة الإسلام أباد سبأ، وتفرق المسلمون فقيض الله لهذه المحنة قادة سادة عـباداً مخلصين مجـاهدين أكفاء مثل قطز وبـيبرس وغيرهم فـذهب الباطل سدى، وانتـصب الحق قائماً، وقلبت المحنة إلى منحـة فأسلم معظم التـتار ودخلوا في دين الله أفواجاً ولا يزالون قائمين بلا إله إلا الله فى بلاد التتار وفى الصين.

٤ـ محنة الحروب الصليبية:

وهى فاجعة الفواجع وثالثة أثافى البلاء، حيث استمرت ٢٠٠ سنة حينما هجمت أوربا وباباواتها وأبـاطرتها وقسـاوستهـا على أرض الإسلام والمسلمين ودمـروا وخربوا وعاثوا فساداً غير أن ليلهم الأسـود انقلب بفضل الله إلى فجر جديد من الحرية على يد صلاح الدين فى مـعركة حطين، فـخذل الله به ملوك بريطانيـا وألمانيا وفرنسـا وإيطاليا والنمسا، ودحرهم وما صلاح الدين اليوم ببعـيد وما غزو الصليبيين بمعجز لنا بإذن الله وصدق الله فى قوله سبحانه: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[٢] . وقال سبحانه: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[٣] .

---

(١) آل عمران: ١٦٠ . (٢) آل عمران: ١٣٩ .
(٣) محمد: ٧ .

محنة المسلمين من (٨٤ عاماً) بوعد بلفور المشؤوم:

لعل هذه هى محنة المحن، وفاجعت العصر ، والقنبلة الموقوتة الملغومة التى لا تزال تجرح قلوب المسلمين إلى اليوم فى ١٩١٧/١١/٢ حيث أصدر وزير خارجية بريطانيا «أرثر بلفور» ما سمي بوعد بلفور بمنح اليهود وطنا قوميا لهم فى فلسطين.

فطالت المحنة واتسعت النكبة. .وتمادت الحقبة ولا يزال اليهود يعربدون ويذبحون وينحرون ويسفكون بأسلحة أمريكا دماء المسلمين على عتبات مقاتلة الإرهاب سلسلة دموية قهرية ضد الشعب الفلسطيني المؤمن قوامها: التهجير والترحيل ـ والقتل ـ والعصف ـ والاعتقال والوأد والإهانة والذل ـ وتوطين اليهود ـ وإنشاء المستوطنات تحت مرأى ومسمع العالم الغربي وتحت مباركة مبطنة منه لمحن المسلمين. . .

ما جديد ذكرى وعد بلفور:

جديد هذه الذكرى هو ما يلى:

١ـ الإعلان أن تنظيمات المقاومة الإسلامية والوطنية فى فلسطين منظمات إرهابية يحظر التعامل معها ويجب تجميد أرصدتها، وحبذا تجميد حركات المقاومة الإسلامية وتصفية أجنحتها العسكرية، وحبذا لو اجتهد عرفات فى اتباعهم وتسليمهم إلى إسرائيل. . . فهذا جيد وتعاون شبه مقبول، وحبذا تجميد الدماء فى عروقها. . . ومن تعامل معها، فهو محروم من العناية الأمريكية. ومطرود من رحمة أمريكا الصهيونية ، وخارج من عولتهما ذات السعة إلى عالم الإرهاب، وماذا بعدها يا ترى. . .؟ هل نحن بانتظار بيان أمريكي يهودى مشترك باعتبار كل فلسطينى يذكر إسرائيل بسوء إرهابي يحظر التعامل معه ؟!

٢ـ إعلان رئيس وزراء بريطانيا فى زيارته لإسرائيل يوم ١ / ١١ / ٢٠٠١ بعد ثمانية وأربعين عاماً من وعد سلفه بلفور بـ :

ـ وجوب ضبط النفس وإقامة الخد واستعدال القفا من الفلسطينيين لكى يصفعهم اليهود. . . !

ـ وجوب احترام إسرائيل وأمنها ومستوطناتها وغض البصر عن كل ممارستها دون نكير أو زئير ويسمح للنساء بالعويل والنحيب. . احتراما لضعف المرأة وانتصافاً

لحقوق الإنسان التى يرعاها الغرب الديمقراطي.

ـ وجـوب تفعـيل السلطة لأجهـزتها فى اعـتـقال النشطاء المدافـعين عن الدين والوطن وضرب صبية الحجارة ووأد «بزغات الإسلام من قلوبهم ونفوسهم».

ـ إعلان نائـب مـساعد وزير الخارجـية الأمريكى «ديفـيد ساترفيلد» بأن حـركة النضال الفلسطينية أنها خلايا إرهابية منظمة، وبالتالى يجب تصفيتها والقضاء عليها..

وليس ببعيد أن تطالها طائرات (بى٥٢) فكله إرهاب....!

ـ وإعلان مسـتشارة الأمن القومي الأمريكى الهـيفاء السوداء البشرة، الإفـريقية الأصل والمثـوى، اليهـودية المشرب والهـوى أن ياسر عـرفات ليس أهلا لأن يقـابله الرئيس الأمريكى إبان انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ لأنه لم يخضب يديه بدماء الإرهابيين من الفـلسطينيين ممن يدافع عـن دينه وأرضـه.. وحـبـذا لو ذبح أطفـال الحجارة ودمر مسجدين أو ثلاثة حتى يُرْضِي سادته.

ـ وكل هذه الضغوط وغـيرها... دون مساس بقدس الأقداس إسـرائيل البريئة الشريفة الديمقراطية الطاهرة بنت الأمريكان والإنجليز وصنيـعتهما وخنجرهما المسموم فى الشرق المسلم... !

تداعى الأمم على المسلمين ... وحرب جديدة :

نعم لقد دقت طبول الحرب الكبرى على الإسلام.. وقد نفخ اللوبى الصهيونى أبواقه وأعلن النزال، وهذا سيناريو عن تلك الحرب الجديدة...

أرض المعركة :

أرض المعركة هى تلك البقـعة العربية الإسلامية المسـماة.. بالوطن العربى، ثم بمحيطه من دول العالم الإسلامى... ثم بكل بقعة فيها مسجد أو مدينة فيها مؤسسة خيـرية إسلامية... وكل جـيب فيه مصـحف... وقد صرح القادة والسـادة بأنها ستشمل ٦٠ دولة ترعى الإرهاب... !!!

قادتها:

قادتهـا الأول هم ٦ملايين يهودى فى أمـريكا ووراءهم يهود إسـرائيل وقائدهم الدموى شارون، وأحفاد بطرس الناسك، والبابا أوربان من قادة الحروب الصليبية فى العهد الأول..

المتحدث باسمها :

هم طابور الإعلاميين اليهود فى الصحف والفـضائيات الغربية وعناكب شبكات الإنترنت. . وبطرس الناسك الثانى.

بيانها الصهيونى الخفى (١٤ / ٩ / ٢٠٠١) :

ومن ضمن أهداف هذه الحرب كانت الدعوة لهدم الكعـبة حيث أعلن الكاتب الصهيوني «ريوفن كورث» فى مجلة (Israel Insider) إسرائيل من الـداخل بتاريخ ١٤/ ٩ / ٢٠٠١ أنه يجب على الغرب أن يرد على المسلمين بالمثل وذلك بهدم الكعـبة فقال: وبالمثل فإن الغرب يتعين عليه إيجاد وسائل أخرى لردع الجهاديين، ويجب أن نفعل ذلك من خلال فهمهم وإجاباتهم بمعايير نظام القيم الذى يؤمنون به، لا الذى نؤمن نحن به، فما الذى يجدى من قصف مطار كابول أو قواعد طالبان العسكرية؟.

ففى مكة يوجد برجان طويلان فى شكل منارتين شامـختين تحيطان بعلبة سوداء عريضـة! يعبـدها المؤمنون! ويتجهـون إليهـا في حجهم المقـدس، وإلى هذا الشىء الرمزى يتجه كل المسلمين فى صلواتهم[١].

بيانها الفاتيكانى فى ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١:

وهو بيان صادر من أرض إيطاليا أرض الفاتيكان بؤرة الحروب الصليبية الأولى عبر عنه الكاثوليكي المتدين رئيس وزراء إيطاليـا «سيليفيـو بيرلوسكوني» فى ٢٦/ ٩/ ٢٠٠١ في خطابه الذي نال من الحضارة الإسلامية ووصفها بالتخلف وأن الحضارة الغربية تسمو عليها، وما خفي مما قال كان أعظم حيث تحـدث فى قمة استثنائية للمجلس الأوربي فى عاصمة بلجيكا بروكسل ٢١/٩/٢٠٠١، وفى جلسة مغلقة اقتصرت على رؤساء الدول والحكومات الأوربية. . . حـتى أن تصريحاته اسـتثارت صحـيفة «لوفيـجارو» الفرنسية وتساءلت كيف لم يرد المجتمعون على تصريحه الحضارى؟![٢].

همسة فى آذان... واعية:

هذه همسة أدلف بها إلى آذان واعية، أو أرجو أن تكون واعية. . .! فأهيب بها

(١) انظر مجلة البيان ص:١٠٨ عدد ١٦٨ عدد خاص بعنوان الإعصار.
(٢) انظر: مجلة البيان ص:١٠٥ عدد ١٦٨ .

فى تلك الظروف الخاصــة أن ترعوى عن مــواقفها الــتى لا يقرها عرف، ولا يقــبلها ظرف ولا تفرضها أولوية. . .

إلى تلك الفئة المنتسبة إلى الدعوة وقافلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بسنن رسول الله ﷺ ونشرها وبثــها. . . إليها أتوجه فـأقول: بأي حق وبأي منطق هب هذه الفئة إلى التسلط بألسنتها ومقالاتهـا وأحاديثها الخاصة والعامة فى المنتديات على طلبة العلم في أفغانستان. . .

بأى نهج وشرعـة وعقلية تلك الهجـمة الشعواء، وقد تمالأت قـوى البغى على هؤلاء. . . حتى ليصدق عليهم ما قاله القائل يشكو ما وقع:

تَكَنَّفَنِي الْوَاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَوْ كَانَ وَاشٍ وَاحِداً لَكَفَانِي

ألا استجلينا المواقف. . . وعـرفنا المقامات، ووضعنا القـول الصحيح فى الوقت الصحيح. . وفرقنا بين الذبيح الجريح والفائق الصحيح. . . هل كل ما يعرف يقال؟ وهل كل ما كان يكون؟! وما يسعنى إلا أن أقول:

بِــــأَىِّ كِــــتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى الْقَدْحَ فِى الطُّلاَّبِ حَقا فَتَقْدَحُ

قد لا نوجه اللوم إلى الأنظمة ومواقفهـا. . . من الاعتداء على شعب أفغانستان المسلم لارتباطات ومعـاهدات وظروف وإشكالات دولية قد تقتضى الحنكة الســياسية والمصلحة القــومية ـ كـما يزعمـون ـ أن تتجلى مواقف وتغـيب أخرى وأن تختــصر بيانات ويكتفى بإشارات. . . إلى غير ذلك من حيل الساسة وطرائقهم السياسية. . !

ولكن من أى باب وبأي وجـه وعلى أي مخرج نفــهم كلام هذه الفـئة المنتســبة للدعوة وقد راحوا يفصلون التهم التى كان لهــا سعة لو خرجت من غير هذه المخارج أو تقدم غـيرها عليـها. . ألا نذكر مـقالات القائل «أكلت يـوم أكل الثور الأبيض، ولنعلم أن الأيام دول والدهر غير، وآلة الحرب تُطـال القاصى والدانى واليوم عليهم، ولم لا يكون غداً عـلينا. . . هلا تعاضدنــا. . وتوحدنا . . «**والمسلم أخـو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) عن عبد الله بن عمر ﭭ.

وسنن الله ماضية إمـا شرعية وإما كونية ولله فى كل يوم شـأن سبحانه ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾(١) ولا يشغله شأن عن شأن.

الدعاة بين زهرة الدنيا... وشوكة الآخرة:

نتمنى على أصحاب القلم والدعوة أن لا تملكهم المناصب وألا تستثيرهم المواثب... وتحتويهم المراغب، عن الصدع بالحق والجهـر به فى السر والعلن.. والفاقة!! والمنن فلا تزال الدنيـا غرّارة، والنفس بالسوء أمـارة، ولا تزال الزهور يانعة تلفت العـقول وتسـتلب القلوب وتلوى بالأقـلام في الصد عن الحق أو فـى التعـريض به أو تناول أطرافه دون صلبه..

فمتى يجهر الدعاة بالحق ومتى ينشر العلماء صحفهم ويدلو بدلوهم...؟!

ومتى يهـجروا زخرف الدنيا ورفـاه العيش.. وكمـاليات الحياة التى قـد تعوق دعوتهم وتغـيب صوتهم فى جلبة وصـخب الباطل، فمن تتـبع زينة الدنيا ومطالب الزوجة ومطامحها ومساعيهـا ورغباتها... تاه فى واد بعيد، وانشغل عقله، وطاش قلمه، وتبدد كثير من جهده فى تدبيـر النفقات، وتوفير الكماليات التى لا تنتهى ولله در قائل:

إنَّ الحَريص لاَ يَزَالُ نَاصبـا فِى طَلَبِ الْعِزِّ جَهيداً رَاغبا
فَيَلْحَقُ الـذُّلُّ بِـهِ إلحَاقـا منْ حَيْثُ رَامَ الْعِزَّ وَالإرْفَاقا

وقال الآخر:

تَمُوتُ مَعَ الْـمَـرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَـــا بَقِى

ومتى يخلو الداعية بنفسه عن معافسة الصبية من الأولاد والأحفاد لكى يستجمع هموم فكره، ويقـوى دعائم رأيه ليحرك قلمـه فى سبيل إشهـار الحق ونشر لوائه فى تلك الظروف والصروف الغائمة...!!

ولله در زوجة صالحة تقية نقية... أخذت من نفـسها، وأعطت بعضاً من حقها وتركت زوجـها الداعيـة يخلو وقتـا ما بنفـسه، وكـفت عن مخـالفتـه... وإطفاء

(١) سورة الرحمن: ٢٩ .

بريقه. . . وسحبت مبادرة الأولاد منه إليها. . . !!

ولتذكر قول الشاعر:

تَبًا لِمَــــنْ يُمْسِي وَيُصْبِـــحُ لاَهِيا ... وَمَـرَامُـــهُ المَأْكُـــولُ والمَشْـرُوبُ
أَوَ مَـا تَرَى الأَرْزَاقَ تَطْلُبُ غَـافِـلاً ... وَتَصُـدُّ عَنْ لَهْـفَــان وَهْوَ طَلُـوبُ
وأَرَى الجُدُودَ هِيَ الحَـوَاكِمُ لِلْوَرَى ... وَبِهِنَّ يَخْــفِـقُ طَالِــبٌ وَيُـصِـيبُ
فَإِذَا قَطَعْنَـكَ فَالقَــــرِيبُ مُـبَــعَّدٌ ... وَإِذَا وَصَلْنَكَ فَـالْبَعِـيـــدُ قَـرِيـــبُ
حُـــبُّ البَقَـــــاءِ طَبِيعَةٌ مَجْــبُولَةٌ ... وَهَلِ الْبَقَـاءُ وَقَــدْرُهُ مَحْسُوبُ؟!

ستنتهي الحروب .... وتبقى المواقف شاهدة:

أهيب هنا بإخواني الدعاة. . . وبقـادتنا وساستنا. . وكل أولى الأمر وذوى الحل والعقد فى أمـة الإسلام أن يبصروا ويتـبصروا. . . وليعلموا عـلماً لا يساوره شك أن الحروب ستنطفئ جـذوتها يوما ما. . . وأن الأيام تمضى والأحداث تتـعاور ولن يبقى الفاعل ولا المفعول، ولكنها ستـبقى المواقف شاهدة. . . على من قدم رجلا فى الحق ومن زعزع أخرى،ومن جهر براشد القول ومن توارى عنه.

فالله الله فى ثبـات المواقف واستجلاء الحق وبذل الصــدق. . . ولله در أئمة الحق فى الخطوب فهـذا ابن تيميـة تحاك حوله المكائد ويضطهـد فى رزقه وجسـده ويسجن ويعتقل مع هذا تراه ويبسم ضاحكاً فى غيـر جزع ثم يقول : ماذا يفعل أعدائى بي؟! إن جنتى وبستـانى فى صدرى حيثـما سرت فهى مـعى، إن سجنونى فسجنـى عبادة أخلو فيه لطاعة ربي، وإن قتلونى فقتلى شهادة أدخل بها جنة ربى، وإن نفوني فنفيي سياحة أطالع فيها مخلوقات ربي!!

وهذا سعيد بن جبير سيد القراء والعباد فى عصره يذبحه الحجاج ذبحاً وهو باسم الثغر راضي الـنفس؛ لأنه بلغ الحق وصدع به. . . وهذا سلطان العلماء العـز بن عبد السلام يبيع الأمـراء فى الأسواق ويصيح فى وجه الباطل منـاديًا بالصدق جاهراً بالحق غير هياب ولا مرتاب. . !!

فلنحذر. . . ولنتق الله فى يـوم لا نسب فيه ولا خلة. . . فـمن أبطأ به عمله لم

يسـرع به نسـبه . . . . وصـدق الله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[١] . . اللهم أصلح ولاتنا. . . وعلمـاءنا وزوجاتنا وأولادنا، اللهم انصـر الإسلام وأعـز المسلمين وبلغنا الخيرات وادفع عنا السوآت والحمد لله رب العالمين. . . !!

❖ حقائق سورة الأحزاب بين ماضينا المشرق وحاضرنا المُحزن ... بين أحزاب الماضي وأحزاب الحاضر:

بداية قصدت هذا العنـوان بعينه لتلك السورة بعينها؛ إذ أبصـرتها بعين الماضي في سياق حدثها التـاريخي حيث غزوة الأحزاب بزخمها ومتـعلقاتها وبأجنادها من أجلاف الكفر وفئات العادين الباغين على الإسلام من راموا كسر بيضته، وإزهاق نور شمعته.

مقارنة بواقـعنا السامد المكفهر الذي تشهـد فيه بلادنا الإسلامية شـعوباً وحكاماً ومحكومين وأرضاً وعرضاً ودنياً وقيماً وحضارة أشد هجمة عرفت في العصر الحاضر تقريباً من أحـزاب الأرض غير المسلمة في تحالـفهم المشبوه صاحب مـسمى (العدالة المطلقة) أو (الحرية الدائمة) أو غير ذلك من المسـميات ذات البريق الزائف الذي تخبر عنه حقائق الأمور وتكشفها يوماً بعد يوم. .

ويا سبحان الله العظيم تشابهت المواقف قـديماً وحديثاً وتماثلت المشاهد، واتحدت الأهداف، واتحد كل فـرقاء الأمس وحـرباء ما قـبل الأمس، وأعداء مـا قبل الأمس ونسوا حروبهم الباردة واستبدلوها باتفاقات دافئة، وتناسوا ملايين القتلى في حروبهم العالمية واجتمـعوا زرافات ووحداناً على أشد قلب مبشر منـهم في وجه عدو مزعوم أسموه الإرهاب وتقاسموا الأدوار، وانضموا تحت لواء واحد. .

تماماً كما فعل حلفاء الماضي؛ إذ تجمع اليـهود وحلفاؤهم والوثنيون وأتباعهم وقريش بعاربها ومستعربها بتدبير يهودي خفي وقيادة عصبية لقريش وسارت في جيش عرمرم فيلق وسرية إثر سريـة حتى تم عددهم، وتجمعت جيوشـهم بما لا قبل للمسلمين به فجـاءوهم من فوقهم ومن تحـتهم ولله هذا التصويـر الحسي في بلاغة معـجزة ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ. .﴾[٢] .

هل يخاف المؤمنون ويفزعون من الأعداء ؟

يحسن بنا أولاً أن نذكـر حقيقـة أن الخـوف شعور إنساني طبيعـي ينتاب الإنسان

(١) سورة الزمر: ٣٠ .
(٢) الأحزاب: ١٠ .

والحيوان على السواء، وذلك عند تعرض أي منهما لفزع، والمؤمن ما هو إلا إنسان ويعتريه ما يعتري باقي الناس من الخوف، ولكن يختلف المؤمنون في خوفهم من غيرهم في أثر الخوف ونتيجته وطريقة معالجته.

فالمؤمن يخاف بل الأنبياء تخاف، وهذا القرآن يذكرنا في قصة سيدنا موسى عندما أمره الله بأن يلقي ما في يده وهي عصاته، فتحولت إلى ثعبان عظيم رهبه موسى وخاف منه، بل فر وهو في حضرة الله تلبية لذلك الشعور الإنساني الطبيعي لديه، قال تعالى: ﴿**وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ**﴾ [2].

ولكن المؤمن في نفس الوقت لا يشمله عميم الخوف ولا تملؤه الرهبة ولا يحتويه الفزع مطلقاً، وإنما ذلك لله سبحانه وتعالى فقط ﴿**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿**فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ**﴾[4]، وكذلك المؤمن لا ينفعل بالخوف ولا يتحرك في الغاية بناءً على ذلك الخوف، وإنما كمجرد رد فعل مؤقت ووسيلة آنية لالتماس الاطمئنان، وإلا فإن المحرك والحاكم هو أمر الله ونهيه.

وكذلك المؤمن، فإنه يتميز في طريقة معالجة الخوف، فيعالجه باللجوء إلى الله والأنس به والاستعلاء بدينه، قال تعالى: ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ**﴾[5]، ويلتمس دفع الخوف في الطمأنينة بالله والثقة في موعود ووعد الله سبحانه ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[6]، والحاصل أن المؤمنين يخافون ويفزعون ويتزلزلون ولكنهم لا يرتدون على أدبارهم ولا يحركهم محض خوفهم ولا يبتاعون أمنهم بدينهم أو قيمهم.

خوف المسلمين من أحزاب الكفر بين الماضي والحاضر:

لقد حكى الله موقف المسلمين قديماً من الأحزاب، وأنهم خافوا كرد فعل إنساني محض، بل زلزلوا لهول ما رأوا وفزعوا ولم يشملهم الخوف المُطلق ولم ينزع منهم

---

(١) النمل: ١٠ .
(٢) طه: ٦٧ .
(٣) آل عمران: ١٧٥ .
(٤) التوبة: ١٣ .
(٥) طه: ٦٨ .
(٦) الرعد: ٢٨ .

دينهم أو ثقتهم بربهم وركونهم لنصـره وفضله قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ⦃١٠⦄ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾(١).

وهذه صورة بليغة في تصوير حال جند المسلمين على عمومهم في استقبال ذلك الضيف غير المرحب به ألا وهو ضيف الأحزاب من الكافرين... فهناك:

١ـ زاغت الأبصار.

٢ـ دقت القلوب وفزعت وكادت تطير شعاعاً على حد وصف القائل:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً مِنَ الأَهْوَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي

٣ـ بلوغ الخوف حده حتى بدأت تتنامى الظنون..

٤ـ بلوغ الخوف حدّ الزلزلة المخيفة بجند المسلمين.

خوف المسلمين حديثاً من أحزاب الباطل:

نعم خاف المسلـمون قديماً من أحـزاب الكفر، ولكنه خـوف في المقام الأول على دينهم ثم تلا ذلك النفس والمال والعـرض والعقل، فهذا عـمر بن الخطاب # يطرق عليه رجل بشدة فيفـزع عمر ويقول: «هل دخلت الروم؟»(٢) أي يخشى هجومهم على الإسلام... وهذا الصديق # في غـار ثور يخاف على رسول الله ﷺ من معشر أهل الكفر وإذ به في طريقه إلى الغار يدور حول النبي ﷺ عن يمينه وتارة نحو يساره وتارة من خلفه وتارة من أمـامه خوفـاً على رسول الله ﷺ ولقد سـجل القرآن تلك اللحظات العصيبة المفزعة بقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...**﴾(٣).

ثم تعالوا بنا لنتعرف على خوف المسلمين المعـاصرين من أحزاب الكفر فنجد أنه ينقسم إلى أقسام منها:

---

(١) الأحزاب: ١٠، ١١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) عن ابن عباس ٪.

(٣) التوبة: ٤٠.

١ـ خوف على المكانة والمنصب:

وهذا دأب أهل الدنيا أنهم يقبلون عليها ويرتمون في أحضانها غير ناظرين إلى ما وراءهم ولا إلى ما قدموا لغدهم، فهم يخافون من أهل الكفر أن يجمدوا أرصدتهم أو يحرمونهم من رحلات الترف والسرف على موائد الغرب من ميسر وخمر وجنس ورقص وسائر المتع الفانية البالية التي هي غاية تلك الفئة الفاسدة.

ومنهم من يخاف على منصبه، إذ تشغله لذة الكرسي والمكانة، فلا هَمَّ له إلا أن يحافظ عليه بكل سبيل وما أشد شهوة الكرسي!

فإنه على ما قال القائل: (نعم المرضع وبئس الفاطم!!).

وهؤلاء على اختلافهم يسارعون في موالاة أحزاب الكفر والائتمار بأمرهم والسمع والطاعة لهم بل إن بعضهم لا يتوانى في التآمر على إخوانه من المسلمين والكشف عن عوراتهم؛ لكي يظفر بعرض زائل، وهذه فلسطين الجريحة يقتل قادة الجهاد فيها بيد عميلة خائنة من عملاء اليهود الذين باعوا وطنهم، ودلوا على عورات إخوانهم من حماس والجهاد وفتح وغيرهم..

وإلا فبالله كيف تفسر المعرفة بمواقع وجودهم وأوقات خروجهم ودقائق تفاصيل سعيهم في غدوتهم ورواحهم... لا يمكن هذا إلا بيد العملاء من الذين باعوا دينهم ووطنهم واستباحوا عروبتهم وإسلامهم، وكما قال القائل:

فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ   فَكَانَ أَعْلَمَ بِالمَضَرَّةْ

٢ـ خوف لانعدام الثقة بالله وضعف اليقين بالله:

وهذا خوف عامة الناس حيث يخافون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وهذا بلاء عمّنا واستغرقنا، فنسأل الله السلامة والعافية... وفي ثنايا ما سيأتي تفصيل عن هذه الفئات وأنواعها.

فئة المهزومين عن نصرة الإسلام:

هذا حال فئة كثيرة من الناس أنهم لا يثقون في وعد الله بنصر دين الله، فتراهم ذوي «هزيمة نفسية»، «ونفوس انهزامية» وغالباً ما يكونون من المنافقين الذين شكوا في

قضاء الله، وارتابوا في حكم الله، وقد سماهم القرآن، وأشار إليهم بأوصاف كثيرة وبأنهم (الفرار) وأنهم (المثبطون) وأنهم (أهل الخبال) وأنهم (المعوقون)، وقد قال الله فيهم في سورة الأحزاب: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾[1]، ثم رد الله عليهم بسبق قضائه وقدره ونفاذ حكمه ـ سبحانه ـ فقال مهاجماً لهم ومذكراً للمؤمنين الصادقين: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾[2].

أما عن أهم سمات هذه الفئة المنهزمة، فهي:

١ـ أنها شاكة في قضاء الله وقدره وفي حصول موعوده سبحانه وغفلوا عن قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا . .﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾[6].

٢ـ الخوف والهلع العام الدائم الذي يُرافقهم، وهذا جزاء مَنْ شك في قدر الله ومن لم يؤمن بالله، فهنا ينزع الله السكينة منه ويقذف الرعب في قلبه؛ ولذلك قال سبحانه وتعالى في وصفهم: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[7]، وخلاف هؤلاء الناس هناك فئة المؤمنين الذين وعدهم الله الأمن بقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾[8]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[9].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[10].

٣ـ الشح على الخير والسخاء في فحشاء القول:

وهذا وصف حقيقي لأولئك النفر الشاكين في قضاء الله سبحانه وقدره، حيث

---

(١) الأحزاب: ١٤، ١٥ .
(٢) الأحزاب: ١٦، ١٧ .
(٣) الأعراف: ٥ .
(٤) النساء: ١٢٢ .
(٥) التوبة: ١١١ .
(٦) يوسف: ٢١ .
(٧) الأحزاب: ١٩ .
(٨) طه: ١٢٣ .
(٩) فصلت: ٣٠ .
(١٠) الأنعام: ٨٢ .

تجدهم أحـرص الناس على دينار ودرهم كـأنما فيـها الخلد، وكـأنما هي مسـاحة له؟ والضامن معه طول العمر . . . وفي المقابل تجـدهم أسخياء في الاعتذار والتعلل والانسلاخ من مواقف المواجهة؛ إضافة إلى فحش في القول وخوض في أعراض المؤمنين.

الإيمان بالقدر وأثره في ثبات المؤمنين:

الإيمان بالقدر ركن رئيسي من أركان الإيمان بالله، كمـا جاء في حديث عمر بن الخطاب قـال: بينما نحن جلوس عنـد رسول الله ﷺ؛ إذ طلع علينا رجل شـديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليـه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ ووضع يده على فخذيه. . . وقـال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره...** »[(١)].

وقد دلت الآيات الكثيرة على وجوب الإيمان بالقدر، وعند « مسلم » باب كامل من الأحاديث والآثار في إثبات ذلك. . .

والحاصل: أن الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يؤدي إلى:

١ـ ثبات القلوب عند الكروب:

وذلك لأن الله سبحانه كتب ما هو كائن، وقدر ما هو واقع وقضى بكل حادث، فلا راد لما قضى ولا مبرم لما نقص سبحانه قال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾[(٢)] .

وهذا الثبات يتـبين أشد ما يكون في لحظات الجهاد حيث تفـزع النفوس، وتنفر وتركن إلى الفرار، وتود غير ذات الشوكة، ولله در المجاهدين الصادقين من الصحابة والتابعين لما أيقنوا بقضاء الله وقدره راحـوا يبذلون حياتهم؛ لله لأنهم علموا أنهم لو لم يقتلوا لماتوا؛ إذ تلك نهاية كل حيّ قـدر حتمي وحكم قطعي ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[(٣)] فقال قائلهم:

سَـأَحْـمِلُ رُوحِي عَلَى رَاحَـتِي ... وَأَمْـضِـي بِهَـا فـِي طَرِيقِ الرَّدَى
فَإِمَّـا حَـيَـــاةٌ تَسُـرُّ الصَّدِيـقَ ... وَإِمَّــا مَـمَـــاتٌ يُغِـيظُ العِـدَى

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) عن أبي هريرة، ومسلم (٨) عن عبد الله بن عمر، واللفظ لمسلم.

(٢) التوبة: ٥١ .

(٣) الرحمن: ٢٦ .

وقال الآخر :

يَا نَفْسُ إلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صُلِيتِ

وقال الآخر :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعا ... مِنَ الأَهْوَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي

فَإِنَّكِ لَوْ صَبَرْتِ لِقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى قَدَرٍ مَضَى لَكِ لَنْ تُطَاعِي

فَصَبْراً فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرا ... فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

موقف الناس من قضاء الله في نصرة الإسلام أو التخلي عنه:

لقد مضى بنا آنفاً نبذة عن حال الثابتين من المؤمنين في غمرات الجهاد، وفي التلبس بالطمأنينة والركون إلى الأمن النفسي؛ لعظم إيمانهم بقضاء الله وقدره، وهذا حال المؤمنين الصادقين الذين أيقنوا بموعود الله، وكان عهد الله عندهم مسئولاً وهؤلاء جمَّل الله حالهم، كما في قوله سبحانه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[1].

وأهم خصائص هذه الفئة الصادقة ما يلي:

١ـ أنها موقنة بوعد الله في نصره لجنده وحفظه لدينه.

٢ـ أنها مطمئنة آمنة ليقينها بالله، فهي لا تفزع ولا تجزع ولا تهلع، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلاَّ الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[2].

٣ـ أنها وفية بما وعدت به الله من الجهاد والثبات ليقينها بما وعد الله به الموقنين بقوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[3].

٤ـ أنهم يقولون القول السديد عند الزلزلة والأهواء، وهذا معنى من المعاني التي دارت حولها السورة؛ حيث ختم الله السورة بوصيته للمؤمنين الصادقين بقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾[4].

---

(١) الأحزاب: ٢٣ .
(٢) المعارج: ١٩ـ ٣٢.
(٣) البقرة: ٤٠ .
(٤) الأحزاب: ٧٠ .

٥ـ أنهم أهل لحمل أمانة الله في الأرض، والتي عجزت عن حملها السموات والأرض، كما دلت الآيات في آخر السورة ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**﴾[١].

٦ـ التوكل على الله والثقة بكفالة الله لعباده المؤمنين، وهذا ما أمر الله به نبيه ﷺ كما أمر به من بعده المؤمنين قال سبحانه: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾[٢].

٧ـ الولاء لله ورسوله والمؤمنين، وهذا من أصول دين الإسلام؛ إذ الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان، ومن كان شاكّا في الله وقضائه، فذلك هو الذي يوالي أعداءه ويعادي أولياءه، والمؤمنون على خلاف ذلك.

٨ ـ البراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

٩ـ وهذه الصفة تابعة للصفة الأولى حيث من كان الله مولاه ورسوله والمؤمنون، فهو في جناب الله وحفظه وضد حزب الشيطان ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[٣].

غزوة الأحزاب كانت فيها أولى المعارك النفسية بين الإسلام والكفر:

نعم كانت استراتيجية أحزاب الكفر تقوم على التعبئة العسكرية لمختلف القبائل غير المسلمة فى جزيرة العرب؛ إضافة إلى ضرب الجبهة الداخلية للمسلمين عن طريق استمالة اليهود وتحريضهم على المسلمين؛ ليقوموا بترويعهم وكشف سرهم، وقد كاد ذلك المخطط أن ينجح لولا فضل الله على المسلمين وتأييدهم بجنوده حيث اجتمعت الأحزاب فى أعتى عتادها وأكبر جمعها؛ ساعية نحو المدينة، فوقع المسلمون فى حيرة من أمرهم، حتى أشار سلمان الفارسي على النبي بحفر خندق لحماية المدينة وجيش المسلمين من ذلك الغزو الوثنى اليهودى الكاسح، وقد أمر النبي ﷺ بحفر الخندق وقام فى حفره مع المسلمين وأمر بالنساء والذرارى، فجلعوا فى الآطام فى أماكن آمنة داخل المدينة، ثم صبر المسلمون على المواجهة على أنهم قد زلزلوا زلزالاً شديداً.

ويصف الله سبحانه كيد الأحزاب، فيقول: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾[٤].

(١) الأحزاب: ٧٢.
(٢) الأحزاب: ٣.
(٣) المجادلة: ٥٦.
(٤) الأحزاب: ٤٠.

توازى التحركات العسكرية مع الحرب النفسية:

لقد كان أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه ـ هو قائد تلك الجموع أو القائد العام للأحزاب؛ إضافة إلى القيادات الميدانية الأخرى، كما هو حال جيوش الأزمان الحديثة المعاصرة.

وقد لجأ كفار قريش إلى سلاحهم الأقوى فى تلك الحرب النفسية، ألا وهو اليهود «يهود بنى قريظة» الذين كان بينهم وبين المسلمين حلف وعهد، فغدروا بهم حتى نقضوا العهد وراحوا يخططون لإبادة المسلمين، وهذا دأبهم حديثاً حيث إنهم يستعدون الدنيا كلها والأحلاف جميعًا على المسلمين ولا تنفك التهم الإعلامية تصورنا فى أقبح الصور وتشهر بديننا وقيمنا حتى انقلبت على الإسلام والمسلمين جحافل أوربا وأساطين أمريكا، وحتى دول ما يسمى بعدم الانحياز وصدق الله؛ إذ يقول: ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾[1].

لقد راح اليهود يخذلون المسلمين ضعاف النفوس عن جيش رسول الله، ويثبطونهم وهذا كتاب الله يفضح دخائلهم، يقول تعالى: ﴿ **فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[2].

وبهذا تتحقق استراتيجيات الأحزاب قديماً وحديثاً فى تطويق الإسلام وترويع أهله وتدمير بنيته، والله من ورائهم محيط سبحانه وتعالى.

جنود الله وبشائر نصر المسلمين (بين الماضى والحاضر):

فى غزوة الأحزاب اشتد وطيس المعركة التى كانت فى المقام الأول معركة نفسية على أعلى مستوى معارك ذلك العصر؛ إذ طوق المدينة أحزاب اليهود عندما نقض يهود بنى قريظة عهدهم، وانضموا لأحزاب الكفر...

وقد اتفقوا على أن يبيد اليهود فى المدينة ذرارى المسلمين، وأن يتولى قتل محاربهم جيش قريش... وبهذا يتم لهم القضاء على بيضة الإسلام واجتثاثه غير أن

---

(١) البقرة: ٢١٧ .

(٢) الأحزاب: ١٩، ٢٠ .

الله تولى رسولـه وجنده وسخر جنوداً لنـصرتهم ولحفظ دينـه، ورفع لواء الإسلام، مصداقًا لوعده سبحانه فى قوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[١]، أما عن أهم جنود الله فى تلك المعركة فهى:

١ـ جند الرعب والخوف:

الخوف من أعظم جند الله سبحانه؛ لأنه سلاح الأسلحة فى الفتك بالأعداء وتفريق شملهم وهزيمة جموعهم... وقض مضاجعهم ولذلك أوصى الله جند المؤمنين بالصبر والثبات وإعداد العدة لإدخال الرعب فى قلوب الأعداء قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[٢] .

والخوف سلاح ماض يجنده الله فى صالح المؤمنين الصادقين كما جنده للمؤمنين فى معركة الأحزاب بأن قذف فى قلوب أعدائهم الرعب وفرق جمعهم وشتت شملهم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[٣] ،وكما ترى فإن الآية تخبر عن أمضى سلاح فى تلك المعركة الحاسمة ألا وهو سلاح قذف الرعب فى نفوس حزب الكافرين... وقد قال رسول الله ﷺ: «**أوتيت خمسًا لم يؤتهن نبي قبلي: أحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر، وبعثت إلى الناس عامة، وأعطيت الشفاعة**»[٤] وقد استعمل رسول الله هذا السلاح فى معظم معاركه ضد أعداء الإسلام، فكان ﷺ لا يبرح عن الدعاء والاستغاثة والالتجاء إلى الله سبحانه، فها هو فى يوم بدر يرفع يديه مستغيثاً بالله حتى ظهر بياض إبطه ﷺ[٥].

٢ـ معية الله لجنوده المؤمنين:

نعم إن معية الله هى كافية المؤمنين من كل كيد ومن كل سوء، وحسبك بالله معوانا، وحسبنا الله ونعم الوكيل سبحانه وتعالى.

---

(١) التوبة: ٣٢ . (٢) الأنفال: ٦٠ .

(٣) الأحزاب: ٢٦ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله #.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٦٣) عن عمر #.

ولله در القائلين عن معية الله وعونه:

وَإِذَا العِنَايَةُ لاَحَظَتْكَ عُيُونُهَا نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُــنَّ أَمَانُ

وقال الآخر:

عِنَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

وقال سبحانه وتعالى فى هذه المعية المباركة: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ . إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

لا تخافوا اليهود فقد هزمت امرأة مسلمة جيشاً منهم بإذن الله [2]:

قد يعجب البعض من سماع ذلك، فنبادره القول أن لاعجب، فهذه حقيقة ثابتة فى التاريخ الإسلامي يرويها كابر عن كابر وسنأتى على ذكرها. .

وهذه الحادثة كانت فى عهد النبى ﷺ، حيث انقلب عليه يهود بنى قريظة ونقضوا العهود معه، واتفقوا مع كفار قريش على أن يجتثوا بيضة المسلمين بقتل ذراريهم ونسائهم فى المدينة، فإذا حصل ذلك اضطر المسلمون للانسحاب من جبهة القتال حول الخندق؛ ليدافعوا عنهم من اعتداء اليهود وبالتالي يهجم عليهم كفار قريش إلى داخل المدينة ويقتحمون الخندق، ويطبقوا عليهم.

فبعثت يهود بنى قريظة أحد رجالها الشجعان فتسلل إلى الآطام (أى: الحصون) التى فيها عوائل المسلمين، وكان دوره هو استطلاع أماكن النساء والذرارى ومعرفة درجة المنعة للحصون التى هم فيها وهل هى محمية بالمقاتلين أم خالية عنهم.

وكانت فى هذا الوقت صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ فى حصن «فارع» أطم حسان بن ثابت، فلمحت اليهودى يطوف بالحصن ويتحسس أخبار نساء

---

(١) الأنفال: ١٧ـ ١٩ .

(٢) القصة أخرجها ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٧)، وابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٩٦) عن عباد بن عبد الله بن الزبير، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥١) عن عروة بن الزبير، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

وذراري المسلمين، فعرفت أنه لو رجع إلى بنى قريظة سالماً، فإنه سيدلهم على عورات المسلمين من نساء وشيوخ فتقع المصيبة وينزل البلاء بالمسلمين وتنفذ اليهود مخططها فى سحب المسلمين من على جبهة الدفاع مع كفار قريش. . .

وقررت $ الدفاع عن المسلمين، واستحضرت معية الله وانتفضت فى شجاعة المؤمنة الصادقة الواثقة بنصر الله، فأخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه، وضربته بالعمود على رأسه، فخر صريعاً يتشحط فى دمه[١]، وانتظرت قريظة عودة شجاعها ليخبرها عن حال نساء المسلمين لتهجم عليهن ولكن دون جدوى، فلقد علموا أن المسلمين قد أوكلوا إلى فريق منهم حفظ النساء والذراري، وأنهم فى قوة ضاربة وتحت حماية جنود المسلمين، وأيقنوا أن ليس من السهل اقتحام هذه الحصون وما كانوا بعالمين أن شجاعهم قتل بيد امرأة من المسلمين.

وهكذا كان لصفية بنت عبد المطلب خير دور فى نصرة المسلمين فى الأحزاب وترويع اليهود وإفشال مخططهم، وهم أهل الجبن والخوف من المسلمين، كما قال تعالى عنهم: ﴿**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[٢] .

ويا ليتنا نحن المسلمين نعى تلك الحقائق عن اليهود وألا نفزع منهم ومن حلفائهم من أهل الأباتشى وأهل طائرات الـ(بي٥٢) فإنهم أجبن من أن يواجهوننا وجهاً لوجه، وإنهم ليموتون رعباً ويهلكون فزعاً من سماع هتاف (الله أكبر) ومن لقاء مسلم بحجر؛ فضلا عن مدفع. . .

(١) ونحن حين نذكر هذه القصة إنما هي للموعظة، وإلا فقد اختلف أهل السير في صحتها.
(٢) الحشر: ١٤ .

دماء المسلمين عبر التاريخ

لقد خلق الله سيدنا آدم بيده تشريفاً وتكريماً له، وأودعه بعضاً من علمه، ونفخ فيه من روحه سبحانه، وخلقه على هيئته وأسكنه الجنة، وفاض عليه فيها من كل فيض وفضل، فلما أخطأ أبونا آدم وألمت به غفلة النسيان وغلبت عقله شهوة الطعام، قادته إلى المحظور، فأكل من الشجرة، ثم كان ما كان، حتى تاب الله عليه وأهبطه من الجنة وأسكنه أرضه، ودفع بالشهوات والهوام والآلام ليختبره بها، ورزقه بالبنين قال تعالى حاكياً ذلك: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾(١)، وانظر إلى مناط استنكار الملائكة خلق آدم ألا وهو:

١ـ الفساد في الأرض **٢ـ سفك الدماء**

وما كان ذلك إلا لعظم هاتين الجريمتين وتخوف الملائكة من بني آدم أن يسفكوا الدماء.

ابنا آدم وسفك الدماء:

لقد هبط آدم إلى الأرض، ورزقه الله البنين والبنات لكي يستعمر الأرض، ويقوم بحق خلافتها وعمرانها، فكان من أولاده قابيل وهابيل كان أحدهما شقيًّا وعصيًا وهو قابيل، وكان الآخر زكيًا تقيًا وهو هابيل، فإذ بالشقي قابيل ينفث النعم على أخيه هابيل، ويضمر له الحقد والضغينة، ويسعى لحصاد زرع أخيه من الطاعات والخيرات؛ حتى استزله الشيطان بغيه وراح ينفث بوسواسه في قلبه وزين له قتل أخيه فقتله وكانت هنا أول جريمة سفك للدم (على وجه الأرض).

وقد استشنع القرآن هذا الحادث الأليم، وذكره للعظة والعبرة ونبه به الأنام على بشاعة تلك الصنائع، وبنى عليه أحكاماً قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ**

---

(١) البقرة: ٢٠ .

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١) .

ماذا بعد قتل ابن آدم لأخيه:

قص الله سبحانه قصة ابني آدم مفصلة محكمة في موضع واحد في القرآن في سورة المائدة في الحزب الثاني عشر من الآيات (٢٧-٣٢)، وما ذلك إلا لعظم الفاجعة وجلالة ذلك الخطب ثم بنى الله على تلك الحادثة أحكاماً وأموراً تدل عليها الآيات الكريمات كالتالي:

١ـ أن الطاعات لا تقبل إلا من أهلها الصادقين:

وصدق الله سبحانه؛ إذ يقول على لسان الابن الصالح هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وذلك أن أخاه قابيل هدده بالقتل بلا سابق ذنب إلا لأنه اتقى الله وأخلص له.

٢ ـ أن خوف الله هو العاصم من سفك الدماء بغير حقها:

وهذا حق واقع في دنيا الناس وفي دنيا البشرية الأولى حيث ذكر الله ذلك جليًّا على لسان الابن الصالح هابيل لما هدده أخوه بالقتل، فقال: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(٣) .

٣ ـ أن القتل بغير حق ظلم ويورث نار جهنم:

وهذا ظاهر في الآيات الكريمات، كما أخبرنا الله على لسان هابيل: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(٤) .

٤ ـ أن النفس إذا عمها الوسواس بحق أو باطل سعت لاقتراف أكبر الجرائم:

وكيف لا وهي التي تورد صاحبها المهالك، فتزين له الشهوات وتصده عن سبيل الطاعات لذا كانت أعدى الأعداء، ولذلك أسند الله إليها تسويل السوء، كما في موضوعنا؛ فقال سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾(٥)، وهكذا كانت عاقبة تسويلها وتزيينها؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(٦)، وقد

(١) المائدة: ٢٧-٣٠ .
(٢) المائدة: ٢٧ .
(٣) المائدة: ٢٨ .
(٤) المائدة: ٢٩ .
(٥) المائدة: ٣٠ .
(٦) يوسف: ٥٣ .

صدح الشعراء والأدباء بحكم بالغة في الحذر من مكائد النفس، وحثوا على السعي في إصلاحها من ذلك قول البوصيري :

وَخَالف النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصهمَا   وَإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً   فَأَنْتَ تَعْلَمُ كَيْدَ الْخَصْمِ والْحَكَمِ

ولله در الآخر القائل :

فَأَدِّبِ النَّفْسَ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا   فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

٥ ـ أن الخسران والندم هو عاقبة سفك الدم :

والندم هنا عام، وهو إما ندم من النفس بعد استدراك شناعة فعلها وتوبيخها واستنكار تسويلها، وهذا يحدث لمن كان عنده بريق من إيمان، وادكار وخوف من الرحمن، أما أصحاب القلوب الجافية العاتية، التي لا ترعوي لنصح ولا تنصت إلى زاجر ولا واعظ فندمها واقع أيضاً وهو يقع في العاقبة السوء التي ستحل به؛ لأنه من المفسدين.. فإن طال حبل فساده اليوم، فإنه سيقصر غداً قال تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾[1]، ويتبع ذلك الخسران في الدنيا، حيث لا يزال القاتل ممقوتا ومبغوضا من كل مَنْ حوله حتى المجرمين من أمثاله وإن لم يبوحوا له بذلك.. إلا أن الصبغة الإنسانية موافقة والفطرة الركيزة قائمة في استنكار سفك ذلك الدم.. ثم إن يومه في القصاص آت، فإن لم يكن من أهل الأرض، فهناك محكمة السماء.

حكم الله سبحانه بحرمة سفك الدم إلا بحقه :

لعل هذا هو أبرز حكم يستخلص من قصة ابني آدم؛ إذ شرع الله في كل الديانات حرمة سفك دم الآدمي إلا بحقه، وصانه وحفظه تكريماً لتلك الروح الكريمة التي نفخها الله في سيدنا آدم .

بل جاءت الآيات موضحة أن من علل ذلك التشريع هو ما حدث من ابني آدم لما قتل قابيل هابيل، فجاء حكم الله لآدم ولولده من بعده بحرمة سفك الدماء قال الله

(١) إبراهيم: ٤٢ .

تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١] .

وكما ترون إن الله سوّى بين قتل نفس واحدة وبين قتل الأنفس جميعاً، وما ذلك إلا لسببين رئيسين :

أولهما: لشناعة ذلك الخطب وعظم ذلك الجرم الذي يستبيح الإقدام على صنعة الله، وهدر دمها بلا حق وسند من شرع. . وليس هناك أفظع من ذلك.

ثانيهما: أن القتل شرعة مشينة ومهينة من سنها وسلك سبيلها؛ فكأنما يدعو غيره لها للاقتداء به، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما جاء في حديث نبينا ﷺ[٢].

أضف إلى ذلك الآيات الكثيرات التي جاءت في النهي عن قتل النفس وسفك الدم إلا بالحق وهي في مجملها تدعو إلى :

١ـ عدم قتل أي نفس آدمية إلا بالحق :

قال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٣] .

وقال سبحانه بأسلوب خبري بصيغة الغائب في وصف عباد الرحمن : ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[٤] .

٢ـ النهي عن قتل النفس تحت ضغوط المصائب :

قال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٥]، وهذا من رحمة الله بالناس جميعاً.

٣ـ النهي عن قتل الأولاد خوف الفقر أو العار:

وقد جاءت الآيات كثيرة في هذا قال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[٦]، وقال تعالى في آية الإسراء : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ

---

(١) المائدة: ٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧) عن جرير # .

(٣) الإسراء: ٣٣ .

(٤) الفرقان: ٦٨ .

(٥) النساء: ٢٩ .

(٦) الأنعام: ١٥١ .

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(١)، وعلى ذلك فإن القرآن الكريم ينهى عن قتل النفس الآدمية مطلقاً إلا بحقها وكلمة «حقها» هذه تتحدد بحسب كل شريعة، وهذا مما تختلف فيه الأمم بحسب أحوالها وظروفها.

وسفكت دماء المسلمين:

لايزال مسلسل سفك دماء المسلمين يتواصل في الأجساد يأتي على الصغير والكبير والقوي والضعيف والمرأة والوليد...!!

ابتدأ سفك الدماء من زمن بعيد من حين زلت الأقدام ،وتركنا شريعة الله مظلة الأمن والأمان، والله نحن عندما كنا هناك في الشمال والجنوب والشرق والغرب ندق أبواب فيينا ، ونطرق جنوب فرنسا، ونحاصر ممالك الصين، ونطوق أقطاب الشمال في روسيا !!

هل نبكي أم نغني؟! أم نستجدي الماضي ليدافع عن حاضرنا الذليل:

مَلَكْنَا هَذه الدُّنْيَا قُرُوناً ... وَأَخْضَعَهَا جُدُودٌ خَالدُونَا
وَسَطَّرْنَا صَحَائفَ منْ ضيَاء ... فَمَا نَسيَ الزَّمَانُ وَمَا نَسينَا
وَمَا فَتِئَ الزَّمَانُ يَدُورُ حَتَّى ... مَضَى بِالمَجْد قَوْمٌ آخَرُونَا
وأَصْبَحَ لاَ يُرَى في الرَّكْب قَوْمي ... وَقَدْ عَاشُوا أَئمَّتَهُ سنينَا
وآلمني وآلم كُلَّ حُرٍّ ... سُؤَالُ الدَّهْرِ أَيْنَ المسْلمُونَا

نعم بدأ مسلسل سفك الدماء في أرض أفغانستان حيث تسفك كل يوم دماء عشرات المدنيين الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ وعجائز، والمباني تدمر والمساجد تُهْدم على من فيها، وكتاب الله يمزق... والأمة تنظر وترقب... وتشاهد بلا وخز من ضمير وبلا نكير أو نفير إلا من رحم ربي سبحانه.

كثر الجزارون والضحية المسلمون:

إنه تاريخ عريق من سفك دماء المسلمين يمتد منذ بدء الدعوة الإسلاميةحيث عذب مشركو مكة المسلمين أشد العذاب، وأذاقوهم فنوناً وألواناً.. وهذا أول شهيد

(١) الإسراء: ٣١ .

في الإسلام سمية بنت الخـياط أم عمار، يذكر ابن حجر فيمـا أخرجه ابن سعد عن مجاهد قـال: «أول شهيد سميـة والدة عمار كانت عجـوزاً واهية العظام ولم تطعهم على الكفر فنفـذها أبولهب لعنه الله»[1] وماتت شـامخة مـجاهدة، ثم رد الله الكرة للمسلمين فنالوا جزاء سفك دمها من أبي لهب وأبي جهل وأمثالهم من صناديد الكفر . . .

صبرت سمية وجاسرت وصابرت وظلت رمزاً خالداً على العزة الإسلامية، فهل نهب وندافع عن سفك دمـاء المسلمين أو حتى نتفوه بـالحق وننكر بالقلب واللسان؟! أم نعقد حناجـرنا، ونشد أعناقنا إلى محطات التلفـاز، ونتلوى يُمنة ويسرة في إثارة عارضة تروح برواح الأخبار.

ولله در القائل :

سُـمَـيَّـةُ لاَ تُبَـالِي حِينَ تَـلْقَى ... عَـذَابَ الـنُّكْرِ يَوْمَـاً أَوْ تَلِينَا

وَتَـأْبَى أَن تُـرَدِّدَ مَـا أَرَادُوا ... فَكَـانَتْ فِي عِـدَادِ الصَّـابِرِينَا

ثم يستمـر مسلسل سفك الدماء من حين سـقوط الخلافة ١٩٢٤م، فـيزداد عدد الجزارين باطراد وهم كثيرون ولو أشرنا إليهم لطال تعدادهم وعلى رأسهم :

١- الجزار اليهودي الأكبر :

ولا يخفى علينا من حين أوقع كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول الفتن في عصر الصحـابة في حادثة الإفك، وفي إثارة نعرات الطائفـية والدعاء بدعوى الجـاهلية في عصر الرسول ﷺ بين الأوس والخزرج إلى حفيده عـبد الله بن سبأ الذي سفك دم الخليفة عثمان ذي النورين # . . إلى حفيدهم (تيودور هرتزل) في مؤتمر بال حتى أحفـادهم: ديان، ومناحم بيجن، ونتنيـاهو، وباراك، وهذا الخنزير الكبيـر (شارون) صاحب مـذابح صبرا وشاتيـلا ومجزرة بيت لحم ومـجزرة طولكرم، والتي لم تجف دماء شهدائها. . .

٢- الجزار الصربي :

وهم جزارون حاقدون على الإسلام والمسلمين، وعلى كل ما هو إسلامي، وقد

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧/ ٢٤).

تمثلوا جميعاً في شخص المجرم الأكبر سلوبودان ميلوسوفيتش صاحب أكبر مجازر جماعية عرفها التاريخ في نهايات القرن العشرين ومطالع القرن الحادي والعشرين واسأل البوسنة والهرسك وكوسوفا تخبرك بمقابرها وبدماء المسلمين من أهلها . .

٣ ـ الجزار الروسي :

وهو ذلك الدب الروسي الذي ما انفك يحارب عقائد المسلمين ويطمس هويتهم ويهدر دماءهم، ولا يريد أن تقوم لهم قائمة في دولهم التي سطا عليها إبان العهد السوفيتي، ولا يزال يستلب مقدراتها ويدعم أنظمتها الدموية والقمعية ضد المسلمين، ويكفى أن جريمة في أوزباكستان كفيلة أن تواريك عن الحياة، وهي القراءة في المصحف، واسمعوا وكالات الأنباء وأخبار المراسلين، وسلوا جماعات حقوق الإنسان.

ثم كان القمع الدموي والاستلاب العلني لدولة وشعب مسلم كامل اسمه الشيشان، وتدمير كل رمز إسلامي، وهدم الأخضر واليابس فيها، ولا يزال مسلسل الإجرام وسفك الدماء قائماً في تكتم دولي وتواطؤ غربي مريب ضد المسلمين.

٤. الجزار الهندي :

وهو جزار من طراز خاص حيث كان يمثل أقلية في أقليم الهند المسلم، ثم انفرد بالحكم وظفر بالسلطة والكثرة في ظل الاحتلال الإنجليزي، حتى استأسد وها هو ذا يهدم مواطنوه الهندوس والسيخ المتعصبون مساجد المسلمين في الهند، واسألوا (بابري) أقدم مساجد الهند وأين هو؟! . .

وهذه كشمير المسلمة لاتزال تشهد دماءً وأشلاءً كل يوم . . في حرب إبادة خفية وعلنية . .

٥ . الجزار الغربي التكنولوجي :

وهم جزارو الحضارة كما يقول شوقي في مقتل عمر المختار :

إنِّي رأَيْتُ يَدَ الحَضَارَةِ أَوْلَعَتْ ... بالحَقِّ هَدْماً تَارَةً وبِنَاء
شَرَعُوا حُقُوقَ النَّاسِ فِي أَوْطَانِهِمْ ... إلاَّ أُبَاةُ الضَّيْمِ وَالضُّعَفَاء

ويكفي الإشارة إلى أخطر استعمارين غربيين عرفهما العالم الإسلامي، وهما الاستعمار الإنجليزي والاستعمار الفرنسي، ويكفي الإشارة إلى ثورة المليون شهيد في الجزائر حتى ينالوا استقلالهم، أما عن مذابح الإنجليز في مصر وفلسطين والسودان، وما احتلته من الدول الإسلامية فحدث ولا حرج، واسأل التاريخ فما ينبئك مثل خبير؟!

وجاء الجزار الأكبر:

وهو ذلك الجزار الأمريكي الذي جاء بعدته وعتاده وخيله ورجله وصواريخه المتنوعة وطائراته الفائقة وتكنولوجيته العالية جاء لضرب أضعف شعب ويسقط مئات المدنيين ممن لا حول لهم ولا قوة، فتناثرت الدماء وقتل الأبرياء، واختلط عالم الواقع بعالم الخيال السينمائي في هوليود في أفلام «دراكولا» و«سلفستر ستالوني» وغيرهم من أساطير السينما الأمريكية، فراحوا يمصون بصواريخهم الموجهة وبارجاتهم المسطحة دماء الأفغان في قصف متواصل؛ ليقضوا على مملكة الشر والإرهاب كما زعموا، ولا يزالون يقصفون ويضربون على التوالي بلا هوادة ولا سنة من راحة..

وها هي المنظمات الإنسانية تدعو وتنادي وتندد مطالبة بتوقف القصف لقليل من الأيام لإغاثة المنكوبين.. وإنقاذ ما يمكن إنقاذه..ولكن هيهات هيهات إن فتى (الكاوبوي) غير مستعد لسماع شيء إلا دوي المدافع، وآهات الثكالى، ضارباً بكل ميثاق وواطئًا بقدميه كل وثيقة حرية وديمقراطية وقيم حضارية في تجنب قصف المدنيين وإقامة الأدلة الواضحة على تورط المستهدفين، وعدم السعي إلى أخذ البريء بالمعتدي وألا تزر وازرة وزر أخرى.

ولا تزال ضحايا القصف الأمريكي في ازدياد وكل يوم منها :

❖ قصف الحافلات بمن فيها.

❖ قصف قرى بأكملها.

❖ قصف المساجد بمصليها.

❖ قصف مراكز الإغاثة وبعض المستشفيات...

❖ قصف أهداف مدنية وهذا أصبح شبه يومي كما تطالعنا وكالات الأنباء يوميًا.

هذا وكان من أبشع صـور القصف ما كان مـن قصف قرية بجوار مـدينة جلال آباد حيث أدت الغارات الأمريكية إلى مقتل أكثر من ٢٠٠ مدني مرة واحدة.

نداءات الهيئات الدولية تدق أجراس الخطر لـ٧ ملايين أفغاني:

تفاقمت الأوضاع في أفغانستان حتى لتكاد أن تصل إلى أكبر كارثة في وقتها إذا حذرت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة «الفاو» في تقرير لها بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١م بأن تفاقم أزمة الغذاء في أفغانستان بات يهـدد أكثر من سبعة ملايين أفغاني بخطر المجاعة.

كما حـذرت المنظمة في تقرير لهـا أيضاً أن حالة الإمدادات الغذائـية في البلاد المجاورة لأفغانستان تتعرض لنقص شديد بسبب موجة الجفاف التي تسود المنطقة.

كما أن بعض المنظمات الإنسانية أعلنت توقفهـا وانسحب بعضها بسبب استمرار القصف الجوي للمراكز المحيطة بمناطق التوزيع.

كمـا يعلن موظفو الإغـاثة إلى أن الأفغان يتسـاقطون موتاً بسبب الجـوع والبرد بمعدلات تتكاثر كل يوم، ويقضي أربعة أفغانيين يوميًا بسبب ذلك.

أعلن موظفو الإغاثة المحليون عن سـقوط نحو من ٦٠٠ شخص بسبب نقص الغذاء إلى الآن.

وكما تسـفك دماء الأفغان فكذلك، فإنهم يمنعـون حقهم في محو الأميـة واستكمال التعليم حيث يخبر (عبدالرحـيم) مدرس بأفغانستان لوكالات الأنباء ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١م أن طلاب كابول يفـترشون الأرض ولا توجد لهم مـقاعد يجلسون عليـها، وأن الطلاب يكافحـون من أجل استكمـال دراستهم، وأنهـم يفزعون من القـصف المستـمر أثناء الدراسة ومما يضطره إلى إنهاء الحصص في غـير أوقاتها، وإلى الذهاب إلى مكان ما يأمن فيه والتلاميذ من قصف الأمريكان.

حرمة دماء المسلمين:

دماء المسلمين عند الله غالية، لأنها دماء تنبض بالتسـبيح والتهليل والتمجيد لله قبل نبض القلب بها وهي دماء تشرفت بروح أُشرب فيها حب (لا إله إلا الله) ولسنا نقول كما يقول بنو صهيون: إنهم الشعب المختار، وإنهم السلالة الطاهرة دون غيرهم

حتى قالوا: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾(١) كلا، وإنما نقول: إن أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، كما قال سبحانه : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ (٢)، وهي خيرية معللة ومبرهنة ومرتبطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي: إنها خيرية منضبطة تسع الناس جميعاً ليست خيرية جنس ولا رابطة دم وإنما خيرية مبدأ وقيمة تبقى ببقائهما وتزول بزوالهما، وكذلك خيرية الدم المسلم هي خيرية قيمة ومبدأ يعم فيضه على كل بني الإنسان، وخيرية يستحقها كل من يقول: لا إله إلا الله من العرب ومن غير العرب فلينتبه إلى هذا، ولا يقول قائل: إن الإسلام أو المسلمين يغالون في الاعتزاز بدمائهم وأنفسهم حاشا، وإنما هو اعتزاز قيمة ومبدأ، وإلا فلا قيمة لجسد ملؤه الفساد والإفساد، وهو ينتمي إلى جماهير المسلمين، كما أن هذا الاعتزاز لا ينحصر في طائفة، وإنما كل الناس مدعوون إليه بقولهم: لا إله إلا الله والاستقامة عليها.

قيمة الدم المسلم:

لست أتحدث هنا عن قيمة دم المسلم في عالم البورصة أو عالم الناس، وإنما أبتدئ أولاً بذكر قيمة الدم المسلم عند الله قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا**﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾(٥)، وقال سبحانه متابعاً للآية: ﴿**كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ (٦).

هذه هي أصول الآيات التي تحدثت عن دماء المسلمين في القرآن الكريم ويمكن لنا أن نقف عندها وقفات وهي :

الوقفة الأولى: أنه لا سبيل لمسلم ـ فضلاً عن كافر ـ في سفك دم مسلم :

وهذا بين كما في الآية الأولى؛ إذ النفي هنا جاء بأسلوب الحصر والقصر وفيه

---

(١) المائدة: ١٨ .
(٢) آل عمران: ١١٠ .
(٣) النساء: ٩٢ .
(٤) النساء: ٩٢ .
(٥) النساء: ٩٤ .
(٦) النساء: ٩٤ .

دلالة أمر أن هذا لا يكون وليس في شريعة المسلمين، ولا مما يخطر على بال ولا يسعه مجال ولا يكون بحال أن يسفك دم مسلم، فإن وقع ذلك المحال في شرعة الإسلام، فإنما باب ذلك هو واحد ألا وهو الخطأ والخطأ فقط.

أما إن كان القتل عمداً، وقد أكدت الآيات على جزاء القاتل إن كان بغير حق، أضف إلى ذلك وجوب الانتصاف له وإيقاف المعتدي والقصاص منه إلى غير ذلك من الأحكام الكثيرة...

الوقفة الثانية: تغليظ كفارة قتل المسلم خطأ وتفصيلها في القرآن لعظمها:

وهذه وقفة ثانية هامة جدا وهي أن قتل المسلم إن جاء خطأ، فليس بالأمر الهين عند الله سبحانه، بل هو خطب جليل وأمر عظيم لولا دافع الخطأ فيه لكان ثمة أشياء وأحكام وآثام وأوزار وأوطار أخرى.

ولذلك فقد غلظت الآيات كفارة قتل المسلم، قال تعالى: ﴿**وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾(١).

جنود الله.. وجنود البشر:

عندما تأخذنا وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز بما فيها من إثارة ومقابلات حية وتحليلات مصورة وحوارات ساخنة مستمرة حول الأحداث الساخنة التي تشهدها أفغانستان، يغفل بعض الناس عن أمور اعتقادية ذات قيمة كبرى، ويبدؤون بتحليل ميزان القوى بناء على الأسباب البشرية وحدها، ويهملون وسط ذلك الضجيج الإعلامي، الانتقام الرباني للمظلومين، ذلك الانتقام الذي ليس له حدود ولا لصوره نهاية، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾(٢).

فالأمة الإسلامية أمة مرحومة، ومهما أصابها من فقر أو هزيمة أو ذل بذنوبها، لكنها تبقى مرحومة، فالله سبحانه وتعالى لا يسلط عليها من يستأصلها، ولا يكون

(١) النساء: ٩٢.

(٢) المدثر: ٣١.

بلاؤها كله عذاباً، وقد ثبت على مدار التاريخ أن الأمة الإسلامية قد تضعف لكنها لا تفنى، وقد تمرض لكنها لا تموت، وقد تتخلف لكنها لا تندثر، فالشعور بالوهن والعجز وقلة الحيلة لا يجعلنا نغفل المسلمات اليقينية الدالة على أن هذه الأمة باقية إلى قيام الساعة، والشواهد من التاريخ كثيرة، فمن يصدق أن هذه الأمة تنهض بعد قرنين من الهجمة التترية الصليبية الساحقة وتقوم من جديد لتفتح القسطنطينية، ولعل التفاؤل الذي كان من طبع المصطفى ﷺ يجعلنا نتفاءل بأن يتكرر هذا السيناريو، فتقوم بفتح روما، كما وعدنا الحبيب المصطفى ﷺ..

خداع المصطلحات:

هذا العنوان يجرنا إلى التنبيه على عدم المغالاة في الألفاظ على علاتها مداراة ومداهنة للغرب، فيتم إطلاق ألفاظ شنيعة على المسلمين، أو يتم الانحدار مع المصطلحات الخداعة التي يروجون لها، فمخطئ من يظن أن الله قد حرم الإرهاب، فالإسلام نعم دين سلام ومحبة وتسامح، لكنه دين يدافع عن الذين ظلموا، وإرهاب أعداء الله الذين يتربصون به الدوائر ويعملون على هدمه ليل نهار شيء مطلوب، فالله أمر المسلمين بالإعداد للدفاع عن هذا الدين وليس انتهاك حرمات الآخرين، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1]، بل إن المشركين كانوا يرهبون رسول الله ﷺ من على مسيرة شهر، وهذا من خصائصه ﷺ، قال تعالى: ﴿**لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ**﴾[2]، ولكن الرسول ﷺ، وهو يعلي راية الجهاد لم يأمر بقتل طفل أو امرأة، أو قطع شجرة أو التعرض للعباد في الصوامع والكنائس...

فالحذر الحذر يا علماء الإسلام من إعطاء الصك الشرعي والمبرر القانوني لأمريكا، لكي تقوم بضرب المسلمين الأبرياء وذبحهم على مذبح (محاربة الإرهاب)، فالعلماء يتحملون جزءاً كبيراً من المسؤولية بسبب تقصيرهم في بيان الأصول الشرعية لهذه المسائل الدقيقة والحساسة في هذا العصر المتشابك والمعقد العلاقات، خاصة عندما تتكالب كل القوى على هذا الدين، ثم لا يتصدى للجهاد إلا مجموعات

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) الحشر: ١٣.

متناثرة هنا وهناك تقاوم بلا راية، وقبل ذلـك بلا تربية وقبل ذلك بلا منهج، فربما لا يجـوز نصرة من يجـاهد دون أن يكون ملمًـا بالمنهج الصـحيح للجـهاد وضـوابطه وأصوله، لكن بالتأكيد لا يجوز نصرة الكافر على هؤلاء المسلمين!! فالمسلم لا يخذل المسلم ولا يسلمه، ولا يتـرك نصرته ولو كان بالأخذ على يديه، كمـا لا يتخلى عنه ليفـعل به العدو ما يحلو له من انتـقام وبطش، فكيف بالعالـم وقد حمل مسـؤولية الفـتـوى عن الله يستـرخص دم المسلمين، ويـعين عليهـم ولو بالكلام والمداراة أهل الباطل، وكان الأولى به هـو وجمع المخلصين والعلماء أن يفزعـوا إلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة ودفع شرور الحرب عن المسلمين وبلدانهم. . .

نظرات تفاؤلية:

إن الفـرصة عظيـمة ولازالت سـانحة لتـحقـيق مـصالح المسلمين ونصـرتهم، والتفاؤل يجب أن يكون شـعارنا في هذه المرحلة، فهناك شعور بالانتـماء لهذه الأمة يسري حتى بين العوام وضرورة الانتصـار لها، كما تميز بشكل واضح في هذه الأزمة شعور الولاء والبراء بعد أن كان مشوشاً في أزمات كثيرة سابقة، واهتمام عامة الناس بسماع رأي الدين في الأحداث، وهذا يدل على إقبال على الله على عكس ما كانت عليه الأمة في الستينيات من القرن الماضي، كـما أحيت قضايا الأمة في النفوس مثل قضية فلسطين وكشمير والشيـشان، والدعوة إلى العودة إلى الإسلام عقيدة وسلوكاً، هذا غير الإقـبال الشديد في الغرب وفي منـاطق مختلفة في العـالم لدراسة الإسلام والاطلاع على تعاليمه. .

كل هذه الفرص وغيرها تجعلنا نتراجع قليلاً إلى الوراء لنسأل أنفسنا سؤال غاب عن ذهن الكثير في معمعة الأحداث: لماذا لا نتحرك إلا بعد وقوع المشكلة؟ لقد تحدثنا وكتـبنا أكثر من مـرة في السابق عن ضرورة وجـود مجلس للحكماء من أهل الثـقة والرأي الشرعي المعـتمد على التأصيل الشـرعي والفقهي المكين والمعتـمد على تراكم الخبـرات وتنوعهـا، بحيث يتـكون هذا المجلس من أهل الرأي والحكمة من علـماء المسلمين الذين تجردوا لله وشهـد لهم العالم الإسلامي بتياراته الإسلاميـة ومؤسساته الدعوية بالخـير والصـلاح والحكمة لمواجـهة مثل هذه المحن والفتن بـالحكمة والرأي الحسن، فما الذي كان يمنع هذه الجمـوع الصادقة من العلماء والدعاة أن يذهبوا ومنذ

فترة طويلـة وبدون آراء مسبقة ولا منحـازة وبدون أن يكونوا مبعوثين من أنـظمة لها مصالح وحسابات خاصة بهـا، ودون أن يتحاملوا على فكر هذه الكوكبة من الشباب فيحاورونهم ويجادلونهم ويناقشونهم في القضايا العلمية التي بنوا عليها قناعاتهم في الدخـول مع أمـريكا في حـرب، ولو تم ذلك منذ فـترة طـويلة، لتـجنبنا كل هذه الفـضائح والآلام التي تجنيـها الأمـة الإسلامـية الآن، ولكننا لا نتـعلم من أخطائنا السابقة ونظل هكذا نعاني من المشاكل دون أن يكون لدينا الهم الحقيقي لمواجهتها منذ أن كانت نبـتة صـغيرة، حـتى تستـفحل وتصـبح شجـرة عظيمة من الفـتن يصعب اقتلاعها، بل ويسقط فيها الكثير من القيم مثلما يسقط فيها الكثير من العلماء. . .

سؤال آخر يـضاف إلى السؤال السابق : لماذا عند وجـود أثر المسلم في أي حادث يتم تجييش الجـيوش الإعلامية وترسـانة البث الفضائي وتقارير المراسلين المبـاشرة لاتهام الإسلام والـكيد له، بينمـا لو حدثت كـارثة تتجـاوز بمراحل الحدث الذي صـدر عن المسلمين، يتم غض النظر عنه، أو الحديث عنه من طرف خفي، وإلا كيف نفسر حصر تفجير أوكلاهوما بشخص من قام بالتفجـير وعدم التعرض للميليشيات التي تقف خلفه رغم أنهـا معلومة، وتعـيش على الأراضي الأمـريكية ووفق قـوانينها، ولا يتم حـصر تفجيـرات ١١ سبتمبر في مـرتكبيها فقط ـ هذا إن ثبت الفـاعل ـ ويتم تعريض ملايين البشر في دولة مستقلة تبعد آلاف الكيلومترات عن الولايات المتحدة لأخطار الحرب.

إن أي تعامل مع مـا يجري الآن يجب أن ينظر له ويتم تحليله في ضـوء ثلاثية الضوابط الدائمة التي تحكم السياسة الأمريكية، وهي أمن إسرائيل وتفوقها العسكري وسيطرتها الاقتـصادية، والأمر الثاني مصادر الطاقـة وتدفق النفط من خلال السيطرة على الممرات الاسـتراتيجية، والأمـر الثالث هو عدم السمـاح بقيام كيـان سياسي لا يؤمن بالأطروحات الغربية في نظرتها الشموليـة للحياة البشرية ومن ضمن ذلك عدم السماح بقيام دولة إسلامية حقيقية تفرض رؤيتها وحضارتها الخاصة. .

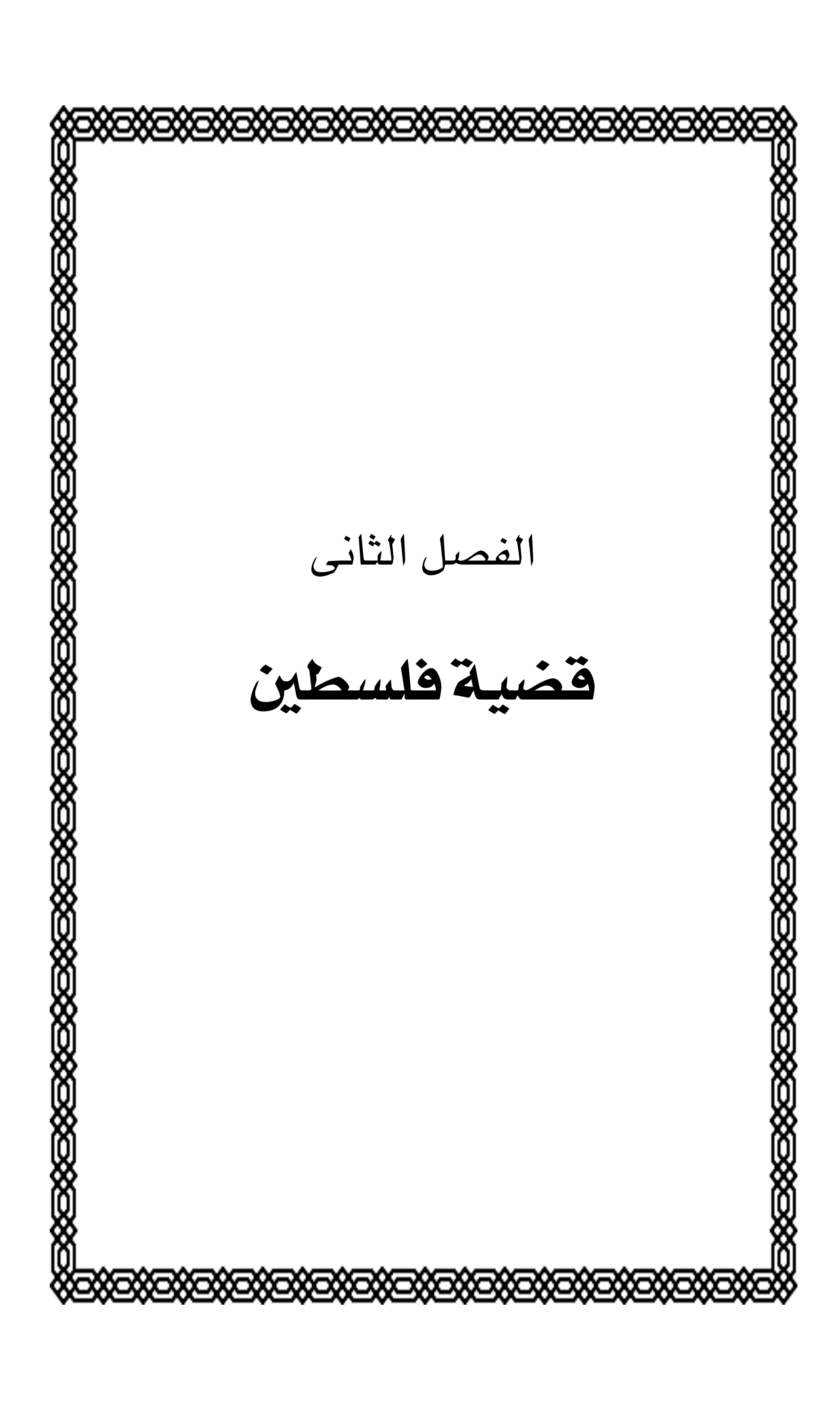
حضارة القتل.. وحضارة الإحياء :

إن الحديث عن الحضارة ومفهومها إنما يعكس الحديث عن إنسانية الإنسان واحترام حقوقه الآدمية وفي مقدمتها حرمة دمه، وعندما نقول ذلك، فإننا ننظر وبشكل كبير إلى الدعاوي الأمـريكية حول حـقوق الإنسان، وخـاصة ولازالت في ذاكـرتنا المجازر التي

ارتكبت في حق الهنود الحمر في القارة الأمريكية، والمجازر التي عمت العالم كله وغطته بالدماء خارج أمريكا، فكيف ننسى مذابح صبرا وشاتيلا ودير ياسين وقانا ومذبحة الحرم الإبراهيمي التي قام بها الحليف الاستراتيجي لأمريكا وهي (إسرائيل) وكيف ننسى المقابر الجماعية في البوسنة والهرسك، وقبلها مئات الآلاف من القتلى في (هيروشيما) و(ناجازاكي) وفيتنام وغيرها، وملايين البشر الذين ماتوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فلماذا وحده تفجير مركز التجارة العالمي هو الإرهاب فقط؟! ولماذا محرقة اليهود الهولوكست المزعومة وحدها هي المجزرة فقط؟!.

هل هذه الموازين والمقايسات يمكن مقارنتها بالمواقف الإنسانية التي وقفها الإسلام من حقوق الإنسان، فكيف ننسى وصايا الرسول ﷺ وخلفائه لأمراء الجيوش بأن لا يقتلوا طفلاً أو شيخاً أو امرأة، أو يقطعوا شجرة، وهل ننسى عندما أشفق الرسول أن يطبق ملك الجبال الأخشبين على أهل مكة، ودعا الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وكيف كانت الجيوش الإسلامية تلقى كل مساعدة من أهل البلاد المفتوحة، لما يجده هؤلاء من بطش وعدوان من ولاتهم ورحمة ومودة وحسن خلق من الجيوش المسلمة، إننا لا ننسى تسامح صلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين عندما فتح بيت المقدس بعد أن قتلوا هم أكثر من سبعين ألف موحد بعد احتلالهم لبيت المقدس، ولا ننسى كيف إن الإسلام في الأندلس هو الذي حفظ الطائفة اليهودية من بطش الصليبيين وغيرهم.. فأولى وأولى لمن يتحدث عن حقوق الإنسان أن يعود للتاريخ القديم والمعاصر...وبعدها ليصمت..

إننا مطالبون جميعاً كأمة إسلامية أن نهب لنصرة المسلم المظلوم في أي مكان إبراءاً للذمة أمام الله، وواهم كل الوهم حين يظن أن النصرة تنحصر في السلاح فقط، بل تتعدى النصرة إلى طرق أخرى كثيرة ومهمة، فهناك النصرة القلبية والتأثر لمصابهم، والاهتمام بأمرهم، ومتابعة أخبارهم، وهناك الحقوق اللسانية من دعاء وتضرع لهم بأن يجنبهم الله الفتن والدمار، وهناك الحقوق المالية كالصدقة والإحسان والزكاة وإطعام الجائع، وكسوة العاري، وكفالة اليتيم ورعاية الأرملة وعلاج المريض، وهذا ما تقوم به لجان الخير، ولدينا في الكويت لجان متخصصة بهذا العمل، ومنها لجنة الدعوة الإسلامية التي لها خبرات تمتد لما يقارب العشرين عاماً في تلك المناطق.



الفصل الثانى

قضية فلسطين

رسالة خاصة

أبعث هذه الكلمات إلى أمة محمد ﷺ

«لازال تشريفي بهذه الصلاة تاجاً يعلو قبتي ويتأمل من علٍ كل ما يحدث، ويرفع بصره إلى السماء يسأل الله هلاكاً لأعداء العقيدة وخصوم التاريخ..

أتأمل الواقع وأرفض أن أشهد يوماً تُصبح فيه القدس عاصمة لسرطان صهيوني يغزو جسدي، ويحولني إلى أنقاض تنعى عمر بن الخطاب، وصلاح الدين، والسلطان عبد الحميد، وكل روح إسلامية أبت التفريط وتمسكت بالحق، أتأمل بزهو ليلة الإسراء والمعراج، وأتشرف بأن اختارني الله سبحانه وتعالى لأكون جسر النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى، وبعده إلى الأفق الأعلى، وواحة لقائه بإخوانه من الأنبياء.

أستشرف يوماً تثمر أكتافي رجالاً يصدقون الله العهد ويوفون بالوعد ويرابطون على الثغور ويشترون الجنة بأنفسهم وأموالهم...».

التوقيع: الأقصى الحزين

مدخل

قضية فلسطين من القضايا التي يرى فيهــا المتأمل تحقق السنن الإلهية في المجتمعات البشرية، وضرورة تفعيل قانون التدافع البشرى؛ لموازنة معادلة البقاء والإعمار على الأرض.

فلا شك أن التحرير الأول لفلسطين أيام الفاروق عمر بن الخطاب قد نقل أرض الإسراء والمعراج إلى الدائرة الإسلامية، حيث الأمة المرشحة للقيام بالشهود الحضاري على بقية الأمم، ولا شك أيضاً أن التحـرير الثاني للأقصى من أيدي الصليبيين على يد المجـاهد صلاح الدين الأيوبي قـد كلف المسلمين ٨٨ عـاماً من الانتظار ممزوجـة بالمرابطة والصبر والجهاد والمدافعة وآلاف الشهداء، ليحقق وعد الله بالنصر والعزة.

واليــوم ما أحــوج المسلمين إلى العــمل بقانون التــدافع البــشري وهم ينشــدون التحــرير الثالث لهذه الأرض المباركــة وإعادة شعلة الجــهاد مشتــعلة في النفوس من جديد رغم جبال الظلام واليأس التي تحيط بالأمة.

إن الطريق إلى القدس الــسليبة واضح جلي، رغم آلة الإعــلام الجبارة الصــماء التي تلصق تــهم الإرهاب، والتطرف بالمدافــعين عن ديــنهم وعــقــيــدتهم وأرضــهم وحقوقهم التاريخية الثابتة في الأرض المباركة.

إن الجهاد هو الســبيل الوحيد للعــودة إلى الأرض المقدسة السليــبة، وإن حالت الأحداث والظروف الدقيــقة التي تمر فيهــا الأمة بتمزق وفرقــة وشتات دون رفع راية الجهاد، فلا أقل من جهاد الكلمة الحرة الصادقة في زمن المطبلين للسلام الزائف الذي لن يأتي إلا على جثة الكرامة والقيم التي تؤمن بها الأمة.

إننا ونحن نقدم هذا الموضــوع «القدس. . قضــية أمة» الذي هو جــهد المقل في نصرة الأقصى الحبيب الذي يتعرض اليوم لهجمة شرسة في محاولة لمحو ذاكرة الأمة تجاه العداء اليهودي فيما يشبه تطبــيعاً للتاريخ، ومحاولة إعادة رسم الخريطة؛ لتصنيع واقع جغرافي جديد وزرع كيان غريب وسط الكيان المنسجم للأمة عقيدة وتاريخاً.

نرجو الله أن يغفر لنا تقصيرنا، ويهدينــا سبلنا؛ لتحرير مقدساتنا ويرزقنا صلاة آمنة في أرض الإسراء والمعراج، وما ذلك على الله بعزيز.

لم يكن الصراع الحضاري بين الأمم في أي وقت بين المشروع العربي والمشروع اليهودي ـ بل العكس ـ حيث كان اليهود يعيشون في وسط العرب قبل بعثة النبي ﷺ، ويسيطرون من خلال الفتن والنساء والمال على الشارع العربي ـ يهود المدينة + يهود خيبر ـ بل إن المشروع العربي الذي كان بقيادة الشريف في مكة ضد المشروع الإسلامي الدولة العثمانية المتمثلة في السلطان عبد الحميد، ومن خلال مملكة العرب الموهومة كان تقسيم العالم العربي في اتفاقية « سايكس بيكو »، وعلى هذا، فالصراع أساساً بين المشروع الإسلامي بقيادة محمد ﷺ من جهة، و اليهود قتلة الأنبياء من جهة ثانية.

فقصة الصراع بدأت في اللحظة التي ولد محمد ﷺ من بني إسماعيل في الوسط العربي، ولم يكن من بني إسرائيل كما كان اليهود مبشرين والصراع مستمر إلى قيام الساعة؛ بدليل قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود**»[1] قال ﷺ: «**سيقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله**»[2]، فصراعنا مع اليهود ليس له بُعْدٌ ديني بل هو الدين كما قال ابن عباس # عندما سألوه عن الحب في الله والبغض في الله قال: وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله. والله سبحانه يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، والله سبحانه أقام السموات والأرض على قانون التدافع ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[4]، والإسلاميون لم يكونوا في يوم من الأيام يستخدمون الدين كغيرهم من مرتزقة العرب، بل كانوا خدماً لهذا الدين، واليهود يعرفون حقيقة الصراع، وأنه ديني، فكلنا يعرف المقولة التي ذكرها موشي ديان في السادس من يونيو سنة ١٩٦٧م بعد احتلال القدس الشرقية وصلاته عند «حائط البراق» الذي يسمونه حائط المبكى قال «**لا فراق بعد اليوم ولا عزلة ولا ابتعاد سنبقى معاً الشعب والأرض والحائط**»، فالصراع منذ بعثة النبي ﷺ كان دينياً، كما قال «ربعي بن عامر»: **جئنا نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد... ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل**

(١، ٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٢) عن أبي هريرة #.

(٣) المائدة: ٥١. (٤) البقرة: ٢٥١.

الإسلام[١]، فهم في صراع وتدافع ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[٢] .

أقول: قدر هذه الأمة أنها لا عزَّ لها إلا بالجهاد، يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق... يجعل الله الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب أعدائكم؛ لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت، فهجمة الأمم علينا حاصلة على كل حال، فليكن عندنا اللباس الذي يضفي علينا الاحترام من الآخرين وهو القوة (والقوة الرمى)[٣] كما قال ﷺ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم**...﴾[٤]، والأمم لا تحترم الضعيف؛ ولهذا الأمر كان الإلحاح الدائم من دهاقنة السياسة عند النصارى واليهود أن تنطفئ جذوة الجهاد في الأمة، فانظروا معي إلى هذا التسلسل في الأيام القليلة الماضية.

ولعلني لا أذهب بعيداً إن قلت: إن القضية الفلسطينية تعرضت لمؤامرات وخيانات، ومؤتمرات تحت الأرض وفوق الأرض، وبين وعلى الطاولات ومن خلفها، بما لم تشهده دولة من قبل.

واسألوا التاريخ يشهد ويقول:

بدأت المؤامرات منذ ١٨٨٢م حيث كانت الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين، ثم المؤتمر الصهيوني الأول في «بازل» بسويسرا في ٢٧ أغسطس ١٨٩٧م،ثم الهجرة اليهودية الثانية سنة ١٩٠٥م، ثم إعدام القافلة الأولى من شهداء العرب ١١ شهيداً في ٢١ أغسطس ١٩١٥م، ثم إعدام القافلة الثانية من الشهداء العرب ٢٢ شهيداً في ٦ مايو١٩١٦م، وتلاها في ٩ مايو ١٩١٦م اتفاقية «سايكس بيكو»، ثم وعد بلفور المشئوم ١٩١٧م، ثم احتلال بريطانيا لفلسطين ١٩١٧م، ثم...، ثم... حتى ١٩٤٨م، وما تلاها من أحداث وإعلان الدولة اليهودية على أرض القدس.

وها نحن اليوم في الألفية الثالثة ولا زلنا نتخبط في دروب الأوهام ومزالق المفاوضات، ونتآكل بالكلمات والمؤتمرات، حتى أصبحنا كحاطب ليل يمشي على غير هدى، يصفع فيركع، ويدفع فيخضع، ولا حول ولا قوة إلا بالله...!!

---

(١) ذكره ابن الجوزي في المنتظم (٤/١٦٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٤٠).
(٢) التوبة: ٣١ .
(٣) أخرجه مسلم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر #.
(٤) الأنفال: ٦٠ .

أكلتنا الأوهام، وجافتنا الحقائق، ولا تزال اللعبة الخطرة تمارس وتكرس، ولا زالت مسرحيات الوهم قائمة في فصول ومشـاهد مريبة، أبطالها اليهود ومنتجوها العرب، ومخرجوها الأمريكان، وخشبة المسرح القدس وفلسطين.....!!

وها نحن ذا ندور في حلقة التـاريخ، مفعـول بنا، غير فاعلين مـضروب علينا الوهن غير فائقين، معصوبة أعيننا غير مـبصرين، محكوم علينا غير حاكمين، كقول الشاعر :

فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانَ عَهْدِي وَمَا بَالِي أُصَادُ وَلاَ أَصِيدُ

فإلام... وحتام... نحن هكذا؟!!

هذه زفرات أنفثها وعبرات أسفحها، وما يغني نفث ولا اعتبار؛ كقول الشاعر :

بُكَاؤُكُمَا يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لاَ يُجْدِي فَجُودَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي

وإنما هو الحراك والعمل والجد وركوب مراكب الجـهاد ضد الغاصب الصهيوني، ولله در القائل :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ ألأَسِنَّةُ مَرْكَباً فَمَا حِيلَةُ الـمُضْطَرِّ إِلاَّ رُكُوبُهَا

ولله القائل :

لاَ يُدْرِكُ المجْدَ إِلاَّ مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الحميَّةُ هَزَّ السَّيْفَ وَانْتَصَبَا

وهذه مقالات متناثرات تجمعها خيوط التحليل ومرارات التشخيص، وبشارات المستقبل والأمل في نصر الله لقدسه وتحقيق موعده.

أولا: حتمية النصر على اليهود

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد الأمين وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾(١) . هنا جعل الله تعالى الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى آية من آياته، وعقيدة من عقائد الإيمان، وعلى ذلك، فإن من يفرط بالقدس يفرط بالكعبة، فالقدس ليس قضية أرض وشعب يمكن أن ندخلها في دهاليز السياسة، بل هي آية في كتاب الله، فهي جزء من عقيدة المسلم؛ ولهذا فقضية فلسطين لن تموت؛ لأنها عقيدة في قلب كل مسلم، فهل سمعتم أو قرأتم عن عقيدة يحملها في قلبه أكثر من ألف مليون يمكن أن تموت ؟ إن الناس يموتون في سبيل العقيدة، وما ماتت عقيدة من أجل حياة إنسان؟

فالمسجد الأقصى. . . دمعة في عين كل مسلم، واحتلاله طعنة في قلب كل مؤمن، المسجد الأقصى قطعة من أفئدتنا سلبت منا يوم ضعفت في قلوبنا ـ لا إله إلا الله.

المسجد الأقصى. . صلى فيه محمد عليه الصلاة والسلام، وفتحه عمر، وكبر فيه صلاح الدين. . إن في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى في شرع الله هى الصبغة الإسلامية، فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتفاف بالأمة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء.

لقد التصق المسجد الأقصى بأمة محمد ﷺ، ففي الحديث الصحيح: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»(٢) ـ «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**»(٣)، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض كما في حديث البخاري (٤). وأرضه هي الأرض المقدسة، كما في النص القرآني ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(٥)، وهي الأرض المباركة ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾(٦).

---

(١) الإسراء: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) عن أبي هريرة #.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤١٣) عن أنس بن مالك #، وفي الزوائد: «إسناده ضعيف».

(٤) أخرجه البخارى (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) عن أبى ذر #.

(٥) المائدة: ٢١. (٦) الأنبياء: ٧١.

حقيقة نبوية:

إن انتصار هذا الدين في معركته مع اليهود حقـيقة يعرفها اليهود قبل المسلمين، ففي الحديث الذي أخرجـه الإمام أبو يعلى في «مسنده » يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقـاتلون على أبواب دمـشق وما حوله وعلـى أبواب بيت المقدس ومـا حوله لا يضرهـم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**»[(١)].

فستكون المعركة وسيتنصـر المسلمون، ففي الحديث الصحيح : «**لا تقوم الساعة حتى تقـاتلوا اليهود، فيـقول الشجر والحـجر: يا مسلم يا عبـد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقـتله، إلا الغرقد، فإنه من شجـر اليهود**»[(٢)] وقد أخبر الرسول ﷺ أيضاً أن الدجال يهودي وأمـه يهودية، ويخرج من قرية يقـال لها: اليهودية، وأخبـر أن أكثر أتباعه من الـيهود، وأخبر أنه سـيغزو كل الأرض عدا مكة والمدينة والقـدس ومنطقة الطور، وأخبر أن الخوارق ستجري على يديه، مما يزيد من فتنة الناس به، ويضاعفها حتى تكون فـتنته أعظم فتنة في تاريخ البـشر منذ خلق الله آدم [(٣)]، ونحن لا نستبعد أن تكون المواجهة بين المسلمين ـ الذين عناهم رسول الله ﷺ ـ وبين اليهود قريبة بالمعيار الزمني الذي تقاس به أعمار الدول والأمم،وهو قرب قد يستغرق عقوداً من السنين وأحياناً قروناً، ولكن هذه الحقيـقة المؤكدة التي تكشف انتصار المسلمين على اليهود الذين يفرقون ويختفون وراء الأحجـار والأشجار قادمة لا محالة، ولسوف تبقى هذه الحقيقة تُحدث أثرهـا في نفوس المسلمين، رغم كل المحاولات المعاصرة التي نراها أمامنا، والتي تمتد فـيها أيدي المسلمين لتصافح اليـهود، وتعقد معـهم اتفاقات، وتطبع العلاقات؛ ليشتري المسلمون من وراء ذلك رضـا اليهود الذين إذا غضبوا غضب العالم لغضبهم، وإذا حاربوا وقف الشرق والغرب معهم، وإذا هزموا في معركة سارع الجميع لنجدتهم، وبالرغم مـن ذلك، وبالرغم من التخاذل العـربي الإسلامي، وبالرغم من تمييع القضية، فإن طائفة من المسلمين سوف تقـوم بالمهمة، وسيتحقق النصر على أيديهم إن شاء الله، وسيعقب الانتـصار إقامة الخلافة في القدس، ففي مـسند الإمام أحمد عن

---

(١) أخرجـه أبو يعلى في مسنده (٦٤١٧) عن أبي هريرة #، وقال الهـيثمي في مـجمع الزوائد (١٠/ ٦٠، ٦١): «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٢) عن أبي هريرة #.

(٣) انظر حمى سنة ٢٠٠٠ ص٢٢٩ .

أبي حوالة الأزدي # قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي ثم قال: « **يا بن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه على رأسك**»(١).

٢ـ عقيدة مشتركة وتعاون وثيق:

وهذا أمر يقرب به اليهود والنصارى «البروتستانت»، فمن العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى الإيمان بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين الخير وقوى الشر، وسوف يكون هذا الصدام أكبر معركة في منطقة «مجدو» بفلسطين، وهي موقع يبعد عشرين ميلاً جنوب شرق حيفا، وهذا ما يسمى عندهم بعقيدة «الهرمجدون» وقد ألفت الكاتبة الأمريكية «جريس هالسيل» كتاباً أسمته «النية القاتلة ـ المبشرون البروتستانت على درب الحرب النووية» وجاءت في الكتاب معلومات مذهلة عن تعاون النصارى مع اليهود من أجل الهدف المشترك «بناء الهيكل وهدم المسجد» وهؤلاء يعتقدون بأن إعادة بناء الهيكل سيعجل بمجيء مسيحهم «عيسى ابن مريم عليه السلام» للمرة الثانية، وهم يطمعون أن يدخل اليهود في دينه هذه المرة، واليهود ينتظرون مجيء المسيح المرة الأولى، ولكن ليس عيسى المسيح وبموجب هذه العقيدة، فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاث أمور قبل أن يتحقق مجيء المسيح الثاني:

١ـ تصبح إسرائيل دولة.

٢ـ تكون القدس عاصمة لها.

٣ـ إعادة بناء الهيكل.

وهذه العقيدة فقط في أمريكا تمثل ٣٥٪ من الشعب الأمريكي أي: حوالي خمسة وثمانين مليون أمريكي، وهذا ما تبين من الاستفتاء الذي أجرته مؤسسة «يانكلوفيتش» ونحن كمسلمين نعتقد بنزول عيسى ، ولكن لكسر الصليب وقتل الخنزير ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن السمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**»(٢)... وقبل الانتقال إلى الصراع بين اليهود وأعوانهم وبين الحركة الإسلامية

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٥)، وأحمد (٥/ ٢٨٨)، والحاكم (٤/ ٤٢٥) وأبو يعلى (٦٨٦٧) عن عبد الله بن حوالة #، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان #.

نذكر الصور المعدة لبناء الهيكل:

الصورة الأولى: بناء الهيكل بصورة مباشرة في ساحات المسجد الأقصى بعد تدميره، ولهذه الصورة خطوات منها :

١ـ سنة ألف وتسعمائة وتسعة وستين قام النصراني الأسترالي الجنسية بحرق المسجد الأقصى وأثاثه، والمنبر الذي أحضره صلاح الدين حين فتح للقدس.

٢ـ في سنة ألف وتسعمائة وثمانين حاول الحاخام «كهانا» نسف المسجد بوضع طن من مادة «تي. أن. تي» وكذلك في سنة ١٩٨٢م، وسنة ١٩٨٤م ومحاولات كثيرة جرت ولكن عناية الله تحول دون تنفيذ مرادهم.

٣ ـ سنة١٩٨٤م كانت هناك محاولة لقصف المسجد الأقصى بالطائرات الإسرائيلية.

٤ـ سنة ١٩٩٠م قام أعضاء منظمة أمناء جبل الهيكل بقيادة «غوشو شلمون» باقتحام المسجد ووضع حجر أساس الهيكل، وكان هناك صدام مع المسلمين تدخلت الشرطة الإسرائيلية، فكانت «مجزرة الأقصى».

٥ـ أما الحفريات، فمنذ سنة ١٩٧٦م، واليهود يقومون بها زاعمين بحثهم عن أثر الهيكل، وقد بنوا كنيسا صغيرا في نفق شقوه تحت المسجد الأقصى افتتحه الصهيوني الهالك «بيجن».

وهذه كانت بعض المحاولات لتنفيذ الصورة الأولى لبناء الهيكل.

الصورة الثانية: وهي مرحلية حتى لا يثيرون الأمة الإسلامية، فيعملون على إقامته في الأماكن التي تقع في أسفل المسجد، بينما يبقى المسجد الأقصى والقبة مع المسلمين، فيكون ما فوق التراب للمسلمين وما تحته لليهود.

٣ ـ الحركة الإسلامية وصراعها مع اليهود في قضية القدس.

اليهود يعرفون أن الذي سيحرر القدس ويطهر فلسطين من اليهود المجرمين هي الأيدي البيضاء الطاهرة المتوضئة إنهم ورثة محمد بن عبد الله ، فهم الذين يقولون :

خَلُّوا الطَّرِيقَ لَنَا فَنَحْنُ النَّاسُ ... أَمَّا الَّذِينَ بَغَوْا فَهُمْ أَنْجَاسُ
مَسْرَى النَّبِيِّ لَنَا جَمِيعاً كُلُّهُ ... لاَ النِّصْفُ لاَ الأَرْبَاعُ لاَ الأَخْمَاسُ
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ نَاصِرَ دِينِهِ ... هَذَا هُوَ المِعْيَارُ والمِقْيَاسُ

٤ـ تاريخ يشهد:

لن نبدأ في ذكر الصراع من قبل بعثة النبي ﷺ في استيطان اليهود في يثرب وإثارة الفتن والحروب بين عرب الجزيرة، ولا منذ أن جاء نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م، وأطلق عند أبواب عكا نداءه لليهود أن يجتمعوا؛ ليقيموا دولتهم في فلسطين، وقد كانت الرياح التي حملت هذا النداء خفية، ثم استمرت تقوى وتشتد حتى ظهر مؤتمر «بال» في سويسرا سنة ١٨٩٧م، ولكننا سنبدأ عند هجوم عصابات اليهود لاغتصاب أرض القدس سنة ١٩٤٨م، وحين ذاك بدأت الحركة الإسلامية التحرك الفعلي في مواجهة الخطر، وهنا سارع سفراء (بريطانيا وفرنسا وأمريكا) في مصر إلى التدخل لدى ملك مصر السابق «فاروق»؛ ليشيروا عليه بتوجيه ضربة شديدة للحركة الإسلامية في مصر ممثلة في الإخوان المسلمين، فكانت الخطوات العملية من «فاروق» استجابة لتلك الضغوط فعمل على :

١ـ محاصرة معسكر المجاهدين في جبهة القتال.

٢ـ قرار حل الجماعة واعتقال قيادتها في مساء الثامن من ديسمبر ١٩٤٨م.

٣ـ اغتيال الإمام حسن البنا رحمه الله مساء الثاني عشر من فبراير ١٩٤٩م.

وبعد هذه الخطوات العملية في محاربة الحركة الإسلامية أبرم الملك فاروق «حكومة النقراشي» في الرابع عشر من فبراير ١٩٤٩م معاهدة «رودس» مع اليهود، ونشطت حركة الإعدامات في أوساط المجاهدين، ثم لننظر إلى الأحداث المعاصرة للحركة الإسلامية :

أ ـ في سنة ١٩٥٦م ألقي الألوف من أبناء الحركة الإسلامية في أعماق السجون لتتقدم إسرائيل في السنة نفسها وتحتل قناة السويس.

ب ـ في التاسع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٦م تم إعدام «سيد قطب» رحمه الله ونفر من أصحابه، وهنا تتقدم إسرائيل في ساحة خالية خاوية بعدها بشهور لتهزم ثلاث دول عربية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧م، وتحتل القدس وسيناء والجولان.

جـ ـ وفي السبعينيات سنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ كانت الضربات تنزل بالحركة الإسلامية؛ لتهيئة الجو لإبرام معاهدة الصلح «كامب ديفيد».

د ـ وفي بداية الثمـانينيات جـمع السادات قادة وأعـضاء الحـركة الإسلامـية على اختلاف اتجاهاتهم في السجون والمعتقلات مـستغلاً ما يسمى بأحداث «الزاوية الحمراء» بين المسلمين والنصارى، والله وحده أعلم ما هي الخطوة التي كان السادات ينوي القيام بها بعد هذا التـصعيد، ولكن المؤكد أن هذه الخطوة كانت بناء على طلـب اليهود، ففي أغسطس سنة ١٩٨١م قال مناحيم بيغن في تصريح له لوكالات الأنباء بعد اختتام زيارته للولايات المتـحدة الأمريكيـة : «إنني لن أطمئن على مـستـقبل معـاهدة كامب ديفـيد وملحقاتهـا مع مصر إلا بعد أن يتم القـضاء على الحركة المتعـصبة الإسلاميـة في مصر بشكل خاص» ثم يقـول : إن صديقي السـادات أبدى اهتمامـاً شديداً بما قدمـته له من وثائق تدين المتطرفين المسلمين بالعمل ضد اتفاقيـات «كامب ديفيد» ثم يقول: «لقد كان صديقي السادات عند حسن ظننا به إذ لم أكد أغـادر مصر، عائداً إلى إسرائيل حتى بدأ حملة عنيفة لمحاربتهم، وإنني أتمنى له النجاح والتوفيق من كل قلبي».

وهذا فيض من غيض من التـصريحات والدراسات والخطط الاستراتيـجية التي تؤكـد مقـولة موحـدة عن اليهـود والنصـارى ومن يعمل على خـدمتـهم، إن هذه التصريـحات تؤكد من قبلهم على أنه يجب أن يبـقى الإسلام بعيداً عن المـعركة بين اليهود والعرب.

٥ ـ محاولة إقصاء الإسلام:

إن محاولة إقصاء الإسلام عن المعركة مع اليـهود مخطط قديم ،فالمؤتمر اليهودي الأول في مدينة «بال» بسويسـرا سنة ١٨٩٧م كان هدفه الأول إسقاط الخلافة العـثمانية الإسلامية، وتم لهم ذلك سنة ١٩٢٤م،ثم إقامة دولة يهودية وتم ذلك سنة ١٩٤٨م.

يقـول هرتزل: « إن فتح أبواب الشـرق لليهـود في فلسطين ليـتوقف بالدرجـة الأولى على تدمير الخلافة العثمانية» حيث كانت عبارات السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ تؤرقـهم والتي منها: (إن بلادنا ـ يعني فلسطين ـ الـتي حصلنا على كل شـبر منها ببـذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشـبر منها دون أن نبذل أكـثر مما بذلنا من دماء في سبيلها). نعم لا تستـرجع فلسطين بالقلم والقرطاس، بل بالسيف والجهاد، كما أثبـتت كل الشواهد على الفشل الذريع والهزائم المنكـرة والتراجع المذهل للاتجاه العلماني بأثوابه المتعددة من اشتراكية وقوميـة وتقدمية وبعثية، بل الأمر أشد، فكلما

قربت ساعة النصر من شباب الجهاد كانت الأنظمة العلمانية والتقدمية تتدخل لصالح اليهو،د ففي سنة ١٩٤٨م كـاد المجاهدون أن ينهوا ما يسمى بالعصابات الصـهيونية، فتدخلت الجيـوش العربية بأسلحتها الفاسدة وطلبت من المجـاهدين إلقاء سلاحهم؛ لتكون المهزلة في تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام: الجزء الأكبر أقام اليهود عليه دولتهم، والضفـة الغربيـة ألحقت بالأردن، وقطاع غـزة ألحق بمصر، وتتكرر الصـورة فتكون الانتفاضـة المباركة في الثامن من شهـر ديسمبر ١٩٨٧م؛ لتكون بعـد ذلك معاهدات الصلح والجلوس مع عرفـات لإنهاء الانتفـاضة بثمن بخس عبـارة عن أرض منزوعة الكرامة والسلاح ليقـول شمعون بريز مدافعـاً عن اتفاق أوسلوا: « إننا لم يكن أمامنا إلا خياران: إما أن تأتى بالمنظمة الضعيفة وتسلب منها كل مقومات المقاومة ونتفاوض معها وهى ضـعيفة بشروطنا أو أن نذهب إلى حماس وهـي قوية، وتلقى قبولا لدى الناس؟؟» ثم يقول: «اذهبوا إلى غزة الآن وانظروا إلى حـال المرأة الفلسطينية في غزة وكيف حـجابهـا؟ من يستطيع أن يقـول: إن المرأة كانت تسـتطيع نزع حجـابها أيام الانتفاضة».

أما محاربة الدعـاة فيكفي أن نعرف أن حصيلة عرفـات في غزة وإنجازاته كانت ٣٠ مركـزاً للتوقيف، وسـبعة عشـر سجناً، و٤٠ ألف شرطي، ومع بداية اسـتلام السلطة كانت خطوات تنفيذ بنود (أوسلو) السابقة.

إن اليهود حريصون على أن يكون في مواجهتهم ما قال فيه الشاعر :

أَشْبَـاهُ نَاسٍ وَخَـيْـرَاتُ الْبِـلاد لَهُــمْ ... يَا لَلرِّجَـالِ وَشَـعْبٍ جَائِـــعٍ عَـــارِ

أَشْبَــاهُ نَاسٍ دَنَانِيــرُ الْبِـلاَدِ لَهُـــمْ ... ووَزْنُـهُمْ لاَ يُـسَـــاوِي رُبْـعَ دِينَـارِ

وَالنَّاسُ شَـرٌّ وَأَخْـيَـارٌ وَشَـرُّهُــــمُ ... مُنَافِـــقٌ يَتَـزَيَّـــا زِيَّ أَخْـيَـارِ

وأَضْـيَعُ النَّاسِ شَعْبٌ بَاتَ يَحْـرُسُهُ ... لِصٌّ تَسَـتَّـرَ فِي أَثْـــوَابِ أَحْبَـارِ

فِي ثَغْـرِهِ لُغَــةُ الحَـانِي بِأُمَّـتِـــهِ ... وَفِـي يَدَيْـهِ لَهَـــا سِكِّينُ جَــزَّارِ

ثانيا: الحركة الإسلامية اليوم والمسلمون
وواجبهم نحو المسجد الأقصى

١ـ الإعداد للتغيير: ربما ليست لدينا القوة على التغيير في الصراع مع اليهود في الوقت الحالي، ولكن لدينا القدرة ـ بإذن الله ـ على الإعداد لهذا التغيير، وإن المكر العالمي بكل وسائله يعمل على دعم اليهود وتواجدهم في فلسطين والأمر قد يصل كما صوره القرآن، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾(١). ولكن سينتصر جند الله وسنقول كما علمنا القرآن: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾(٢).

٢ـ الاستشعار الكامل أن المسجد أمانة في أعناقنا سيسألنا الله ماذا قدمنا ؟ وماذا فعلنا من أجل تطهيره من دنس اليهود؟

٣ـ التحرك وفق نظام التدافع بين الحق والباطل والنصر والهزيمة «انظر خريطة التدافع البشري».

٤ـ اليقين أن النصر للمسلمين قدر محتوم.

٥ـ تنمية الخير الموجود في النفوس في شعوبنا المسلمة.

٦ـ التركيز على إنشاء المراكز والمعاهد الشرعية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم.

٧ـ توحيد الصفوف بين كل العاملين في الحقل الإسلامي في فلسطين.

٨ ـ دعم المسلمين لإخوانهم من باب النصرة الشرعية للشعب المسلم في فلسطين.

وهذه المنهجية التي ذكرناها مستقاة من هدي النبي ﷺ في استرجاع الأقصى من الروم النصارى، فنحن نرى أن الفتح الإسلامي لمدينة القدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة لم يتم دفعة واحدة وإنما سبقته خطوات عملية هيأت لعملية الفتح الإسلامي:

أ ـ هيأ الرسول ﷺ وعبأ النفوس حول هذه المدينة المقدسة بالآيات التي وردت

---

(١) الأحزاب: ١٠ .   (٢) الأحزاب: ٢٢ .

في كتاب الله عن هذه البقعة بحيث القلوب والعقول أصبحت تحن إلى بيت المقدس، وهو واقع تحت الاحتلال الروماني، وقد حدث في مراحل الضنك والألم التي عاشها المسلمون في مكة ـ فعلى هذا، فقضية التحرك للقدس تبقى حية حتى في ساعات الاستضعاف.

ب ـ الخطوات العملية والتي ظهرت في :

١ـ حقيقة الإسراء والمعراج.

٢ـ معركة مؤتة بين المسلمين والروم.

٣ـ غزوة تبوك.

٤ـ ثم جاءت معركة اليرموك التي أنهت تواجد الرومان في القدس، ثم عندما عاد الصليبيون للقدس كانت معركة حطين مع صلاح الدين وكلا المعركتين في إعادة القدس كانت في الشام ووادي الأردن.

ولا بد من التأكيد على الحركة الإسلامية علينا أن نعمل على إخراج القدس من دائرة رد الفعل إلى دائرة صناعة الفعل والتأكيد على مصطلح «القدس الإسلامية» بعد سيطرة القدس اليهودية + القدس النصرانية + القدس العربية على وسائل الإعلام.

إن الواقع ليستلزم من أبناء الحركة الإسلامية وضع القضية الفلسطينية في أول سُلم الأولويات، فالمعركة شرسة والخصم له تدابير وترتيبات شيطانية خطيرة منها على سبيل المثال:

١ ـ «واي بلانتيشن» ودركات الهبوط العربي ـ تطويق العالم العربي

تم التوقيع على اتفاق «واي بلانتيشن»، بين رئيس السلطة الفلسطينية ورئيس الوزراء الإسرائيلي، ليكون حلقة في سلسلة التنازلات التي ما فتئ المسلمون والعرب يقدمونها من أراضيهم ومقدساتهم خدمة لليهود، وغير ملقين بالاً إلى ما تكبدته البلاد العربية من نفقات كبيرة في الأموال، ودماء غزيرة لشهداء سقطوا في ساحات القتال، التي تتابعت بين المسلمين و «الإسرائيليين»، دون أن توقف المد الصهيوني من التجذر في أرض فلسطين والهيمنة على القدس، ومحاولة السيطرة على مجاري الأنهار القريبة، وإقامة التحالفات التي تطوق العالم العربي، وتضغط عليه إن لزم الأمر

(تركيا ـ إرتريا ـ أثيوبيا ـ أوغندا ـ الهند) لتشكل عليه عبئاً خارجياً، إلى جانب أعبائه الداخلية، المتمثلة في الفقر والأمية وغياب الديمقراطية عن بعض البلدان، وإثارة بعض الصراعات العرقية، أو الطائفية أو إحداث بعض النزاعات الحدودية، لشغل العرب عن إسرائيل العدو الحقيقي، وتوجيه أنظارهم إلى عداوات تحدث بينهم وحزازات تعمق فرقتهم، وتزيد بعثرتهم.

٢ ـ تدمير قواعد الحركات الإسلامية:

ولم تخل الاتفاقية الأخيرة ـ رغم هزالها ـ من إثارة الفرقة وزيادة التشرذم والتشتت، فقد جاء تحت بند الاتفاق الأمني أن الطرفين يضمنان الإجراءات الواجب اتباعها من أجل (مكافحة الإرهاب) بشكل متواصل ومنتظم، ومكافحة الإرهاب بهذا الشكل أقلقت جماعة «هيومان رايتس ووتش» الأمريكية للدفاع عن حقوق الإنسان، حيث اعتبرت اتفاق «واي بلانتيشن» مشجعاً على انتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني؛ لأن بنود هذا الاتفاق تطلب من السلطة الفلسطينية اتخاذ خطوات أحادية بالتنسيق مع إسرائيل ؛لتدمير البنية التحتية للحركات الإسلامية، وتسليم إسرائيل فلسطينيين مشتبه في تنفيذهم أعمال عنف، كما يتضمن الاتفاق مشاركة الولايات المتحدة في وضع استراتيجية لمكافحة الإرهاب ومراقبة تنفيذها[١].

وما تخوفت منه هذه الجماعة ليس أمراً متوقعاً حدوثه، وإنما نصت عليه الاتفاقية، فقد استقر الأمر على أن تسلم السلطة ٣٠ مطلوباً أمنياً، بعد أن تقبض عليهم السلطة لتتولى إسرائيل اعتقالهم ومحاكمتهم، مما يدفع إلى المزيد من الاحتكاك والشقاق بين شرطة السلطة وبين الفصائل الفلسطينية المختلفة، وقد يحدث ما لا تحمد عقباه بين الفلسطينيين أنفسهم بسبب ممارسات السلطة التي تدفعها إليها إسرائيل دفعاً، لإبعاد أي توجه إسلامي ينادي بالجهاد، ويرد على العدو بالسلاح الذي يعرفه ويؤثر فيه، ويجعله يسلم بالحقوق التي اغتصبها أو على الأقل ببعضها، أما طريق المفاوضات التي جربت من قبل في «أوسلو» و«مدريد» وفي غيرهما فإنها طريق المماطلة والتسويف، الذي يبث اليأس في قلوب العرب، ويميت الإحساس

(١) الشرق الأوسط ٢٤/ ١٠/ ٩٨.

بالقضية في وجدانهم وعقولهم.

فإذا أضيف إلى ذلك سلاح الابتزاز والترهيب والمكر والخداع والإغراء بالمناصب أو الأموال، وهو سلاح يجيد اليهود استخدامه أمكننا أن نعلم أننا نسير في غير الطريق الصحيح، الموصل إلى أن يخسر المسلمون ويكسب اليهود.

٣ـ تدبير قديم:

وهو الطريق الذي بدأ سنة ١٨٩٨م يوم وضع هرتزل أساس قيام الدولة اليهودية في فلسطين بعد نصف قرن من ذلك التاريخ، بل من قبل هرتزل نادى نابليون في حملته على مصر والشرق في أواخر القرن الثامن عشر، نادى باليهود أن يهبوا إلى بناء دولتهم في فلسطين، وأعلن أنه سيمكن لهم في هذه الأرض، وأن عليهم أن يلبوا نداءه، وأن يقصدوا إليه من كل فج بعيد ليجوسوا خلال الديار، ويقيموا لهم دولة تحميهم من الشتات، وتكون لهم وطناً [١].

غير أن نابليون هزم في الشرق، ورحل ذليلاً من ديار المسلمين، تاركاً وراءه حملته بقيادة «كليبر» الذي تصدى له سليمان الحلبي فقتله، فخلفه الجنرال مينو الذي اضطر إلى الانسحاب من مصر والشرق سنة ١٨٠١م.

وأدى هذا الإخفاق العسكري إلى تأجيل دولة لليهود قرابة قرن ونصف من الزمن لم يفرط فيها اليهود في أي فرصة أتيحت لهم، ولم يتقاعسوا عن أن يتحالفوا مع القوى العالمية الكبرى من أجل اغتصاب وطن لهم، مستغلين أبرز الأحداث العالمية لتوجيه الدفة نحو غايتهم وأملهم البعيد، غير غافلين عن الخطوات المقربة من هذا الهدف حتى وإن بدت محتاجة إلى وقت طويل، وجهد كبير.

٤ـ تمزيق العالم الإسلامي:

من أهم الأحداث العالمية الحربان الكونيتان الأولى والثانية :

أما الحرب العالمية الأولى، فقد رتبت أثناءها إعادة رسم خريطة بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، بعد أن حققت «الثورة العربية الكبرى» بقيادة الشريف حسين أهدافها القريبة في فصل العالم العربي عن تركيا، وطرد الحاميات التركية من البلاد

---

(١) انظر المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل : محمد حسنين هيكل، الكتاب الأول.

العربيــة والانضمام إلى البريطانــيين ضد الأتراك والألمان؛ طمعاً وأمــلاً في أن يتولى الشريف حــسين هذه المملكة العربية وأن ينعم بلقب «ملك العــرب». وقد بدأت هذه الأعمال برصاصة أطلقها «الشريف حــسين» من منزله في مكة ضد الحامية العسكرية التابعة لدولة الخلافة الإسلامــية؛ طلباً للرضا البريطاني، وأتبعهــا برسالة إلى «مكماهون» يطمئنه فيــها على سيــر الأمور بناء على الخطة المتفق علــيها ويعلن تأجــيل أي طلب حتى يرى «مكماهون» نتيجة أعمال هذا الشريف التي تــتلخص في محاربة جيش دولة الخلافة؛ بغية الحصول على مساعدة بريطانيا في إنشاء خلافة عربية تمتد حدودها من « أرسين » و« أضنة » في تركيــا الآن حتى الخليج العربي شــمالاً ومن بلاد فارس حــتى خليج البصرة شــرقاً، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي حتى سيناء غرباً، وعلى أن توافق إنجلترا على إعلانه خليفة عربياً على المسلمين.

وكان جواب المندوب السامي الموافــقة على استقلال البلاد العــربية والموافقة على إعلان خليفة عــربي، لكن مسألة الحدود لا يسمح الوقت لتحديدها بســبب استمرار الحرب مع تركيا[١].

وفي الوقت الذي تجري فيه الرسائل وتبرم المعاهدات بين «حسين» و «مكماهون» كانت بريطانيا وفرنســا وروسيا يتفقون على تقسيم العــالم العربي والإسلامي بعد أن تضع الحرب أوزارها، على النحــو الذي انتهت إليه الأمور بعــد الحرب إلا أن الثورة الروسية كشــفت هذه الاتفاقية السرية المسماة «ســايكس ـ بيكو». ورفضت الاشتراك فيهــا دون أن تمنع تنفيذها، مما مزق بــلاد الشام إلى دويلات وساعد على قــيام إمارة شــرق الأردن سنة ١٩٢١م لتكون عازلاً بين المملــكة العربيــة السعــودية في الجنوب وفلسطين التي تهيأ لليهود في الشمال.

وبدلاً من أن تساعد بريطانيا «الشريف حسين»، ساعدت إسرائيل مساعدة كبيرة وتبنت مشروع نابليون تحت اسم جديد وهو «وعد بلفور»، الذي تعهدت فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان رسم خرائط جديدة ملبيًا رغبتين في آن واحد: إرضاء بريطانيا وفرنسا كلتيهما باقتسام العالم العربي : تمهيد الأرض العربية، وتجهيزها؛ لقيام وطن قومي لليهود.

(١) انظر كتابنا : نظرات في الدولة الإسلامية.

وجاء «وعد بلفور سنة ١٩١٧م» ليهيئ الأجواء العالمية لقبول هذه الدولة الجديدة «إسرائيل» التي ستظهر إلى الوجود بعد سنوات، وتنتهي الحرب الأولى ويضطر فيصل ابن الحسين إلى الموافقة على مشروع دولة يهودية عربية في فلسطين مع « حاييم وايزمن»، ويقضي المشروع بالعمل على تنفيذ وعد بلفور، وتشجيع الهجرة إلى فلسطين. . . واعتبار بريطانيا حكماً بين العرب واليهود في كل نزاع[1].

والتاريخ لا يكرر نفسه وإن تشابه في كثير من مواقفه، فالدولة العظمى تقوم بالوساطة الآن بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بل إنها شريك في تنفيذ الاتفاقات المبرمة وخاصة الاتفاقات الأمنية منها.

٥ ـ الحروب تقوي وتنمي الدولة الصهيونية:

وقد كانت هذه الحرب سنة ١٩٤٨ وما بعدها عاملاً أساسياً في تمكين دولة إسرائيل وتثبيتها، وهدفاً تسعى إسرائيل نحوه، وتختلق أسبابه ولو لم توجد؛ لأن الحرب عامل حاسم في تغيير الخرائط، وإقرار حدود جديدة ،أو إنشاء كيانات سياسية لم يكن لها وجود عن طريق الحرب[2].

واليهود لا يغفلون عن هذه الحقيقة، فعندهم فلاسفة ومفكرون ومنظرون لهم فكر ونظر في تكوين الدول والمجتمعات، وهناك عوامل عديدة ينبغي توفرها لإقامة دولة مثل إسرائيل، وهذا ما جعلهم يجمعون مهاجرين من كل بلاد الأرض، بثقافتهم المختلفة، وآرائهم المتباينة، وعاداتهم المتضاربة، وانتماءاتهم العميقة البعيدة عن هذه الأرض الجديدة التي يقول عنها الحاخامات ورجال الدين: إنها أرض الميعاد، فلتكن هي كذلك ولكن لابد من عامل رئيسي يربط ذلك الوافد الغريب بتلك الأرض الجديدة، وأعظم العوامل التي تربط الشتات من البشر ـ إن اجتمعوا في رقعة ما من الأرض ـ هو الخطر المحدق والمحيط بهم؛ لهذا فليكن خطر العرب هو المادة التي يمكن أن تحدث التفاعل الإنساني بين هؤلاء القادمين، حيث يمسك كل واحد معهم السلاح في يده ويقف بجوار الآخر ينتظرون خطراً قادماً من وراء التخوم وعليهم مواجهته والوقوف أمامه.

(١) يقظة العرب ص٥٩٢ وما بعدها نقلاً عن كتابنا نظرات في الدولة الإسلامية.

(٢) الخيانة العربية الكبرى ص٣٦٥ لأحمد رائف.

وهذا الدواء ينبغي تعاطيه لمدة أربعين عامــاً على الأقل، حيث تظهر أجيال جديدة تنتمي إلى الأرض، وتصــير بينهم صلة، ويصبح وطناً حــقيقيًّا لكل الأبــناء والأحفاد، وهذا ما حدث في أرض فلسطين[1].

ولابد أن تكون هذه الحرب حــرباً نظامية، يمكن السيطرة على أطرافـها في أي وقت، سواء بإيقاف الحرب أو بفرض نوع من الهدنة أو غير ذلك من الوسائل التي تفرض بها الدول الكبرى نفوذها، وتؤكد بها سيطرتها، بخلاف حرب العصابات التي لا يمكن السيطرة عليها ولا يعــرف متى تبــدأ ولا أين تبدأ، مما يســبب للذين يقــاتلون من وراء جدر إزعــاجاً أيَّمــا إزعاج، وفي سبــيل إلغاء هذه الحرب التي لا يسيطــرون على مجرياتها يبــذلون كل جهد، وهذا ما دفع بــحكومة النقــراشي باشا في مصــر لأن تجمع الإخــوان «المسلمين» من أرض المعركة وتعتقلهم هناك، ثم تنقلهم إلى المعتقلات داخل مصر.

وكان هذا العمل جزءا من مسلسل الخيانات، الذي هو ثمرة من ثمرات الاتصال بين قادة العرب وإسرائيل.

ويبقى أن نقول: إن اليهود استغلوا من أجل قيام دولتهم وبقائها كل حادثة وكل فرصــة، على حين أضــاع العرب كـل فـرصة تقـربهم مـن هدفهم أو تســاعــد في عــودة أرضهم، فاستغل اليهود الأحــداث وسخروا الأشخاص بعد أن مكنوا لهم في الأرض، وحاربوا إن كانت الحــرب لمصلحتهم، وسالموا إن كــان السلم في صالحهم، وهم في سبيل استيلائهم على الأرض واستــبقائها تحت أيديهم لا يحترمون وعدا ولا يوفون بعــهد ولا يحتــرمون شخصــاً، والشواهد كثــيرة وقرارات الأمم المتــحدة التي لصالح العرب أكثر من أن تحصى، والمعاهدات التي بينهم وبين العرب عديدة لم ينفذ أكثر بنودها وما نفذ، فلمصلحة قريبة أو لتــحقيق أهداف بعيدة، فمتى تكون أعمالنا موافقة لهذا العلم ؟ غير بعيدة عن هذا الفهم ؟

٦ ـ عرفات يسقط الورقة الباقية:

لم يخطر في بالنا في أي وقت أن يتحول عرفات عــما كان عليه وما عرف عنه من طريق الجهاد ومحاولة الاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن المقدسات، واستخلاصاً

---

(١) الخيانة العربية الكبرى ص٣٦٥ لأحمد رائف.

لأرض فلسطين، التي أخذ منها الإسرائيليون كل مأخذ. .

وكيف كان يخطر ببالنا مثل ذلك وسيرة عرفات معروفة منذ تصدى للنضال إلى أن فعل ما فعل في اتفاقية «واي ريفر» مروراً بمدريد وأوسلو وما سبقهما من اتفاقيات سرية؟ ثم تأكد توجه عرفات بممارساته في غـزة والضفة ضد حماس والجهاد، وضد الفلسطينيين الغيورين عـلى أراضيهم وديارهم، فكل من عارضه كان السـجن حليفه، وكل من وقف ضد توجهاته كان الاعتقال رفيقه. . . هذه العوامل وغيرها جعلت ورود فكرة تحول عرفات إلى الجهاد أمراً مستبـعداً، لكننا ما كنا نظن أن مسلسل التراجع مستمر، وأن عملية التنازل لا تقف عـند حد، وأن التعامل مع الإسرائيليين مـثل الوقوع في المعاصي والآثام يجري التصاعد فيها من الصغير إلى الكبير، ويسلم بعضاً بعضاً، فقد كان من نتائج «واي ريفر» أن يتـم عمـل تعديـل وتغيير فـي الميثـاق الوطنـي الفلسطيني، وقد تم ذلك بالفعل في المؤتمر الـشعبي الذي انعـقد في ١٤/ ١٢/ ١٩٩٨م، بحضور الـرئيس كلينتون، حيث أيد أكثر من ألف مشارك بينهم ٤٥٠ عضواً في المجلس الوطني دعوة ياسر عرفات لتأكيد أنهم سيواصلون عمليـة السلام بعيداً عن العنف، وتم إلغاء أو تعديل ٢٨ مادة من ٣٢ مادة هم كل مواد الميثاق الفلسطيني، حيث اعتبرت كل فقرة معادية لإسرائيل لاغية أو باطلة.

وعلى هذا تكون زيارة كلينتون لغزة قد أثمرت ثمـرتها التي عبر عنها الكاتب بلال الحسن بقوله : إن زيارة كـلينتون إلى غزة هامة دون شك؛ إذ ليس أمـراً بسيطاً أن يقوم رئيس أكبر دولة «باغية» في العالم بزيارة إلى سلـطة وليدة لم تتبلور هويتها بعد. ويميل أصحاب السلطة في غزة إلى القول بأن زيارة كلينتـون هي مؤشر قوي على دعم أمريكا لقيام دولة فلسطينية، ولكننا لا نعتقد أن هذه الزيارة على أهميتها تعمل في هذا الاتجاه. إن زيارة كلينتون هامة لأسباب أخرى لا علاقة لها بموضوع الدولة.

إنها زيارة هامـة بخصوص تعديل الميـثاق الفلسطيني، فتأكـيد التعديل بـحضور كلينتون، يعني إعـطاءه شهادة دولية لوقـف طرف فلسطيني مندفع؛ لكي يعلن أنه لا حق له في أرض فلسطين التاريخية، طرف فلسطيني يريد تحويل ما هو سياسي راهن إلى حقـيقة أزليـة ثابتة، وبحـيث لا يستطيع بعد ذلك أن يـتراجع عن فعلتـه ما دام شهود الجريمة قد جاؤوا بهذه القوة وبهذه الكثرة.

وهي زيارة هامة بخـصوص تنفيذ اتفـاق «واي بلانتيشين» باعـتباره آخر طبـعة مزيدة ومنقـحة من طبعـات «أوسلو»، ويتكرس فيـها المفهـوم القائم على أن الأمن الإسرائيلي هو قاعدة التفاوض، وسيقول الإسرائيليون بعده: إن الأمن يقتضي رفض عودة اللاجئين حتى إلى أرض الحكم الذاتي(١).

إن الاعـتـراف بحق إسـرائيل في الأرض الفلسطيـنية التـي استـولـت عليـهـا، والإحساس بالعجز الكامل عن تحقـيق أمل فلسطيني الشتات بإمكان العودة إلى ديارهم وتغيير أو تبديل ٢٨ مادة من مواد الميثاق الوطني ينسف كل الأسس التي قامت عليها منظمة التحرير الفلسطينيـة، فقرارات المجلس الوطني، تم تجاوزها في مؤتمر جنيف، ثم مدريد، ثم أوسلو.

والعمل الفدائي المسلح لتحرير الأرض تم اعتـباره منتهياً وكل من يمارس العمل الفدائي ضد إسرائيل يعتقل، ثم بعد ذلك يتم إلغاء مواد الميثاق الوطني، فتتغير بذلك ملامح مرحلة استمرت أكثر من ثلاثة عـقود، كانت في بعض سنواتها مبشرة بكفاح يجعل العدو يقدم التنازلات ويستشـعر وقع ضربات مما يوحي على المدى البعيد بإمكان تحقـيق شيء من النصر، أما اليوم فـقد سقط السـلاح ورفعت الأيدي تلوح للزائرين بالأعلام التي كانت من قبل يمزقها المتظاهرون.

٧ ـ رجاء ونداء:

وهذا الذي يحدث في فلسطين، يفرض على المسلمين إعادة التفكير في مستقبل القدس؛ لأن السلطة الفلسطينيـة بشكلها الحالي أضعف من أن تقـدم على عمل جاد يعيد القدس إلى موقعها كمدينة عربية مسلمة يصدع فيها الأذان، ويصدع فيها الناس بأمر الرحمن «يتـردد الآن أن إسرائيل تحاول أن تمنع بث صلاة الجمـعة في التلفزيون من المسجد الأقصـى» وإسرائيل في وضعها الحالي أشد عـناداً، وأكثر إصراراً من أن تسلم في أن تعترف بحق المسلمين هناك، وعملها هناك في إقـامة مستوطنة جبل أبي غنيم، وشق نفق تحت المسجد الأقصى،وتمكن اليهود من الهيمنة على المدينة، وتشكيل أغلبية بين سكانهـا يجعل استخلاص المدينة من أيديها بالطرق الدبلومـاسية والمساعي السلمية الجـهرية أو السرية أمرًا مـشكوكًا فيه، ولا يعني هذا أننا نرضى عـما حدث

(١) الشرق الأوسط في ١٤/١/١٩٩٨م.

لتغيير مدينة القدس، فإن القلب ينكر وإن اللسان لينكر وإن اليد ـ إن شاء الله ـ سوف تنكر ذلك «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(١)، وفي الحديث أيضاً: «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر والشجر: يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا شجر الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»(٢)، ومهما استكثر اليهود من زراعته فإن الملحمة ـ لا شك ـ قادمة، وإن اليهود لمخذولون منهزمون ـ إن شاء الله ـ وإلى أن يأتي هذا الوعد الحق، فإن من حقنا، بل من واجبنا أن نطرح شأن القدس على بساط البحث، وأن نتخذ خطوات إيجابية ذات معالم واضحة قابلة للتطبيق في مدى زمني معلوم، تعمل على استخلاص المدينة من قبضتهم، أو تقلل من سطوتهم عليها على الأقل، وذلك أضعف الإيمان.

وإذا كان للجهود الشعبية أثر في تحقيق ذلك خاصة إذا تضافرت وتعاونت، واتجهت كلها في اتجاه موحد، من غير أن تتضارب وتتناقض، أو يسير كل منها في مسار خاص، فيكون ضعفها بيناً، يمكن القضاء عليها بأقل الجهود. وإذا كان للجهود الشعبية شيء في ذلك، فإن الجهود الحكومية لها من الأثر والمفعول ما لا تضاهيه أو تقترب منه القوى الشعبية.

٨ـ الحركة الإسلامية في إسرائيل:

تبحث إسرائيل عن وسائل فعالة وجديدة للتصدي للحركة الإسلامية التي أثبتت قدرتها المؤثرة في مقاومة الاحتلال، وخصوصاً أن البلاد العربية والإسلامية أجرأ وأسبق وأعنف في التصدي للحركة الإسلامية من إسرائيل التي تقوم فيها منظمات صهيونية متطرفة تفعل الأفاعيل في العرب هناك، وتنتقد الحكومة الإسرائيلية وتغير طبيعة الأرض، وتتعدى على الآمنين حتى في مساجدهم وهم يصلون، كما حدث في المسجد الإبراهيمي، وتحاول تدمير المسجد الأقصى بحرقه مرة، وحفر نفق تحته مرة أخرى، ومع ذلك كله فإنها آمنة، لم يمسسها سوء، ترى الدولة أنها عنصر من عناصر قوتها، وجبهة لاعتدال الموازين فيها، أما عندنا ـ نحن العرب ـ فالموازين مختلفة ـ والمقاييس معتلة، فالدولة الإسلامية هي التي تضرب الحركة الإسلامية،

(١، ٢) سبق تخريجهما.

وتحاصرها، وتختلق لها الشبهات والاتهامات، وتشرد رجالها، وتعتقلهم خلف جدران المعتقلات، وفي أقبية السجون، وتنزل بهم أبشع أنواع التعذيب، ثم تدعي بعد ذلك أنها (الدولة) التي تحافظ بذلك على الإسلام والمسلمين !!

وما نزل ببعض قادة حماس أقرب مثال في معاداة الإسلاميين، ومحاولة التضييق عليهم وتشريدهم، لا لأنهم ارتكبوا جريمة في حق أحد من المسلمين، ولكن لأنهم لا يوافقون على سياسة البعض نحو إسرائيل التي يهرول الجميع نحوها لاسترضائها، واستجداء السلام أو إن شئت (حياة المذلة) من بين أيديها، وكان المطلوب ألا ينطق فم، أو يتحرك لسان، أو يختلج شعور في قلب محب للإسلام، غيور على أرض المسلمين، يرى استباحة أرضه ذلاً، والعيش تحت ظلال اليهود هوناً، ومن فعل ذلك عد إرهابيًّا، مناهضاً للسلام، محباً للخصام أو النزال في الساحة مع اليهود، الذين لا يودون مواجهة بعد أن استطاعوا أن يستحوذوا على غنيمتهم كاملة، وأن ينتزعوها من بين الرعاة، رغم أنف الشعوب التي كانت ـ وستظل ـ مستعدة للتضحية في سبيل الله بالمال والأهل من أجل تحرير أرض المسلمين، لو فُتح لها الباب، وتجهزت للنضال.

وأول درجات الاستعداد التعبئة المعنوية عن طريق شحن النفوس بالطاقة الإيمانية التي لا يقف في سبيلها شيء، واليهود لا يريدون ذلك ولا يطيقونه، وإنهم يعملون من وراء ستار لِوَأْد بعض الحكومات مقابل الفُتات الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ولا يخفى ذلك على أحد من المتابعين لما يدور خلف الكواليس، وإنه لمن حسن حظ الحركة الإسلامية في إسرائيل أن سلمت حتى الآن مما أصاب غيرها في البلدان الإسلامية، ومهما حدث لها من شيء هناك، فلن يكون موازياً أو مقارباً لما ، حدث لأمثالها في بلاد المسلمين.

ثالثا: مراحل مسح فلسطين من دائرة الصراع مع اليهود

١ - حريق المسجد الأقصى:

تمر في ٢١ أغسطس من كل عام ذكرى حرق المسجد الأقصى الذي مضى على حرقه أكثر من ثلاثين سنة وهي مدة زمنية كانت كفيلة أن تمتد أيدي المسلمين ـ بعد أن يستعدوا ـ لتخليصه من القبضة اليهودية، التي تُظْهر الشر وتضمر الغدر، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وإنما حدث ما جعل اليهود أكثر تمكناً وأعظم تشبثاً ليس بالأقصى وحده وإنما بالمدينة المقدسة كلها، التي ازداد عدد اليهود فيها، وقل عدد العرب والمسلمين، وأحاطت بها المستعمرات من كل جانب، ويعلن اليهود عن تمسكهم بها كعاصمة موحدة أبدية لإسرائيل، وأن أي تفاوض حولها مرفوض سلفاً، كما فرح بعض العرب لنجاح « باراك » في الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة ظنًّا منهم أنه سيكون خيراً من سلفه، كما فرحوا أيضاً عندما أعلن باراك أنه يقبل تأجيل انتقال السفارة الأمريكية إلى القدس، ظانين أنه بذلك يسعى خطوة نحو الأمام في سبيل السلام، ولا ينبغي لنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ أن نسترسل في الأحلام، وأن نملأ حياتنا بالخيال الذي يرضينا ويجعلنا فرساناً نركب الخيول الورقية وننطلق بها؛ لنحرر فلسطين العربية.

وإن الحقائق الواقعية ترفض كل خيال؛ لأنها أقوى وأبقى، والحقائق الواقعية تشهد بأن اليهود في كل مراحل احتكاكهم بالعرب والمسلمين ما تركوا شيئاً مما تحت أيديهم باختيارهم، وإنما تركوا بعض هذه الأشياء تحت الضغوط الحربية والقوة العسكرية والمعنوية، وهذه القوة بنوعيها لا تتكون بين عشية وضحاها، وإنما تتكون نتيجة غرس للعقيدة الإسلامية في نفوس الأجيال الجديدة، بحيث تدفعهم إلى تغيير مظاهر حياتهم بعد أن يغيروا ما بأنفسهم، فيغلب على حياتهم الجد والاجتهاد، ويتمكن في نفوسهم الصبر والثبات، ويتحرك في عقولهم العلم والابتكار، وباختصار يتم ذلك للمؤمنين، إن هم أقاموا حياتهم على الاجتهاد والجهاد، وكلاهما مرتبط بالآخر، لا ينفصل عنه، وكلاهما نتاج الإيمان العميق والعلم الصحيح الذي يمتد في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي يجدد بناءها ويحيي نفوس أبنائها، ويعلمهم المحافظة على القيم والمقدسات، التي في سبيلها وحمايتها يضحى الناس بالحياة.

ولعلك تقول : ومتى يتم ذلك؟ وليس مهم ـ الآن ـ متى يتم، وإنما المهم : متى نبدأ في تحقيق ذلك ؟ لقد مرت أكثر من خمسين سنة على اغتصاب فلسطين، ومر أكثر من ثلاثين عاماً على حريق المسجد الأقصى، ولو بدأنا الآن في تكريس الأمور؛ لتحقيق بناء القوة المعنوية والعسكرية في أبناء المسلمين من أجل استخلاص المقدسات والأراضي المغتصبة؛ لتحقق لنا ما نريد ولو بعد خمسين عاماً، أما بغير ذلك فإن كل الجهود ضائعة وأحاديث السلام مضغة تلوكها الأفواه، ثم تلفظها لأنها لا تعيد أرضاً، ولا تحمي المقدسات، بل إنها مضيعة للوقت، ونشر للوهم في نفوس الشباب حتى يظلوا بعيدين عن جادة الأمر التي لا تتحقق مع هؤلاء اليهود إلا تحت قعقعة السلاح، فهل نبدأ كأفراد أو جماعات أو دول في السير في هذا الطريق ؟

٢ ـ مسرحية اسمها «السلام» :

بين واي ووَيْ

ذكرتني كلمة (واي) التي ترددها أجهزة الإعلام المختلفة كثيراً بمناسبة اتفاق (واي٢) الذي تم التوقيع عليه في شرم الشيخ في بداية يوم الأحد ١٩٩٩/٩/٥ ـ ذكرتني هذه الكلمة بكلمة (وَيْ) في العربية التي هي اسم فعل مضارع بمعنى: «أعجب» لما بينهما من تقارب لفظي يسميه البلاغيون جناساً.

والاتفاق المذكور يجعل الإنسان يعجب أشد العجب ويدهش أكبر الدهشة من موقف المسؤولين في السلطة الذي صار أشبه بالمتسول، الذي تعطيه إن شئت وتمنعه إن شئت؛ إذ لا حق له عليك، وإسرائيل هكذا تعامل هؤلاء المسؤولين بعد أن أصبح التفريط سمة لازمة لكل اتفاق، وإنما يسألون اليهود إحساناً، ويتقلبون على كل الوجوه، ويطرقون كل باب، ويشفعون كل من يستطيعون من أجل نيل إحسان هؤلاء اليهود بحيث ينالون جزءًا أو أجزاء من أرض فلسطين العربية، التي لا يحق لأفراد السلطة أو غيرهم التنازل عنها مهما كانت الظروف والمبررات، ورحم الله السلطان عبد الحميد الذي عرض عليه اليهود أن يسددوا ديون الدولة العثمانية مقابل إعطائهم جزءاً من أرض فلسطين فأبى وقال :

(هذه أرض المسلمين وليس من حق السلطان أو غيره أن يبيعها).

ولو أن زعيم السلطة عرفات وأتباعه لم يكن لهم هوى في التنازل عن الأرض

مقابل الزعـامة التي ستتمـخض عنها في النهاية زعامـة على السراب لما خرجت هذه المسرحية الهزلية المسماة «السلام» إلى مسرح الأحداث في الشرق الأوسط.

وقديماً قـالوا: شر البليـة ما يضـحك، والذي يضحك هو مسـرحيـة السلام التي تعرض علينـا نحن سكان الشرق الأوسط بإخـراج أمريكي وممثلين عرب وإسـرائيليين، وهي مسرحية تتتابع فصولها، ويظهر فيها وجه الدلال والتمنع الإسرائيلي من جهة ومن جهة أخرى يظهر وجه الاسترضاء والتلطف والعطف من الجانب الفلسطيني، الذي كلما سكت المفاوضون عن الكلام أعلن هذا الجانب رضاه وتنازله، وأخذ على نفسه العهود المواثيق بأن هذا آخر تفريط وأنه لن يفرط، أبدا في أرض أخـرى، وبعد فترة من التمنع والدلال الإسرائيلي يتقـدم مفاوض السلطة راضيًا بتنازل جديد، وقـابلا باتفاق آخر يلغي البنود السابقـة، ويتضمن الشـهادة الجديدة بسـلامة الأمن الإسرائيلي من أن يتـعرض له مشاغب، أو مشـاكس، يقلق باله أو يزعج اطمئنانه.. وتتوقف المسرحيـة التي أصبحنا في الشرق الأوسط نحفظها؛ لأنها نسخة مكررة، تعاد في كل حين، والجديد فيها دائماً هو التخلي من جـانب السلطة عن مطالبات سـابقة، وعقـد اتفاقـات جديدة تجب وتلغي الاتفاقات القديمة، ولم تستطع حبكة الإخـراج المسرحي ولا براعة الممثلين أن تخفي الجوانب التي تمارسهـا السلطة من وراء ستار، أو خلف الكواليس كـما يقولون، فكثيـراً ما تكون هناك اتفاقات ومفاوضات في جانب يراه الجمهور ويسمع صوته وخلافاته وتكثر تصريحاته، ويعلن فيه ممثل السلطة رفـضه وشجبه، ثم يكون هناك خلف الستار جـانب آخر يقوم بنفس الدور، والتفاوض من غير ضجيج ثم بعد حين، ووسط زفـة إعلامية ومباركة دولية يتم الإعلان عن اتفاق جديد لا يلبث أن يتبعه اتفاق آخر ثم اتفاق وهكذا، ورغم أن هذه إحدى نقاط الضعف في المسرحية، ولكنها لا تأتي عفوية؛ إذ يبدو أنها مقصودة؛ لتضاعف جرعة الأسى، ولتزيد البلية، التي قال عنها القدماء: «شر البلية ما يضحك» والمضحك في الأمر أن القائمين بهذه السخـرية يظنون أنهـا انطلت على المشاهدين، وأنهم قـبلوها وارتضوها، وأنهـا نالت في قلوبهم الإعجاب، ومن أيديهم التصفيق الحاد.

مع أن واقع الأمـر أن مشـاهدي الشـرق الأوسط عضـوا أصابـعهم ندمـاً على حضـور هذه المشاهد الـتي لم يريدوا مشـاهدتها، ومـضوا بعـد إغلاق الستـار على الفـصـول الماضيـة واجـمين، يملأ قلوبهم الأسى، وعـيـونهم الدمع لهـذه المريضـة

(فلسطين) التي يفترسهـا الموت اليهودي دون أن تجد طبيباً مـداوياً، أو نطاسيًّا بارعاً، بل وجدت مهرجين يملئون المسرح بالصياح والألوان والأصباغ والأضواء المتناثرة، ثم في النهاية ينكشف الأمر عن الزيف المغطى والطلاء المصنوع، فتكون الحـقيقة بشعة، وهل هناك أكثـر بشاعـة من أناس يتعرون أمـام الجمـاهير وتبدوا سـوآتهم وتنكشف عوراتهم دون حـياء من عيون تنظر، لقـد تعرى رجال السلطة من مبـادئهم الثورية، وتخلوا ـ راضين ـ عن تعاليم الدين، وباعوا الأرض ومن عليهـا بثمن بخس بزعامة منقوصة، وأرض مـحبوسة متناثرة داخل شـبكة من المستوطنات،وأمن مفـقود وجيش ممنوع، ومنع مـــن العـودة إلى حدود ٦٧، ورفض لأَنْ تكون القـدس عاصـمة الدولة الوليدة الجديدة المنتظرة، فماذا بقي لرجال السلطة بعد أن تخلوا عن كل هذا إلى جانب التسليم التام والرضا الكامل بما نالته إسرائيل قبل سنة ٦٧ وهو كثير طواه النسيان، ولم يعد له في قائمة المطالب مكان؟!.

تُرى أيدرك رجـال السلطة أنهم يفسـدون في الأرض، أم يظنون أنهم يصلحـون، ويبنون في الأرض وطناً وينقذون شعـباً ، ويستخلصون من اليهود شـيئاً؟ إن مثلهم في ذلك كمثل ذلك الممـثل الذي يرى أمامه زوجته تمثل في فـيلم دور الزوجة مع ممثل آخر يضمهما معاً سرير واحد، وبيت واحد، ثم يظن أنه يقدم رسالة، ويؤدي دوراً يخدم به المجتمع، فلا يغار ولا يحزن ولا يضيق صدره، بل ربما يصفق في مقعده، وهو يرى ما لا يرى لأداء زوجته في براعة فنية وحبكة درامية، إن هؤلاء الممثلين يظنون أنهم يقدمون خدمة للمجـتمع ويقومون بدور كبيـر فيه، دون أن يشعر كثيـر منهم أنهم يفسدون ولا يصلحـون. إنهم يصدق عليهـم قول الله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[1] . وهكذا وهم واقعون إمـا تحت الشعور بأنهم يصلحون ولا يفسدون، وإما أنهم يعاندون ويكابرون.

ولا شيء غير ذلك. وهذا بعينه ينطبق على رجال السلطة، الذين لم يعد في ذهنهم إلا أن يمكنوا لأنفسـهم، ولو على شبر من الأرض، حـتى وإن فرطوا في بلد عزيز على المسلمين (فلسطين) وصدق رسول الله ﷺ: «**إذا لم تستح، فاصنع ما**

(١) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥ .

شئت»[1]، ولعل هذا الذي يحدث الآن في فلسطين يضيف إلينا معاني جديدة ودلالات واسعة للآيات والأحاديث التي وردت بشأن سنن الله الكونية، التي تصيب المفرطين في دينهم أو أرضهم أو عرضهم وشرفهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ينزل عليهم عقابه، فقوم موسى حين ارتدوا على أعقابهم وقالوا: ﴿ ... **إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾[2]. كتب الله عليهم التيه ٤٠ سنة. ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾[3].

ولقد ذكر ابن عباس ؓ شيئاً من ذلك حين قال: ما فهمت قول الله: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...**﴾[4]. إلا بعد موقعة الجمل وصفين، فالأحداث الواقعية تضيف في أذهان القارئين معاني إضافية للآيات القرآنية تتأكد بها المنزلة الإعجازية للقرآن الكريم، وفي ضوء الأحداث الراهنة يتجدد فهمنا لمعنى الآيات: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾[5].

وقول الله: ﴿**وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾[6]. وقوله: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾[7]. وقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر ؓ: «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله**»[8].

وصدق الله ورسوله. فستعود هذه البلاد إسلامية عربية إن شاء الله رغم أنف المفرطين الذين يفسدون في الأرض، ولا يصلحون ومع إيماننا بهذه الحقيقة الدينية التي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٤، ٦١٢٠) عن أبي مسعود البدري #.
(٢) المائدة: ٢٢.
(٣) المائدة: ٢٦.
(٤) الحجرات: ٩.
(٥) الإسراء: ٤-٧.
(٦) الإسراء: ١٠٤.
(٧) آل عمران: ١١٢.
(٨) أخرجه البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١) عن ابن عمر ؓ.

لا مراء فيها وهـي أن هذه البلاد كلها عائدة عربية إسلاميـة إلا أننا نتساءل أمام هذه الأحداث الواقعية: أبقى في هذه المسرحية فـصول جديدة تتمخض عن مفاجآت تزيد الناس دهشة واستغراباً؟! يمهدون لها الآن سبل الظهور ولا بأس من استشراف بعض هذه المفاجآت التي نستنبطها من خلال مسيرة الأحـداث في هذه القضية الحيوية قضية فلسطين التي تكونت في ظلال جامعة الدول العربية، تلك الجامعة التي أثبتت في كثير من المواقف والأحداث أنها جامعة ورقـية ـ كما أرادها الاستعمار ـ أكثر منها جامـعة حقيقية تتصدى للأحداث وتفرض رأيها بقوة السلاح، كمـا فعلت بعض المنظمات اليهودية ـ فيما بعد ـ رغم قلة أفرادها وقوتها مقارنة بالجامعة العربية التي تضم دولا عديدة.

وبعد قـيام الجامـعة بسنوات عديدة قـامت الدولة اليهودية في فـلسطين بمساندة دولية من الشرق والغرب، وقامت حروب بين العرب وإسرائيل لم تستخلص شبراً مما تحت يدي إسرائيل، بل حدث العكس الذي يجعل الاستـيلاء على الضفة وغزة، ثم بدأت المسيرة السلمية في «كامب ديفيد» التي نصت على عودة الأراضي بعد ١٩٦٧م إلى وضعها الذي كانت عليه وعلى أن القدس عـائدة إلى السيادة الإسلامية العربية، وأعطت العرب آمالاً كبيرة في ذلك. ثم حدث الغزو العراقي الذي شغل الأمة.

واليوم خفت حـــدة الحـــديث عـــن القدس لدى الجانب العربي، وقــوي مـــن الجانب الإسرائيلي، وأعلنت إسرائيل الـرفض الصريح لأي جيش عربي أو أجنبي أو فلسطيني فوق الأجزاء المتناثرة في الضفة وغزة.

فما بقي لفـصل أخير؟ بقي خداع الرأي العام الـعربي والإسلامي، وبقي تنويم الشعوب عن حقها، وشـغلها بمشاكل يومية داخلية أو جانبية عن القـضية الأساسية وهي عودة مساحة فلسطين كاملة، وعودة اللاجئين إليها. فهل هناك من يتحدث عن ذلك الآن؟ الفـصل الختـامي إذن مقـصود به الرضـا والتسليم من المسلمين بمـا كان والتسليم بالقول المأثور «للبيت رب يحميه»[١] وللقدس رب يحميه.

٣. الإحباطات الموضوعة في الأفلام المصنوعة:

بمناسبـة مرور خمـسين عاماً على اغـتصاب فلسطين بحـسب التوقيت العـبري

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٨٧١): «هو من كـلام عبد المطلب جد النبي ﷺ لأبرهة صاحب الفيل لما سأله أن يرد عليه ماله...».

للدولة اليهودية أذاعت محطة تلفاز (M.B.C عام ١٩٩٨م) فيلماً وثائقياً أنتجته محطة (B.B.C) يصور الصراع الذي دار على الأرض المحيطة بالمسجد الأقصى الذي أخبرنا الله سبحانه أنه بارك حوله في قوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [1] .

أرض المسلمين هذه المباركة تحتفل الدولة الصهيونية باغتصابها تحت اسم جديد هو «قيام دولة إسرائيل» وانساقت أجهزة الإعلام حتى في بعض الدول العربية، فمسحت كلمة فلسطين المغتصبة من معجمها المتداول، وأحلت محلها «قيام دولة فلسطين» أما كيف قامت؟ وأين قامت؟ وعلى حساب من قامت؟ فذلك مسكوت عنه، حتى تُمحى فلسطين من ذاكرة الوجود، لتلمع فيه «إسرائيل» بقامتها المديدة، وشهرتها الفسيحة، ومكانتها المدللة لدى أرباب العصر وسدنة الأرض من أهل الغرب، في عصر هيمنة الأقوياء وانتكاسة الضعفاء، وضياع الحقوق في الهيئات الدولية، واستخدام الفيتو الأمريكي ضد أي قرار دولي، حتى ولو اتصل بالقدس التي تمس مشاعر المسلمين في كل بقاع الأرض قبل غيرهم، ورفض إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية، واستكثار الانسحاب الإسرائيلي من أراضي الضفة الغربية وغزة، والعمل على إذلال السلطة الفلسطينية بخيانة المعاهدات ، حتى تظهر ضعف السلطة وافتقارها واحتياجها إلى الكيان الصهيوني، كي تقف على قدميها، ويعلن «نتنياهو» رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أن مواعيد المعاهدات ليس شيئاً مقدساً، ومنذ متى ـ يا نتنياهو ـ حفظ اليهود عهداً، أو صانوا موثقاً ؟ إن البُلَهَ هم الذين يصدقون أنكم توفون بالعهود، وترعون الحقوق، وتصلحون في الأرض ولا تفسدون؟ أما غير هؤلاء وهم بحمد الله كثيرون، فإنهم يعرفون تاريخكم، ولا يغفلون عن غدركم.

٤ ـ مشاركة الدول الغربية:

تحتفل إسرائيل بقيامها قبل خمسين عاماً، ويحتفل معها العالم الغربي بهذه المناسبة السعيدة !!!

ويرسل كلينتون إلى نتنياهو ـ رئيس الوزراء الإسرائيلي في وقتها ـ رسالة تهنئة

---

(١) الإسراء: ١٠ .

بهذه المناسبة يقول فيهـا: (إننا فخورون بالروابط القوية التي أقمناها مع إسرائيل على أساس قيمنا ومثلنا المشتركة، هذه العلاقة الفريدة ستصمد مثلما صمدت إسرائيل «ما زال توف» «حظاً سعيداً بالعبرية»).

ويأتي «آل جــور» نائب الرئيس الأمريكي إلى إسرائيل لحضــور هذه المناسبة ويخطب في اليهود معــلناً تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل، وكان مما جـاء في خطبته: «إن قلبي وقلوب كل الأمريكيين تخفق مـعكم، ونحن نحتفل بالذكرى الخمـسين لميلاد إسرائيل، إنه لشرف عظيم أن أشــارككم احتفــالكم هذا. وأعتذر عن عــدم تحدثي العبرية «قــالها بالعبرية» نحن نقـف معكم ونؤيد حلمكم من رماد المحارق النازية، لقـد نهضت عنقاء دولة إسرائيل لتحقيق قدرها فإن الولايات المتحدة لن تدعها أبداً تقف وحيدة..

الرئيس كلينتــون وأنا وكل الأمريكيين فـخورون بأن نكون أول دولة اعـترفت بكم بعد ١١ دقـيقة من إعلان الدولة (١٥/ ٥/ ١٩٤٨) وأن عـلاقتنا (eternal) أبدية، إنه فخر لي أن أكون صديقكم. ويرد عليه «نتنياهو» بقوله: « السيد نائب الرئيس، هذه هي أرض الميعاد.. هذه هي المدينة التي على التلال هذه هي القدس مدينتنا التي لم تقسم أبداً ».

وحتى تكتمل البهجة وتتم الفرحة، فـإن السفارة الأمريكية في الكويت ـ احتفلت في نفس اليوم ـ كـما يقول الدكـتور عبد الله خليـفة الشايجي بالعـيد الـ (٢٢٢) على استقلال أمـريكا، ثم يقول الدكتور: «لا أدري حسب أي تقـويم؟ لأن الجميع يعلم أن العيـد الوطني الأمريكي هو ٧/٤ من كل عـام» ونحن نقول: إن تزييف التـاريخ حتى فيما يتصل بمواطن الفصل في تاريخ الشعوب سهل هين من أجل إرضاء بني صهيون.

سمات إسرائيلية:

إن نصف قرن مضى على اغتصاب فلسطين،ونشوء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين مليء بالدسائس والمؤامـرات والتزييف للحقائق، وتضخم سـجل الخيانات، ومشاركة الجهود الغربية الأوربية الأمريكية، وما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي سابقاً في تأسيس الدولة اليهودية، وحمايتها والاعتراف بشرعيتها وإضفاء القوة عليها، وتمكينها من السلاح النووي، وإعفائها من التوقيع على معاهدة حظر الأسلحة النووية، وضرب كل حركة إسـلامية ووطنية قوية يمكن أن تقف في وجـه إسرائيل، نصف قرن مليء

بهذا، هو السمة المميـزة للدولة المغتصبة، وما زالت هذه السمات لم تتغـير ولن تتغير؛ لأن القائمين عليهـا لا يمكن أن ينسلخوا من جلودهم، ولا أن يتخلصوا من مـشاعرهم التي امتلأت بالخسة والخيـانة التي أخبرنا الله في كتابه في عديد من الآيات: **﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾**(١) . وأخبرنا عن عنادهم وعـتوهم وبغيهم **﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾**(٢) ، وأخبـرنا عن نقضهم العـهود: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾**(٣) وأخبرنا عن طبيعتهم: **﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٤) .

وبين لنا أنهم أشد الناس عداوة فقال: **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾**(٥) .

إن سماتهم الخـبيثة التي امتـدت طوال نصف القرن ـ وما تزال ـ لا جديد فـيها على المسلمين، الذيــن توثقــت ثقاتهـم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ،وسيرته التي عاملهم فيها بما يستحقون في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر.

٥ ـ فيلم خداع:

ولن يخدع هؤلاء المسلمـون بما تبثه أجهـزة الإعلام، حين تخلط عمـلاً صالحاً وآخر سيئاً لتـمزجه، ثم تخرجه إلى الناس بعد أن تدخل فيه التقنيـة الحديثة والخبرة الفنية المتـقنة في تصوير ودبلجـة وإخراج وغيـر ذلك من الوسائل الفنيـة التي تغري الحواس، وتشد انتـباهها إلى الحدث المتـتابع في سرعة أو إبطاء بحـسب الحاجـة،مع الموسيـقى التصـويرية للأحداث الدراميـة، بحيث لا يملك المشـاهد العادي الفـرصة العقلية للتفكيـر فيما يعرض عليه،واستخلاص الحـقائق منه بعد أن اختلطت بالزيف والأوهام خاصة وأن انفعالاته بالأحداث التي تعـرض أمامه حاضرة ثائرة يتلاعب بها ويوجهـها حـيث يشاء منفذو هذا العـمل الفني،الذي من ورائه أيدٍ أجنبـية ـ تمويلاً وتنفيذاً ـ بهدف إيصال رسالة للمشاهد المسلم تقول له: إن بني قومك خائنون يتآمرون

(١) سورة المائدة: ١٣ .
(٢) النساء: ١٥٣ .
(٣) المائدة: ١٣ .
(٤) المائدة: ٦٢ .
(٥) المائدة: ٨٢ .

بك، ويسلمـونك للحرب التي يخـبرون العدو بهـا سلفاً، كي تذبح ذبح الـشاة على قربان الدولـة الصهيـونية التي لا تقـهر، وأن الصـهاينة بيـدهم مقـدرات الأمور في المنطقة، يفعلون مـا يشاؤون وما يريدون، وإنها رسالة تهدف إلى زعـزعة الثقة، وبث اليأس في النفوس التي بقي فيها شيء من الأمل.

إن هدف هذا الفيلم الوثائقي الذي بـثته (B.B.C) بمناسبـة مرور خمسين عـاماً على نكبة فلسطين هو تسريب الإحباط إلى نفوس المسلمين، كي يرضوا بالأمر الواقع ويقبلونه، كـأنه قدر لا يمكن رده، أو الهـرب منه، أو تغييـره أو تبديله، وكـأنما وجدت إسرائيل لتـبقي في المنطقة بقـاء الدهر، وليعلو أبناؤها بغيـر الحق، وليقولوا كمـا قال سابقون لهم من قبل: «من أشد منا قوة؟» فجاءهم الجواب المفحم: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[1] ، ولسوف يأتي الجـواب لبني إسرائيل عـما قريب إن شـاء الله، وهو جواب أخبـرنا به رسول الله ﷺ في قوله الذي رواه ابن عمر ٪ : «**لتقـاتلن اليهود فلتـقتلنهم**»[2]، فحالة الشـرود والضياع والتمزق والضعف التي تحياها الأمة الآن لن تستمر على الدوام؛ لأن هذه الأمة تقوم من وسط الركام، وعلى غير انتظار، فتنفض عنهـا غبار الهوان، وتواجه الأعداء الذين سرعان ما يتـراجعون ويتخاذلون حين يرون أن المارد قد خـرج من القمقم، وأن النائم قد استيقظ ودب فيه النشاط، وهذه صحائف التاريخ شاهدة على ما نقول، ابتداءً من الصليبيين والتتار، وانتهاء بالتخلص من الاستعمار في المنطقة، فرحل وترك غرسه المشؤوم وعوسجة الشائك إسرائيل التي ستلقى ـ إن شاء الله ـ ما لاقاه غيرها من المعتدين.

٦ ـ مكمن الخطر:

غير أن أخطر مـا يواجه المسلمين هو الغزو الذي يتسلل إلى المشاعـر والعقول، والسيطرة عليهمـا من خلال المطبوعات المختلفة التي يكتب فيـها المفكرون العالميون، فيبثون في مقالتهم التـهويل والتضليل من خلال الضغط على موقف معين أو مس بؤرة حساسة، أو التركيز على خيانة البعض، وهذه الوسيلة لا تصل في الغالب إلا للقارئين أو لخاصتهم الذين يتـبعون ما تنتجه المطابع، وكثيرون منهـم يستطيعون ـ إن شاؤوا ـ أن يميزوا السمين من الغث، والمقبـول من المرفوض، فنتيجة الوسيلة غيـر عامة وغير

(١) فصلت: ١٥.
(٢) سبق تخريجه.

فعالة، ومـعارضة من هنا وهناك في كـثير من الأحيـان. . وإذن فلتكن هناك وسيلة أخرى يصعب الرد القريب على تضليلاتها، لحاجـتها إلى الوقت والمال والجهد الكثير، وسيلة تصل إلى جـميع الناس في بيوتهم من غيـر كلفة تذكر عـبر الشاشة الصـغيرة، فيرونها وهم مستريحون، فتثير عواطفهم بمشهد قاتم حزين، أو موقف مثير، أو حدث شنيع، ثم تضـرب على أوتار هذه العاطـفة بزيادة الكراهيـة بالواقع العربي الإسـلامي المشين، حتى تفقـد النفوس ثقتها، ولا تطالب أو تعمل من أجل القـضاء على عدوها واستـخلاص الحق السليب منه، لكأن أمثـال هذه الأفلام تقول للـناس الذين يعملون على استعادة فلسطين، وينشرون الأمل بالعودة إلـى الأرض المباركة وعدم الاستسلام في مرحلة السلام أو إن شـئت التسمية الصـحيحة في «مرحلة الـتسليم في إسرائيل» بكل ما اغتـصبت وسرقت وتوقيع الصكوك والمواثيق على ذلك، وهذه هي التســمية الحقيقية للمرحلة الحالية التي يطلقون عليها مرحلة السلام.

أمثال هذه الأفـلام تقول للناس العاملين على بيان الزيف: «لا تحـرثوا في البحر»، فلا فائدة من عـملكم ولا التفات لأقوالكم، فـقد صكت عاصفـة الصهيونيـة الهوجاء الأسماع، وجـعلت على الأبصار غشاوة، فلم يعـد الحق مسموعـاً، ولم يعد السارق مرئياً فعم تتكلمون؟ ومن يا ترى تصفون؟ إن القاعـدة العريضة من الشعوب الإسلامية تصاب بالألم والحزن حين تشاهد أمـثال هذه الأفلام، وتصاب بالإحباط لمصيـر القضية الفلسطينيـة التي ضمرت حـتى صار الأخـذ والرد والجلوس على موائد المفـاوضات، والقيام دون وصول إلى أي اتفاقات وصارت النقـاشات تدور هل الانسحاب من الضفة بنسبة ١٣٪ من المساحـة الكلية أو هو أقل من ذلك ؟ وهذا الضمور في حـد ذاته جعل اهتمام بعض الناس ينصرف عن هذه الـقضية ـ الآن على الأقل ـ ثم تأتي هذه المؤثرات الفنية المصنوعة بأيد أجنبية؛ لتقضي على البقية الباقية من اهتمام الناس ولتقول لهم في نفس الوقت: إن الصـهاينة لا يُقهـرون وأنهم لا يغلبهم أحـد، وأنهم حققـوا خلال خمسين عـاماً لم يستطع غيـرهم أن يحققه حـيث صاروا قوة نووية وبلداً تشـيع فيه الديمقراطية فـماذا عندكم؟ وماذا حققـتم؟ ولئن استطاع البعض معـرفة الهدف، فلن تنطلي عليـه الحيل، فإن كـثيرين قـد يغيب عنهم الهـدف وقد تنطلي عليهـم الحيل فيكفـون أيديهم عن مواصلة المطـالبة باستـرداد الأرض، وعودة القـدس والرضا بما تقدمه لهم الدولة اليهودية إن شاءت أن تقدم شيئاً لهم.

رابعًا: الإغفال المتعمد للجوانب المضيئة في تاريخ الأمة

إن الإعلام يسعى لإظهار بعض المذابح الإسرائيلية وبعض الخيانات العربية، ويغفل أموراً مضيئة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، لا لشيء إلا لأنها تظهر الكفاءة العربية والحنكة السياسية في الجانب العربي، ومن هذه الأشياء:

١ـ إغفال موقف الجندي العربي في وجه إسرائيل سنة ١٩٧٣م.

٢ـ إغفال موقف الملك فيصل في حرب ٧٣.

٣ـ إغفال دور الحركات الإسلامية الفدائية (حماس وجهاد الشعب اللبناني في جنوب لبنان).

٤ـ وقبل ذلك كله إغفال الدور الذي قام به «الإخوان المسلمون» في حرب فلسطين.

١ ـ دور الجندي العربي في حرب سنة ٧٣:

فالجندي العربي في حرب سنة ١٩٧٣م أنه ليس أقل كفاءة من الجندي الإسرائيلي، بل إن الجندي العربي أثبت أنه ـ حين تتاح له الظروف المناسبة من تخطيط للمعركة وتدريب جيد وسلاح غير قديم ـ يستطيع أن يحقق النصر على العدو مهما كانت الصعوبات والمعوقات، ولقد كثرت الصعوبات أمامه في حرب ٧٣ لتصده عن الهجوم، ولتحطم نفسه قبل أن يفكر في الزحف نحو عدوه، فكان المانع المائي يحول بينه وبين العدو على طول قناة السويس.

وكان الساتر الترابي خلف هذا المانع المائي يصد العيون عن أن تدرك ما يدور خلفه من ترسانات سلاح للعدو، ثم بعد هذه الموانع يأتي المانع الكبير «خط بارليف» الذي كان من المقرر ألا يقتحم أبداً، فماذا حدث حين أخذنا بقول الله: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[1]. لقد أعددنا ما استطعنا وعلم الله منا الصدق في الإعداد.. فأنزل علينا نصره بعد أن كان هتاف الجنود وهم يقتحمون هذه الموانع كلها «الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ولله الحمد» ومثل هذا الجندي كان أخوه في الجولان يثبت جدارته وبسالته وسط ظروف صعبة، ولولا أن أمريكا كانت ترسل دباباتها

---

(١) الأنفال: ٦٠.

لتنزل في أقرب مطار إلى مواقع القـتال، كي تنطلق منها إلى القتال مـباشرة، ولولا الجسر الجوي الذي صنعته أمريكا لكان لهذه المعركة وجه آخر.

٢ـ موقف عظيم لملك كبير:

ولقد كان موقف الملك/ **فيصل بن عـبد العزيز** ـ رحمه الله ـ موقفاً له أثره في مجريات القتـال، وفي تنبيه الغرب إلى ما يملكه الجـانب العربي من أسلحة يمكن أن توقف حركة الحياة الصناعية في الدول الغربـية، فقام بقطع البترول عن الدول الغربية، وتبـعه في ذلك قـادة الدول النفطية وأحس الغـرب مدى الخطر حـين تم استـخدام البترول العربي كســلاح له أهدافه في حرب أكتوبر، فلم يتخذ عشـوائيًّا بغير خطة، ولكن استخدم بصورة فـعالة حيث أكد الملك فيصل في لقائه بـ «كسـينجر» أن البترول العربي لن يعود إلى ما كان عليه إلا إذا عادت الأرض المحتلـة ومعها القدس العربية، وأن على الولايات المتـحدة ألا تنتظر شـتاءً واحـداً قاسـياً، وإنما يمكن أن تنتظر توقـف إمدادات البترول حتى ١٩٨٠؛ ولذلك ولأول مرة يجتمع وزراء بترول الدول العربية في ١٧ أكتوبر واتخذوا توصية بخفض الإنتاج بنسبة شهرية ومتكررة لا تقل عن ٥¥ من الإنتاج الفعلي لشهر سبـتمبر ويبدأ التخفـيض من نوفمبر حتى تفرض المجمـوعة الدولية على إسرائيل التخـلي عن الأراضي العربيـة، ووقف تزويد الولايات المتحـدة وهولندا بالبتـرول وبلغ إجمالي ما فقده العالم من البترول العربي يومياً ٤١٨ مليون برميل يوميًا.

مما يعني أن بعض الدول العربيـة رفعت نسبة التـخفيض إلى ١٥¥ ثم إلى ٥٠¥ ويلاحظ أن استخدام السلاح العربي جـاء بعد عشرة أيام من وقف إطلاق النار وبالتالي تحول البترول العربي من ســلاح مسـاند للتحرك العسكري إلى السـلاح الرئيسي في الصراع، فهل تعرض الفيلم الوثائقي لشيء من ذلك ؟

ولقد كان للملكـة العربية السعودية دورها الذي لا ينكر فـي هذا الصراع العربي الإسرائيلي، فقد كانت رائدة في استخـدام سلاح البترول وكانت ـ وما تزال ـ إحدى الدعامات القوية في المواجـهة مع العدو الصهيوني، بل في مواجهـة كل معتد، ولو كان من العرب أنفسهم كما حدث حين اعتدى صدام على الكويت.

٣ـ كفاح الإخوان المسلمين:

أغفل هذا الفيلم الدور الريادي لكفاح الشعوب بصـلابة وقوة وفدائية ضد الأعداء

حين أغـفل دور الإخوان المسلمين في حـرب فلسطين، وهو دور لم تموله حكومـة، ولم تؤيده وتسانده دولة، وإنما كان الإيمان والعقيدة دافـعه، وكان أصحابه والقائمون به يؤمنون بقول الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[1].

فاشتروا بأموالهم السلاح وحملوه بأنفسهم إلى حيث يواجهون المغتصبين لأرض المسلمين في فلسطين؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾[2]، وكنت تراهم في قلتهم وخشونة حياتهم، وقلة الزاد مـعهم ثم ترى عدوهم في كثرة سلاحه وعتاده، ووقوف العالم الغربي من خلفه، فتظن أن هذه القلة المؤمنة ضائعة، ولكنهم كانوا يؤمنون بقول الله: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[3]، وكانوا يؤمنون بقول الله: ﴿**إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ**﴾[4].

وكان لـهؤلاء مـواقف أبلوا فيـها بلاء حـسناً، وأذاقوا اليـهود الأهوال، حـتى استغاث اليـهود بالدول الغربية لإيقاف هذه النوعـية من جنود الإسلام الذين لم يكن لهم في ظن اليـهود حـسـاب، فصـار اليهـود لا هم لهم إلا إيقـاف هؤلاء الجنود، فاسـتغاثوا بالدول الغربيـة فاجتمـع وزراء خارجيتـهم في « فايد » مع رئيس الوزراء المصري آنذاك وكان إيقاف الإخوان عن الجهاد بإصـدار أمر إليهم بالتوقف عن القتال ونقلهم من أرض المعركة إلى بطون المعتقلات المصرية، فهل أشار الفيلم الوثائقي إلى شيء من ذلك؟ لم يشر أدنى إشارة إلى هذا الأمر.

٤ ـ الجهاد الحاضر:

أغفل هذا الـفيلم الدور الذي تقـوم به الحركة الجـهادية الفـدائية (حـماس) في مواجهة هذا العـدو الشرس مما جعله يشكو مواجعه وجـراحه ويضغط ـ بشدة ـ على السلطة الفلسطينيـة بكل وسيـلة كي توقف جـهاد هـذه الحـركـة بحـجة مكافـحة (الإرهاب)!!! وكأن اغـتصـاب الأرض وانتهاك العـرض، وممارسة الطرد والتـشريد لأبناء فلسطين ليس إرهاباً، فهل أشار الفيلم إلى أي دور تقوم به حماس؟

أغفل الفيلم الدور الكفاحي للشعب اللبناني في الجنوب وللحركات الجهادية فيه

---

(١) التوبة: ١١١ . (٢) الأنفال: ٧٢ .

(٣) البقرة: ٢٤٩ . (٤) الأنفال: ٦٥ .

التي أقلقت العدو وأذاقته والويـل والثبـور، حتى إنـه صار يطلب ـ الآن ـ الانسحاب من الجنوب بشروط، كي يسلـم من هول ما يذوقه على يد أبناء الشـعب اللبناني، الذين عرفوا كيف يواجـهون الغطرسة الإسرائيلية، ويذلون كبـرياءها، فتطلب ـ لأول مرة ـ أن تنسحب من أرض اغتصبتها، فهل أشار الفيلم لشيء من ذلك؟

نمودج لتشويه القضية الفلسطينية

وخلاصة الأمر أن هدف الإعلام اليهودي والذي يمثل فيه «الفيلم الوثائقي» نموذجاً لتشويه القضية الفلسطينية الإسلامية؛ إن هذا الفيلم وغيره له هدف محدد هو إصابة المواطن العربي خاصة والمسلم عامة بالإحباط، الذي هو عبارة عن مجموعة من المشاعر المؤلمة، تنتج عن عجز الإنسان عن الوصول إلى هدف ضروري لإشباع حاجة ملحة، وهذا الإحباط آفة من آفات النفس، يعوق فيها الإرادة الدافقة، ويوقف الهمة العالية، ويبعث الوهن والضعف في القلوب، فتقل مقاومتها وتفتر، ويجعلها أقرب إلى اليأس منها إلى الرجاء، وإلى الحنق والغضب منها إلى الرضا.

وماذا تنتظر ـ بعد ذلك ـ من نفس واهنة وهمة فاترة، أفسد سعيها الإحباط وفض قوتها التثبيط ؟ وكيف لهذه النفس أن تبدع فكراً. أو ترفع إنتاجاً، أو تدفع عدوًا، أو تزيل شرًا، أو تصنع خيراً؟ ومن ثم تنعكس هذه الحالة النفسية الواهية الفاترة على المجتمع، فتلمح فيه آثار السلبية بادية وآثار التواكل ظاهرة، ثم نرى حالة الخور والفتور غير خافية على أحد، ثم لا تجد من تبث له الشكوى، حتى يخف المصاب، ويهون الخطب، ويقل الفساد.

إن الهزيمة النفسية لأي فرد أو لأي مجتمع وأمة لا تقل أثراً عن الهزيمة المادية، بل قد تزيد، والذين يتعرضون لإحباطات شديدة كثيرة يتوالى عليهم الإحساس بالفقدان والعدم، ثم الحرمان، ثم الصراع الداخلي ، مما يجعل حركتهم في الحياة مضطربة غير سوية، يستوي في ذلك أن يكون سبب هذا الإحباط ماديًا خارجيًا أو نفسيًا معنويًا، فكلا الأمرين صعب مردوده على النفس السوية، وعلى المجتمع المتماسك؛ لأن هذا الإحباط غالباً ما يدفع إلى «النكوص في السلوك والتدهور في التفكير والارتداد إلى أساليب سلوكية غير ناجحة»، مما يضعف من إنتاجية الفرد، ويحد من قدرته على الرقي العملي والعلمي والنفسي، ويجعل منزلته ـ كفرد عزيز في وطنه له شأن بين إخوانه ـ في مهب الريح، وهل بمثل هؤلاء الأفراد ترقى أمة أو تصان دولة ؟ إن الإحباط قاتل للمعنويات؛ لأنه سم بطيء ينتشر في جسم الأمة فيضعف ـ على الأيام ـ مقاومتها، ويقيد عزتها وكبرياءها بين الناس وبين الأمم، فكيف تظهر فتية أبية، ترفض الضيم وتأبى الذل؟

وهذا ما أراده صانعو هذا الفيلم، فهل بعد هذا يقول أحد: إنه فيلم حيادي أو وثائقي؟ إنه يوثق الزيف والتضليل والخداع . . . فهل نعي ذلك؟

خامساً: حركة المقاومة «حماس» بين المطرقة والسندان

١ ـ مداد دافق ودماء تتوقف:

لم تنل أي قضية في القرن العشرين ما نالته قضية فلسطين من مداد وأوراق ودماء وقرارات ووعود وتنصلات وإخلاف، وما تزال هذه القضية الشغل الشاغل للناس بعد أن كثر فيها صب المداد ونضب بل توقف تقديم الدماء، إن مداد الكاتبين والمعلقين والمحللين للاتفاقات السرية والعلنية، والعهود والمواثيق التي يقدمها المسؤولون في الشرق الأوسط بضمانة أمريكية روسية أو أمريكية أوروبية، إن هذا المداد ساعد في تسكين عامة للناس، الذين فرحوا بسراب السلام بعد أن منتهم حكوماتهم بالمن والسلوى، والعسل والحلوى، ثم بعد سنوات لم يجدوا في حلوقهم إلا مذاق الحنظل، ومرارة الصبر؛ لأنهم أدركوا أن واقع الحال ينبئ عن وهم كبير أسفرت عنه مفاوضات السلام، وينبئ ذلك عن خداع عظيم من جانب الصهاينة الذين يعدون ثم يخلفون، ويعاهدون ثم يغدرون، ويوثقون عقودهم ثم ينقضون.

عاش عامة الناس في وهم كبير؛ أملاً في عهد جديد تجف فيه الدماء، وتسيل فيه الخيرات في البلاد، فما وجدوا بعد أن أمن الإسرائيليون على دمائهم وأنفسهم إلا الشر والبلاء، وملاحقة الشرفاء، واعتداء اليهود واجتراءهم على كل من يقف في طريقهم، فهدموا البيوت وتوسعوا في المستوطنات، وقتلوا الفلسطينيين، وأقاموا الأنفاق تحت المسجد الأقصى في محاولة لهدمه، وتهيئة لإقامة هيكلهم مكانه ـ ولو بعد حين.

ولم تكن تصرفات إسرائيل تخفى على نفر من الذين نكبوا في فلسطين؛ لأن الطبيعة اليهودية التي تتلون تلون الحرباء، لم تعد تخفى على الفاهمين، حتى ولو غطى هؤلاء اليهود جلودهم بأنواع من الثياب وألوان من الطلاء.

فأبان الفاهمون زيف دعوة السلام وحركوا جماهير الفلسطينيين في غزة والضفة فيما عرف بالانتفاضة، وظهرت منظمات جهادية تعمل على ترويع الصهيونيين وتعكر صفوهم من حين إلى حين، فما كان من إسرائيل إلا أن لانت قناتها، وبدأت في السر محادثاتها التي تفتقت عن إعلان مدريد سنة ١٩٩١ ثم أوسلو ١٩٩٣، وظهرت السلطة الفلسطينية، وكأنها حامية حمى فلسطين من دون المسلمين، والمتطرف الوحيد في كل ما

يدور حولها مع إسرائيل التي انتهزت بدورها الفـرصة السانحة، كي تنفرد بهذه السلطة وسط ضغوط عالمية لتأخذ منها صكًّا ممهوراً بإنهاء هذه القضية مقابل أمرين.

٢ـ ثمن بخس:

إرجاع غـزة بعد أن أذاق أهلها إسـرائيل الويلات نتيجـة ما قامـوا به من إضرابات واحتجاجات، وانتـفاضة عارمة، وإنزال ضربات فدائية موجـعة بإسرائيل وإرجاع جزء من الضفة الغـربية لا يزيد حتى الآن عن ٤٠٪ تخضع أجزاء قـليلة منها للسلطة إداريًا وسياسـيًا، وأجزاء تخضع إداريًا فقط للسلطة، ومـساحة الأرض التي ستحـصل عليها السلطة في النهاية إذا قيـست بكامل الأرض الفلسطينية التي اغتصبـها العدو لا تساوي شيئاً يذكر، ونظرة سريعة على الأرقام تبين ما نقول: ففي سنة ١٩١٦م كانت أملاك اليهود (٢٤١,٠٠٠) دونم من مسـاحة فلسطين التي تبلـغ (٢٧,٠٢٧,٣١) دونم كانت الدولة تملك منها سـنة ١٩١٨ (١٢,٠٠٠,٠٠٠) دونم ويملك العرب (١٣,٦٧٣,٣٢) دونم، ويملك اليـهود (٦٥٠) دونم، أي أن اليـهود كـانوا يملكون سنة ١٩١٨م ٢,٥٪ فهـل ما ستحصل عليه السلطة بعد التنازلات الكثيرة يصل إلى ٢,٥٪ من مجموع أراضي فلسطين المغتصـبة؟!! إن الإجابة الواقعية خـير من كل كلام، حيث إن مساحـة فلسطين ـ كما تم تسجـيلها في عهد الانتـداب البريطاني ـ هي ٢٨١,٢٠٠ كم٢، وقد أعطت هيـئة الأمم المتحدة إسرائيل ٥٤٪ من هذه المساحة وأعطت الفلسطينيين ٤٦٪ عند إقرار التقسيم سنة ١٩٤٧م وهو ما رفضه الفلسـطينيون، لأن الأرض التي كانت تحت أيديهم حين ذاك تزيد عن هذه المساحـة كثيراً. وفي سنة ٦٧ اسـتولت إسرائيل على كـامل التراب الفلسطيني، ووضعت يدها على الضفة وغزة ومساحتهما ٥٧٠٠ كم٢، وحديث السلام يدور حولهما فقط دون غيرهما من الأرض، فإن الأخـذ والرد والاتفاقات والوساطات الدولية والتلكؤ الإسرائيلي والتنازل الفلسطيني يدور كله حول ١٨٪ من مساحة فلسطين المغتصبة.

ورغم الطنطنة والدعاية والصور والفلاشات للتوقيع على الاتفاقات بحضور عدد من الزعامات، فإن كل ما حـصلت عليه السلطة من الأرض الفلسطينية لا يعادل أبداً التنازلات الكبيرة والخطيرة التي قدمتها.

ويستمـر مسلسل التمدد الإسـرائيلي في الاستمرار، فـتعلو كل يوم في أراضي الضفة مـستوطنات جديدة تعلن تحدياً جـديداً للعالم الإسلامي وتحمي بالتـصريحات الرسمية لباراك الذي أعلن: «لا» لإيقاف المستوطنات، فما المقابل في جانب السلطة؟.

٣- حراسة السلطة للأمن الإسرائيلي:

قيام أجهزة الأمن في السلطة الفلسطينية باختراق الجماعات المناهضة لاتفاق « أوسلو » وتوجيه ضربات قاصمة إليها بغية تصفية وجودها التنظيمي والسياسي والعسكري حسبما ورد في مذكرة التفاهم التي تم التوصل إليها في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٩٧م بين أجهزة الأمن الإسرائيلية والفلسطينية بإشراف وكالة الاستخبارات المركزية، على حد قول الكاتبة «تانيارا ينهارت» المنشور في نشرة «ذي آذر فرونت» في عددها الصادر في ٢٢ أبريل سنة ١٩٩٨م.

وقد تمت تصفية عدد من الناشطين في حماس منهم :

محيي الدين الشريف، ويحيى عياش، وعادل عوض الله، وعماد عوض الله، ود. فتحي الشقاقي الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي.

وتم تحديد إقامة الشيخ أحمد ياسين في بيته بعد تفتيشه ومنعه من الخروج حتى لصلاة الجمعة بعد قطع الاتصال التليفوني عنه، واعتقل من أعضاء حركة المقاومة الإسلامية حماس ما يقرب من ١٠٠٠ شخص، وأمر اللواء غازي الجبالي قائد الشرطة في غزة في ٢/ ١١/ ١٩٩٨م بإطلاق النار على أي رجل ناشط من شباب المقاومة يقترب كثيراً من (المواقع الإسرائيلية) وبهذا تبنى رجال السلطة مشروع الأمن الإسرائيلي وليس الفلسطيني، وخاصة بعد قيام المخابرات المركزية الأمريكية بتدريب ضباط الأمن الفلسطينيين في قاعدة سرية في ولاية نورث كارولينا (على حد قول صحيفة نيويورك تايمز في ٢٣/ ١٠/ ٩٨) وقالت الصحيفة المذكورة: إن هدف التدريب هو رفع الكفاءة المهنية لأولئك الضباط وتعزيز ثقة إسرائيل بهم، وقد تمثلت هذه الثقة الإسرائيلية في إلغاء السلطة للميثاق الوطني الفلسطيني، وجمع الأسلحة من الفلسطينيين، واعتقال المطلوبين لإسرائيل، وتقليص قوات الشرطة الفلسطينية، ووضع خطة مفصلة لمكافحة (الإرهاب) الذي لا يعني غير الجماعات التي تقوم بأعمال فدائية داخل إسرائيل، والعناصر المعارضة للاتفاقات؛ الاستسلامية التي تقوم بها السلطة الفلسطينية، ومعنى ذلك إسكات كل صوت معارض لأي اتفاق يتم وأي تنازل يحدث مهما كانت خسائره جسيمة، وفي مقابل، ذلك فإن للمستوطنين الإسرائيليين الحرية الكاملة في التسلح وقتل الفلسطينيين، وهدم بيوتهم، وللأحزاب

الإسرائيليــة كذلك حرية مطلقــة في ممارسة كافة أشكــال النقد والمعارضة للاتفــاقات فضلا عن حريتها في المطالبة بطرد الفلسطينيين.

في ضوء الاتفاقات المتتالية، التي يعدل لاحقــها منها، وينسخ حاضرها ماضيها، يتم تكريس الاستيطان في الضفة الغربية بحيث يُصبح كتلة جغرافية متواصلة بعد أن كان نقاطاً معزولة في الفضاء العربي وتتحول التجمعات السكانية العربية إلى نقاط منعزلة لا رابطة بينها.

٤ ـ ضرب الحركات الفدائية:

وهذه الاتفاقات الأمنية التي تربط حــسن سلوك السلطة الفلسطينية لدى واشنطن وتل أبيب بمدى المجهود الذي تبــذله على صعيد التعاون والتنســيق الأمني، والوقوف بقوة في وجه أي عمل فدائي استشهادي تقوم به حماس أو حركة الجهاد الإسلامي لم تكن تتم إلا بمباركة ومساعدة من بعض الأنظمة العــربية، ولعل هذا الرضا بالقضاء على كل صوت أو عمل يعارض الاتفاقات الجارية كان الــدافع الأول وراء ما حدث لقادة حماس الذين صدر الأمر باعتقالهم، وإغلاق مكتب حماس في الأردن بحجة مخالفته للقوانين الأردنية، وأنه يستغل لنشاطات وأعمال تنظيمية غير أردنيــة وغير مشروعة !! نعم لقد أصبحت الأعمال الجهادية ضد العدو المغتصب غير مشروعة، وأصبح الصوت الرافض للتنازلات الفلسطينية المتواليــة، والمعبر عن مشــاعر ملايين المسلمين في الأرض غيــر مشروع، ومن ثم نصــيبه التضييق الحركي والتشويه الإعلامي، وملاحقة أفراده بالاعتقال، ووضع قادته تحت القبضة القوية حتى ينشغلوا بأنفسهم عن غيرهم، ويستريح منهم عدوهم الإسرائيلي؛ لأن إخوانهم كفوا أيديهم وشلوا حــركتهم، وأودعوهم بطون السجون مع اللصــوص والمجرمين والقتلة وتجار المخدرات والمــشبوهين، مع أن مكانهم ينبغي أن يــكون في العلياء؛ لأنهم هم الذين يرفضون الخنوع والخضوع للضغوط الأمــريكية والصهيونية، التي لا تريد من أحد أن يعكر صفو الاتفاقات أو يقوم بالاعتراض على التنازلات.

لقد شددت القبضة على كل منتم لحــماس، خاصة بعد سنة ١٩٩٦م، التي تبلورت فيها بشكل واضح التــخاذلات من جانب السلطة الفلسطينية، وظهرت مــحاولات فدائية وبدا أن هناك استــعدادا للفداء والاستشــهاد وهو ما لا تريده إسرائيل، ومــن ثم عقدت مؤتمرات أمنية حــضر بعضها كلينتون تحت زعم مــحاربة الإرهاب، ولم يكن المعني بها أولا وأخيرا إلا مقاومة كل تحرك من أي جــانب إسلامي ضد ما تقوم به إسرائيل، التي

قامت حكومتها علناً بارتكاب مذبحة قانا، وقام أفرادها بمذابح شتى منها مذبحة الحرم الإبراهيمي، وقامت منظماتها اليهودية بأعمال إرهابية تنفذها ضد الأراضي والأهالي والمنشئات والأماكن المقدسة دون أن تقول أي جهة: إن هذا إرهاب.

٥ ـ تحذير وإنذار:

والذي حدث ويحدث لحماس هو رسالة إنذار لكل جهة أو مؤسسة أو جماعة يخطر على بالها أن تعارض أي تنازل ـ وإن كبر حجمه ـ في المرحلة القادمة، مرحلة مفاوضات الحل النهائي التي من المتوقع أن تبدأ قريباً لتحسم قضايا (القدس والدولة، واللاجئين، والمستوطنات، والحدود والمياه) وهي قضايا لابد فيها من تنازلات كثيرة من جانب السلطة بعد ظهور التشدد الإسرائيلي في لاءات باراك ـ التي تترجم سياسة الحكومة الإسرائيلية وهي لا للعودة إلى حدود سنة ١٩٦٧م، ولا لتقسيم مدينة القدس؛ لأنها ستبقى عاصمة أبدية لإسرائيل، ولا لإيقاف المستوطنات، ولا لعودة اللاجئين وهي كلها قضايا مهمة تتعلق بمصير الفلسطينيين أولا وبالوضع العام في دول المنطقة ثانياً، ولقد بدأت مرحلة التفاوض على الحل النهائي بداية خاطئة حيث قبلت السلطة أن تتفاوض على هذه القضايا المهمة المعلقة، قبل أن توقف إسرائيل الاستيطان وقبل إكمال المرحلة الانتقالية، وهذا بداية التنازلات إزاء التشدد الإسرائيلي الذي لم يقف عند حد تصريحات باراك، بل ظهر بوضوح على الأرض المحتلة حيث أقام باراك من المستوطنات في ثلاثة أشهر ما فاق به سابقه نتنياهو في كل ما أقامه من مستوطنات طيلة مدة حكمه، وصادر ألف هكتار من أراضي قرية إذنا جنوب الخليل لتحويلها إلى حقل تدريب.

تنازلات السلطة آتية لا شك في ذلك خاصة فيما يتصل بالقدس وعودة اللاجئين، مما يستفز مشاعر الشعوب الإسلامية قاطبة، وقد يثير موجة من الاستياء في الداخل والخارج؛ لذا لابد من إسكات جميع الأصوات المعارضة لعملية التسوية ولجم أي تحرك ضدها، وإغلاق مكتب حماس واعتقال العاملين فيها والقبض على قادتها بعد رجوعهم من الخارج خطوة ممهدة أو مصاحبة لتهيئة المناخ لمحادثات الوضع النهائي دون اعتراض من أحد، ويؤكد ذلك أن هذه الإجراءات تمت قبل ساعات من وصول أولبرايت إلى المنطقة للمشاركة في التوقيع النهائي على اتفاق (واي٢) الذي تم التوقيع عليه في شرم الشيخ المصرية بحضور عدد من القادة العرب.

٦ـ خطوة في الاتجاه المعاكس:

والمفاوضون العرب يجانبهم الصواب حين يسكتون كل رأي معارض، أو عمل من أعمال المقاومة، فلا يصبح في أيديهم أي عنصر من عناصر الضغط أو المقاومة التي تجبر العدو على التسليم ببعض المطالب الضرورية أو على الأقل على عدم التشدد فيما يطلبه من تنازلات من جانب السلطة.

والدليل الحي المشاهد هو إصرار إسرائيل وإعلان المسؤولين فيها عن انسحابها من لبنان في يوليو القادم من طرف واحد، وما كان لإسرائيل أن تفعل ذلك إلا تحت ضغط المقاومة في الجنوب حيث تخسر إسرائيل بعض الأرواح، وهي وإن كانت قليلة إلا أن استمرارها يشكل نزيفاً مُسْتَمِرًا، وألماً دائماً للحكومة الإسرائيلية، مما لم تعد تحمله، ورغم ما تقوم به من قصف شبه دائم للبنان، فإن الحكومة اللبنانية تعلن أن المقاومة جزء من الشعب اللبناني لا يمكن تحجيمها أو ضربها أو إسكاتها.

ولو أن الحركات الفدائية الاستشهادية التي كانت تقوم بها حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وحركة الجهاد الإسلامي استمرت في دورها الجهادى، ولم تجد ضغوطاً قوية ـ وصلت إلى تصفية بعض عناصرها ـ من السلطة الفلسطينية ومن بعض الحكومات العربية لاستطاعت السلطة الفلسطينية أن تحقق ـ حتى عن طريق المفاوضات ـ لنفسها ولأبناء فلسطين كثيراً، وعلى أقل تقدير لكانت استطاعت تحقيق ما اتفقت عليه في أوسلو.

ومنه على سبيل التذكرة: الحصول على **٩٠٪** من أراضي الضفة الغربية، فهل تحقق ذلك ؟ إن كل ما تم الحصول عليه من الأرض سواء كانت تحت الإشراف الكامل من السلطة أو الإشراف المشترك بينها وبين إسرائيل لم يزد، بل يقل عن **٤٠٪** من مساحة أرض الضفة وغزة.

إن العدو لا يعرف غير القوة العسكرية، وقد كانت قوة الحركات الفدائية سنداً ودعماً لموقف المفاوض الفلسطيني الذي يلوح بأن هذا هو البديل لوقف المفاوضات ومواجهة التعنت الإسرائيلي، فإذا ما قضى على هذه الحركات الفدائية، فإن المفوض الفلسطيني جرد نفسه من كل بديل. وما عليه أن يقبل ـ صاغراً ـ ما تعرضه عليه إسرائيل إلا . . .

ويبدو أننا في العالم العربي لا نتعلم من دروس التاريخ، فلقد كانت الحرب في فيتنام مشتعلة والمفاوضات دائرة؛ لأن سلاح الحرب يجعل المفاوضات حامية ومسرعة ولكننا دأبنا على تحجيم كل عناصر القوة والبطش والتنكيل بها، منذ أن أُخذ الإخوان المسلمون الذين أبلـوا أعظم البلاء في حرب فلسطين ـ بشـهادة المحايدين من الخـبراء العسكريين ـ أخذوا من الميدان إلى المعتـقل. وعلى طريقهم هذا عوملت كل حركة ناشطة صادقة في دفاعها عن الدين والوطن، حتى وصل الأمر إلى حماس على النحو الذي نراه ونعرفه اليوم.

٧ـ نموذج لمعاملة الآخرين:

هذا ما نفعله بالمجاهدين عندنا أما في الجـانب المقابل، فإن أبرز عناصر الإجرام التي قامت بمذابح ضـد الفلسطينيين تولت رئاسة الوزراء الإسـرائيلية، ومن لم يصل منهم إلى هذا المنصب ظل له الاحتـرام والتقدير، وعومل أحسن مـعاملة، وظل آمناً في مكانه لا تمتد له يد بإيذاء رغم انتقاده لحكومته أحيـاناً، وتوليه زعامة المعارضة أحياناً أخرى فهـا هو ذا «أرييل شارون» الصهيـوني المتعصب الذي يسيـر على درب زعماء المنظمات الإرهابية اليهودية التي قامت بأبشع الجرائم في فلسطين لم يتوقف يوماً عن سفك دماء الفلسطينيين والعـرب. لقد شارك مع (العصابات الصهيـونية) التي كسبت اغتـصاب الأرض في عام ٤٨م وشكل وحدة الـكوماندوز ١٠١ في سنة ٥٣م، التي كانت في الحقيـقة وحدة للقتل، ومن جرائمها في ذلك الوقت «مذبحـة كفر قاسم» التي قتل فيها ٤٨ فلاحاً فلسطينيًا.

وبعد أن أثبت الرجل جدارته كقاتل أصبح مؤهلاً لكي يتولى قيادة لواء المظلات في حرب ٥٦، وفي ذروة حرب الاستنزاف في سنة ٧٠ عين قائداً للمنطقة العسكرية الجنوبية، ولأن غزة كانت آنذاك تحت قيادته، فإنه قام بدور في تصفية المقاومة هناك، بعـد ما شكل وحـدة للقـتل عـرفت باسم «ريمون» ونفـذ هناك مشـروعـاً لاقتـلاع اللاجئين، وإعادة إسكانهم ونقل مجموعات منهم إلى رفح، وكان أول من أقام شوارع أوتوسترادات داخل المخـيمات، الأمر الذي اسـتدعى نقل كثيـرين من أماكن سكنهم وأدى إلى إعادة هيكلة المخـيمات. وهي الخلفيـة التي أكسبتـه خبرة في تدميـر البنية التحتية الفلسطينيـة. . استفاد منها فيما بعد. وبعد أن اكتـسب في غزة بجدارة صفته

كقاتل، وجدناه في حرب ٧٣ وفي عملية الثغرة، يكتسب صفة المغامر. وحين أصبح وزيراً للزراعة في حكومة مناحيم بيجن عـام ٧٧، ألقى بكل ثقله في عملية الاستيطان لكي يبلغ بالمغامرة أقصى مدى لها، ويوظفها في خدمة التمدد الإسرائيلي أفقيًا ورأسيًا.

في اجتياح لبنان عام ٨٢ كان شارون المغامـر والقاتل هناك، فقد قاد أول عملية إسرائيلية لاحـتلال عاصمة عربيـة، ونفذ هناك أكبر مذبحة إسـرائيلية خارج فلسطين «صبـرا وشاتيلا» والجريمة الأخـيرة أدانته فـيها لجنة «كـاهان» الأمر الذي اضطره إلى الاستقالة من منصب وزير الدفاع.

وابتداء من عام ٩٠ عاد شارون إلى الواجهة كمـهندس لحركة الاستيطان واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم مرة باعتباره وزيراً لـلبناء والإسكان ومرة باعتباره وزيراً للبنية التحـتيـة. ولم يتخل عن دور القاتل في كـل منها، حتى أعلن صـراحة بعـد فشل محاولة اغتيال «خالد مشعـل» رئيس المكتب السياسي لحركة حماس: أن إسرائيل لن تكف عن محاولة قتله، وهو الذي لا يزال يرفض مصافحة الرئيس ياسر عرفات بحجة أنه إرهابي وقاتل[١] !!

شارون هذا هو الآن زعيم الليكود، الحزب الرئيسي المعارض لحزب العمل الذي يتولى رئيسه باراك رئاسة الحكومة.

فأين من هؤلاء السفاحين القتلة كل القادة الشرفاء الذين حاربوا العدو بصدق وإخلاص؟

إن قادة حمـاس بما يقومون به من أعمـال ضد العدو الإسرائيلي هم في ضـمير كل مـسلم حريص على عـودة القدس، وعـودة المشردين الفـلسطينيين إلى ديارهم، وعودة أرض فلسطين إلى أهلها المسلمين، وإن الذي يلقونه لا يليق بهم ولا ينبغي أن يمارس معهم، بل إنه مخالف لأبسط المبادئ الإنسانية.

ولذا فإن التـخلي من جانب الحكومة الأردنيـة عما تفعله مـعهم سيجـعل لها احتـراماً كبـيراً في قلب كل مسلم، وسـيدرك المسلمون أن الحكومـة لا تخضع لأي ضغوط خارجيـة وأنها تعمل بصدق على السعي خطوة نحو تصـحيح الأوضاع الفلسطينية المتدهورة.

(١) مقال فهمي هويدي: رسميًا إعلان الحرب على المقاومة المنشور في جريدة الوطن بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩٨م.

٨ـ الأفعى اليهودية... قرناء الشر:

هل نحن في حاجة إلى الحديث عن الطبيعة اليهودية بعد أن بينت آيات القرآن الكريم مكرهم وكيدهم وافتراءهم حتى على الرسل والأنبياء، وختلهم وطغيانهم وتجبرهم حين قوتهم، ولينهم وتلونهم في مرحلة ضعفهم، وحبهم للفساد والإفساد وتنكرهم للنعم، وجحدهم المعروف وانتهازهم الفرص، ونقضهم العهود، وجمعهم المال ولو باعوا في سبيله الأعراض، وغير ذلك من مظاهر الشر التي نشأ عليها اليهود، والتي لا تفارقهم في زمن من الأزمان أو مكان من الأمكنة؟ هل نحن في حاجة لبيان شيء من هذه الطبيعة النافرة ؟ نعم نحن في حاجة إلى ذلك بل في مسيس الحاجة إلى ذلك، لا لأن اليهود ينكرون هذه الطبيعة ويعكسون في تصرفاتهم غيرها، فلذلك لم يحدث ولن يحدث، بل لأننا ـ نحن المسلمين ـ الذين تغيرنا فصرنا نصدق دعوى اليهود ومزاعمهم، ولم نعد نحتكم في التعامل معهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، بل جعلنا ـ ونحن نتجه نحوهم لتمتد أيدينا إليهم ـ كتاب الله خلف ظهورنا، فكان أن نالنا على أيديهم ما نالنا مما يعرفه الذين يؤذيهم نقضهم للمعاهدات، وتسويفهم للاتفاقات، وإخلالهم بكل معاني العدل واستمرارهم في نشر الفساد عن طريق الجواسيس أو الغش التجاري، أو التضليل السياسي أو القمع العسكري في أكثر من مكان، أو التغلغل داخل العالم العربي عن طريق المشاركة في المؤتمرات والندوات، وعقد الصفقات طويلة الأمد في مجال الغاز (قطر ـ مصر) وفي مجال السلاح (تركيا) نحن في حاجة دائمة إلى من يذكرنا بالطبيعة اليهودية، حتى نأخذ حذرنا، ونتقي دبيب العقارب التي تتحرك في ديار المسلمين، وتحاول في كل حين أن تكون لها ضحية ظاهرة؛ لتكون عبرة للآخرين، وإن كانت لها ضحايا كثيرة مستترة، وهذه الطبيعة هي التي جعلت أنبياءهم يلعنونهم : ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[١] ، وقد كانت مواقفهم مع أنبيائهم مخزية مشينة، حتى إن القرآن فضحهم بقوله: ﴿...**كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾[٢] ، ولم تتخلف عنهم طبيعتهم في أي زمن من الأزمان، فقد نقضوا عهودهم مع رسول الله ﷺ، وحاولوا قتله، وألبوا عليه المشركين، وتعاونوا معهم في غزوة الأحزاب ولم ينفع

(١) المائدة: ٧٨ .

(٢) المائدة: ٧٠.

معهم أن رسول الله ﷺ بدأ معاملته لهم بالحسنى، فسالمهم حين هاجر إلى المدينة واعترف بحقوقهم، وأعطاهم الضمانات الكافية في «وثيقة المدينة» التي بينت وحددت لهم حقوقهم وواجباتهم نحو المسلمين، ولكن هيهات لطبيعة معوجة أن تستقيم، ولنفوس نافرة أن تقر، هل يستقيم الظل والعود أعوج؟

لقد عاملهم الرسول ﷺ بما يستحقون، فانتهي أمرهم إلى الجلاء عن المدينة والاستقرار بخيبر أولاً ثم بعد ذلك بأذرعات الشام.

فهل فارقتهم طبيعتهم؟ كلا، فقد عملوا ما استطاعوا على إذكاء روح العداء ـ من طريق خفي ـ بين المسلمين، وأشعلوا نيران الفتن بينهم من وراء ستار، واستمروا يندسون في حياة المسؤولين من المسلمين ابتداء من عهد معاوية بن أبي سفيان ٪ إلى العهد الحاضر الذي تولى فيه أحد جواسيسهم منصب وزير في إحدى الدول العربية المجاورة لإسرائيل، وصارت فيهم مفاتيح المال والإعلام التي بها يمكنهم الوصول إلى أهدافهم ولو داسوا في طريقهم مسؤولين كبارا، كما حدث مع كلينتون في قضية مونيكا إحدى العاملات في البيت الأبيض التي احتفظت بثوبها الأزرق الملوث بماء كلينتون سنوات عديدة حتى جاء الوقت المناسب فنشرت ثوبها، ونشرت في الأرض كلها فضيحة كبيرة لأكبر مسؤول عالمي، دون أن يستطيع عن نفسه دفاعاً، ودون أن يملك لنفسه ستاراً يغطي به سوأته أمام الرأي العام العالمي، الذي كان يتابع في الصباح والمساء مذلة رئيس أكبر دولة في العالم على يد يهودية استخدمها اليهود ببراعة، فأدت دورا يماثل دور يهوديات سابقات قمن بالدس والخديعة والقتل والتجسس لساسة شرقيين وغربيين... وهل نستطيع نحن أن نميز بين أصحاب الجنسيات المختلفة الذين نحضرهم إلى بلادنا بين اليهودي وغير اليهودي؟ وإذا لم يفلح تدسسهم في تحقيق ما يرغبون، فإن التشهير كفيل بذلك، وهذا ما حدث أخيراً مع «يورغ هايدر» زعيم حزب الحرية النمساوي سابقاً، فقد فاز حزبه في الانتخابات وشارك في الحكومة، فقامت قيامة إسرائيل وسحبت سفيرها وتبعتها الدول الغربية وقاطعت النمسا جزئيًا، وشهرت بالحزب وبزعيمه حتى استقال من رئاسة الحزب وما زالت التهم تلاحق الحزب حتى بعد استقالة رئيسه وسوف تبقى حتى يخرج الحزب من الحكومة.

إن أصابع اليهود وألاعيبهم تتحرك في ميادين كثيرة، ولكنها في النهاية تصب في منطقتنا؛ لتحقق مصلحة لإسرائيل أو تمنع عنها مضرة، وليس يعنيها سكان

المنطقة الآخرون، ولا بأس من التضحية بهم وبمصالحهم، ومصالح بلادهم من أجل رضا إسرائيل وبقائها وامتصاصها لخير المنطقة.

الطبيعة اليهودية لم تتغير، لكن طبيعة المسلمين تغيرت، فصاروا في حاجة دائمة إلى التذكير بطبيعة المخاتلين، الذين ما ينفكون يعملون ليل نهار من أجل إضعاف المسلمين من حولهم وتفريق جمعهم، وتشتت كلمتهم، حتى لا يبقى بارزاً في مضمار الشرق الأوسط غير اليهود بعد أن وضعوا العراقيل والعوائق في طريق المسلمين.

٩ ـ التدسس اليهودي:

ومما يؤسف له أن المسلمين المعاصرين يفسحون في بلادهم لليهود الذين يندسون ويتجسسون عليهم ومع أن الله سبحانه نهى المسلمين عن اتخاذ بطانة من غير المسلمين في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾[١]، فإن المسلمين حتى في حال قوتهم وامتداد سلطانهم أيام الدولة الأموية لم يلتزموا الحذر، فوقعوا في هذا النهي حين استخدم الخلفاء الأمويون وعمالهم في الولايات الإسلامية أطباء من اليهود أو النصارى أو الصابئة، ثم قربوهم منهم حتى كانوا بمثابة الوزراء أو المستشارين، وزاد تغلغل غير المسلمين حتى كان منهم وزراء عرفوا في التاريخ الإسلامي، واستمر تغلغلهم ابتداء من الدولة الأموية حتى الدولة العثمانية، فقد كان لمعاوية بن أبي سفيان # كما تقول بعض المصادر ـ طبيبان نصرانيان هما ابن أثال، وأبو الحكم الدمشقي، وكان للحجاج بن يوسف والي عبد الملك على العراق طبيب يهودي هو فرات بن شحناتا، وقد طال عمره حتى عمل طبيبا لعيسى بن موسى الذي عين والياً على الكوفة من قبل أبي جعفر المنصور.

وكان للمنصور نفسه طبيب يهودي هو جورجيوس بن جبرائيل بن بختشيوع، وكان ابنه طبيب الخليفة في عهد هارون الرشيد، وكانت لطبيب الخليفة هذا منزلة عالية عند الرشيد، وجاء من بعده جبرائيل بن بختشوع الذي صار كبير أطباء الرشيد وكان له موكب يضاهي موكب الخليفة، وترك وراءه عند موته موجودات عقارية قدرت بمائة وأربعين مليون درهم عدا ما ترك من ملايين الدراهم النقدية، ويكاد يكون طبيب الخليفة أو بعض الأمراء الأقوياء في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي

(١) آل عمران: ١١٨ .

من غيــر المسلمين، وقد كان طبــيب المطيع بالله العبــاسي يهودياً يسمى إســحاق بن شليطا، واســتعمل عــضد الدولة البــويهي أبا الحسين بن كلشــرايا الطبيب اليــهودي وجعله رئيساً لبيمارستان العضد ببغداد، وكان يعد من أكبر مستشفيات ذلك الزمان، وقد تولى يعقوب بن كلس الطبيب اليهودي منزلة عالية في الدولة الفاطمية، وخاصة في عهد العزيز بالله، حتى إنه تولى الوزارة الكبرى والتصرف التام في جميع شؤون الدولة، ولم يقتصر أمر التجسس اليهودي على خلفاء وأمراء المشرق العربي، بل امتد إلى المغرب العربي وبلاد الأندلس فقــد ظهر في الأندلس، ابن بكلارس الذي كانت له مكانة سامية عند بني هود (من ملوك الــطوائف بالأندلس) ومن قبله ظهر الطبيب الإسرائيلي حسداي بن بشروط ضمن أطباء الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر.

وفي مصــر ظهر أبو العشائر هبــة الله بن زياد بن حسن بن جمــيع الإسرائيلي، كان من جــملة أطباء صلاح الدين، وظــهر في مصــر جملة من الأطباء اليــهود من أشهرهم مــوسى بن ميمون الذي يعتــبر من أشهر أطبــاء صلاح الدين الأيوبي، وقد استمر تدسس غير المسلمين وخاصة اليهود منهم في قصور الحكام والأمراء في الشرق الإسلامي، وسجل التاريخ بعــض أخبارهم، وقد استمر ذلك حــتى العصر الحديث الذي تخــفى فيــه اليهــود وراء ألف قناع، واتخــذوا لأنفســهم ألف وسيلة ووســيلة للوصــول إلى مراكــز القــرار المؤثرة في البــلاد الإسلامــية في العــصــور الماضيــة أو الحاضرة، ولم يعدموا خلق الذرائع التي توصلهم إلى أغــراضهم، وتغطي ألاعيبهم، وما يزالون اليوم يتجسسون على البلاد العــربية والإسلامية في صورة سائحين غربيين أو شرقيين، وقد يكونون خبراء في مجالات معينة، أو مستشارين لجهات مسؤولة في بعض البلاد العربية وينقلونها إلــى إسرائيل، ويعملون على وأد كل مشروع يؤدي في القريب أو البعيد إلى النهضة والتقدم.

وقد يســتعملون من أبناء البــلاد العربية ـ ممــن ضعفت نفــوسهم ـ بعض الذين يقدمون لهم ما يحــتاجون إليه من معلومات أو بيانات إن تعذرت على جــواسيسهم، ولا أدل على ذلك مما تردد في السنة الماضية عن قيــام بعض كبار المسؤولين في بعض البلاد العــربية بنقل الأســرار العربية التي تصنع في مــراكز القــرار إلى إسرائيل، كي تتصرف على ضوئها.

لقد كان المتدسسون ـ قديماً ـ يعملون لحسابهم الخاص ومنفعتهم الشخصية، وكانوا من اليهود أو النصارى وأحياناً من الصابئة، أما المتدسسون حديثاً فهم خليط من يهود وديانات أخرى وهم يجمعون بين عديد من الجنسيات، وكلهم يعملون لحساب إسرائيل، التي لم تتخلَّ يوماً عما جبل عليه اليهود من الدس والخديعة، واتخاذ كل وسيلة ممكنة للوصول لأي هدف مرصود، فلماذا نتخلى نحن عن اتخاذ التدابير والاحتياجات اللازمة؛ للحفاظ على ما نريد الحفاظ عليه بدعوى السلام؟ وإذا كان من الصعب تحاشي أخطارهم وغوائلهم قبل التطبيع الذي سارت فيه بعض الدول الإسلامية وفتحت الباب لدول أخرى قد تسير على طريقتها. وقديما قيل: «داو جرحك لا يتسع»، فهل نداوي جراحنا قبل اتساعها ؟

وليت الأمر يتوقف عند الوقت الحاضر، فقد تعدى ذلك إلى المستقبل، حيث تتطلع الأذهان الإسرائيلية إلى علاقتها بجيرانها العرب بعد ثلاثة وأربعين سنة ـ من الآن ـ بعد أن يكون الجيل الحالي الذي مد يديه بالتطبيع إليها تحت ضغط الشرق والغرب وبعد هزائم الجيوش العربية التي لم تكن تعلم شيئاً عن التكتيك الحربي الذي يستخدمه اليهود معهم بعد أن تعلموه ومارسوه في الحرب العالمية الثانية، التي خرجت لهم ٦٥ ألف جندي مدرب تدريباً عالمياً، عارف بمستجدات الحرب، وعوامل النصر، وأسباب الهزيمة، ولم يكن العرب على شيء من ذلك، ولذا فلم يستطيعوا أن يجمعوا في فلسطين سنة ١٩٤٨م مثل هذا العدد من الجنود المدربين، ولم يكن لديهم من السلاح ما يواجهون به هذا العدد المدجج بأحدث سلاح... وتوالت الهزائم في ٤٨، ٥٦، ٦٧ وجاءت سنة ٧٣ وأحرز العرب نصراً عسكريًا دون أن يستثمروه سياسيًا نظراً لتشابك المشكلة وقلة الوعي بالتدابير الدولية، وعدم القدرة على التغلب على حالة التفكك العربية، وحتى لا تضطر إسرائيل إلى التعامل مع جيرانها في المستقبل تحت وطأة ظروف قد لا تكون مماثلة للظروف التي أبرزت التطبيع وساعدت على قيامه، فإنها تستبق الأحداث، وتعمل على غرس بذور المحبة لها في قلوب أبناء المسلمين، وهم صغار، حتى إذا ما نما هذا النبت وترعرع بعد أن سقى ماء الوئام والسلام من المغتصبين، الذين فعلوا الأفاعيل في فلسطين وما حولها من البلاد، سهلت لهم الصهيونية العالمية بما تملكه من وسائل معروفة وغير معروفة

طريق الرئاسة والزعـامة، فلا يوجـد في كثير من البـلاد العربية زعـيم ينادي بعداوة يهودية، أو يطالب بحقوق عربية، أو يعمل على تخليص مقدسات دينية، بل إنه ليعلن لها الولاء والوفاء جزاء احتضانه صغيرا، ومساعدته كبيراً، وقد يقومون ـ في المستقبل ـ بنفس الدور الذي كان يقوم به «أنطوان لحد» في جنوب لبنان، من الدفاع عن إسرائيل، والتضحية في سبيلهـا بالأنفس والأولاد والوقوف في وجه كل من يحاول أن ينتزع منها حقًّا أو يرد لها كيداً، وقد يعملون في بلادهم مثلما عمل «المعلم يعقوب» في مصر أثناء الحملة الفرنسية حيث عينه الفرنسيون جنرالاً ورحل معهم حين رحلوا.

إن شعار إسرائيل (من النيل إلى الفرات) تسعى نحو تحقيقه بطريقة ما كانت تخطر على البال من قبل؛ إذ كان الظن السائد نحو هذا الشعـار أن إسرائيل ستحاول أن تتمدد في أرض هذه المنطقـة وتجعلها جـزءاً من إسرائيل، ويبـدو أن هذا الظن أكبـر من قدرة إسرائيل حـالياً، وأوسع من أن تضم ذراعيهـا عليه، لذا لجأت إلى مشـروع بديل، قد يكون مؤقـتاً بعدد من العقـود، وبالظروف التي تسود لكنهـا بدأت ـ بالفعل ـ خطوات على طريق إيجاده والاسـتفادة منه في العقـود القليلة القادمة، إنه مشـروع بذور السلام الذي أنشأه الصحفي الأمريكي «جون والسن» سنة ١٩٩٣م، والذي يعني جمع عدد من الفتيان والفتـيات من دول عربية ومن إسرائيل وأمريكا في معسكرات صيـفية يتم عقدها في عواصم مختلفة (تل أبيب، شرم الشيخ، القدس، القاهرة، قبرص، أسبانيا، وسويسرا)، ويقوم بها مـركز بيريز للسلام، وتمولها وزارة الخـارجية النرويجية، وتدعـمها الولايات المتحدة الأمريكيـة بهدف أساسي أن يتحول هؤلاء القادة الصغار في المسـتقبل إلى دعاة لقضية الصلح مع إسرائيل، وإلى سفراء لها، إذا ما كان هؤلاء الشباب هم قادة المستقبل في مصـر والأردن وفلسطين يعملـون معاً على مـستـقبل الشرق الأوسـط وإلى جانب المعسكرات المشـتركة المختلـطة يتم تنظيم الندوات المدرسية والرحـلات الجماعيـة للبلاد العربية وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

يساعـد على تحقـيق الهدف الأسـاسي غسـيل المخ الذي يتم لهـؤلاء عن وحدة الأديان، وعن أن الحروب بين الشـعوب لا تحقق شـيئاً، وإنمـا الذي يحقق ذلك هو المفاوضات، ولا يقتصر أمر قـادة المستقبل هؤلاء على البلاد المجاورة لإسرائيل، وإنما يمتـد إلى شبـاب من تونس والمغرب وقطر والـيمن، ولعل هناك بلاداً أخـرى ـ على

الطريق ـ سترسل فتيانها وفتياتها حتى لا يفوتهم الركب، ركب المذلة والهوان، الذي يحقق لإسرائيل أن يكون لها التوجيه الأول وربما الأوحد على ما بين النيل والفرات، وأن تكون هي الحارسة الوحيدة للمنطقــة، ذات الكلمة النافذة، دون أن تجد منازعة من أحد، أو تذكــيرا بحق ـ قديم ـ انتزعــته عنوة من أصحــابه، الذين صار بعض أبنائهم صنائع لها وعيونا على أهليهم لصالحها، وجلادين يجلدون ظهور كل من يناوئ إسرائيل .

وإذا كنا اليوم نعيب أو يعيب بعضنا طريقة الاستسلام التام لإسرائيل، والشلل الكامل أمام مخططاتها، فــما بالنا حين يتولى هؤلاء القادة الجدد مقاليد الأمــور، فيصبح المباح ممنوعا، والصــمت جنة؟ ولابد من مواجهة هذا الأمــر من الآن بتنبيه القادة المعــاصرين لخطورة مثل هذا العمل، وبنشــر حرمة التعاون مع إسرائيل من الناحــية الدينية ما دامت مغــتصبة للأرض، مــهلكة للنسل والزرع، مستــولية على المقدســات، حتى يمنع الآباء أبناءهم من مثل هذه الخطوات التي لا يكتســبون منها غير أن يكونوا عملاء في يد الصــهيونية، مــقابل ثمن بخس: زعــامة مــرفوضــة، أو بعض آلاف من الدنانيــر التي لا تغني عن صاحبها أمام الله شيئاً، فهل نحاول الآن فعل ذلك؟

١٠ـ التطبيع :

التــمدد الإســرائيلي العالمي الممــتد من الــصين شرقــا إلى أمريكا غــربا، يعطي إسرائيل قدراً من الرسوخ والثــبات في موقعها، وينفعها في دعــم مركزها السياسي، ويقوي علاقاتها التجارية، وخاصة في الأمور التي لا تجيدها دولة أخري غير إسرائيل، حيث تأخذ التقنية الأمريكية وتبيعها للصين في صورة صفقة طائرات حربية، من غير أن تغضب أمريكا لذلك وإن أظهــرت احتجاجها، لكن هذا التمــدد الإسرائيلي بعيد المدى على الساحة الخارجية لا يحقق لإسرائــيل راحتها، طالما أن الشعوب من حولها تأبى وجودهــا، وترفض اغتصــابها لأرض فلسطين، والامــتناع عن التعــامل مع كل صهــيونى حتى لو قبله بعــض الحكام وأجازوه؛ ولذا فإن إسرائيل تحــاول وتحاول أن تكسر طوق العزلة المضروب عليها من الشعوب التي حولها، بالاشتراك في كل مؤتمر شعبي يعقد في أي مكان، ويجتمع فــيه مندوبون عرب، وتحاول الالتفاف على البلاد العربية بإقامة تحالفات مع تركيــا، أو بالتدخل في رسم سياسة بعض الدول الأفريقية كإرتيريا وأثيــوبيا وغيرها، أو بمحاولة مــد الوصال الشعبي مع بلاد عربيــة بعيدة عنه

كالمغرب واليمن وعمان، وقطر وغير هؤلاء، لعل ذلك يفيد في كسر طوق العزلة. . ورغم أن معاهدة التطبيع بين مصر وإسرائيل قارب عمرها الزمني ربع قرن، فإن هذه المعاهدة، وما تبعها من معاهدات أخرى مع بلاد عربية أخرى، لم تقرب هدف إسرائيل من التطبيع مع الشعوب قيد أنملة، بل إن الشعوب لتزداد وعياً لقضية فلسطين والقدس وتزداد ـ بالتالي ـ رفضا لإسرائيل، وضيقا بمخططاتها، واستمرارا في كشف ألاعيبها، وشدة في الامتناع عن التعامل معها، رغم بعض التيسيرات أو قل الإغراءات المادية التي تعود على المطبعين في العالم العربي، الذين يجتمعون مع الإسرائيليين في «كوبنهاجن» وغيرها ليعودوا إلى بلادهم حاملين أفكار التطبيع وطريقته، مبررين لترويجه بين جماهير الأمة العربية، جاعلين من أنفسهم روادا بين الشعوب التي ينتمون إليها وبين إسرائيل، دون أن يفوضهم أحد في ذلك، أو يندد بهم أحد لهذه المهمة المشبوهة، اللهم إلا أن تكون إسرائيل هي التي تحركهم وتدعمهم، وتحمل عبء نفقاتهم، وتفتح لهم أبوابها متى شاؤوا ـ كما حدث مع عدد من هؤلاء، الذين يعملون على محو هوية الأمة، ومنهم مثقفون وكتاب وصحفيون وسياسيون كذلك، حيث ذهبوا إلى إسرائيل علانية وسط هدف إسرائيل الأساسي، لتضرب عصفورين بحجر واحد، فتكشف أن من بين المثقفين العرب من يوزرها ويشجع التطبيع معها ويؤيد ذلك ويدعو إليه بالقول والفعل، وفي نفس الوقت تخلق جوا من ضعف ثقة الشعوب بنفسها؛ لأن أمثال هؤلاء (اللامعين) حين يزورون إسرائيل يضعون في أذهان الشعوب أن موقفها الرافض للتطبيع غير صحيح مما يخلق جوا من الاضطراب وعدم الثبات على هذا الموقف، أو هذا ما تريده إسرائيل منهم ـ على الأقل ـ في المرحلة الراهنة.

وتعتبرهم بذلك قد أدوا إليها الخدمات المطلوبة التي يستحقون عليها أجرا تدفعه بلادهم في صورة ترقيات أو مناصب إضافية، أو فتح الأبواب أمامهم ليتصلوا بالجماهير من أوسع الأبواب الإعلامية، أو غير ذلك مما يعرفه دعاة التطبيع الشعبي الذين يحاولون ـ في بعض البلاد ـ أن يتجاوزوا ويسبقوا التطبيع الحكومي؛ لأن هذه الحكومات التى تعاملت مباشرة مع إسرائيل أدركت مدى المعاناة والإرهاق اللذين تنوء بهما أكتاف الذين يتعاملون مع إسرائيل، فكم من معاهدة أعلنت قبولها، ثم رفضت بنودها ابتداء

من أوسلو ومدريد حتى واي ريفـر، وشرم الشيخ، وكم أعلنت عن أرض ستـسلمها (للسلطة) بضم السين، ثم لم تفعل، وكم من مرة أعلنت أنهـا ستوقف المستوطنات، ثم توسعت في القديم منها، ووضعت الأسـاس لمستوطنات جديدة، وكم من مؤامرة ضبطت بعـد أن قام بها الموساد في البـلاد التي قبلت التطبيع، وكم من جاسـوس إسرائيلي قبض عليه بعـد التطبيع، وكم من وباء (الإيدز وغيره) حـاولوا نشره، وكم من بذور تسمم التربة باعوها، من أجل هذا الذي تعرف الشعوب بعضه ويخفى عنه أكثره، تسير خطوات التطبيع الحكومي ببطء شديد، وسـواء أبطأت الحكومات أو سارعت في ذلك، فإن حائط صد التطبيع الشعبي ينبغي ترميمه وتقويته، وهو واجب كل مفكر، وكل صاحب قلم حر وكل وطـني غيور يأبى لوطنه الذلـة ويأبى لشعبـه الهوان، ويأبى أن تطول قـامة إسرائيل القصيرة بالباطل والزور.

١١ـ التوطين:

إذا كان هذا شأن التطبيع، فإن شأن التوطين مختلف؛ لأن التطبيع خاص بالبلاد العربية والتوطين ليس قـاصراً على البلاد العربية أو الإسلامـية، بل إنه يتعدى ذلك إلى البـلاد الأخرى التي توجـد فـيهـا جليـات فـلسطينية مـثل أمريكا وكنـدا، وأسترالـيا ونيوزيلندا والدول الاسكندنافية وغيرها من دول العالم التي يعيش فوقها بعض فلسطيني الشتـات، ولعل ما أعلنه رئـيس وزراء كندا في زيارته منذ أشهـر لدول شرق البـحر المتوسط من أن كندا على استـعداد لإعطاء خمسة عشـر ألف فلسطيني حق التوطين في بلاده، لعل هذا دليل على أن التـوطين ليس شأناً عـربياً ولا إسـلامياً فـقط، بل هو شأن دولي عـالمي تتدخل فيه الـدول الأخرى لتحقق لإسـرائيل هدفها بالقـضاء على إسقاط مطلب وطني وإنساني لا ينكره أحد على الفلسطينيين الذين من حقهم العودة إلى وطنهم، والذين لهم حق المطالبة بذلك من غير نكيـر، والتوطين كذلك مخالف للتطبيع؛ لأن التطبيع يتـجاوز الفلسطينيين إلى غيرهم من العرب، والتـوطين يقتصر على الفلسطينـيين ـ وحدهم ـ الذين إذا انفـردت بهم إسـرائيل يمكنهـا أن تفعل مـا تشاء.. ثم يكون دور البلاد العربية الأخـرى التي يراد توطين الفلسطينيين فيها، وفي مقـدمتهـا العراق ولبنان؛ قـابلا للضغوط عليـه، والتسليم به بصـورة أو بأخرى مع استخدام الترغيب والترهيب.

أ ـ التوطين في لبنان:

لم يكن الفلسطينيون المهجّرون من ديارهم سنة ١٩٤٨م وما بعدها إلى لبنان وغيرها من البلاد العربية يفكرون في الإقامة بعيدا عن وطنهم، أو اختيار أوطان أخرى بديلة عنه، وكانوا يعتقدون أنهم ـ عما قريب ـ عائدون إلى ديارهم وبيوتهم ومزارعهم وأملاكهم التي احتفظوا بوثائق ملكيتهم لها، وجاءت الانقلابات العسكرية في البلاد الواقعة في شمال وجنوب فلسطين؛ لتؤكد عودة اللاجئين إلى ديارهم، بعد أن يتغلب أصحاب الانقلابات على الجيش الإسرائيلي في المواقع الحربية التي سيقوم بها هؤلاء الحكام الجدد ضد إسرائيل، مما جعل المهجرين يزدادون تمسكاً بالعودة، ويعيشون على أمل أنهم ـ ذات يوم ـ سيعودون إلى ديارهم، وأكدت جامعة الدول العربية هذا المعنى حين قررت أنه ليس من حق بلد عربي إعطاء جنسيته لأي فلسطيني أو منحه جواز سفر، وكل ما هو مسموح به هو إعطاء وثائق لهؤلاء الفلسطينيين، فصارت هناك وثائق مصرية ووثائق سورية وغيرها، ولم يشذ على هذا النظام إلا الأردن الذي منح بعض الفلسطينيين الجنسية وأعطاهم جوازات سفر من غير أن يمزجهم مزجاً تاماً مع الأردنيين بحيث يكونون معروفين مميزين، للتعامل معهم ـ عند الضرورة ـ بناء على هذه التفرقة، وإذا كان الفلسطينيون في غير لبنان قد عاشوا في المدن الكبري، فإنهم في لبنان تجمعوا في مخيمات منتشرة فوق الأرض اللبنانية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وتعددت هذه المخيمات حتى بلغت تسعة تجمع في أحشائها ما يزيد على ٣٥٠ ألف فلسطيني يعيشون في طروف أقل ما يمكن أن يقال فيها : إنها ليست ميسرة ورغم صعوبة المعيشة، فإن الفلسطينيين هناك يرفضون فكرة التوطين، كما يرفضها كذاك ـ بقوة ـ اللبنانيون، وعلينا أن نتفهم جيدا مشاعر هذين الفريقين ـ اللبنانيين والفلسطينيين ـ والتجارب القاسية التي مرت بهم عبر السنين، لكي نفهم لماذا يرفض كلاهما معا فكرة «التوطين» وينتابهما إزاءها ما يشبه الرعب.

ونحن هنا نتذكر أن الشرارة التي أوقدت الحرب الأهلية اللبنانية في ١٣ أبريل عام ١٩٧٥، كانت «شرارة فلسطينية» إذا صح التعبير، ففي ذلك اليوم وقع حادث «عين الرمانة» الشهير عندما كانت سيارة أتوبيس تقل مجموعة من الفلسطينيين العائدين من احتفال أقيم يوم عطلة الأحد بمخيم «تل الزعتر» شرقي بيروت، وحدث

أن سلكت السيارة طريقاً يمر بهذا الحي «عين الرمانة» الذي تقطنه أغلبية مارونية وتسيطر عليه مليشيات حزب الكتائب اللبناني، وفجأة تعرض ركاب سيارة الأتوبيس الفلسطينيون لإطلاق نار كانت نتيجته مقتل ٢٦ شخصاً وإصابة ٢٩ آخرين.

منذ ذلك اليوم، انطلقت شياطين الحرب الأهلية من عقالها في لبنان، ولم تفلح الجهود والوساطات والمساعي الخيرة في السيطرة عليها إلا بعد ما يقرب من ١٥ عاماً، وطوال هذه السنوات، ظلت الشكوك المتبادلة تتحكم في الجانبين على نحو تتعذر معالجته، وخاصة أن أطرافاً خارجية عديدة كان من مصلحتها أن «تغذى» هذه الشكوك لكي تستمر الحرب. . . . كما أن ذكريات كل جانب عن ممارسات وسلوكيات الجانب الآخر ـ قبل الحرب وأثناءها ـ ظلت ماثلة طول الوقت وتشكل عائقاً أمام أي حل يطرح على الساحة[1].

ولسوف تظل هذه الشكوك السائدة تغذي موقف الطرفين (اللبناني والفلسطيني) خاصة بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان، حيث تتوجه اهتمامات الطوائف اللبنانية المتعددة نحو الفلسطينيين هناك، وقد تغذي أطراف خارجية بعض الحزازات بعد أن تزج بالطرف الفلسطيني في وسطها، نتيجة عمل مدبر، أو تصرف غير مسؤول من بعض الناس، الذين يمكن أن يحدث منهم ذلك تحت وطأة ظروف سياسية ومعيشية صعبة، وخاصة حين يشعر الفلسطينيون هناك أن اللبنانيين يكنون لهم العداء، وأن السلطة الفلسطينية في الضفة وغزة قد تخلت عنهم فعلاً لا قولاً، حيث يعلن ممثلو السلطة إصرارهم على التمسك بالقرار ١٩٤، وفي نفس الوقت يبدو فعلهم بعيدا عن ذلك تماماً , وهذا ما يؤكده الباحث سلمان أبو ستة بقوله : «إنه أثناء زيارة قام بها وفد فلسطيني لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكي ألمح الوفد إلى ما يفيد عدم الإصرار على حق العودة».

وأبدى الوفد موقفاً مماثلاً عندما قام بزيارة إلى كل من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير والرئيس الفرنسي جاك شيراك. كما ينقل أبو ستة عن صحيفة «ها آرتس» الإسرائيلية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود باراك قد حصل على موافقة الرئيس ياسر عرفات على عدم عودة اللاجئين إلى ديارهم مقابل عودة «بعضهم» إلى الضفة الغربية وغزة ـ بشرط موافقة إسرائيل على نوعهم وعددهم وتاريخ رجوعهم.

---

(١) انظر الدراسة القيمة التي كتبها الأستاذ/ محمود أحمد تحت عنوان: لبنان وخطر التوطين ونشرتها وجهات نظر العدد الخامس عشر أبريل سنة ٢٠٠٠م.

ويلاحظ البـاحث الفلسطيني أنه لم تصـدر عن السلطة الفلسطـينية أية بيـانات رسمية تنفي ما يتردد بهذا الشأن، خـاصة فيما يتعلق بالاتفاق مع باراك الذي أوردته «ها آرتس» بتفصيل دقيق، كـما يلاحظ ـ من ناحية أخرى ـ أن القضية تثـير قلقاً يتفاقم باطراد في أوسـاط اللاجئين الفلسطينيين الـذين يربو عددهم عن الخـمسـة ملايين، ويحذر أبو ستة من أنه «حتى إذا حـدثت معجزة وأقر ٩٩٪ من اللاجئين بالتنازل عن حقوقهم.. فـسوف يبقى ١٪ منهم ـ أي نحو ٥٠ ألف شخص ـ مسـتعدون للدفاع عن حقوقهم.. ولو بالقوة».

وهؤلاء اللاجئون موزعون على خمس مناطق تعمل فيها وكالة غوث اللاجئين، هي الضفة الغربية وغزة والأردن وسوريا ولبنان[١].

وإذا لفظت لبنان هذه الجموع، ولم توافق إسرائيل على انـتقالهم أو أكثرهم إلى الضفة الغربية وغزة فإلى أين يذهبون؟ وما المشاكل التي يمكن أن تنجم عن ذلك؟

ب ـ التوطين في العراق:

أغلب الظن أن شمـال العراق يهيأ الآن لاستـقبال اللاجئين الذين يعـيشون في لبنان، حيث يتخلصون من حالة التضييق المعيشي، ومن الملاحقات الأمنية ومن حالة الريبة والشكوك والاتهـامات التي توجه لهم من هذه الطائفـة أو من تلك، ويبدو أن التـفهم العـالمي لدقة الموقف اللبنانـي تجعله يوافق أو يسـاعد على نقل هـذه الأعداد الفلسطينيـة الذين لم توفق أوضـاعهم في بلاد أخـرى لتوطينهم في جنوب الـعراق خاصـة، وأن ظروف العراق التي صنعهـا النظام القائم هناك بعد اعـتدائه على الكويت، وفرض الحصـار الدولي عليه، ومراقبـة تسليمه وغيـر ذلك من الإجراءات التي تؤثر على حياة الشـعب العراقي، تجعل هذا النظام يقبل تـوطين هذه الأعداد تحت حجج كثيرة يمكن تسويقـها إعلامياً بوسائل كثيرة مـقابل رفع الإجراءات التي اتخذت ضده من قبل النظـام العالمي الجديد، وتسـاعد في (تلميع) صـورته الباهتـة داخل العراق بحجة أنه حقق على أعدائه نصراً مبيناً، وقد تفتح أمامه باب المصالحات العربية، التي بدأت الآن تحت خطاها نحـو بغـداد، ويعطي الفلسطينيـون (العائدون) إلى العـراق مليارات الدولارات تعويضا لهم عما فقـدوه في فلسطين من غير أن يدفع اليهود بنساً

---

(١) المصدر السابق .

واحداً؛ لأن الدول الأخرى ـ وفي مـقدمتهـا دول البترول ـ هي التي ستـتحمل هذه النفقات، فيفوز اليهـود بالأرض والمياه، وراحة البال، حيث لا يطالبهم أحد بشيء، وتُفتح أمامهم العواصم العربية ليدخـلوا منها بقوة المال والاقتصاد، وهذا ما ألمح إليه ملك المغرب السابق؛ إذ قال: إن تقدم منطقـة الشرق الأوسط مرهون بشيئين : العقل اليهودي والمال العربي، إن اجتمعا معاً استطاعا تحقيق النهوض والتفوق.

وأين المال العربي؟ إن مكانه معـروف وتبرير أخذه ميسـور، وإذا صح هذا التصور الذي ظهرت بعض بوادره فـإن هناك ـ إذن تغييـراً قد طرأ على السـيناريو القديم الذي نشرته مجلة الأسـبوع العربي (العدد ٢٠٤٣) سنة ١٩٩٨م التي قـالت: إن هناك تقريرا أمريكيا ينص على توطين قرابة خمسة ملايين فلسطيني ليس في الدول العربية فحسب، بل وفي دول أوروبيـة والولايات المتحـدة، ويشيـر التقـرير الخطير إلى وجـود خمـسة ملايين، ٢٥٧ ألف لاجئ، يجري الإعـداد لتوطينهم من بين ٦,٧ مليون لاجئ، وفق التقـرير فإن الأردن مطالب باستـيعاب ١٦٨ ألف لاجئ إضـافة إلى اللاجئين المقـيمين والذين يؤكد أن عددهم يصل إلى ١,٨ مليـون لاجئ، وأن البرنامج اللازم لتوطين هذا العدد يستمر حتى عام ٢٠٠٥م، أمـا سوريا، فإنه يتوجب عليها وفق المخطط الأمريكي، أن ترفع عـدد اللاجـئين عندها إلى ٤٠٠ ألـف لاجئ بزيادة ٧٥ ألف لاجئ جـديد، وسيكون لبنان مضطـرا للاحتفاظ بـ (٧٥٠ ألف لاجئ) يوجد منهم حـاليا قرابة ٧٠٠ ألف لاجئ (على حد ما جاء بالتقرير).

ويقـول التقـرير: إنه سيـتم فرض إعـادة ٧٥ ألف لاجئ فلسطيني إلى إسـرائيل، شريطة أن يثبت هؤلاء أنهم سكنوا فلسطين قبل حـرب عام ١٩٤٨م، واقترح التقرير أن يتم توزيع حوالي نصف مليـون لاجئ على بعض الدول العربية مثل العراق ومـصر والمغرب وغيـرها ليصل إجـمالي العـدد في هذه الدول إلى قرابة المليـون لاجئ وبالنسبـة إلى الدول الأوروبية وأميركا، فـستكون حصتها ٩٠ ألفاً بحيث يتجاوز العـدد الكلي للاجئين فيها النصف مليون لاجئ، ويشتمل التقرير على معلومات غاية في الأهمية، حول عملية التوزيع السكاني في الضـفة ونقل اللاجئين والـنازحين من قطاع غزة إلى الضـفة من أجل رفع عدد سكان الضفة الغربية إلى ٢,٤ مليون فلسطيني بدلاً من نصف مليون.

ويبدو أن هذا التقرير الذى نشرته المجلة المذكورة كان بهدف تسريب بعض المعلومات لمعرفة رد الفعل المتوقع، ولم يكن يعبـر عن الحقيقة التى تقول: «إن الفلسطينيين في لبنان

مرشحون (بقوة) للانتقال إلى شـمال العراق، وإن العراق له المكانة الأولى في عملية التوطين، وإن دول الخليج عليها العبء الأكبر في عملية التمويل».

ولعل الوثائق التي صدرت عن مؤتمر «القمة الأول لشباب الشرق الأوسط» الذي عقـد في سويسـرا في مايو عام ١٩٩٨م وضـم ٧٥ فتى وفتـاة من إسرائيل ومـصر وفلسطين والأردن والولايات المتحدة، بإشراف إسـرائيل والولايات المتحدة، لعل هذه الوثائق تكشف عن خيارات المستـقبل أمام الفلسطينيين المهجرين، تقول الوثيـقة (كما ذكر الأستاذ/ فـهمي هويدي): هناك مشكلة اسمها مـشكلة اللاجئين ولابد من حلها لأسباب «إنسانية» وعلى المجـتمع الدولي في المقام الأول أن يجد لها حلولاً: «نحث المجتمع الدولي أن يعـترف بالتزاماته تجـاه الإنسانيـة (لاحظ أن إسرائيل هـي التي ارتكبت الجريمة)، لابد من مواجهة مشكلة اللاجئين هذه..» كيف؟

«اعترافا بإرادة المجـتمع الدولي في توفير ظروف معيشـية مناسبة لأولئك الذين يسكنون حالياً في مخيمات اللاجئين، نقترح إلغاء وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (أونروا)، والدعوة إلى إنشـاء لجنة متعددة الجنسية للتنميـة الفلسطينية تشرف على تفكيك مخيمـات اللاجئين وتطوير تسهيلات تمكن من استـيعاب هؤلاء الفلسطينيين (توطينهم) في مجتمعات» (هكذا: مجتمعات).

تطرح الوثيقـة بعد ذلك إمكانية إعطاء جنـسية الدولة الفلسطينيـة للاجئين (أي إمكانية حشر ما يقرب من ٧ مـلايين فلسطيني في خمس أرض فلسطين التاريخية)، وضرورة حث الدول المضيفة حيث مخيمات اللاجئين على توطين كل من يرغب في هؤلاء. تكافئ اللجنة مـتـعددة الجنسـية هؤلاء المواطنـين الجدد بالمسـاعدات الماليـة؛ لتمكنهم من تحقيق الاستقرار الاقتصادي. أما الدول المضيفة فلها أيضاً مكافأة تقدمها اللجنة المذكورة بمساعدة اقتصادية وإسقاط بعض ديونها.. إلخ.

وسوف تحصل كل عائلة من عائلات اللاجئين ساعة مغادرتها للمخيم على مبلغ من المال... يمكنها من بداية حياة جديدة.

١٢ - إسرائيل ما موقعها من كل ذلك؟

«برغم معرفتنا من ناحية المبدأ أن لكل الفلسطينيين الحق في العودة إلى ديارهم، سواء في فلسطين أو إسرائيل، فقد اتفقنا من الناحـية العملية، أن تنفيذ هذا الحق في إسرائيل ليس عمليًا وغير ممكن؛ لأن إسرائيل أنشئت كالدولة اليهودية الوحيدة، ومن

هنا؛ فلها الحق في الحفاظ على شخصيتها اليهودية والأغلبية اليهودية بالشكل الذي تراه مناسبا، نعرف أن لإسرائيل احتياجات أمنية خاصة».

ويمكن ـ تقول الوثيقة ـ أن يسمح «لشريحة» من الفلسطينيين بتقديم طلب العودة إلى إسرائيل بعد خمس سنوات من إنشاء الدولة الفلسطينية، ولابد لمن يقدم الطلب (ليس لقبول الطلب بل لمجرد صلاحيته للفحص) أن تكون قريته ما زالت قائمة (لا تنس أن إسرائيل هدمت ٤١٨ قرية ومسحتها من الوجود) وما زالت عائلته (ليس العائلة الممتدة بل أهله المباشرون) تقيم بالقرية، وأن يكون صاحب الطلب على استعداد للتنازل عن الجنسية التي يحملها ليصبح مواطناً إسرائيليا، وألا يكون قد شارك في أية أعمال غير قانونية ولا يشكل تهديداً لدولة إسرائيل، والمدة المقررة لتقديم هذه الطلبات في ظل قانون «لم الشمل» تسع سنوات و«لإسرائيل كما هو الحال بالنسبة لكل دولة ذات سيادة حق القول الفصل في عدد من تقبل عودتهم وأي منهم تقبل أو ترفض، ومن يرفض طلبه رغم استكماله للشروط فستعطيه اللجنة الدولية مبلغاً إضافياً من المال».

الوثيقة البائسة التي هي إملاء إسرائيلي صريح، والنتاج المرجو لبذور السلام المزعومة، لم تشر بكلمة إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في عام ١٩٤٨ الذي ينص على ضرورة عودة اللاجئين وتعويضهم، ولم تشر بكلمة إلى قانون «العودة» الإسرائيلي الذي يمنح كل يهودي في العالم حق الاستيطان في فلسطين، بينما يحرم أبناء البلد من العودة إلى ديارهم.

ونعود فنتساءل: هل للدول العربية أو الإسلامية موقف مما يجري في هذا السبيل؟ أو أن الأمر سيسير على طريقة اللاءات، التي انتصبت قائمة في مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة عام ١٩٦٧ م ثم صارت الآن (نعمات) منبطحات مبعثرات؟

١٢. كيف يُربي اليهود أطفالهم؟

❖ **دعم الإحساس بالاضطهاد:** والتأكيد على أن اليهود عانوا من الاضطهاد في كل زمان ومكان وأن هذا الاضطهاد وبالبعد التاريخي والجغرافي والكمي والكيفي لهو من الضخامة والشراسة بحيث لا يمكن أن يعادله أي اضطهاد، ولأي جنس آخر في العالم.

❖ **إحياء الذاكرة بالاضطهاد اليهودي**: لإبقاء الوعي في حالة تذكر دائم كنقطة استقطاب للمشاعر الوطنية، حتى يتعمق لدى الطفل اليهودي الإحساس الدائم بالخطر.

❖ **بث الحقد والكراهية**: وهو مرتكز طبيعي نتيجة للإلحاح على الفكر والعقل اليهودي بأنه على خطر دائم ومضطهد وكل العالم يكرهه، فلابد من تبادل الكراهية والشك والريبة والتعامل مع الآخرين من منظور عدائي بحت.

❖ **تكريس العنف والعدوان**: والتربية على الاستعداد لمواجهة الحروب من أجل تأمين الوجود اليهودي، فلا خيار سوى القتال، وبذلك يتم إعداد الأطفال للتجنيد الإلزامي فيما بعد.

❖ **تثبيت الادعاء بأحقيتهم بفلسطين**: حيث تؤكد جميع الأجهزة القائمة على ثقافة الأطفال في إسرائيل أن أرض «إسرائيل» إرث لليهود من قديم الزمان وأن لهم رموزاً دينية وآثاراً تاريخية.

❖ **بث قيمة حب الوطن**: وضرورة الولاء له باعتباره الملاذ الآمن من الاضطهاد، والبيئة التي يستطيعون فيها ممارسة الحياة الدينية واليهودية الكاملة بشرائعها وطقوسها.

❖ **تنمية الوعي بالتضامن والمصير المشترك**: دعماً لحقوق الشعب اليهودي الواحد.

❖ **تدعيم الإحساس بالتفوق والبطولة**: باعتبارهم شعب الله المختار والتركيز على بث قيم الشجاعة والإقدام والقوة والثقة والذكاء والعناد والتصميم.

❖ **التأكيد على تعليم اللغة العبرية**: فهى ركيزة أساسية لإقامة المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، لتكون وعاء لدمج المهاجرين الجدد ولغة تفاهم بين اليهود القادمين من شتى أقطار الأرض، وخلق الوحدة الفكرية والثقافية داخل المجتمع الإسرائيلى مع دعم ذلك بالتكنولوجيا والعلوم الحديثة.

❖ **تثبيت القيم الدينية**: التى تتحول فى إطار المفاهيم الصهيونية إلى قيم تعصبية وسياسية وقومية، وذلك من خلال قراءات انتقائية للتوراة تدعم سياستهم التوسعية بغطاء ديني مع التأكيد على مقولة (الشعب المختار ونقاوة الجنس اليهودى) والروح العدوانية التي يستمدونها من التراث الدينى اليهودى والتلمود وبروتكولات حكماء صهيون.

❖ **تدعيم القيم الأخـلاقية** المنسجمـة مع الرؤية الصهيونـية بما فيها ليّ عنـق الحقائق وتزييف التاريخ لتحقيق أهدافهم حتى لو كانت بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة».

❖ **تأكيد الصورة السلبية للعربي**: من خلال تشويه سمعته وتلطيخ صورته بكل الصفات السلبيـة لشحن الطفل بالعداء، والكراهيـة والحقد لكل ما هو عـربي، ونعت العربي بصفات وقوالب جـاهزة من التخلف والجبن والكذب والخيانة، والحماقـة والاستيلاء على بيـوت اليهود، وأن العـربي متـوحش وسفـاح ومتعطش للدمـاء، وأنه إرهابي وعدواني بطبـعه! كل هذه المبادئ التـربوية تجعل الأطفال اليـهود يعيـشون في داخل الجيـتو الكبيـر المسمى «دولة إسرائيـل» في حين للأسف العرب يحذفـون الإشارات السلبية عن يهود من برامجهم التعليمية والتثقيفية، بما في ذلك حذف أجزاء مقررة من القرآن الكريم والسنة النبـوية ودروس السيرة من المناهج التـعليميـة في مناهج التعليم المختلفة.. فحسبنا الله ونعم الوكيل..!

ب. نماذج من الإرهاب اليهودي:

❖ **حركة كاخ** : في عام ١٩٦٥ أسس اليهودى الإرهابي «مـائير كاهانا» منظمة الدفاع اليهـودية في الولايات المتحدة حيث مارسـت الإرهاب في الولايات المتحدة، وعاد «كاهانا» إلى فلسطين عام ١٩٦٩، ثم أسس حركـة «دوق» التي أصبحت حركة «كاخ» فيما بعـد، واستوطنوا في المستوطنات، وتعتبر هذه الحركـة من أكثر الحركات الإرهابية الصهيونيـة تطرفاً وعنفاً وفاشية، فهي تعتبـر الوطن العربي على ضفتي نهر الأردن وحدة تاريخية وجغـرافية لتحقيق إسرائيل الكبرى ودستـورها التوراة، وتعتبر جبل الشيخ وقناة السويس والأردن هي الحدود الآمنة للكيان الصهيوني، وهي تعتمد الإرهاب وبث الرعب لدفع السكان العرب على الرحـيل لإقامة مسـتوطنات جديدة، من أبشع العمليـات الإرهابية التي قامت بها الحـركة «مجزرة الحرم الإبـراهيمي» عام ١٩٩٤م، حيث قام الضابط الإسرائيلي باروخ غولـد شتاين والمتحدث الرسمى باسم الحركة في نيويورك بإطلاق الرصـاص على المصلين داخل الحرم الإبراهيمي في صلاة فجر الجمعة ١٥ رمضان عام ١٤١٤هـ حيث قـتل أكثر من خمسين مصلياً، وقد قتل الإرهابي كاهنا في نيويورك عام ١٩٩٠، وقد انشقت من بعده الحركة إلى جناحين.

❖ **حركة جويش إيمونيم**: بعد حرب ١٩٧٣ تأسست هذه الحركة عام ١٩٧٤ لتحسين المعنويات القومية لليهود بعد الهزيمة، وقد أسسـها مجموعة من اليهود الذين استوطنوا في

الضفة الغربية منذ عام ١٩٦٨ بزعامة الحاخام «موشيه ليفنجر» والزعيم الروحي لهذه الحركة هو الحاخام «تفي يهودكوك» ـ رئيس الأكاديمية اليهودية في القدس ـ وأبرز ما في تعليمات الحركة أن هذه البلاد (فلسطين) كلها ملك لهم وغير قابلة للتسليم، مع ضرورة إقامة المستوطنات في كافة الأراضى العربية المحتلة ومصادرة الأراضي وتهجير العرب، كما عارضت الحركة اتفاقات مدريد وأوسلو التي لم تكن في نظرهم سوى حوار بين بشر (يهود) وقطيع من الذئاب المتوحشة (العرب) ووصفت حكومة رابين التي وقعت على اتفاقية أوسلو بأنها حكومة متعفنة روحياً، وبينما تعترف حركة كاخ بشرعية الدولة اليهودية، فإن حركة إيمونيم لا تعرف بهذه الشرعية؛ لأنها ليست يهودية خالصة.

❖ **حركة الاستيلاء على المسجد الأقصى:** حركة لا تهتم بغير تدمير المسجد الأقصى، من أجل بناء ما تسميه «الهيكل الثالث لليهود» وشعارها «لا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل» وقد نظمت الحركة عدة حملات بغرض هدم المسجد الأقصى، ويتزعم تلك الحركة الإرهابي «ليفنجر» الذي يسعى لتهديد الخليل وإعادة الحرم الإبراهيمي لليهود.

❖ **حركة تسوميت:** حركة صهيونية فاشية بقيادة «رفائيل إيتان» رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق وتعارض تلك الحركة الإرهابية التسوية السلمية بشدة وتدعو إلى استخدام القوة لطرد العرب من فلسطين مع ضرورة القضاء على الحركة الإسلامية.

❖ **حركة الحشمونيين:** وهي مجموعة إرهابية فاشية تسعى للسيطرة على بيت المقدس وطرد العرب منه، ومن جميع الأراضي المحتلة، وقد تم التعرف على هذه الحركة بعد ضبط مجموعة سرية تابعة لها قامت بوضع عبوات ناسفة لنسف قبة الصخرة المشرفة في عام ١٩٨٢، كما قامت الحركة بزرع عدد من القنابل الموقوتة في المساجد والأديرة والكنائس في القدس.

❖ **حركة أمناء جبل البيت:** هذه الحركة التى يتزعمها الحاخام المتطرف «حرشون سلومون» للاستيلاء على المسجد الأقصى بأي ثمن وبأي وسيلة لبناء الهيكل الثالث مكان.

❖ **حركة هتحيا:** أكثر الحركات اليهودية فاشية وعنصرية، وقد تم تأسيسها عام ١٩٧٩م، احتجاجاً على اتفاقية «كامب ديفيد» وتعاونت مع حركة الإرهابي «كاهانا»

وتتسم الحركة بشدة عدائها وكراهيتها للعرب والمسلمين، ولهم فتوى تبيح قتل المدنيين والعزل بمن فيهم النساء والأطفال والشيوخ، وبمقتضي قانون هذه الحركة قتل المستوطنون من أتباع الحركة الكثير من النساء والأطفال الأبرياء.

❖ **حركة موليديت:** حركة صهيونية متطرفة تهدف إلى الطرد الجماعي للعرب عن طريق تحويل حياتهم إلى جحيم، فلا يتمكنون من مواصلة الحياة، ومن هنا جاء إصرار الحركة على أن تكون فلسطين أرض الميعاد والتوراة خالصة لهم من دون الناس جميعاً.

❖ **حركة تسل:** «منظمة إرهابية يهودية، وهي أقدم حركة يهودية، وتؤمن بالعنف ضد العرب وشعارها إسرائيل هي مركز وقاعدة كل شيء يهودي على وجه الأرض» ومن أشهر عملياتها تفجير «فندق الملك داود» عام ١٩٤٦م. وتعتبر تلك المنظمات الإرهابية ـ والتي مارست الإرهاب بشكل لم يسبق له مثيل على مر التاريخ ـ بؤراً لجمع اليهود من كل الفئات وخاصة أن هذه الحركات تحظى بدعم السلطة، وفيها أعضاء من الكنيست أو رجال الدين أو الوزراء السابقين أو العسكريين.

فلماذا لا يتحدث أحد عن الإرهاب اليهودي؟

جـ. السجل اليهودي الأسود:

- **٣١/ ١٢/ ١٩٤٧: مذبحة بلدة الشيخ:** اقتحمت عصابات الهاجاناه قرية بلدة الشيخ وقتلت ٦٠٠ رجل وطفل وامرأة.
- **١٥/ ٢/ ١٩٤٨: مذبحة قرية سعسع/ الخليل:** نسف الصهاينة ٢٠ منزلاً على من فيها من الأطفال والنساء.
- **٣١/ ٣/ ١٩٤٨: مذبحة قرية أبو كبير:** هجوم مسلح قامت به عصابات الهاجاناه ضد الأهالي المدنيين.
- **١٠/ ٤/ ١٩٤٨ : مذبحة دير ياسين:** استمرت أكثر من ١٢ ساعة تم فيها تصفية كل السكان حيث بلغوا ٣٦٠ شهيداً، وشاركت في تلك المذبحة فتيات إسرائيليات، وقد عاب «بيغن» في مذكراته كل الزعماء اليهود الذين تبرؤوا من المذبحة واعتبرها فخراً له، حيث بقي بعد المذبحة من أصل ٨٠٠ ألف عربي فقط

١٦٥ ألفـاً، واعتـبـر اليـهود أنه لولا مـذبحـة دير ياسين لما كـان ممكناً أن تظهـر «إسرائيل» إلى الوجود.

- **١٤/ ٥/ ١٩٤٨: مذبحة قرية أبو شونة:** راح ضحيتها ٥٠ شهيداً، ضربت رؤوسهم بالبلطات.
- **١١/ ٧/ ١٩٤٨: مذبحـة اللدّ:** وحدة كـوماندوس بقيـادة الإرهابي«موشـيه دايان» اقتحـمت القرية ثم اقتحمت مسـجد القرية وقتلت داخلة ١٧٦ مدنيـاً فارتفع عدد الشهداء ٤٢٦ شهيداً.
- **٣٠/ ١٠/ ١٩٤٨: مذبحة قـرية عيلبون:** «القوات الإسرائيلية» تطـلق النار عشوائيا على الأهالي.
- **٣١/ ١٠/ ١٩٥٣: مذبحة دير الأسد:** وصفها أحد مراقبي الأمم المتحدة بأنها «قتل وحشي».
- **١٤/ ١٠/ ١٩٥٣: مذبحة قـبية:** استمرت المذبحة منذ اللـيل وحتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي، وقد حاصر ٦٠٠ جندي يهودي القرية،وكانت النتيجة ٥٦ منزلاً مدمراً، واستشهد ٦٧ شهيداً.
- **١٠/ ١٠/ ١٩٥٦: مذبحة قرية قلقيلية:** هاجم الجيش الصهيوني وقطعان المستوطنين القرية وراح ٧٠ شهيداً ضحية هذه المجزرة.
- **٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦: مذبحة كـفر قاسم:** راح ضحيـتها ٤٩ مدنيـاً بعد إعلان حظر التجول.
- **٣/ ١١/ ١٩٥٦: مذبحة خان يونس:** راح ضحية هـذه المذبحة ٢٥٠ فلسطينيًا من مخيم خان يونس وبعد المجـزرة بتسعة أيام نفذ اليهود مجزرة أخرى راح ضـحيتها ٢٧٥ شهيداً، بالإضافة إلى أكثر من ١٠٠ فلسطيني من سكان مخيم رفح.
- **١٨/ ٩/ ١٩٨٢: مذبحة صبـرا وشاتيلا:** وقتل فيها ٣٥٠٠ مـدنياً فلسطينياً ولبنانياً معظمهم من النساء والأطفـال والشيوخ، وقد استمرت المذبحـة ٣ أيام وكان شعار المذبحة «بدون عواطف، الله يرحمه» واعتبـر بيغن تعقيباً على المذبحة الفلسطينيين

بأنهم «حيوانات تسير على ساقين» وقد كانت تفاصيل المجزرة والتواطؤ الذي حصل يصيب العقل بالذهول؛ نظراً لبشاعة المجزرة وروايات الناجين منها.

- **٢٠/ ٥/ ١٩٩٠مذبحة عيون قارة:** جندي إسرائيلي يفتح على عمال فلسطينيين فيقتل منهم (٧) بلا سبب.
- **٨/ ١٠/ ١٩٩٠: مذبحة المسجد الأقصى:** عندما تصدى المسلمون لجماعة «أمناء جبل الهيكل» التي حاولت وضع حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم في ساحة الحرم القدسي، تدخل الجيش الإسرائيلي وفتح النار على جميع الفلسطينيين داخل الحرم القدسي، فقتل ٢١ وجرح ١٥٠ واعتقل ٢١٠ أشخاص.
- **٢٥/ ٢/ ١٩٩٤:** الإرهابي «باروخ غولد شتاين» ومجموعة من المستوطنين يقتحمون الحرم الإبراهيمي في صلاة الفجر، ويفتح النار على المصلين وهم ساجدون فقتل ٥٠ شهيداً غير مئات المصابين.
- **١٨/ ٤/ ١٩٩٦:** مروحيات ومدفعية الصهاينة يقصفون ملجأ «قرية قانا» مما أدى إلى استشهاد ١٦٠ مدنياً، وقد أكد التقرير المحايد أن «الإسرائيليين» تعمدوا قصف المدنيين بلا سبب مقنع.
- **٢٧/ ٩/ ١٩٩٦: مذبحة النفق:** استشهد ٧٠ فلسطينياً برصاص اليهود وهم يدافعون عن الأقصى بعد قرار حكومة العدو بفتح نفق تحت الأقصى.
- **أكتوبر ٢٠٠٠** : عشرات القتلى ومئات الجرحى بعد زيارة شارون الاستفزازية للحرم القدسي.

١٣ـ حقائق في قلب الحدث:

أ ـ فتـــــاوى....

فتوى علماء فلسطين الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد في القدس في ٢٦ يناير ١٩٣٥، في حرمة بيع الأراضي لليهود، وقد وقع على هذه الفتوى ما يقارب ٢٥٠ من العلماء والقضاة والأئمة والخطباء من سائر أنحاء فلسطين وعلى رأسهم مفتى القدس الشيخ محمد أمين الحسيني.

نداء علماء الجامع الأزهر الشريف بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى في عام ١٩٤٧، وكان ذلك إثر صدور قرار التقسيم، وقد وقع على هذه الفتوى مشايخ الأزهر وأعضاء جماعة كبار العلماء يتقدمهم الشيخ محمد مأمون شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية.

فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتحريم الصلح مع الكيان الإسرائيلي ووجوب الجهاد في عام ١٩٥٦، وكانت بشأن ما يجب على المسلمين نحو قضية فلسطين، والموقف الإسلامي من « الصلح مع إسرائيل».

فتوى علماء المؤتمر الدولي الإسلامي من باكستان في عام ١٩٦٨ في عدم جواز صلح المسلمين مع اليهود المعتدين، مع ضرورة أن يقوم المسلمون بواجب الجهاد، وقد وقع هذه الفتوى مجموعة من علماء باكستان الأجلاء يتقدمهم الشيخ أبو الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلامية ـ رحمه الله.

وهناك فتاوى أخرى كثيرة جماعية وفردية منها فتوى الشيخ محمد شعيب رضا الذي أفتى بأن «من يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود، فهو كمن باع المسجد الأقصى» وفتوى علماء نجد في يوليو ١٩٣٧ وفتوى علماء العراق في يوليو ١٩٣٧، وفتوى لجنة الفتوى في الأزهر الشريف سنة ١٩٧٩.

ب ـ فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين:

«الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصلاة والسلام على من أسري به إلى الأرض المبارك فيها للعالمين، قبلة المسلمين الأولى، وأرض الأنبياء ومهبط الرسالات، وأرض الجهاد والرباط إلى يوم الدين، وعلى آله الأخيار وصحبه الذين عطروا بدمائهم الزكية تلك الأرض الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام، ورفعوا فيها راية خفاقة عالية، وطردوا منها أعداءه الذين دنسوا قدسه بالشرك والكفر على الذين ورثوا هذه الديار، فحافظوا على ميراث المسلمين ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم وبعد :

فإن مهمة علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل، وادلهمت عليهم الخطوب.

ونحن الموقـعين على هذه الوثيقـة نعلن للمسلمين فـي هذه الظروف الصعـبة أن اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اغتصبوا فلسطين، واعتدوا على حرمات المسلمين فيـها وشردوا أهـلها، ودنسوا مـقدساتهـا، ولن يقر لهم قـرار حتى يقـضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم ويتسلطوا عليهم في كل مكان.

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثـاق في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحـوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أي جزء منها أو تعترف لهم بأي حق فيها.

إن هذا الاعتراف خـيانة لله والرسول وللأمـانة التي وكل إلى المسلمين المحافظة عليهـا، والله يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، وأي خيانة أكـبر من بيع مقدسـات المسلمين والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعـداء الله ورسوله والمؤمنين. إننا نـوقن بأن فلسطين أرض إسلامـية وسـتبـقى إسلامـية، وسيحـررها أبطال الإسلام من دنس اليهـود، كما حررها الفـاتح صلاح الدين من دنس الصليبـيين، ولتعلمن نبأه بعد حين، وصلى الله على عـبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وهذه الفتوى من الفتاوى الجامعة المحرمة للتنازل عن أي جزء من فلسطين، وقد تم التوقيع على هذه الفـتوى من قبل علماء المسلمين، ورجال الدعـوة الإسلامية في الفترة من ديســمبر ١٩٨٨م ـ وحتى نوفمبـر ١٩٨٩ م، وقد وقعها كوكـبة من علماء الأمة زاد عددهم عن ستين عالماً وداعياً مثلوا مختلف البلدان والتيارات الإسلامية.

جـ ـ هذا تسامحنا... العهد العمري:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا مـا أعطى عبـد الله أمـير المؤمـنين عمـر أهل إيليـا من الأمـان، أعطاهم أمـانا لأنفسـهم وأمـوالهم ولكنائسهم وصلبانهم « سقيمها وبريئها »، وساير ملتها، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية، كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخـرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم أمن على نفسـه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقـام منهم فهو آمن مثل ما علـى أهل إيليا من الجزية، ومن

---

(١) الأنفال: ٢٧ .

أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعتهم وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما لى أهل إيليا من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه ، وإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا عهد الله تعالى وذمته وذمة رسول الله [وذمة الخلفاء الراشدين وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك

خالد بن الوليد ـ عمرو بن العاص ـ عبد الرحمن بن عوف ـ معاوية بن أبى سفيان[(١)] .

د ـ وهذا حقدهم إلى مدير الأوقاف العام :

. . . ولقد تبين من أوساط إسرائيل موقوق بها، وخاصة الشرطة أن لديكم معارضة إلى حد بعيد المدى لأداء الطقوس والشعائر الدينية للفئات اليهودية المتدينة في إسرائيل، فعلى غدار ذلك أصبحنا نتحدى بعضنا بعضاً وعلناً وجهاً لوجه، ومن يسلبه بالقوة هو الفائز، فنسقنا خطة لتفجير الأقصى ومسجد عمر بن الخطاب مع زعيم حركة غوش إيمونيم كهانا وأبناء جبل بيت الهيكل .

فلذلك نذكركم بضبط النفس وعدم المعارضة والسماح لنا بالصلاة مع المتدينين وعدم اعتراض سبيل إصدار أمر من أوامر روابط القوى العسكرية مع الإدارة المدنية، نحذركم يوم الالتقاء المعين هو يوم الأربعاء ليلاً ٣٠/ ٣ إلى يوم السبت ٢٣/ ٤ للصلاة فى المسجد الأقصى الذى تدعون أنه أقصاكم، وإن اعترض سبيل أحد سوف يدمر بظرف نصف ساعة، فلكم التفكير والشورى (٢٤) ساعة من بعد يوم الموعد المحدد من نسف أقصاكم؛ لذلك ليتسنى لكم اتخاذ موقف محايد مؤيد لنا. وإلا سوف نتخذ بعد نسف أقصاكم عدة إجراءات ضدكم وهى :

١ـ تنحيتكم عن ما يسمى بأوقاف القدس.

٢ـ إبعادكم إلى خارج إسرائيل.

٣ـ العقاب الجسدى ضدكم شخصيا.

لقد أعذر من أنذر. أنتم تتحملون كافة النتائج.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٤٩).

زعماء روابط القري ـ كهانا / أمناء جبل بيت المقدس/ مندوبو كريات أربع.

″˚UdH(˙ d ˙R

هدم اليهود حى المغاربة نهائياً بعد حرب يونيـو ١٩٦٧ مباشرة، وقد استمرت هذه الحفريات سنة كاملة ووصل عمقها إلى ١٤ متراً.

حريق المسجد الأقـصى عام ١٩٦٩: وجرت الحفريات على امتـداد ٨٠ متراً حول السور.

ما بين عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ بدأ شق الأنفاق تحت المسجد الأقصى.

١٩٧٣: اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى.

١٩٧٤: توسعت الحفريات تحت الجدار الغربي.

١٩٧٥، ١٩٧٦: أزال اليهـود مقبرة للمـسلمين تضم رفات الصحابيين عـبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضي الله عنه.

١٩٧٧: وصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى.

حفريات جديدة قرب حائط البراق، وتم شق نفق واسع طويل.

١٩٨٦: الحفريات تنتشر في كل مكان، وتم إجلاء أعداد كبيرة من السكان من القدس القديمة.

المرحلة الأخـيرة والخطيـرة تستـهدف تفـريغ الأتربة والصخـور من تحت المسـجد الأقصى ومسجد الصخرة وتعريضها للانهيار.

٢٤/ ٩/ ١٩٩٦: سلطات الاحتلال تعيد فتح النفق الخطير عشية عيد الغفران اليهودي.

أكتـوبر ٢٠٠٠: شارون يدنس حرمة المسـجد الأقصى بزيارة اسـتفزازية وانتفـاضة شعب فلسطين تسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى.

فماذا تنتظرون يا مسلمون؟

و ـ وما تخفى صدورهم أكبر:

■ (الذي يتمشى أربع أذرع في أرض «إسرائيل» على يقين من أنه من أبناء الآخرة) «التلمود».

■ (إن فتح أبواب الشرق لليهود في فلسطين ليتوقف بالدرجة الأولى على تدمير الخلافة العثمانية) «هرتزل».

■ (نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام) «بن غوريون».

■ (إننى لن أطمئن على مستقبل معاهدة كامب ديفيد وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء على الحركات المتعصبة الإسلامية). «مناحم بيغن».

■ (إننا نجونا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً) «صحيفة يدعوت أحرنوت اليهودية».

■(لا يمكن أن يتحقق «السلام» في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه) «شمعون بيريز».

ز- نفس التاريخ:

٧ حزيران / يونيو عام ١٠٩٩م: احتل الصليبيون بيت المقدس.

٧ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧م: احتل اليهود بيت المقدس.

٢٧ رجب / (قبل الهجرة): ذكرى الإسراء والمعراج.

رجب / سنة ١٧ هـ: عمر بن الخطاب يتسلم مفاتيح القدس.

٢٧ رجب ١١٧٨م-٥٨٣ هـ: صلاح الدين الأيوبي يحرر بيت المقدس من الصليبيين.

سادساً: القضية الفلسطينية بين الوهم والحقيقة

١ـ ورب صرخة تحيي أمة:

إلى الساهين اللاهين السامدين عما يحدث لأمتهم، لا عظم الله أجر الأفاكين، بل تبوؤوا من الذلة منزلا، ومن العـار محلا أرذلا، وشكرا لدموع السـاهين الغالية، الذين تكلفوا على أنفسهم، وذرفوها أمام شاشات المحطات التلفازية التى تحولت إلى حائط مبكى عـربي، يعرض لقطات الألم والحزن، والقهـر والدموع من أجل القدس ما بين لقطة فيديو كليب ومسلسل مدبلج، فيردون التحية دموعاً سحاء ساخنة ما بين وجبة طعام يلتهمونها، وحلوى يختمون بها...

يا لنا من أمة عـاجزة ذليلة، تجتـر آلامها وجراحـاتها، لا تمل من الافتـخار بالماضي المشرق، ولا تسـتحي من جلد صلاح الدين في قـبره كل يوم بموافقـتها المخزية والخـانعة، كيف لا وقد تملكها حب الدنيـا وعمتها كراهية الموت فصـغرت، وحقرت وذلت، بعد أن نكلت بالفـئة المؤمنة، واعتـقلت أهل الجهـاد، وصادرت أنفاس العـباد، ومـهدت لمنكر، وترصدت لمعروف، أمة هذه حالها لا يرتجي منها إصلاح... ولا يؤمل لها فلاح...

ورحم الله العامل بقول القائل:

وَلاَ تَكُ عِلَّةً فِي عُنْقِ جَدٍّ رَمِيمِ الْعَظْمِ أَوْ عِبْءٍ عَلَى ابْنِ

وصدق رسول الله ﷺ؛ إذ يقول: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»(١)، يا لنا من أمة تدعـو ربها بالنصر، وقـد سلمت قيادتهـا لمندوب سام بزي وطني، وأباحت فكرها لمستشرق مارق في زي مفكر، وسلمت وسـائل إعلامها لماخور في زي محطة إرسال، يا لها من شعوب لاهية غافلة، كل آمالها أن تتابع بطولات كرة القدم، وكل همها أن ترضي طغاتها، الحلال ما أحلوا والحرام مـا حرموا، أصبح شعرها وجهادها صفيرا، شورتها الطبل، وجهادها الرقص، تختفي منها أسماء (يحيى عياش... وعماد عقل.. ومحمود أبو هنود).. ويبقى في ذاكرتها... بابل وجرش وقرطاج...

لا زالت هذه الأمة تدفع حـتى اليوم فاتورة «تحـرير القدس عبـر الكويت» حتى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، والترمذي (١٤٢٥)، وابن حبان (٥٣٤)، وأحمد (٢/٢٥٢) عن أبي هريرة #.

باعت شرفها وتاريخها وكرامتها.. ولا زالت تسدد الديون...

عقد كامل..وقطار العذاب الذي أطلقه البعث العراقي من الكويت لم يتوقف.. يمر في مناطق ودول لا يربطنا بها إلا أصبع سبابة، ينطق بلا إله إلا الله وما نقموا منا إلا لإيماننا بالعزيز الحميد. مناطق ودول تمر في مخيلتنا لم يبق منها في ذاكرتنا إلا ألم الذل والهوان والصغار.. تذكر الواهمين بعولمة الجشع والاستحمار.. وتؤكد القاعدة الأبدية أن الأمم المستعبدة تتحرر بمنطق القوة لا بمنطق القرار.. والشواهد كثيرة وفيرة، وصدق رسولنا ﷺ؛ إذ يقول: «**وجعل رزقي تحت ظل رمحى**»[1]، وصدق القائل عن السيف:

بسَيْفكَ يَعْلُو الحَقُّ والحَقُّ أَغْلَبُ ... ويَنْصُرُ دينَ اللَّه أَيَّانَ تَضْرِبُ
وَمَا السَّيْفُ إلاَّ آيَةُ الْمُلْك في الْوَرَى ... وَمَا النَّصْرُ إلاَّ للَّذي يَتَغَلَّبُ
فَأَدِّبْ بِه الْقَوْمَ الطُّغَاةَ فَإِنَّهُ ... لَنعْمَ الْمُربِّي للطُّغَاة الْمُؤَدِّبُ

وهاكم سدنة المجتمع الدولي يحللون ويحرمون، كما يحلو لهم، وتلك لعمري قسمة ضيزى، فحلال على الجبل الأسود أن يتحرر، وحرام ذلك على البوسنة، وحلال على كرواتيا أن تعلن دولة، وحرام على كوسوفا وحلال على تيمور أن تنفصل، وحرام على الشيشان، وحلال على الهندوس أن يمارسوا الإرهاب، وحرام على مسلمي كشمير أن يمارسوا الجهاد، وحلال على اليهود أن يحتلوا فلسطين، وحرام على الفلسطينيين أن يرموا الحجارة...

معادلات كافرة لا تستحق الاحترام، وازدواجية مقيتة لا تستحق الالتزام، وديون متراكمة تستحق الانتقام، فكيف يمكن أن تجمع المتفرقات وتنسجم المتناقضات، ونفك طلاسم المفاوضات. أتدافع أوهن الأمم عن نفسها ونغفل عن نفسنا، يا لله لأمة العنكبوت حاربت دون بيتها، ولم نحارب دون مقدسنا ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ**﴾[2]، يا لله لأمة الدود، تدفع عن نفسها، وتضحي في سبيل غيرها،

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا، في كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الرمح (٦/ ١١٥ فتح)، ووصله أحمد (٢/ ٥٠)، وأخرجه عبد بن حميد (٨٤٨)، وابن الأعرابي في معجمه (١١٣٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٢) (العنكبوت : ٤١) .

وقد تقاعسنا عن أن نضحي في سبيل ديننا ومقدساتنا :

كَدُودَةِ الْقَزِّ مَا تَبْنِيه يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

يا لله لأمتنا، ويا لله لخيبتنا ونكستنا، أفعندما يقوم اليهود المجرمون بمذبحة الحرم نقوم نحن بإبعاد قادة حماس بعيدا عن فلسطين، وعندما يقوم اليهود بقصف مخيم قانا نقوم نحن بتقبيل يد أرملة الهالك رابين. وعندما يقوم اليهود بامتصاص الثروة المائية نقوم نحن بتزويدهم بالغاز. . وعندما يصفنا حاخامات اليهود بالأفاعي نصفهم نحن بأنهم رسل سلام، وعندما يسعى ويخطط اليهود لهدم المسجد الأقصى، نقوم نحن بالبناء في « أبوديس » وعندما يقوم اليهود ببناء المستوطنات نقوم نحن بمقاولة البناء وعندما يعلن اليهود أن دولتهم دينية بالمقام الأول نقوم نحن ببناء كازينوهات القمار والميسر، وعندما يستبيح شارون حرمة الأقصى على جثث ودماء الشهداء نصفق نحن لوجود ورقة رابحة جديدة على طاولة المفاوضات. . .

يَا لَقَوْمِي وَيْحَكُمْ قَدْ غَدَوْنَا فِي الْوَرَى
كُلُّ يَوْمٍ نَتَرَدَّى وَعِدَانَا فِي الذُّرَى

٢ ـ الوهم والحقيقة:

● **الحقيقة :**

● **حقيقة هذه الأمة في صراعها لن يكون هناك شيء يبين الحقيقة كالقرآن الكريم :**

قال تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ . وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . .**﴾(٤).

(١) آل عمران: ١٣٨ ـ ١٤٠ .
(٢) الصافات: ١٧٣ .
(٣) محمد: ٧).
(٤) المائدة: ٥١ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

● **حقيقة اليهود في مكرهم:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾(٣).

● **حقيقة السنن الكونية والشرعية في الأمم وصراعها:**

أ ـ الحقيقة الأولى أن الله سبحانه وتعالى قد أقام السموات والأرض على قانون التدافع:

قال سبحانه: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤). ودفعنا معاشر المسلمين في فريضة الجهاد:

وَمَا السَّيْفُ إِلاَّ آيَةُ الـمُلْكِ فِي الْوَرَىَ ... وَمَا النَّصْــرُ إِلاَّ لِلَّذِي يَتَغَلَّــبُ

والجهاد هو العملة الحقيقية غير الزائفة؛ إذ لا يحتمل الوهم ولا التغابن ولا المساومة.. ولا وحل المفاوضات العقيمة التي أوحلتنا وأذلت كرامتنا وضيعت علينا قدسنا..

ونظرة إلى آيات القرآن نرى فيها هذا المنهـاج الوضاء جليًّا، قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٦).

وقد ضمن الله سبحانه لنا النصـر بشروط، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٧)، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٨)، وقال العلماء: (إذا اعتدى على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على

---

(١) يونس: ٨١.
(٢) المائدة: ٦٤.
(٣) الحشر: ١٤.
(٤) البقرة: ٢٥١.
(٥) التوبة: ٤١.
(٦) الحج: ٧٨.
(٧) محمد: ٧.
(٨) المجادلة: ٢١.

كل مسلــم ومسلمة) وهذه الـقضيــة لا تحتــاج إلى كثرة أدلة ونصــوص وإنما هي في وضــوح شمس النهــار. . . حـيث استلبت فـلسطين واستـبـيحت الدمـاء، ودنست الأعراض، ولم تُجْـدِ طاولات. . . ولا موائد. . . ولا عــهود. . . . ولا اتفــاقات، فبقى نعلم أن الجهاد هو الحل؟ والحل هو الجهاد.

وأبشروا مـعاشر المسلمين بالنصر بإذن الله، فـهو قادم لا محــالة، وصدق النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضـرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**»[1]، وقوله ﷺ: «**سيقاتل المسلمون اليهـود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله**»[2].

٢ـ الحقيقة الثانية أن بداية انهزام الأمة وركونها للأرض كان بسبب تركها للجهاد:

قــال النبي ﷺ: «**يوشك أن تداعى عـليكم الأمم من كل أفق، كــمـا تداعى الأكلة إلى قصعـتها** » قيل: يا رسول الله أمن قلة نحن يومـئذ؟ قال : «**لا، ولكنكم غثاء كـغثاء السيل، يجعل الله الـوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب أعدائكم لحبكم الدنيا وكـراهيتكم الموت**» وفي رواية قالوا: وما الوهــن يا رسول الله؟ قال: «**حبكم للدنيا وكراهيتكم للقتال**»[3].

جـ ـ الحقيقة الثالثة أن النصر يكون بنظافة الصف ونقائه ووحدة الكلمة :

فـهذا صــلاح الدين في أكتــوبر من مــثل هذا الشهــر سنة ١١٧٨م أرجع أرض المسلمين من الفرنجة في حطين، ولكنه أرجعها بعد أن كون جيل النصر، فانظروا إليه وهو يمر بين خيام المجـاهدين في ليلة المعركة فيــرى خيمة قد رغـد أهلها ولم يسمع لهم نشيج البكاء في جوف الليل، فقال : من هذه الخيمة ستأتينا الهزيمة فبالله عليكم فكيف لو جاء اليوم وطاف ببلاد المسلمين، فوجـد المراقص في شارع الهرم والمواخير في بيــروت، والخمــارات والمراقص في بغداد، وعــمارات الطرب واللهــو في دبي، وسواحل العري في تونس فماذا سيقول ؟

لقد بقي الفرنجة ثلاثة أضـعاف المدة التي تمتد ـ من قيام اليهــود بالاستيلاء على

(١، ٢) حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨) وابن أبي الدنيا في «العـقوبات» (٥)، وابن عساكر في تاريخه (٨/ ١٩٣) عن ثوبان #، وإسناده حسن.

فلسطين سنة ١٩٤٨م إلى يومنا هذا ـ نعم لقد بدأت المعركة مع جيل عماد الدين زنكي، ثم تخطيط نور الدين محمود الذي جاء من بعده، وتوفي قبل تحقيق حلمه؛ ليكمله بعد ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي بدأ يتحرك بتخطيط مدروس وخطوات واضحة يعرف أين سيصل ومتى، وقد وصل، وحرر فلسطين والقدس وهكذا هزيمة جيل ما قبل عماد الدين ونور الدين، وتفكك الأمة لم يكن نهاية التاريخ، ولم يكن مبرراً للهرولة والاستسلام والتشكيك بقدرات هذه الأمة على استعادة حقوقها، وما النصر الذي حققناه وضيعناه في أكتوبر سنة ١٩٧٣م منا ببعيد. وسيأتي من يحمل الراية وإن سقط الشهداء فهذه مؤتة يستشهد فيها من عينهم النبي ﷺ قادة للجيش الإسلامي الذي كان تعداده ثلاثة آلاف مسلم أنهكهم السفر والتعب في مقابل مائة ألف من الروم المجهزين المتحصنين، يستشهد زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة جميعاً، ليحملها بعد ذلك سيف من سيوف الله دخل جديداً في دين الله؛ ليكون له النصر، بإذن الله وهو خالد بن الوليد.

د ـ الحقيقة الرابعة: إن تخلينا عن رسالتنا فسيحمل المشعل غيرنا:

فدين الله لا ينطفئ نوره إلى يوم القيامة ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ (١).

أحبتي الكرام...

الحقيقة الكبرى إننا سننتصر بمشيئة الله تعالى وفضله ولكن لابد من الاستمرار كما قالها مدوية قائد الانتفاضة في فلسطين الشيخ أحمد ياسين: (القرن الحالي هو قرن الإسلام والتحرير، وستكون هناك عدة انتفاضات ليست بالحجارة، بل بالمتفجرات والصواريخ التي تزيل الكيان الإسرائيلي من الوجود) ونحن إذا كنّا على مستوى المسؤولية الإيمانية نستطيع أن نرددها مع خالد بن الوليد: (لو صعدتم إلى السماء لأصعدنا الله إليكم أو لأمطركم بإيماننا).

القضية الفلسطينية والوهم:

يتركز كلامي في هذا الحديث على حقيقتين أحلاهما مر، ثبتتا وصدقتا معا مقالا

---

(١) محمد: ٣٨.

وحالا وواقعا ملموسا وألما محسوسا لكل ذي عينين رانيتين إلى الحقيقة أو ألقى السمع وهو شهيد.

❖ **وهاتان الحقيقتان هما :**

١ـ أن القضية الفلسطينية بيعت لوهم التمرد والتمدن والتحضر بعد القضاء على الخلاقة الإسلامية.

٢ـ أن قضية القدس بيعت بوهم القومية الناصرية، وبباطل الرفاه والانفتاح الساداتي، وحلم الدويلة العرفاتية.. بعد كسر الحركة الإسلامية ووأد صحوتها...

ولكل حدث حديث، ولكل نتيجة سبب، وفي كل سبب مقدمات فمعاً نطرق مجاهل التاريخ، ونستكشف أحداثه، ونسأله الخبر «وعند جهينة الخبر اليقين»[1].

رؤية تحليلية للحدث الشاروني :

قراءة فاحصة إلى بؤرة الصراع الأولى اليوم التي أحدثها إريل شارون تخبر في صريح تحليلها عن أن إقدامه في هذا التوقيت من الأحداث الدولية حيث نهاية فترة الرئيس كلينتون.. والمراهنات على من سيخلفه... إنما كان مبيتا بليل ومنظما بنهار، وأنه جاء نتاجا لرؤية كلية كان مخططًا لها من قبل دهاقين السياسة اليهودية وصناديق الحركة الصهيونية العالمية... ترمي إلى قياس رد الفعل الإسلامي والعربي إزاء الخطة التوراتية والعقيدة التلمودية الرامية إلى تهويد القدس، وهدم المسجد الأقصى وإعادة الهيكل السليماني المزعوم.

وليس عبثا أن يقدم سفاح صبرا وشاتيلا شارون على خطواته تلك إلا وهو مرتكز على وعي منه ومن زمرته أن واقع الدول العربية والإسلامية كالتالي :

١ـ دول عربية طبعت وعقدت معاهدات سلام مع اليهود.

---

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٩١) وعزاه للدارقطني في غرائب مالك من حديث ابن عمر: «إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال: جهينة، فيسأل أهل الجنة هل بقي أحد يعذب فيقول: لا، فيقولون : «عند جُهينة الخبر اليقين»، قال الدارقطني.. باطل، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٦): «موضوع».

٢ـ دول عربية تهرول الآن لتلحق بركب السباقين للتطبيع مع اليهود.

٣ـ دول عربية من سوء وضعها الاقتصادي وفقرها حتى لا تكاد تدرك في خارطة العالم.

٤ـ دول عربية بينها خلافات عربية لا يتصور قبول أحد منهم لحكم المحاكم الدولية.

٥ـ تنازلات متلاحقة من السلطة الفلسطينية لليهود من أجل إعلان الدولة العرفاتية ؟

أنا لست سياسياً ولذلك لا أعرف ماذا سينتج عن هذا الجمل، فماذا سينتج هذا الواقع. . . . ؟

ومع هذا قد يكون الاستكبار والاستعلاء اليهودي والغربي من أسباب حياة الأمة ولله في خلقه شؤون.

أحبتي الكرام...

وبينما أقلام كـتّاب الأمة العربية ومـفكريها تسيل دموعا وشـعرا على الأحداث الداميـة في فلسطين، وقلوب شعـوبنا الرهيفة ملتـهبـة، وأفواهها فـاغرة، والألسنة منطلقة تهتف. . الموت لأمريكا. . . الموت لإسرائيل.

والغرب يخطط ولا نعلم أين تلقى علينا شباكهم هذه المرة. . . ؟!

هل تحتوينا وتأخذنا إلى مزيد من التنازلات فالتنازلات. . . تلقي لنا بضعة أمتار نتلهى بها. . . ونتقـاتل على ترابها ونصفد الحركات الإسلامـية. . . وتكسر القلوب الوطنية. . . ليصفق لنا الغرب. . . وتطرب منا أمريكا. . . ويغرقوا عرفاتهم في مزيد من القُبلات والصور مع رؤسائهم ووزيرات خارجيتهم أو داخليتهم !!!

إنها فصول متـتالية متتابعة لدراما بيع الأوهام. . . يفـضي بعضها إلى بعض في مشهد أخير مرّ اسـمه (الحل. . . مائدة المفاوضات) على أو فوق أو تحت لا يهم. . . أهم شيء لا إسلام ولا جهاد. . . !

ـ نعم إنهـا مـائدة ولكن هي مـائدة مـسـاومـات أو فلنقل: مـسـالمات. . . أو تنازلات. . . وإن شـئت فقل هي مـائدة من موائد كـازينو أريحا الذي تتـلألأ أنواره ليلا، وتنبعث روائحه نهارا. . .

تبدأ دراما الوهم هناك في حاضرة الخلافة الإسلامية في تركيا، ويفتح فصولها الرجل الصنم الذى نصب رمزا للتحضر والتمدن والانفتاح . . . ألا وهو كمال مصطفى أتاتورك، حيث أعمل معاوله بدعم من اللوبي اليهودي، وسند من إنجلترا ممثلة في سفيرها (بيرسي لوين)[١].

فحاك اليهود خيوطهم، ودبروا مكائدهم بليل، واستخدموا أتاتورك وحزبه الاتحاد والترقي، وبدؤوا يجتثون شجرة الخلافة عن طريق[٢] طرح فكرة فصل الدين عن الدولة . . .

ودعمت بريطانيا الكماليين في الشروط الأربعة التي أملاها كيرزون لاستقلال تركيا وهي:

١ـ قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢ـ إلغاء الخلافة الإسلامية.

٣ـ إخراج أنصار الدين الإسلامي من البلاد.

٤ـ اتخاذ دستور علماني بدلاً من القرآن الكريم.

ورافق هذا سعي إنجليزي بتخطيط يهودي لإثارة القوميات العربية داخل الولايات العثمانية سابقاً على يد لورانس الإنجليزي.

وتحقق أيضا ما توقعه الكاتب الروسي نيلوس سنة ١٩٠١م ـ ١٣١٩ هـ، من أنه لا بد أن تسقط الخلافة الإسلامية قبل أن تقوم دولة إسرائيل كما عرف من مطالعته لبروتوكولات حكماء صهيون « لابد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية إلى فلسطين»[٣]، وأعقب ذلك مباشرة وعد بلفور سنة ١٣١٣هـ/ ١٩١٧م من جانب وزير الخارجية البريطاني بمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود.

---

(١) بلغ من شدة حب أتاتورك له وثقته فيه أن رشحه ليخلفه في رئاسة تركيا؛ انظر: جريدة الأهرام المصرية ١٦ ذو القعدة ١٣٨٧هـ ـ ١٥/٢/١٩٦٨م.

(٢) انظر: عن هذه الحقائق كتاب الرجل الصنم تأليف ضابط تركي سابق ترجمه عبدالله عبدالرحمن صفحة ٨٢٧ ـ ط : الشركة المتحدة : بيروت ١٩٧٧م.

(٣) انظر: مخططات الاستعمار : إعداد وزارة الدفاع الإماراتية بإشراف/ خالد الشيبة، ط٣ : بنك دبي د.ت.

وللمهزلة أراد صدام أن يستخدم عبارات أسياده اليهود، فقرر تارة أن يصل إلى فلسطين من خلال إيران، ثم غير ليصل إلى فلسطين من خلال الكويت وصفق له المزمرون والمهرولون.

ـ أما عن الفصل العربي فحدث ولا حرج حيث بيعت فلسطين والقدس أكثر من مرة ابتدأت من خضوع الملك فاروق للإنجليز، وإيعازه لرئيس وزرائه بحل جماعة الإخوان حاملة لواء الجهاد في فلسطين ضد اليهود سنة ١٩٤٨م، وإيداعهم للسجون. . . حتى وقتنا الحاضر الذي يطرد فيه أعضاء الحركة الإسلامية من حماس من الأردن وفلسطين ويزج بالباقين في السجون والمعتقلات.

وإذا كانت الدول العربية قد خاضت مع إسرائيل أربع حروب طاحنة خلال ثلث القرن العشرين والتي هي:

١ـ حرب عام ١٩٤٨م **٢ـ حرب عام ١٩٥٦م**

٣ـ حرب عام ١٩٦٧م **٤ـ حرب عام ١٩٧٣م**

فإن تلك الحروب تكشف عن هزائم نكراء للعرب في كل حال على ما قال الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى المزني :

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضْرِ إذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجْ فَتُتْئِمِ

نعم عركتنا رحى الحرب وآلت بنا إلى:

حوز إسرائيل للمناطق الزراعية الخصيبة في حيفا ويافا والضفة.

الاستيلاء على المواقع الإستراتيجية الهامة كمرتفعات الجولان.

السيطرة على المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

كسر الحاجز النفسي بين العرب وإسرائيل.

التمهيد للتطبيع وإدراج القضية الفلسطينية طي النسيان.

وقد ابتدأت فصول دراما بيع الوهم بعد فاروق منذ أيام عبد الناصر، وقد اصطنع

الغرب عبد الناصر، كما يذكر هذا صراحة مايلز كوبلاندر في كتابه «لعبة الشعوب » عن طبيعة العلاقات بين الثورة المصرية والسياسة الأمريكية تاريخها وتطورها وأسرارها خلال ١٧ عاما[١]، فقد أخذت حكومة عبد الناصر عهدا بقيادة رئيس الوزراء زكريا محيى الدين حينئذٍ وقادة المخابرات قرارا بكسر الحركة الإسلامية، بل وإبادتها في مصر كما في محضر اجتماعهم السري (البند) رقم٩٦، وبعد كسر الحركة الإسلامية هام عبد الناصر في ذاته ووهم بالتفاف الجماهير حوله حتى كانت الهزيمة النكراء في سنة ١٩٦٧م ، فتحقق بذلك لليهود ما أرادوا.

قال كوبلاندر: «رسمنا لعبد الناصر طريقا واللعبة مستمرة» وبالفعل تم شراؤه لشعارات رنانة، وخطب طنانة لا تسمن ولا تغني من جوع[٢].

ثم خلف عبد الناصر الرئيس السادات، وكانت فصول الدراما في عهده بالفعل عيانا ، حيث ضيع ثمار نصر سنة ١٩٧٣م بأن كسر الحاجز النفسي بين العرب وإسرائيل وراح يبذل لهم هدية النصر في تنازل سهل في صورة سلام على طاولتهم بعقد اتفاقية كامب ديفيد وزيارته للكنيست.

فصار الأمر كما قال إدوارد تيفنن في كتابه « اللوبي وسياسة أمريكا الخارجية »: تمكنت إسرائيل وبمساعدة الأمريكيين، بتكتيك معاكس ممتاز من تحويل هزيمتها إلى نصر سنة ١٩٧٣م[٣]، وهذا التكتيك المشار إليه هو الفصل المحكم في مسرحية بيع الوهم؛ حيث راحت القدس أدراج الرياح... وبيع النصر الذي دقت فيه العظام، وسحقت فيه الجماجم، وسالت فيه الدماء، بحفنة وعود زائفة (الانفتاح... الاقتصاد) وكان الثمن هو فلسطين والقدس، ثم أتى عهد الدويلة العرفاتية... عهد القبل الحارة... وتقبيل الأيدي... والذلة والمهانة...

ياليت كانت حالنا كما قال الشاعر :

رضيت من الغنيمة بالإياب

---

(١) انظر الكتاب ص ٦٢ ـ ٧٢ د.ن، د.ت.

(٢) انظر: وثيقة خطيرة في كشف مخطط عبد الناصر لضرب الحركة الإسلامية ص ٥، ٦ د.ت، د.ن.

(٣) انظر: اللوبي (اليهود وسياسة أمريكا الخارجية) ترجمة د. محمود زايد ص٦٣ ط ٢، شركة المطبوعات: بيروت ١٩٩٠م.

ولكن لسان حال عرفات يقول : رضيت من الغنيمة بالسراب...
لقد طال ليلنا... وعظم خطبنا... وادلهم ظلامنا
ورحنا الهوينا... وما عقبنا إلا الضياع
فهل تعلنها الأمة جهاداً لا هوادة فيه.

بين الوهم والحقيقة : أمور سيجيب عليها الزمن !!

١ـ هل ستنتهي في عالمنا العربي والإسلامي صور المهازل والإسفاف :

يتساقط الشهداء والجرحى بالرصاص اليهودي بينما طائرات « العال » الإسرائيلية تهبط وتصعد بأمان في بعض العواصم العربية، ولا أستبعد أن تحط في مطار ولدهم المدلل في بغداد لتكسر الحصار الاقتصادي المفروض على العراق...!! هل سينتهي العبث بعقولنا ونحن نسمع أنه ستقوم دولة خليجية بشحن خمسين ألف نباطة للانتفاضة وهي في نفس الوقت تشحن الغاز الطبيعي لإسرائيل، وتطعن بعروبة الكويت لتحمي في نفس الوقت الوفد الاقتصادي الدائم الإسرائيلي في فندق الشيراتون على أرضها.

تحط طائرة مخطوفة بمهزلة عراقية؛ ليصرح لنا قائد الاستخبارات العراقي، أن الخاطفين جاؤوا إلى العراق؛ لأنها تحترم حقوق الإنسان!!

٢ـ هل سينتهي مسلسل السفسطة في عالمنا العربي، بعد بيع الكلام من رئيس اليمن علي عبد الله صالح في أنه لابد من الجهاد والحرب وهو يريد بذلك أن يقلد أستاذه صدام، ولكن وبعد الكدمة المصرية له على مسمع المحطات الفضائية رجع إلى لحس كلامه من خلال نائب رئيس الوزراء في اليمن (عبد القادر باجمال) الذي قال للشرق الأوسط: إن هذه الحرب لن تحصل؛ لأن العرب غير جاهزين للحرب، ولا رغبة لديهم بها، وهم يعرفون نتائجها سلفاً. أ.هـ ثم هرطقة كلامية عربية يتفاصح علينا بها أين الأصل العربي (اليمن) فيقول مفلسفاً صيحة سيده في فتح الحدود ومد الفلسطينيين بالسلاح فيقول: «إن السلاح ليس بالضرورة البندقية والذخيرة والرصاص!! ولعله يقصد الخمسين ألف نبّاطة التي أرسلتها الدولة الخليجية»، أما سفسطة وهرطقة عرفات فأظن ابن سينا الفيلسوف وبطليموس سيحتار في فهمها.

٣ـ هل سينتــهي مسلسل مــهزلة: صدام الذي كــان معــولاً كبيــراً في هدم الأمة العربيــة والإسلاميــة، بل ومعــولاً في هدم الأقصى حيث رجع إلــى الضحك على عقول الأمــة؛ لأنه يعرف أن من العرب من يســتخفهم الطرب، وتطربهم الــشعارات الكاذبة، وتسكرهم الكلمات الصاخبة، وإن كانت جوفاء من كل معنى، فمع أن هذه كلمة جوفــاء إلا أنها لاقت آذاناً عربية حمــقاء صاغية، ونــسي الناس أن العراق قبل الانقــلاب البــعــثي ١٩٦٨م كــان له جــيش يرابط في الأردن؛ لحــمــاية الأردنيين والفلسطينيين ولكن استحدثوا أموراً ثم سحبوا الجيش، حتى تظل شعاراتهم قائمة بلا فعل (تحرير كــامل التراب الفلسطيني) هذا الذي يريد أرضاً ولا زال الناس يصــفقون له، وسيجــتمع الناس في القمة العربيــة؛ ليكون أكبر نتاج لهم إرجاع العــراق بقيادة قصي، وسيخطب الناس: «من أجل فلسطين والقدس لننسى خلافاتنا !! وذلك لكي لا يشذ أحــد عن عرفات في إعــطاء التنازلات، وإنني أذكركم أنه منذ عــشرين سنة أخذ هذا الطاغية جــيشاً تعداده نصف مليون، وعشــرات المليارات لكي يفتح فلسطين لا من جهة الغرب، ولكن من جــهة الشرق من جهة عبــادان، وعند هزيمته استرجل على جار ضعيف اسمه (الكويت)؛ ليمزق ما تبقى من الأمة!!

لماذا نسي صدام تحــرير فلسطين من الجيــب المسيحي (في جنوب لــبنان) كان في الثمــانينيات في تحالف كامل مع الكتــائب التي ما سقطت إلا بهــزيمته في الكويت، وكانت الميليشيات المسيحية المتحــالفة معه نكاية بسوريا تسيطر على الحدود الإسرائيلية في الجنوب، ولكن هذه الميليشيات كانت تنتقل من فنادق تل أبيب إلى فنادق بغداد، ولا ننسى أنه هو الذي شجّع أمين الجميل على الصلح المنفرد مع إسرائيل نكاية بسوريا.

مهزلة إرجاع القدس:

إن أقصى ما يبحث عنه العرب ـ كما في أوسلو: تدويل القدس، أو مناصفتها مع اليــهود وكل ذلك يعني إلغــاء إســلاميــة القدس وأنهــا وقف إسلامي لا يجــوز التفاوض عليها.

مهزلة القانون الدولي:

مهــزلة أن يعتبر المجــتمع الغربي ارتفاع قبــضة طفل في وجه جنودهم المدججين بالسلاح؛ اعتداء صارخاً على القانون.

مهزلة عرفات:

مهزلة حماس عرفات للاستسلام جعلت باراك اليهودي يسير على جباه الشعب الفلسطيني، وفوق أجفان الشعب العربي المغمضة، وبعد ذلك قام عرفات بما لم تستطعه المخابرات اليهودية فعله أن تقبع « حماس » في بيتها، ثم قام فألقى التحية العسكرية على جثمان رابين، وذهب يعزي أرملته مقبّلاً يدها، وأصبح يذهب إلى البيت الأبيض وكأنه ذاهب إلى ديوان المظالم؟

أحبتي الكرام...

ستظل هذه الأمة حيّة لا تموت وستقدم الشهداء وليس في ذلك العزاء، فسياحة أمة محمد ﷺ الجهاد في سبيل الله، وأمنيتها الشهادة، وقدرها أن تقود الحق في صراع الحق والباطل، ونحن أمة لم نبخل في أيّ يوم بأرواحنا وأموالنا، ولكن ليتعاهد الجميع على أن لا تكون النتيجة لقوافل الشهداء دولة ممسوخة وجيوب أزلام السلطة منفوخة.

ماذا يراد من القمة العربية:

كل القمم العربية تأتي بعد كوارث في الأمة مع اليهود؛ لتعطيها شرعية:

فأول قمة كانت بعد دعوة الملك فاروق ردًّا على المشروع اليهودي وآخرها في مصر بعد احتلال صدام للكويت، وما بين ذاك المؤتمر وهذا كانت مراحل تسليم اليهود من النيل إلى الفرات والمسلسل لا زال فيه بقية، فإن كان من ترحيب اليوم بالقمة؛ فلأن التمزق والتشرذم والضعف والضياع وصل الذروة في عالمنا العربي والإسلامي.

كانت المناداة بالجامعة الإسلامية، ثم كانت بديلا عنها الجامعة العربية، ثم انقسمت الجامعة العربية إلى مجلس تعاون خليجي، مجلس تعاون عربي ثم تمزق وتمزق ودول إعلان دمشق.. ثم ما نخشاه أن تقسّم الدول المقسمة إلى دويلات.. وبعد نقول: ماذا نريد ؟

١ـ هل يريد عرفات أن يبصم القادة العرب بشكل ما على صواب مسيرته التفاوضية، وأن يمنحوه تفويضاً تحت شعار تأييد السلام على أساس أنه لم يكن في الإمكان أفضل مما كان.

٢ـ هل سيدفع بالقمة للنظر في غير قضـية فلسطين؛ كرجوع العراق مثلاً والمناقشة حول الحصـار وغيرها من الأمور، ثـم يدخل الغم الصدامي بين الأمة لتنتهي الـقمة على لا شيء.

٣ـ هل ستكون القمة نوعاً من أنواع اليـقظة، وأن تكون بعد ذلك دعوة «منظمة الدول الإسلامية» التي ترأسها في هذه الدورة إيران ؟

٤ـ هل سيُعلن المجتمعون عن الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف ؟

٥ـ هل سنرجع إلى نقطة الصفر ونعود إلى سنة أولى (أوسلو)؟

٦ـ هل ستقطع قرارات القمة كل الارتباطات المبرمة بين الدول العربية واليهود؟

٧ـ ونحن هنا لا نريد من القمة أكثر من :

أ ـ إغلاق الحانات والخمارات وصالات القمار وبيوت الدعارة وأولها في أريحا، وآخرها في شارع هارون الرشيد في بغداد.

ب ـ إطلاق أسر الحـركات الإسلاميـة، وتركها من أجل تعبـئة الناس في البناء الإسلامي وفق المنظور الجهادي.

جـ ـ نريد منهم أن يعتـقدوا أن النصر يتنزل وفق سنن كـونية وشرعية وأن يـهيأ واقعنا العربي والإسلامي لذلك.

د ـ عزل كل قائد خائن لله ولرسوله ولأمته والبدء بالخونة من الداخل.

هـ ـ إعلان حالة الحرب الدائمة مع اليهود.

سابعًا: هل يكرر التاريخ نفسه؟

استقـراء التاريخ وأحداثه يؤكد بما لا يدع مـجالا للشك أن اليهود لا عـهد لهم ولا ذمة، وليسوا أهل سلام وإنما دعاة حرب وعنف وسـفك دماء، فقد نقضوا العهد والاتفاقيات مع نبى الإسلام سـيدنا محمد ﷺ، ونقل لنا القرآن الكريم أنهم أهل غـدر وخيـانة، ومن طبيـعتـهم تدبيـر المؤامرات والدسـائس وإشاعـة الفتن ونقض البروتوكـولات والمواثيق، وفي العصر الحـديث أكدت الخبـرة التاريخيـة حقيـقة هذا الكيان الاستـعماري، وقد لمس ذلك سياسـتنا العرب ومع ذلك لا يكفون عن اللهث خلف العمليـة الاستسـلامية وتحت أيديهم بروتوكـولات وضعها نيـودور ـ في مؤتمر بازل السويسرا عام ١٧٩٨م، هذه البروتوكولات التى تستهدف إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات مع ذلك دخل العرب في مفـاوضات لا أول لها ولا آخر كانت البداية باتفاقـية كامب ديفيد الأولى عام ١٩٧٨م، هذه الاتفاقـية التى هزت الأوضاع العربية هزة عنيفة، وأطاحت بالتضامن العربي، وفتحت باب الصراعات العربية العربية على مصراعيه، وكانت بداية الشقـاق العربي وتصدع وحدة الصف بعد انتصار إيماني رائع هو حرب العـاشر من رمضـان السادس من أكتـوبر عام ١٩٧٣ م، ظهرت فـيه الوقفة العـربية واضحة جليـة واثقة بقدرتها العـسكرية والاقتصادية وخـاصة النفط، وأدى حظر النفط عن أوربا وأمريكا إلى إحـداث هزة في أوساط هذه الدول أوجبت عليها التـفكير في احترام المنطقـة وتقدير إمكانيتهـا، لكن سرعان ما كانت الاتفـاقية المشـؤومة الـتي كانت بدايـة لسلسلة من الاتفـاقيـات والهـزائم والضـربات المتكررة والمتلاحقة ضد العرب بصفة عامة والقضـية الفلسطينية بصفة خاصة وفي قلبها القدس، ولعل بعض الإجـراءات غير المشـروعة التى اتخـذها اليهـود والقناعات الدينيـة التى يؤمنون بها تؤكد أن تهـويد القدس والاستيلاء عليها في الفـكر اليهودي أمر واقع لا محالة، وفي المقابل القدس وقف إسلامي هنـاك ـ بأنها لعائدة لا محالة إلى أربابها ـ المسلمين وفيما يلي تفاصيل ذلك :

أولاً : استمرار اليهود في ضم القدس وجعلها عاصمة أبدية للدولة اليهودية:

لابد أن نؤكد في بادئ الأمر أن اليـهود يؤمنون بقضايا إستراتيـجية نحن نحاول

عبثا أن نتـعامى عنها ونصر على الدخول في خداعـات نفسية ـ سياسـية، نخدع بها أنفسنا وشعوبنا ومن هذه القضايا ما يلي :

١ـ اللاءات الأربعة التى صدرها باراك في بداية نجاحه والذي كـان يعتبر رسول السلام بالنسبة إلى المفاهيم العربية فقـد قال بدون استحياء: «ولكننا لم نسمع ولم نَعِ» قال: لا عودة لحدود ١٩٦٧/٦/٤م، لا إزالة للمـستعمرات الاستيطـانية اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة، لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين، لا للانسحاب من القدس الشرقية.

ـ هذا واقع اليهود في تعاملهم مع القـدس،أما نحن فلم نقدم أية ردة فعل على مسـتوى هذه اللاءات فقـد عبر د. مصطفى الـفقي مساعـد وزير الخارجيـة للشؤون العربية ومندوب مـصر لدى الجامعة العـربية عن مدى تدني مستـوى تعامل الأمة مع الأحداث فقال : «إن العرب لم يكونوا على مستـوى المسؤولية بشأن القدس والقضية الفلسطينية، وأنه كان ينبغي أن تتشكل لجنة عربية مشـتركة أثناء انعقاد قمة كامب ديفيد الأخيرة لمتـابعة ما يجري بها » ونحن نقول: إن تشـكيل هذه اللجنة اليوم مع وجود الانتفـاضة المباركة أكـثر ضرورة ولزومـاً ووجوباً ثم يقول الفـقي: «. . والحكومات العربية لم تكن مـتفاعلة بشكل كاف؛ رغم القضايا الخطيـرة التي كانت مطروحة في تلك القمة، وعلى رأسها قضية القدس».

٢ـ استخـدام وسائل متعددة من أجل تهويـد القدس تمثلت في ارتكاب المجازر في وسط أهل القدس من أجل تشريدهم وطردهم وتفريغ المدينة من سكانها العرب، وهذا الأسلوب الإرهابي دشنته ممارسات عدة :

❖ ارتكاب مذبحة دير ياسين التي استشهد فيها ٤٠٠ فلسطيني وشردت ٦٠ ألفاً من سكان القدس سنة ١٩٤٨م.

❖مذبحـة كفر قـاسم التي تمت عشيـة العدوان الثـلاثي على مصر في أكـتوبر ١٩٥٦م حيث قتل أكثر من ٤٧ رجلاً وتسع نساء و٧ أطفال.

❖ مذبحة خان يونس في نوفمبر ١٩٥٦م، وكانت مذبحة كبيرة.

❖ كارثة صبرا وشاتيلا ١٩٨١م، ومذبحة قانا المعروفة.

❖ قصة المبعدين إلى مرج الزهور عام ١٩٩٣م والتي لا زالت ماثلة في الأذهان.

❖ هدم العقارات ونسف المنازل وتشريد العوائل.

❖ ضم القدس إدارياً وسياسياً لإسرائيل عام ١٩٦٧م.

❖ مصادرة ونزع الملكيات من الأحياء العربية وإغلاق المحلات التجارية والمساجد والمدارس.

❖ إحراق المسجد الأقصى في ٢١/٨/١٩٦٩م وإقامة الصلوات اليهودية فيه.

❖ منع حق العودة للفلسطينيين إلى القدس ومصادرة أملاكهم.

❖ تغيير أسماء الشوارع في القدس وطمس الأسماء العربية والإسلامية.

❖ إعلان مشروع القدس الكبرى، وذلك بصدور قرار الكنيست في ٣٠/٧/٨٠ يجعل القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

ثانياً: الصراع بين اليهود والمسلمين صراع حضاري:

حيث ينطلق اليهود من اعتبارات دينية؛ إذ يقول الزعيم الروحي لحركة شاس الحاخام أوفاديا يوسف عند حديثه عن العرب عقب إعلان انهيار المفاوضات في كامب ديفيد: «لا سلام مع أولئك القتلة الأشرار، إن الله نادم على خلقهم» تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً.

ومن المقرر من استقرائنا للتاريخ: أن الانتصارات التي يحرزها اليهود والصليبيون في شرقنا العربي من حين وصلوه للمرة الأولى في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الميلادي لا يرجع الفضل فيها إلى قوتهم أو تماسكهم أو شجاعتهم بقدر ما يرجع إلى ضعف القوى الإسلامية في شرقنا وانحلال أمورها.

وما أشبه اليوم بالبارحة والتاريخ يعيد نفسه، إن ذلك العصر كان عصر الجزر الإسلامي والمد الصليبي، واليوم نعيشه بزيادة أنه عصر مدٍّ صليبي ويهوديٍّ معاً.

وإذا كان هذا هو منطق اليهود في الصراع معنا، فلا يمكن أن تقوم لنا قائمة، إلا إذا تعاملنا مع القضية بنفس المنطق، وإذا كان اليهود بدعة، فإن المنطق الإسلامي في التعامل مع القضية هو الذي يمكن أن يفصل فيها لصالح العرب والمسلمين، وتجربة الحركة المقاومة الإسلامية ليست ببعيدة عنّا.

ثالثاً: إن اليهود لا يمكن أن يتنازلوا عن القدس عبر طاولة المفاوضات:

فهذه طاولة التنازلات والسقطات ففي السابع من أغسطس ٢٠٠٠م انعقد مجلس الحاخامية الكبرى في إسرائيل، ليقرر ما يلي:

١ـ إقامة معبد بساحة الحرم أو على الأقل إعطاء إذن وتصريح بصلاة تمهيدية في إحدى زواياه.

٢ـ تشكيل لجنة لتجسيد السيادة اليهودية على الحرم والأدهى أن هناك مجموعة تدعى «أبناء جيل الهيكل» تطالب ببناء ما يسمونه بالهيكل المقدس الثالث مكان قبة الصخرة المشرفة، ومجلس الحاخامات عندما يتحدث عن إقامة معبد فهذا يعني هدم جزء من المسجد الأقصى؛ لأن ساحة الأقصى جزء لا يتجزأ من المسجد، ويكفي أن نتذكر مقولة مجرم الحرب موشي ديان الذي احتل القدس الشرقية يوم الثلاثاء السادس من يونيو عام ١٩٦٧م وصلى على حائط المبكى، ثم قال: وهو يضع يده على حجارة الحائط: «لا فراق بعد اليوم ولا عزلة ولا ابتعاد، سنبقى معاً الشعب والأرض والحائط» أما إذا رجعنا إلى قول مؤسس الصهيونية هرتزل فيقول: «إذا حصلنا يوماً على القدس وكنت ما أزال حيًّا وقادراً على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لديّ وسوف أحرق الآثار ـ يقصد الإسلامية ـ التي مرت عليها قرون».

رابعاً: القدس عائدة بإذن الله تعالى:

وتعليقاً على هذه المخططات والممارسات اليهودية التي تكرس تهويد القدس وإقصاء المسلمين عنها تؤكد أن القدس راجعة بإذن الله تعالى ببشارات القرآن الكريم ووعده سبحانه وتعالى بنصر جنده ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[2]، ووعد النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي الله بأمره**»[3]. وأمر الله آت، كما أخبر النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ويقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله**»[4]، وهناك مقولات معاصرة أطلقها دعاة وقادة وزعماء لتأكيد إسلامية الأقصى واستحالة التفريط فيه؛ إذ

---

(١) المجادلة: ٢١. (٢) الصافات: ١٧٣.

(٣، ٤) تقدم تخريجهما.

يقول الشيخ يوسف جمعة سلامة خطيب المسجد الأقصى: «إن الأقصى مسجد إسلامي، ومساحته البالغة ١٤٤ دونم كلها تتبع المسجد، ولها أهمية ومكانة كبيرة لدى المسلمين، كما أن أسوار المسجد الأقصى جزء منه ولا حق لآخرين فيه، وحائط البراق جزء لا يتجزأ منه وكل المناطق المحيطة بالمسجد وقف إسلامي.

وفي الإطار نفسه يؤكد الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس: «وقفية الأرض المقدسة منذ الإسراء والمعراج»، وقال: «إن ثواب الرباط فيها كثواب الجهاد في سبيل الله» ودعا إلى عدم مغادرة القدس؛ لأن ذلك يعرضها للضياع والمصادرة والتهويد.

وأي تفريط في الحرم المقدسي أو تهاون يلقى بالتبعية على العرب والمسلمين حكاماً وشعوباً، كما حذر الشيخ محمد حسين مدير المسجد الأقصى من المطامع اليهودية في الحرم المقدسي والتي بدأت بحريق المسجد الأقصى مروراً بالحفريات ومحاولات نسفه والاعتداء على المصلين.

وفي السياق نفسه يقول الشيخ أحمد ياسين زعيم حركة المقاومة الإسلامية «حماس»: «القرن الحالي هو قرن الإسلام والتحرير، وستكون هناك عدة انتفاضات ليست بالحجارة بل بالمتفجرات والصواريخ التي تزيل الكيان الإسرائيلي من الوجود».

إن المقولات التي أطلقها هؤلاء القادة تعبر عن الضمير الحي للأمة وتبعث الأمل والتفاؤل في النفوس ونحن معها قلباً وقالباً، لكن الترجمة العملية لهذه المعاني لا يمكن أن تتحقق إلا بتكاتفنا وتوحيد صفنا، وإدراك مستهدفات العدو وتدشين قوتنا وعدم التفريط في فريضة الجهاد؛ دفاعاً عن الأرض والعرض والحقوق العربية والإسلامية المسلوبة، وعندئذ سوف يكون المجد للإسلام والسيادة على كامل أرضهم ومقدساتهم.

خامساً: الانتفاضة المباركة:

إن هذه الانتفاضة المباركة التي اندلعت في الأرض المحتلة تعيد إلى الأذهان نظيرتها التي اشتعلت في ديسمبر ١٩٨٧م، والتي تعلقت بها الآمال ومثلت معلماً مهماً من معالم الصراع العربي الإسرائيلي، بل ونقطة تحول محورية عادت بموجبها القضية الفلسطينية إلى احتلال مكانها الأثير على سلم الأولويات العربية والدولية، وأدت وقتها إلى خلق قوة دفع جديدة للعمل الوطني الفلسطيني المجاهد، وكادت هذه الانتفاضة أن توقف الكيان الصهيوني عند حده، وأن تسترد الحقوق بالقوة

والكفاح المسلح، وهي اللغة الوحيدة التي يجيدها الكيان الصهيوني، لكن تآمر من بيدهم الأمر وتواطؤهم ودخولهم حلبة المفاوضات مع اليهود قضى على هذه الآمال التي لقيت دعماً كبيراً وقتها من الشعوب العربية والإسلامية، وتحولت القيادة الفلسطينية من العمل الوطني إلى العمل الاستسلامي، فجلست على طاولة المفاوضات مع سفاكي الدماء ومغتصبي الأرض، ومنتهكي الأعراض والحقوق والمقدسات في مؤتمر مدريد ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م، وقد جاءت المفاوضات لصالح إسرائيل بصورة شبه مطلقة، وخرج العرب من المفاوضات يحملون الفتات التي لا تسمن ولا تغني من جوع. ولم تكن على الساحة العربية إبان اندلاع الانتفاضة قضايا أهم من الصراع العربي الإسرائيلي ودعم الانتفاضة كقضية مركزية للعرب، بيد أنه ومنذ أغسطس ١٩٩٠م استقطبت أزمة الخليج الثانية التي تمثلت في احتلال العراق للكويت الاهتمام العربي، وأتاحت تصرفات صدام الرعناء للكيان الصهيوني الانفراد بالفلسطينيين في غمرة التفاعل الدولي والعربي، واتخذت وقتها ما يسمى بمنظمة التحرير الفلسطينية موقفاً مخزياً؛ إذ أيدت طاغية العراق وصنعت جرحاً غائراً بينها وبين دول الخليج.

ومن مدريد إلى أوسلو إلى شرم الشيخ وكامب ديفيد الثانية وما بينهما من اتفاقيات سرية واتصالات ثنائية ولا سلام مع اليهود إذاً لا يريدونه ولا يسعون إليه، واليوم تعود الانتفاضة من جديد، وتنتفض الأمة العربية داعمة ومؤيدة ومناصرة للقضية الفلسطينية، بعد أن ارتكب الكيان الإسرائيلي أشنع وأبشع المجازر التي طالت الأطفال والشيوخ والنساء... فهل يستثمر العرب والمسلمون هذه الانتفاضة، ويعلنون مقاطعتهم للعدو الإسرائيلي، وهل تتضمن القمة العربية المزمع عقدها توصيات فاعلة ورادعة للكيان الإسرائيلي في مسألة القدس بصفة خاصة والقضية الفلسطينية بصفة عامة، نحن لا نريد قمة هشة لا تتجاوز حدود الشجب والاستنكار والإدانة بل نريد قمة غير مسبوقة، تغير وجه العرب وتغير المفاهيم التي انطبعت في الذهنية اليهودية عنهم؟ هل ستكون القمة فاعلة؟ أم أن التاريخ سيعيد نفسه، وتكون مثل مثيلاتها وتدخل حلبة المفاوضات مرة ثانية؛ لكي نسلم أرضنا وممتلكاتنا لليهود بطريقة مقننة؟

ثامناً: الجهاد هو السلاح الأمضى...
هل وعى العرب الدرس ؟

تتراءى أمام عيني بينما أكتب هذا المقال مشاهد وصور الاستشهاديين الرائعة، فهذا ابن الأربعة عشر ربيعاً، يهاجم أبناء القردة والخنازير بحجر؛ ملقياً بأماني الدنيا وأحلامها خلف ظهره، مقبلاً على الله ومتشوقاً للحظة يخضب فيها دمه تراب الأرض المقدسة؛ لترتفع الآمال والأماني إلى هناك حيث صحبة الأنبياء والصديقين في رياض الجنة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] .

وتتدافع المشاهد فتبدو صورة ابن السابعة والعشرين (أبوقينص) الذي تهجد ليلاً ودعا الله أن ينال الشهادة في سبيله، وانطلق في اليوم التالي وهو غير مبقٍ على شيء من هذه الدنيا، ليواجه المغتصب الصهيوني ولا يرجع إلى زوجه إلا بالشهادة التي طالما دعا الله أن يرزقه إياها، والمثير في هذا المشهد أنه لم يكن بعد قد أكمل الأربعين يوماً من زفافه. ولا يمكن أن ننسى مشهد الفتى أبوغالي الذي توضأ وصلى ركعتين ثم ودع أمه وانطلق طالباً الشهادة، حاملاً حجارته ليعود إلى أمه؛ مخضباً بدمه، محققاً أمنيته.

وهذه صورة الطفل فارس عودة وهو يتصدى بحجارته الصغيرة لدبابة صهيونية وقد بثتها جميع الصحف ووكالات الأنباء في التاسع والعشرين من أكتوبر الماضي، وكان مشهداً بطولياً رائعاً، وبعد مرور أيام وبالتحديد في ٨ نوفمبر الماضي استشهد الطفل بهدوء؛ ليروي بدمه الطاهر تراب وطنه، ويزداد المشهد بهاءً حينما تروي والدة الشهيد قائلة: « ظللت فترة طويلة بعد استشهاده أذهب إلى مدرسته، أحمل حقيبته معي علني أجده بين زملائه ولكن....! وتضيف : كنت ألاحق طفلي الشهيد أثناء مشاركته في المواجهات، لكنه كان يفر نحو الوطن، فيقتحم خطوط المواجهات وسط النيران والدبابات حتى سقط شهيداً » .

سلام عليكم أيها الشهداء الأبطال في يوم تراجعت فيه الشجاعة.

(١) العنكبوت: ٢٩ .

سلام عليكم أيها الرجال في يوم غابت النخوة.
سلام عليكم وأنتم تنعمون مع الصديقين والأنبياء.
سلام عليكم وأنتم تنتزعون الكرامة والحرية بأناملكم البريئة.
سلام عليكم وأنتم تلقنون الدرس للكبار.
سلام عليكم يوم ولدتم ويوم استشهدتم ويوم تبعثون.

تحية وتقدير إلى هذه القنابل البشرية :

المتأمل في المشهد الفلسطيني الراهن، وما تصنعه هذه القنابل البشرية الغضة بصدورها العارية في مواجهة المدفعية الصهيونية الثقيلة لا يملك إلا أن يقف إجلالاً وإعزازا لهذه المواقف الاستشهادية التي لم يجد الزمان من قبل بمثلها، وتقديراً لهم لقد زينت صدر هذا المقال ببعض مشاهدهم، وقد قدّرهم الله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[1] .

أبناء حماس وغيرهم من الفصائل الجهادية النضالية التي أحيت القضية وجعلتها ماثلة في الواقع والذاكرة، وأثبتت أن قوة الحجر هي الوحيدة التي تصلح للتعامل مع الكيان الصهيوني، وما انخفاض نسبة السائحين القادمين إلى الأرض المحتلة إلى ٥٠٪ إلا ترجمة ودليل صحة على هذا المنهج، وما هجرة الكثير من اليهود إلى خارج الأرض المحتلة إلا دليل ثان دامغ على سلامة هذا الطريق، وما نزوح نسبة كبيرة من المستوطنين إلى خارج المستوطنات إلا انتصار كبير لهذا الأنموذج الجهادي الفريد.

وفي المقابل، فإن الصمت الدولي الرهيب المصحوب بدعاوى التراجع والاستسلام ما هو إلا نوع من التواطؤ في أبشع وأسوأ أشكاله، ولا يقل سوءاً عنه هذا الموقف العربي الضعيف المتخاذل.

الرصيد الجهادي :

إن أطفال بيت المقدس يصنعون عجائب من الشجاعة والبسالة والثبات بدفاعهم المستميت عن الحق، والتضحية بنفيس حياتهم، وجميل صنيعهم، فقد علمونا الدرس، فبعد أن بدا الشارع العربي والإسلامي خاملاً، وظن الظانون أن الحياة وصراعاتها اجتذبت الناس، وغابت النخوة والحمية الإيمانية والقدرة على الحراك.

---

(١) التوبة: ١١١ .

بعد ذلك الظـن إذا بالطير الأبابيل في فلسطين يحـركون كل العـواطف الإيمانية وكل النخوات الرجولية، ويـواجهون مظاهر الترهل والانشغال بالحيـاة (الجهاد ماض فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة).

ولاريب أن تاريخ الشـعب الفلسطيني حـافل بمواقف جـهادية عظيـمة قَـضَّت مضاجع اليهود وأقلقت منامهم، فصلاح الدين البطل العظيم المقدام لم يحرر القدس الشريف إلا بالجهاد وذلك بعد مرور ٩٠ عاماً على احتلالها من قبل الصليبيين، ومن قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب # .

وفي عـام ١٩٤٨ أبلى فدائيـو الإسلامـيين بلاء حسناً وجـسدوا صـوراً جهـادية مشرفـة، ولولا التواطؤ الدولي والعربي لتـغيرت مجريـات القضية ومسـاراتها، ولكان الحال غيـر الحال، فلقد وقف الإمـام البنا موجهاً رسـالة واضحة حينذاك إلى الـزعماء والحكام العرب (أيها الزعماء:إن هذا الشعب ليس هازلاً،ولكنه جـاد، وإن كان ينقصنا اليوم السلاح،فنستخلصه من أعدائنا وقد عاهدنا الله أن نموت كراماً أو نعيش كراماً).

يضاف إلى هذا الرصـيد الجهـادي الرائد أن الانتفاضــة الفلسطينية المبـاركة التي فجرها الشعب المرابط عـام ١٩٨٧م، واستمرت ٧ سنوات عجافـاً اهتز إبانها الكيان الصهيوني لولا أن قوى الشر تدخلت وصنعت سلطة الحكم الذاتي التي باعت القضية منذ أول وهلة، وجاءت المعاهدات والمراسم والبروتوكولات؛ لتقنن عملية البيع وذلك من خلف ظهـر الشعب المجـاهد الذي واجه عـدو الأمة وهو يدرك أن فـاتورة هذه المواجهة هي الموت في سبيل الله.

وتأتي الانتفاضة الثانية، التى اندلعت في أواخر سبتمبر عام ٢٠٠٠م، واستمرت حتى الآن في مـواجهة الدبابات وجـحافل الكيان الصـهيوني غـير عابئـة بما يصيب أبناءها، تأتي لتـجسد مـدى تشبع المجـاهدين بهذا المبـدأ ومدى إيمانهم بصـحة هذا المسلك مع اليهود،وهذا ما اعـترف به بـاراك رئيس وزراء الـكيان الصهيوني السابق لمجلة النيوزويك الأمـريكية في عددها الصادر في ١٧/٧/٢٠٠١م؛ إذ قـال بالحرف الواحد: « إنه لا تعايش بين اليهود والفلسطينيين ».

اعترافات بأن اليهود مصاصو دماء :

والسفاح شارون كما كان سـابقوه لم يكف عن التهديد بالحرب والعدوان على الدول العربية وتحطيم منشآتهـا وذكر تحديداً (السد العالي في مصر) وهذا مـا قاله بن غوريون بعد

حرب ٤٨ مباشرة حين قال: « أما السيف الذي أعدناه إلى غمده، فإنه لم يعد مؤقتاً، وإننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا وحين تتهدد رؤية أنبياء التوراة والشعب اليهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد من النيل إلى الفرات».

وإمعاناً في توضيح الصورة لهؤلاء الذين يجرون خلف سراب السلام الخادع نقول: إن اليهود أهل مكر وخداع وحرب وأجدني مدفوعاً إلى نشر كلمة بنيامين فرانكلين الرئيس الأمريكي الأسبق حول الخطر اليهودي في المجتمع الأمريكي ونصها كالتالي :

« أنا أتفق تماماً مع الجنرال جورج واشنطن في أننا يجب أن نحمي هذه الأمة الوليدة من محاولات الاختراق والتأثير الماكر.

وهذا التهديد أيها السادة أصحابه هم اليهود. في أي دولة استوطنها اليهود بأعداد كبيرة فإنهم يقضون فيها على الأخلاق ويهبطون بروحها المعنوية وعملوا على تدهور تكاملها الاقتصادي. . .كما أنهم عزلوا أنفسهم ورفضوا الاندماج فيه. . . وكذلك قاموا بالسخرية والتقليل من شأن الديانة المسيحية، التي على أساسها قامت هذه الدولة، وذلك عن طريق معارضة تعاليمها وحرماتها. . . كما أنهم يقومون بإنشاء دولة داخل الدولة. . . . وحينما تتم مقاومتهم يحاولون خنق هذه الدولة ماليًا. . تماماً كما فعلوا في أسبانيا والبرتغال.

لأكثر من ١٧٠٠عام يندب اليهود مصيرهم البائس بأنهم طردوا من وطنهم الأم، الذي يدعون أنه. . . فلسطين.

ولكن أيها السادة، إذا أعطاهم العالم اليوم هذا المطلب بسهولة ودون ثمن. . فإنهم سيجدون على الفور سبباً آخر أو تبريراً لعدم عودتهم. .

لماذا؟. . الجواب. . لأنهم مصاصو دماء، ومصاصو الدماء لا يعيشون على مصاصي دماء آخرين. . فهم لا يستطيعون أن يعيشوا فقط فيما بينهم. . أو مع بعضهم البعض. . لابد أن يتطفلوا ويغلقوا على المسيحيين والشعوب الأخرى التي ليست من عرقهم.

إذا لم تمنعوهم ففي خلال ٢٠٠ عام سيصبح أحفادنا خادمين وعاملين في مزارعهم وحقولهم. . .بينما هم جالسون في بيوت المال يفركون أيديهم في نشوة. .

أنا أحذركم أيها السادة. . . إذا لم تمنعوا اليهود وتتجنبوهم في جميع الأزمان فسيلعنكم أبناؤكم في قبوركم. . .

أيها السادة دعوا اليهود يولدون أينما ولدوا. .حتى وإن ولدت أجيالهم أبعد ما يكون عن آسيا. .فلن يكونوا شيئاً آخر. .فأفكارهم لا تتوافق ولا تتماشى مع أفكار الأمريكان. . حتى ولو عاشوا وسطنا. . معنا. . لعشرة أجيال. . فالنمر لا يستطيع أن يغير جلده. . اليهود تهديد لهذا البلد إذا سمح لهم بدخوله، ويجب أن يبعدوا عنه بواسطة هذا الدستور).

هذه هي طبيعة اليهود كما أقرها واعترف بها فرانكلين ونص الكلام أبلغ من أي تعليق!!

هل وعى العرب الدرس؟!

وبعد أن استعرضنا ما أثبتته الأدلة القاطعة والتجربة التاريخية من أن العرب والمسلمين لن يستردوا حقوقهم وأراضيهم ومقدساتهم إلا بالجهاد،يحق لنا أن نتساءل: هل استفاد العرب من الساسة والحكام من هذا الماضي، ولمسوا نتائج المفاوضات ولعبة السلام اليهودي وأدركوا أن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة بشهادة قادتهم ونص كلمة الرئيس الأمريكي الأسبق؟!! إنه ليس أمامنا ونحن على يقين وثقة إلا أن نقول: إن الذين يحاولون أن يجعلوا الجهاد خلف ظهورهم، فيديرون سياسة خرقاء لوأد الهبَّة الجهادية لشعبنا في الأرض المباركة منطلقين من الجبن الذي علبوه بمقولة اختلال موازين القوى، نذكرهم إذا نسوا فريضة الجهاد بقول العربي الجاهلي قبيص بن مسعود يوم ذي قار، محذراً ومحرضاً بكر بن وائل: « الجزع لا يغني من القدر، والصبر من أبواب الظفر، والمنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، والطعن في الثغر أكرم منه في الدبر، وهالك مغدور خير من ناج فرور».

القول الفصل الذي لا يقبل الخلاف أن العرب والمسلمين حكاماً ومحكومين يجب أن يعترفوا بجملة من الحقائق وهي :

١ـ أن العدوان الصهيوني الغاصب ماض في سياسة ابتلاع كل فلسطين وبالحديد والنار أو بالمفاوضات والحلول السلمية.

٢ـ الحلول السلمية والتفاوضية في مفهوم الصهاينة لا تعني إلا دفع الفلسطينيين والعرب والمسلمين للاعتراف بالواقع المأساوي الذي آلت إليه القضية، والتسليم في رضوخ تام باغتصاب الصهاينة للأراضي والديار والمقدسات.

٣ـ إن المجتمع الدولي ـ ومن خلفه أمريكا ـ إنما يوفر الحماية والدعم بشتى أشكاله للكيان الصهيوني مع ممارسة شتى أشكال الضغوط على العرب ليتنازلوا عن الحقوق ويقبلوا التسليم بالواقع المهين.

هذا يقودنا إلى تأكيد أن المفاوضات هي طريق المأزق والمساومات والأوهام والتنازلات، وأن الجهاد وحده هو طريق التحرير، وأن الشعوب قادرة على أن تفرض إرادتها لو أعطيت حريتها واستردت أنفاسها في العمل والحركة وهي لا تحتاج ابتداء إلى أساطيل ولا دبابات لكنها تحتاج إلى حرية وإرادة وإيمان وعزم، ونحن والحمد لله أقوى مما نظن وعدونا أضعف وأجبن مما نتصور والله تعالى يقول: ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ...**﴾(١) .

والله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(٢) ، لقد جمع الله في هذه الآية الكريمة كل ما يحتاجه المؤمن من تربية في المواجهة مع الأعداء والإقدام والثبات، وذكر الله والاعتماد عليه وطاعة الله ورسوله في أدائه الجهادي وتوحيد الصف والكلمة ونبذ الفرقة والصبر والمصابرة.

إنها خمس خصال كما يقول المفسرون لا أروع، ولا أجمع ولا أوفى ولا أكمل منها في تربية المؤمن لمواجهة الحياة ومواجهة الأعداء والتعامل مع القضايا الكبرى التي تقابله في مسيرته الدعوية الجهادية والحركية والسياسية والروحية.

والنبي ﷺ في مناصرته للمجاهدين يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**»، قيل: يا رسول الله أين هم؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس..**»(٣) فطوبى لأهل بيت المقدس هذه البشارة النبوية الشريفة.

إن الجهاد المبارك ماض إلى يوم القيامة، فهو أصل مكين في هذا الدين وبه حافظت الأمة على وجودها ودينها وحفظت أوطانها وبلدانها وتصدت لأعدائها من الصليبيين المغول وغيرهم وتحطمت على صخرة الجهاد أسلحة الأعداء، وأحبطت مكائدهم وبدونه لا تكون الأمة إلا مغزوة في عقر دارها كما هو حادث الآن.

---

(١) المنافقون: ٤ . (٢) الأنفال: ٤٥، ٤٦ .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد وجادة (٥/ ٢٦٩) عن أبي أمامة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٨): «رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه والطبراني ورجاله ثقات»، وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٤٣)، وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره».

تاسعاً: إرادة الصمود والتحدي والعزيمة....
هل تتحقق في صراعنا مع اليهود ؟

أشرنا في كلامنا السابق أن هناك حالة ملحوظة من النزوح الداخلي في أوساط الصهاينة، وهو نزوح المستوطنين في الضفة الغربية إلى الأراضي المحتلة في عام ١٩٤٨م، هذه الهجرة الداخلية لم تحدث إلا بسبب الفعل الانتفاضي الجهادي، زد على ذلك أن ظاهرة الهجرة العكسية من الأرض المحتلة إلى بلاد أخرى وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية، باتت ملموسة أيضاً وقد أوردت صحيفة يدعوت أحرونوت الصهيونية في ٧ مايو ٢٠٠١م «أن الإسرائيليين بدؤوا يهربون باتجاه أمريكا مرة ثانية، ولكنهم هذه المرة أكثر من ذي قبل» وأضافت الصحيفة «بأن هؤلاء يحلمون بالحياة في مكان آخر أكثر هدوءاً وراحة وأمناً أي: أمريكا!!».

والمحلل لهذا المشهد يدرك أن هجرة اليهود إلى خارج فلسطين تشكك في الدعاوي والمزاعم الصهيونية بشأن ارتباطهم الوثيق بأرض الميعاد فضلاً عن أنهم أكثر الناس تشبثاً بالحياة وحرصاً عليها، وقد أوضح ذلك القرآن الكريم ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾(١)، وآية ذلك أن عشرات الآلاف من الصهاينة يعيشون الآن في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة غير شرعية، سافروا إليها كسياح ثم بقوا هناك، وحاولوا الذوبان في أوساط التجمعات الأمريكية، وهم يعيشون بدون رعاية أو تأمين صحي، لكن ذلك في عرفهم أهون من تهديدات الانتفاضيين، وقد تم طرد المئات منهم خلال حملات مداهمة ضخمة شنتها سلطات الهجرة الأمريكية، ولعل ذلك يفسر سر كره الأمريكان لليهود وحرصهم على توطيد دولة اليهود المزعومة في فلسطين بعيداً عنهم، منذ ويلسون الرئيس الأمريكي الأسبق ومباركته لوعد بلفور وحتى الإدارة الحالية التي تغض الطرف عن المجازر الصهيونية ضد الفلسطينيين.

القوة خيار العزة والكرامة:

مما لا شك فيه أن اليهود يعيشون في حالة ذعر وهلع شديدين بسبب الضربات الموجعة المتلاحقة على أيدي المجاهدين والعمليات الاستشهادية المباركة، وما يعلنه اليهود من عناد

---

(١) البقرة: ٩٦ .

وغطرسة وعنجهية وصلافة؛ ليس إلا لمجرد إدراكهم للواقع العربي المهترئ، وضعف إرادة قادته وتأثرهم بالضغوطات الدولية التي يلعب عنصر المعونات فيها دوراً كبيراً علاوة على عامل السلطة والتحكم الدولي في صناعة بعض الرموز؛ ولهذا فإن خيار الجهاد والقوة هو البديل الوحيد الآن بعد أن فشلت كل الحلول والبدائل والصيغ المطروحة للتعامل مع الكيان الصهيوني.

ولعل في درس الانتفاضة ما يشير إلى أن إمكانات الأمة لا ينضب معينها، وأن المحك الأساسي هو الإرادة بكافة أبعادها ومستوياتها الحضارية والسياسية والعسكرية وغيرها، فإذا توفرت تلك الإرادة، فإنها سوف تبدع الآليات والأدوات التي تتفق وواقع الزمان والمكان بأبعاده المحلية والإقليمية والدولية.

وتبرز دروس الانتفاضة لتعلم العرب كيف توظف القدرات وتستثمر الفرص لتحقيق الأهداف في مواجهة أقسى وأشرس الآلات العسكرية، وأن الخاسر دائماً هو الذي لم يحسن الصبر الإيجابي الفعّال والاستفادة من الفرص المتاحة على هامش الصراع الممتد من الأزل إلى الأبد.

إن التيارات الفكرية والسياسية العاملة على الساحة طرحت خيارات وبدائل لا تسمن ولا تغني من جوع، فقد وصلت بالبعض إلى الارتماء في أحضان الصهيونية والدعوة إلى التطبيع، ولاذ آخرون بالصمت بسبب فقدانهم للرؤية الواعية الواضحة التي تمكنهم من فهم طبيعة هذا العدو وكنه الصراع معه، وأساليب المناورة والمراوغة التي يتقنها، وفي جوهر الرؤى على اختلاف مشاربها تبرز الرؤية الإسلامية بأداتها الفريدة القادرة بذاتها ـ إذا أحسن استثمارها مدنيا وحربيا ـ أن تحقق توازن المعادلة وخلل الميزان، تلك الأداة هي إرادة الجهاد ومهر الجنة وحب الموت، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة # قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله، وتصديق بكلماته أن يدخله الجنة، أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة** »[1]. وروى النسائي عن أبي هريرة# قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انتدب الله لمن يخرج في سبيله لا يخرجه إلا الإيمان بي والجهاد في سبيلي، أنه عليّ ضامن حتى أدخله الجنة بأيهما كان، إما بقتل أو بوفاة، أو أورده إلى مسكنه الذي خرج منه، نال ما نال، من أجر أو غنيمة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة #.

(٢) أخرجه النسائي(٦/ ١٧) عن أبي هريرة #، وصححه الألباني.

القضية إسلامية وترك الفعل الجهادي تآمر عليها :

وهكذا فإن الرؤية الإسلامية تمثل الوعي الكامل بحقيقة وجوهر الصراع مع اليهود، حيث لا إيمان بتجزئة القضية ولا تفريط في أي مستوى، عبر إعلان الجهاد المقدس طويل المدى، وهو جهاد تتنوع أشكاله وأساليبه وتمتد حركاته وآلياته، وتستمر غاياته وأهدافه، ولم تقف الرؤية الإسلامية عند هذا المستوى، وإنما تمتد إلى التهديد والتحذير والتخويف لمن ترك الجهاد؛ رغبة عنه وسكوناً إلى الأهل والمال والولد ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(١) .

واتساقاً مع هذا الفهم ترفض الرؤية الإسلامية جميع مجالات الاستيعاب والاستسلام والمساومة والتثاقل إلى الأرض، وتعارض كل المحاولات الغربية في الضغط على المنطقة سياسياً واقتصادياً؛ للتوصل إلى حلول استسلامية مع الكيان الصهيوني وإضافة إلى ذلك، فقد حذر الله تعالى من القعود عن ملاقاة العدو ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ . إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٢) ، والإمام القرطبي يقول حول هذه الآية: هذا توبيخ من الله على ترك الجهاد وعتاب على القعود وعدم المبادرة إلى الخروج والتثاقل عن الجهاد مع إظهار الكراهية لحرمة المسلم على المسلم.

والحديث عن الصراع العربي الصهيوني والصيغة المناسبة في التعامل مع هذا الكيان المغتصب هو حديث عن مستقبل الأمة الإسلامية كلها، حديث عن مقدّراتها وجغرافيتها وليس حديثاً عن منطقة فلسطين، ولا حديثاً عن الصهيونية من ناحية وبعض التيارات السياسية العاملة في الساحة من ناحية أخرى، فالتناقض بينهما ليس كبيراً بما يعنيه ذلك من إمكانية قبول التناقض كسبيل لحل هذا التعارض بين الطرفين، بل الهرولة والاستغاثة من أجل أن تجلس مع الصهاينة سفاكي الدماء على مائدة واحدة، وتفسير ذلك أن هذه التيارات لا يمكن أن تقاوم حتى النهاية، فهذا تحميل لها

(١) التوبة: ٢٤ .

(٢) التوبة: ٣٨، ٣٩ .

أكثر من طاقـتها؛ وذلك لأنها لا تمتلك الأيديولوجيـة التي تساعدها على ذلك، ولا الهوية التي تنطلق منها، ولا المرجعية التي تستند عليها.

إن إبعاد القـضية عن إسلامـيتها وعن الفـعل الجهادي هو تآمر عليـها وتفريط فـيها ومخـالفة للسـنن القرآنيـة، فالسنن الكونيـة في نصر المسلمين تتـلازم مع مدى ارتبـاطهم وتطبيقهم لأحكام الشريعة، وهذا ما أثبتته آيات القرآن والأحاديث الشريفة وتجارب الواقع.

ومن الأدلة القرآنية الجازمة أن الله ينصـر الفـئة المؤمـنة الـصـادقة **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**(١)، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾**(٢)، فلا نصر للمسلمين إلا إذا أحسنوا الصلة بالله **﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(٣)، وعوامل الـنصر الحقيـقية تتمثل في الثـبات عند لقاء العدو، الاتصال بالله والذكـر، طاعة الله، إطاعة الرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تبعات الجهاد، وقد اشتملت الآية الكريمة على هذه المعاني السامية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**(٤).

أما التـخـلي عن منهـج الله سبـحانه وتعـالى فإنه يعني بالنـسبة للمـسلمين الضعف والهزيمة والتبعية والتخازل، كما هو واقعهم الآن وفي هذا الشأن قال تعالى: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(٥).

النصر ومقتضياته:

والناظر إلى أي: حروب إسلاميـة أو معارك انتصر فيهـا المسلمون على أعدائهم يدرك أن النصر لم يكن حليفاً للمسلمين إلا عبر توفر ثلاث إرادات:

١ـ إرادة الصمود: وهي تعني: رفض الاستسلام حتى في حالة الهزيمة، وتحويل الهزيمة إلى أداة مقاومة جديدة، أي: قلب مـعادلة الوهن إلى معادلة للعزة التي تقوم على أساس من حب الجهاد ورفض الهوان.

---

(١) الصافات: ١٧١ـ١٧٣.
(٢) النساء: ١٤١.
(٣) محمد: ٧.
(٤) الأنفال: ٤٥، ٤٦.
(٥) النور: ٦٣.

٢ـ إرادة التحدي: أي: قبول القتال بغض النظر عن نتائجه، فهو تحدٍّ لا يقبل الحسابات المادية ولا يعرف الشعارات الجوفاء، وهكذا دائماً يكون أصحاب الحقوق، وسواء كان النصر، أو الاستشهاد، فكلاهما نصر بالنسبة للمؤمن.

٣ـ إرادة الجهاد والقتال: أي: التصميم والعزيمة على المواجهة والاقتتال مع العدو وتكبيده الخسائر وهذا ما يضع حداً للصراع.

لماذا الجهاد؟

والجهاد وظيفته إقامة الدين وحفظه، وإزالة الشرك ومواجهة أي عدوان يستهدف الاعتداء على الأمة الإسلامية ونظامها، من جانب أي قوة خارجية، وإذا كان حكم الجهاد في الإسلام أنه فرض كفاية عند جمهور الفقهاء إذا قام به البعض سقط عن الباقين لكن إذا دخل العدو ديار المسلمين، فهو واجب على الكافة، ومهما كانت طبيعة الاستعمار أو العدو فإن الجهاد لا يسقط كواجب على الأمة، وهذا هو الطريق الوحيد لتحرير الأرض، فإذا كان الصهاينة يزعمون بأحقيتهم للأرض، فإنهم يسلكون كل السبل والوسائل وصولاً إلى تحقيق أهدافهم ما لا يستولون عليه بالقوة يحصلون عليه بالمفاوضات، ولم يعد خافياً أن اليهود يعتمدون سياسة إبادة الشعب الفلسطيني أو تهجيره إلى خارج دياره وتوطينه هنا وهناك، وتعميق جذور الاحتلال في الأراضي الفلسطينية.

إن صناع القرار العربي والإسلامي أمامهم الآن فرصة ذهبية، وهي إعادة قراءة السنن التاريخية لإدراك كيف يمكن للحق أن يعود لأهله من يد المغتصبين أمثال الصهاينة، وذلك لاستلهام الحل والمخرج، وإذا كان الطريق الآن موصداً أمام الحلول الاستسلامية، وقد عبر عن ذلك قادة العرب ومسؤوليهم في غير موضع وقالوا بالحرف الواحد : إن شارون ماكر وخادع ودموي، ونحن نضيف أن شارون وباراك يستويان، فما يأخذه شارون بالقوة يأخذه باراك بأساليب أخرى، ولا فرق بين الليكود المتطرف والعمل اليساري، فهما وجهان لعملة واحدة والتاريخ يؤكد ذلك، فكم من المآسي والمجازر ارتكبها حزب العمل، ومذبحة قانا ليست منّا ببعيدة.

إن نواميس إحقاق الحق جلية واضحة، فالقرآن تحدث عنها والسنة النبوية أبرزتها والتجربة التاريخية ترجمتها، فاستثمار حدث الانتفاضة الآن هو فرصة كبيرة، والحقيقة أن اليهود أهون مما نتصور، مهما امتلكوا من العدة والعتاد، فهم أمام الحجر

يفرون كقطعان النعاج وخير دليل أن الانتفاضة حققت في أشهر قليلة ـ رغم سقوط الكثيرين من أبنائها البررة شهداء ـ ما لم نكن نتوقع له أن يقع قياساً إلى حجم التقاعس والشلل والموات والذل والاستسلام الذي أصابنا بفعل السياسات العربية، إن هذه الانتفاضة الصامدة ينبغي أن تدفع العرب إلى ترتيب الأولويات بعد أن شعرنا بالهوان على أعتاب أوسلو وكامب ديفيد وشرم الشيخ وواي بلانتيشن والأيدي المانحة للمطارات والممرات السالبة منا كل شيء، الأرض والشرف والتاريخ ومبرر الوجود والحق والكرامة الإنسانية.

خلاصة القول:

من المهم أن يدرك العرب أن هذا الفعل الجهادي أعاد إلينا ثقتنا بالحق الذي كدنا نفرط فيه، وبقدرة الأمة على التجمع والالتفاف حول هدف واحد على الرغم من كل الحدود والسدود، والشقاق والنفاق، وبعض الخيانات وكثير من الحماقات التي حالت دون أن تستعيد هذه الأمة ثقتها بنفسها، ولا أجد ما أختم به مقالتي سوى القول بأن الأمة ترتكب جريمة الصمت إزاء سيل الدماء الفلسطينية النازفة الآن على أرض فلسطين، فلا يمر يوم من دون أن يسقط شهداء ـ أطفال ونساء ورجال وشباب ـ ونحن لا نملك إلا مصمصة الشفاة، وضرب كف على كف، ولا تحريك لساكن، ماذا ننتظر أن يحدث حتى يدفعنا ذلك إلى اتخاذ موقف على مستوى الحدث، الصهاينة أشعلوها حرباً بالفعل، بل حرباً منظمة واستخدموا كل الوسائل الحربية، وأمة الجهاد لا تفكر في مجرد دعم الانتفاضة ومساندتها بالمال والسلاح.

عاشراً: وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت

«أمتنا الموؤودة على أرض فلسطين»:

ماذا أقول. . . ومن أين المبتدى. . . وقد دهانا ما يلجم اللسان، ويفطِّر الجنان. . . ويُعجز اللسان !!!

جلَّ الخطب وعظم المصاب. . . وانفض الأحباب. . . وتولت الدنيا عن سادتها. . . إلى حقارتها. . . واستدار الدهر مولياً. . . وحل البلاء عادياً.

غير أني أعتذر إلى الله بهذه الكلمات. . . وأبرأ إليه بتلك العبارات فأستذكر كتاب الله، وأقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

ولا تحول عن حال ولا قوة على تحول إلا بالله العلي العظيم. . .

وقد علمت وعلمتم أن الإنشاء لا يفك القيد. . . ولا يحرر الأرض، ولا يقيم المجد. . . كما أن ضروب الكلام لا تبدي ولا تجدي في إحياء موؤودة. . . ولا في رد مسلوب. . . وأن أفانين البلاغة لا تبلغ العلياء. . . ولا تدفع الشقاء. . . وأيّ بلاء. . . وأيّ خطب أعظم وأفجع مما حلَّ بنا. . . حتى تحييه الكلمات. . . وتبعثه العبارات.

ولله در القائل. . . القائل:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجدِّ وَاللَّعِبِ

محاولة الوأد مستمرة.

تذكروا تلك الموؤودة إذا سئلت. . . بأي ذنب قتلت. . . ؟ !

ليت شعري أي موؤودة هي. . . وأي مسلوبة تلك. . . التي جل مصابها. . . وعظم خطبها. . . ؟ !!!

أترونها فتاة وضاء. . . أو غادة حسناء. . . يحزن لوأدها ذووها، وينتحب لمصابها أهلوها ؟ !

---

(١) البقرة : ١٥٦ .

أم هي امـرأة حصـينة .. تقـية أمـينة .. ضـاع بوأدها بنوها وشـقي بفقـدها ذووها.. وأظلم بيتـها.. ونعاها زوجهـا، وتلظى مرارة فقدها ... واحـتمل هول مصابها...؟!!!

تالله لو كان الموؤودة بعض ما سـبق لحزنا وامتعضنا... اسـتحق علينا ديننا أن نهب رياحـاً... وندفع نواحـاً... ونضمـد جـراحاً ونواسى مـصـاباً... ونصلح معاباً... وندفع ارتياباً عن هذه الفئات، ونقيل عنهم تلك النكبات.

غير أن الخطب أعظم، والمصاب أجل!!... وموؤودتنا أكبر من ذلك كبيراً... ونكبتها أعظم قيلاً... وأوحد مثيلا... !!

ولله در القائل :

فلو كان سهما واحداً لاتقيته ... ولكنه سهم وثان وثالث

إذن من هي تلك الموؤودة... وما خبر هذه المسلوبة...

إنها أمة الإسلام...

فادمعي يا عين... !!

وتفطر يا قلب... !!

وذوبي يا نفس... !!

واهتف يا لسان... «**إنا لله وإنا إليه راجعون...** »!!

يالله ...! يا للعـجب ... يا للـخطـب ... يا للمـصـاب الجلل على تلك الموؤودة... وهذه الضائعة المسلوبة... !!

إنها والله لتستحق أن نخط اسمهـا بدموعنا ونخضّب نحورنا بدمائنا... ونجود لها بأموالنا وأنفسنا.

إنها أمة الإيمان... إنها أمة القرآن... إنها أمة: لا إله إلا الله.

وأمة ﴿**لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ**﴾[1]...!!

أمة ﴿**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾[2] ...!!

---

(١) المائدة: ٥١ .   (٢) البقرة: ٢١٧ .

أمة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[١] . . !!

أمة ﴿وحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [٢] . . !!

أمة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .﴾ [٣] . . !!

أمة ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [٤] . . !!

أمة ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[٥] . . !!

أمة ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ . . .﴾[٦] . . !!

أمة ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي . . .﴾ [٧] . . !!

أمة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[٨] . . !!

أمة . . . ماذا ؟!!

نعم والله إنها أمة الإسلام . . .

إنها أمة المليار وثلاثمائة مليون نسمة . . !!

أمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾[٩] . . !!

أمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[١٠] . . !!

أمة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾[١١] . . !!

أمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[١٢] . . !!

أمة ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١٣] . . !!

أمة ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[١٤] . . !!

أمة ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا . . .﴾[١٥] . . !!

أمة ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً . . .﴾[١٦] . . !!

---

(١) التوبة: ٣٢ .
(٢) الأنفال: ٦٥ .
(٣) البقرة: ٢١٨ .
(٤) النساء: ١٤١ .
(٥) البقرة: ٢٠٨ .
(٦) آل عمران: ١٣٩ .
(٧) المجادلة: ٢١ .
(٨) النور: ٥٥ .
(٩) الأنفال: ٦٠ .
(١٠) آل عمران: ١١٠ .
(١١) آل عمران: ١٠٣ .
(١٢) البقرة: ١٤٣ .
(١٣) آل عمران: ١١٠ .
(١٤) الأنفال: ١ .
(١٥) الأنفال: ٤٦ .
(١٦) التوبة: ٤١ .

أمة ﴿وإنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدَةً﴾ [١] . . !!

أمة ﴿ولَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كتَابًا فيه ذكْرُكُمْ﴾ [٢] . . !!

أمة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ ليُعَذِّبَهُمْ وأَنتَ فيهمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٣] . . !!

أمة ﴿ هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ﴾ [٤] . . !!

أمة ﴿وَجئْنَا بكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهيدًا﴾ [٥] . . !!

أمة ﴿ ملَّةَ إِبْرَاهيمَ حَنيفًا . . .﴾ [٦] ، أمة ﴿مِّلَّةَ أَبيكُمْ إِبْرَاهيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلمينَ﴾ [٧] . . !!

أمة ﴿ لا تَتَّخذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْليَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْليَاءُ ﴾ [٨] . . !!

أمة ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دينكُمْ إِن اسْتَطَاعُوا ﴾ [٩] . . !!

أمة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتمَّ نُورَهُ﴾ [١٠] . . !!

أمة ﴿وحَرِّض الْمُؤْمنينَ عَلَى الْقتَال﴾ [١١] . . !!

أمة ﴿ وَجَاهدُوا في سَبيلِ اللَّه﴾ [١٢] . . !!

أمة ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ للْكَافرِينَ عَلَى الْمُؤْمنينَ سَبيلاً﴾ [١٣] . . !!

أمة ﴿ ادْخُلُوا في السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [١٤] . . !!

أمة ﴿وَلا تَهنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمنينَ﴾ [١٥] . . !!

أمة ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلبَنَّ أَنَا وَرُسُلي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [١٦] . . !!

أمة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَملُوا الصَّالحَات لَيَسْتَخْلفَنَّهُمْ في الأَرْض . . .﴾ [١٧] . . !!

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) الأنبياء : ١٠ .
(٣) الأنفال : ٣٣ .
(٤) الجمعة : ٢ .
(٥) النساء : ٤١ .
(٦) النساء : ١٢٥ .
(٧) الحج : ٧٨ .
(٨) المائدة : ٥١ .
(٩) البقرة : ٢١٧ .
(١٠) التوبة : ٣٢ .
(١١) الأنفال : ٦٥ .
(١٢) البقرة : ٢١٨ .
(١٣) النساء : ١٤١ .
(١٤) البقرة : ٢٠٨ .
(١٥) آل عمران : ١٣٩ .
(١٦) المجادلة : ٢١ .
(١٧) النور : ٥٥ .

انظروا. . وأبصروا أي أمة تلك التي وئدت. . . ونكست أعلامها وطمست. . . إنها أمة الإسلام وأمة نبى العزة والكرامة محمد ﷺ. . .

أمة «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتى**»(1).

أمة «**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله** »(2).

أمة «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق...** »(3).

أمة « **ستقاتلون اليـهود حتى يقول الحجر والشجـر: يا مسلم خلفى يهودي تعالَ فاقتله**»(4).

طال الليل. . . وادلهم الظلام . . . ونفـذ الطعن . . . وعظم الجرح. . . واتسع الخرق على أمة الإسلام. .

وأصابها أعداؤها في مـقاتلها. . . وَعَدَوْا عليها نهاراً وجهاراً فـي ناحية المعمورة من الصين إلى الفلبين وأوزباكستان، فأفغانستان فطاجكستان فالشيشان. . .

مروراً بجاليات المسلمين في أوربا وأمريكا وأستـراليا حتى نفذ الطعن وتهيأ الوأد في الأرض المباركة في فلسطين .

لقـد تجمـعت الذئـاب. . . وامتـدت المخـالب وحـيكت الشبـاك هناك في أرض الأقصى. . . مفاوضات. . . طاولات. . . تـنسـيقات أمنية صفـقات مشبوهة. . .

جـثث. . . أشلاء. . . قـتلي. . . جـرحي. . . مـوتى. . . عرض يهـتك. . . يهودي يملك. . . مسـلم يُقتل . . . حرم يُستبـاح. . . آلام وجرحي. . . ثكلى. . . موتى. . . أرامل. . . أيتام. . . كهول. . . أطفال. . .

فالله الله فى فلسطين. . . والله الله لأمة الإسلام.

وا إسلاماه. . .

وا قدساه. . .

---

(1) أخرجه الحـاكم في المستدرك (1/93)، والبيـهقي في السنن الكبرى (10/114) عن أبي هريرة، وصـححه الألباني في صحيح الجامع (2937).

(2) أخرجه البخاري (5223)، ومسلم (2761) عن أبي هريرة #.

(3) أخرجه البخاري (7311)، ومسلم (1921) عن المغيرة بن شعبة #.

(4) حديث صحيح سبق تخريجه.

وا عرباه. . .

وا صلاحاه. . .

وا حطيناه. . .

هل من مغيث. . . هل من مجيب. . .؟ لا لا لا لا لا !! !! !!

فلسطين صبراً إن للفوز موعداً	**فإلا تفوزي اليوم، فانتظري غداً**
أيمسي عبيد العجل للناس سادة	**وما عرفوا منهم على الدهر سيدا**
يريدون في تهويدها كل حيلة	**ويأبى لها إيمانها أن تهودا**

رائحة الشهداء:

أين نحن من جثث وأشلاء الموتى فى الأرض المقدسة. . .

أين نحن من الله إن سألنا عن الأمة الموؤودة في فلسطين بأي ذنب قتلت ؟

أين نحن من الصراط وجهنم. . . ومن العذاب المقيم لمن خذل الله ورسوله. . وضيع قدسه وفلسطينه ؟ !! أين وأين ؟ !!

لاَ تَحْسَبَنَّ الحَقَّ صَيْحَةَ عَاجِزٍ	**الحَقُّ عَزْمٌ صَادِقٌ وَجِلادُ**
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا خَلائُفَ أَحْمَدٍ	**أَتَضِيعُ أَوْطَانٌ لَكُمْ وَبِلاَدُ**
صُونِي فلسْطِينُ الذِّمَارَ وَجَاهِدِي	**إِنَّ الْعَدُوَّ عَنِ الْبِلاَدِ يُذَادُ**
لاَ تُنْكِرُوا وَالدَّمُ فِي المَصَارِعِ يَلْتَقِي	**إِنَّ الرِّجَالَ بِمِثْلِ ذَلِكَ سَادُوا**

لقد فاحت رائحة الشهداء. . . تزكم نفوس اليهود وتعطر آناف الباسلين الصامدين من المجاهدين .

لقد قرت أعينهم بالشهادة. . . ورمدت أعين اليهود. . . لقد عز شهيدنا. . . وهلك مخذولنا. . . !

فلله أنتم يا حماس. . . ! ولله أنتم يا جهاد. . . ولله أنتم يا شهداء الأقصى. . . ولله أنتم يا ألوية صلاح الدين. . . ولله أنتم يا باقى الشهداء والمجاهدين. . . !

طابت أيديكم... وتقبل الله شهيدكم... وعظَّم أجركم... وكشف مصابكم. وحرر الأقصى على أيديكم... !

اقتلوا خنازير يهود... أعزوا دينكم... أنقذوا أمتكم... أقيموا لواء محمد، وأحيوا جهاد خيبر، واعلموا أننا أولى بأسيادنا موسى وعيسى من يهود العجل... وسدنة الوثنية !!.

المَسْجِدُ الأَقْصَى لِسَانٌ صَارِخٌ يَهْدِي تَحِيَّتَهُ وَقَلْبٌ وَاجِبُ
مُوسَى عَلَى أَسَفٍ وَعِيسَى نَاقِمٌ وَمُحَمَّدٌ جَهْمُ المحَيَّا شَاحِبُ
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا سُلالَةَ يَعْرُبٍ بَالَتْ عَلَى حَرَمِ الأُسُودِ ثَعَالِبُ

الله أكبر يا شباب ونساء المجاهدين...

لله أنتم... وأنتم لله وبالله... وعلى الله وفى سبيل الله... فتقبل الله منكم الله وآزركم الله... !!

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

أقيموا المعوج... وأعيدوا الوزن بالقسط للإسلام ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾...[2].

نعم والله لن يجعل الله بالجهاد للكافرين على المؤمنين المجاهدين سبيلاً...

لا سبيل لليهود إلا على الساهين اللاغين العابثين...

النساء في قافلة الشهداء:

فلتحيا كلمة الله... وليعلو كتاب الله... وليعز دين الله بقوافل الشهداء من الرجال والنساء... واسمعن بناتي وأخواتي من الحاضرات نبأ المجد لتلك الشهيدة العلياء... البطلة الشماء... الدكتورة وفاء.

تركت الدنيا وراءها... وباعت حسنها وشبابها لله...

وسعت إلى عزة الإسلام والمسلمين... فرحبت بالموت وجادت بنفسها في سبيل

(١) آل عمران: ١٣٩ .
(٢) النساء: ١٤١ .

قدسها... ودفع العار عن أمتها...

لقد شرفت معاشر النساء المسلمات، حيث فتحت لهن باب الشهادة، وأحيت مجد نساء المسلمين السابقين، من المهاجرين والأنصار... كأم عطية الأنصارية... وصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله الباسلة المناضلة حيث دقت عنق يهودي جاسوس بعمود خيمتها في غزوة الأحزاب، فسوته بالأرض، وفزع اليهود وجزعوا وارتدوا على أدبارهم خاسرين!!!

لله أنت يا وفاء... تجارة رابحة... وصفقة فائزة لك مع الله، ونحسبها شهيدة مجيدة في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أفيقوا يا مسلمون... ابذلوا النفس والنفيس والطارف والتليد في سبيل قدسكم... وعز أمتكم!!

أترضون أن يبول علينا خنازير اليهود ... ! أترضون ذلاً يغضب ربكم... ويستثير نبيكم... ويتنكر له جهاد صلاحكم... وتلعنه حطينكم...!!

ألا ترون الحال... ألا ترقوا للنساء يعريهم اليهود، على النقاط والحدود...!! ويذبحون الغلمان... ويقتلون الشبان ... ويذلون الكهل ويرهبون الطفل... !!!

فى كل يوم لنا شهداء....نهيل عليهم التراب، وتتفتت لفقدهم الأكباد... وكأني بهم يستصرخون بكم...

أخي إن ذرفت عليّ الدموع

وبللت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع

وسيروا بها نحو مجد تليد

وهذا شهيد آخر يقول :

أخي فامض لا تلتفت للوراء	**طريقك قد خضبته الدماء**
ولا تلتفت هاهنا أو هناك	**ولا تتطلع لغير السماء**

فليكن حالكم أيها المجاهدون حال القائل :

أخي إنني ما سئمت الكفاح ولا أنا ألقيت عني السلاح
وإن طوقني جيوش الظلام فإني على ثقة بالصباح

أيها الصامدون من أبطال الجهاد في فلسطين

هنيئاً لموتاكم الجنة... وطوبى لكم... وعقبى لمجاهديكم...

أتموا المسيرة وواصلوا الدرب...

ارفعوا رؤوسكم... واثبتوا وقاوموا... وانهضوا ولا تخاذلوا... فأنتم أمل الأمة... وأنتم شباب محمد ﷺ، فاصبروا وصابروا وجاهدوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

بيان إلى علماء وأجناد المسلمين !!!

أيها العلماء... يا أهل الفضل والمجد... بأي ذنب تقتل أمتنا ؟

أين الفكر... أين الذكر... أين درب الهدى... أين أنتم من علماء قدموا أعناقهم وسكبوا مدادهم فى سبيل افتداء أمتهم...؟

أين أنتم من سلطان العلماء العز بن عبد السلام بائع الملوك والسلاطين...

أين أنتم من شيخ الإسلام ابن تيمية وإعلانه للحق فى حضرة سلاطين الجور ؟!

أم أين أنتم من السعيدين سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، قدم أحدهما جهده وعلمه وماله لاستنقاذ أمته، وقدم الآخر عنقه فذبح ذبح الشياه دفاعاً عن أمته، إذ وقف فى وجه طغيان الحجاج !!.

يا أجناد المسلمين أجيبوا علي بأي ذنب قتلت أمتنا؟

أين العتاد... أين الجهاد ... أين المناد؟!

أين الصحوة والنفرة... والدفاع... والإقدام والشجاعة... والشهامة أين... وأين وأين... ؟!!

لماذ توأد أمتكم...؟ !!!!

لقد عطبت ذخيرتكم من تخزينها ..وصدأت أسلحتكم من توقفها....هلا أعملتموها فى استنقاذ أمتنا الموؤودة المسلوبة المرهوبة... ؟

أين أنتم من بدر والأحزاب وحنين... ومؤتة.

أم أين أنتم من حطين واليرموك والقادسية... أين وأين وأين ؟ !!!!

هتاف في الآذان...

أهتف وأنادي... قد يجدي الهتاف، وقد يسمع النداء... !!

يا حكام المسلمين بأي ذنب قتلت أمتنا ؟

يا أولى الأمر... يا أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ بأي ذنب تقتل أمتنا... ؟ !

يا رجال الأعمال... أيها القائمون على المؤسسات... أيها العابرون للقارات... أيها المديرون... والعاملون بأي ذنب قتلت أمتنا ؟

أيها الأثرياء من أصحاب الأرصدة غير المرئية، وغير المعروفة عدداً، أين أنتم من وأد أمتنا.. ؟!

أين أنتم من أثرياء عهد النبوة ؟!

مثل عثمان من جهز جيشاً، واشترى بئر رومة للمسلمين، وأين أنتم من عبد الرحمن ابن عوف، وقادة وسادة أغنياء المسلمين ؟ !!

أيها الوزراء والنبلاء والخاصة.. أين أنتم من وأد الأمة.. أين أزركم ونبلكم من خصاصة ومصاب أمتكم ؟ !!!!

أين ثم أين...؟ !!!

فالله الله... لا إله إلا الله.. لا ناصر إلا الله **﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾**[(١)] صدق الله وصدق رسول الله في بشراه «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر**»[(٢)]... صدقت يا سيد خلق الله أن العزة لله ولدين الله ولو كره الكافرون والمتهودون والمنافقون.

---

(١) محمد: ٣٨.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٠٣) عن تميم الداري، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٤): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة (٣).

هلموا إخواني. . .

نتوجه إلى الله العظيم أن ينصر الإسلام وأن يعز المسلمين. . .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك. . . ويخذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك. . اللهم عليك باليهود ومن هاودهم وشايعهم .

اللهم وانصر دينك وأعز جندك. . . وأقم شرعك واغفر لنا تقصيرنا وسرفنا وتباطؤنا أنت الغفور الرحيم، وأنت نعم المولى ونعم النصير.

الحادي عشر:

مأساة فلسطين... بين خيانة السابقين وصمت اللاحقين

أنطلق في مقالي هذا من قوله تعالى: ﴿**وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾[1]، فهذا الجزء من الآية يحكي بحق واقعنا، ويبين عن حالنا في أصدق مقال، وإن شئت الدقة فلنقل: إنه يعبر عن واقع حكامنا وولاة أمورنا الذين تثبطوا، وقعدوا، ولزموا خاصة نفسهم، ولم يلتفتوا إلى مقالة الصدق من ذوي الخبرة «أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأبيض» ولم يتعظوا من سقوط الثور الأفغاني الذبيح، أو الثور الشيشاني الطريح، أو الثور الفلبيني الذي تشحذ لذبحه سكاكين المخابرات الأمريكية، ونبال التوصيات الصهيونية، وهناك الثور الكشميري، والثور البوسني، والثور الكسوفي . . . !!!!

ثيران وثيران. . . !!!، يؤكل بعضها إثر بعض، دون حراك، ولو أنها انتفضت، وتآزرت، وتعاضدت، لخافها الأسود الأمريكية، ولرهبتها الذئاب الروسية، ولعملوا لها كل حساب. . . !!!

ولكن كره الله انبعاثهم، فثبطهم وأقعدهم عن نيل شرف الكرامة، وتقلد وسام الجهاد، ونيل درجة الشهادة. . . !!

وها هو ذا قدس الأقداس، ينجس ويداس، من اليهود الأنجاس، بلا تحرك منا ولا اكتراس، وبلا نخوة عند حكام الناس، إلا من الشجب والإفلاس، فالله الله لفلسطين والله الله للقدس، ولله در القائل: «يا قدس معذرة، ومثلي ليس يعتذر !!!».

وأهتف في آذان المتحرقين؛ شوقا للجهاد ولنيل الشهادة في رباط الأقصى ألا تحزنوا ولا تهنوا، ولا تتلاوموا، ولا تعتبوا على من يقفون لحماية إسرائيل عن ثورات وفورات المجاهدين ، فقد كره الله انبعاثهم. . . فثبطهم. . . وأقعدهم مع القاعدين. . . بل ارتقى كثير منهم إلى العمالة والخيانة، وهذه نافذة على مسلسل تلك الخيانة من عهد السابقين، وحتى تخاذل اللاحقين. . . !!

---

(١) التوبة: ٤٦ .

خيانة الصمت من مذبحة بلدة الشيخ ١٩٤٧م حتى مذبحة جنين ٢٠٠٢ م :

نعم والله إن مأساة فلسطين منذ عام ١٩٤٨م حتى يومنا هذا لهي وصمة عار سجلها التاريخ على جبين أمتنا. . . وسيحاسبنا الله عليها ويسألنا عنها. . .

أين أرض المسلمين؟!

أين قدس نبيكم. . ؟!!!!!

أين أعراض هتكت. . ؟!

أين دماء سالت. . ؟!

أين أنتم من مذابح اليهود لإخوانكم أين وأين. . . ؟!!

سيسألنا الله عن مذبحة بلدة الشيخ ٣١/ ١٢/ ١٩٤٧، ومذبحة قرية سعسع ١٥/ ١٢/ ١٩٤٨م ، ومذبحة دير الأسد ٣١/ ١٠/ ١٩٥٣م ، ومذبحة قبية ١٤/ ١٠/ ١٩٥٣، ومذبحة قلقيلية ١٠/ ١٠/ ١٩٥٦، ومذبحة كفر قاسم ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦، والمذبحة الكبرى الدموية بيد السفاح الآيم شارون ١٨/ ٩/ ١٩٨٢م (مذبحة صبرا وشاتيلا)، ومذبحة عيون قارة ٢٠/ ٥/ ١٩٩٠، ومذبحة المصلين في الأقصى ٨/ ١٠/ ١٩٩٠، ومذبحة قانا ١٨/ ٤/ ١٩٩٦، ومذبحة النفق ٢٧/ ٩/ ١٩٩٦ .

وسيسأل الله كل شاهد منا يرى وينظر مذبحة جنين ونابلس ولا زالت المذابح تعمل. . . . !!!

مجازر ومذابح اليهود (في جنين) في زمن حقوق الإنسان والألفية الثالثة.

فقط هذه إشارات أشير بها إلى قليل من كثير مما يرتكبه اليهود على مرأى ومسمع من المليار وثلاثمائة مليون مسلم، حسب ما تطالعنا به وكالات الأنباء. . . . وما خفي كان أعظم. . . . .

ترحيل الفلسطينيين:

قام الجيش الإسرائيلي بترحيل ٨٠٠ طفل وامرأة على الأقل خارج المخيم، وأعدمت ٨ من قيادات المقاومة.

كما قامت قوات الاحتلال بترحيل ٨٠٠ امرأة ورجل إلى قرية رمانة القريبة من المخيم، وقامت باعتقال الرجال من سن ١٥ وحتى ٦٥ إلى معتقلات في العراء.

وذكر شـهود العـيان صـباح الأربعـاء ١٠/٤/٢٠٠٢م: إن دبابات الاحـتلال وطائرات الأباتشي والجرافات بدأت في هدم مخيم جنين وتسويته بالأرض.

كما اتهمـت القيادة الفلسطينية الجيش الإسرائيلي بـدفن الشهداء الفلسطينيين في مقابر جماعية لإخفاء المجزرة التي ارتكبها في مخيم جنين.

وقالت القـيادة في بيانهـا الذي بثته وكـالة الأنباء الفلسطينيـة «وفا»: إن دبابات وطائرات وجرافات الغزو الإسرائيلي تقوم بهـدم منازل مخيم جنين واحدا بعد الآخر على رؤوس من بداخلها، وتنسف المساجد والمستوصفات وجميع المؤسسات المدنية.

وأضاف شهود عـيان أن جنود الاحتلال كانوا يهددون النســاء بأنه ما لم تتوقف المقاومة، فإنه سيتم قتل هؤلاء الرجال.

تعرية الشباب و الشيوخ:

وفي نابلس قامت قوات الاحتلال بتعرية مئات الشباب مئات من الشباب وكبار السن ويأمرونهم بخلع ملابسهم كاملة، والانبطاح على الأرض وهم عرايا، ويضربونهم بمؤخرات البنادق، ويسيرون فوق أجسادهم ويهددون الأهالي بتسيير الدبابات فوق أجسادهم.

هدم البيوت على ساكنيها!!!!

قام اليهود في جنين بهدم بعض المنازل على ساكنيـها، وكان من جملة الشهداء الذين دفنوا في بيوتهم عبـد الرحمن تركمان ـ ومحمد الفـايد ـ وشقيق له ـ والشيخ إبراهيم جبـر ـ وابنه مصعب ـ ومـحمود حلوة ـ ومحـمود طوالبة ـ إضـافة إلى أبي محمد الشهلة الذي هدموا المنزل عليه بواسطة جرافة عسكرية.

القتل رميا بالرصاص:

أعدمت قوات الاحـتـلال الإسرائيلـية صباح الأحـد ٣١/٣/٢٠٠٢م عشرين فلسطينيا؛ رميا بالرصاص في مجزرة إسرائيلية بنادٍ إسلامي في مدينة رام الله بالضفة الغربية، وقال شهود عيان: إن العشرين قُتلوا على الرغم من أنهم لم يكونوا مسلحين، ولم يعرضوا أحدا للخطر.

كما استـشهد فلسطينيان برصاص قـوات الاحتلال عندما اقتحـمت فجر الأحد ٣١/٣/٢٠٠٢م قرية صيدا شـمال شرق محافظة طولكرم في الضفة الغربيـة، الخاضعة

لسيطرة فلسطينية كاملة.

وكان جيش الاحتلال الإسرائيلي قد أعدم يوم السبت ٣٠/٣/٢٠٠٢ خمسة من رجال الأمن الوطني الفلسطيني رميًا بالرصاص في مدينة رام الله بالضفة الغربية، كما اغتال قياديين بحركة الجهاد الإسلامي قرب طولكرم.

منظمات الغرب تشهد... بعمليات الطرد.... وتتواطأ معها:

ذكرت مسؤولة في صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسف) أن الجيش الإسرائيلي طرد اليوم الأربعاء حوالي ٨٠٠ امرأة وطفل من مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين لمواجهة المقاومة المسلحة في المخيم.

وتذكر أيضا أن النساء والأطفال جرى طردهم إلى مدينة جنين المحاذية للمخيم، وتركوهم دون حماية أو غذاء.

وما هذا بعجيب ولا بغريب من الغرب ومنظماته التي طالما غضت الطرف عن المذابح ضد المسلمين في الشيشان و الهند... وفي البوسنة والهرسك التي لا تزال دماؤها حارة، ورفات موتاها شاهدة بما حل بها من خراب، وهذه شهادة منهم بما قاموا به من مشاركة سافرة في ذبح المسلمين وترويعهم.

حيث كشفت دراسة عن أنّ قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة خاصة القوات الهولندية تتحمل مسؤولية مجازر سربينيتشا التي شهدتها البوسنة والهرسك عام ١٩٩٥، وراح ضحيتها حوالي ٨ آلاف مسلم بوسني على أيدي القوات الصربية.

وقالت الدراسة التي أجراها المعهد الهولندي للتوثيق الحربي بناء على تكليف من الحكومة الهولندية : إن تلك المجزرة المروعة وقعت في ١١/٧/١٩٩٥ رغم وجود قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة في المنطقة التي كانت مسرحًا للمجازر.

مظاهرات ومسيرات ..... ولكن ؟؟؟؟

قامت في الدول العربية والدول الأوربية كثير من المظاهرات... لاستحثاث الجيوش على التحرك ضد مجازر وفظائع اليهود في شعب فلسطين الأعزل... فتحركت الجيوش العربية على الفور ... ولكن لم يكن تحركها لليهود ... حاشا وكلا...؟

ولكن جاء تحركـها ضد المتظاهرين. . . . وجـموع المعترضين المحتـجين على ما تفعله إسرائيل. . . . فابكِ يا عين. . . وادمِ يا قلب ؟؟؟

واسألوا جامعة الإسكندرية. . . والقاهرة. . . وشوارع البحرين. . . . واسألوا أرجاء مصر والأردن. . . . . . واسمع نتفا من هذه الأخبار الظاهرة وما خفي كان أعظم.

فقد قالت مصادر أمنية مصرية: إن النيابة العامة أمرت بحبس ٦٨ طالبا شاركوا في المظاهرات المؤيدة للفلسطيـنيين والمناهضة للولايات المتـحدة التي شـهدتهـا مدينة الإسكندرية يوم الثلاثاء وشابتها أعمال شغب.

وقالت مصادر طلابية: إن عمليات الاعتقال جرت ليلا من منازل الطلبة.

وقالت مصادر أخرى: إن نحو ٢٠٠ غالبيتـهم من الطلاب أصيبوا إصابات طفيفة في مظاهرات يوم الثلاثاء، وإن ثلاثة فقدوا الأبصار في الاشتباكات.

رأي الشارع العربي والإسلامي أقوى من رأي الحكام..؟!!!!

لازالت الشعوب تتطلع لفتح الحدود وتتوق للشـهادة، ولكن تحول الأنظمة الحاكمة بينها وبين ذلك، في وسط غـليان شعبي عـارم، وبرود للمسؤولين عـارم أيضا، ولا حيلة لشعوبنا إلا أن تتظاهر كـما أشرنا، أو أن تدعو لمقاطعة ما هو أمـريكي؛ تعبيرا عن غضبها وسخطها. وإليكم نتفا عن هذه الصـحوة الشعبية في العالم الإسلامي تنبئنا عن يقظة شعوبنا ونوم حكامنا :

ـ في إشارة المرور بميدان التحرير في قلب العـاصمة المصرية القاهرة نزل شاب من سيـارته وفي يده حـزمة من الملـصقات وتوجـه بسـرعة إلى أصحـاب السـيارات فـي الإشارة، وسلم كل واحد ملصقا مكتوبا عليـه نداء إلى كل المواطنين المصريين « ساعدوا إخوانكم في فلسطين بمقـاطعة البـضائع والمنتـجات الأمـريكية »، وطلب الـشاب من أصـحاب السيارات أن يضعوا هذا الملصق على زجاج سياراتهم الخلفي لينبه باقي المواطنين في كل مكان، ثم عاد إلى سيارته مرة أخرى وسط إعجاب الجميع.

ـ في شارع جـامعة الدول العـربية بمنطقة المهندسين وقـفت سيدة تقنع أطفـالها بعدم الدخول إلى أحد محلات الطعام الأمريكية الشهيرة، وبعد مناقشات نجحت الأم في موقفها الرافض للتعامل مع هذه المحلات مستقبلاً.

ـ كمـا عادت الدعـوة لمقاطعـة كل ما هو أمـريكي تروج على نطاق واسع بين الإماراتيين؛ رداً على الدعم الأمريكي الظالم للعدوان الإسرائيلي ضد الفلسطينيين.

ومع أن الحملة الأخيـرة انطلقت عفوية برسالة تم نشـرها على نطاق واسع عبر الهاتف النقال تدعو إلى مقاطعة البضـائع والمنتجات الأمريكية، فإن المؤشرات الأولية تؤكد تراجع أعـداد كبيرة عن ارتياد مـحلات المنتجات الأمـريكية الشهيـرة والمنتشرة بكثافة في المدن الإماراتية.

ـ وفي قطر يقول الشارع: «مقـاطعة البضائع الأمريكية ومطاعـمها أقل ما يمكن تقديمه للشعب الفلسطيني: فهذا أضعف الإيمان؛ لأن الإحساس بالعجز إحساس قاتل ومؤلم، سواء كان للأمر تأثير أو لم يكن».

ويعللون ذلك بقولهم: «ما دامت أرباح هذه المنتجـات تذهب إلى الاقتصاد الأمريكي الذي يساند إسرائيل، ولا ينظر إلى أطفال فلسطين؛ فإننا نفضل مقاطعة هذه المطاعم».

ـ وفي تونس دعت شخصيات نقـابية وحقوقية ومدنية تونسـية إلى مقاطعة ٦٠ سلعة أمريكية ومنتـجات ومؤسسات تساند الحكومة الإسـرائيلية، ويأتي ذلك تضامنا مع الفلسطينيين الذين يتعرضون لحرب إبادة على يد قوات الاحتلال.

وقالت صحيفة «لوكيتديان» التونسية الناطقة بالفرنسية الأربعاء١٠/ ٤/ ٢٠٠٠: إن الحملة تهدف إلى تعبئة الرأي العام التونسي، ومـقاطعة المنتجات الأمريكية كشكل من أشكال التضامن مع الفلسطينيين في محنتهم.

ولذلك فمحال البضائع الأمريكية خاوية على عروشها إلا من القليل، وهذا من بشائر الخير . . .

رسائل قرآنية إلى من يهمه الأمر....

من حكام وشعوب المسلمين من قعدوا مع القاعدين:

هذه رسائل قـرآنية أوجههـا إلى من بقيت لديهم باقـية من غيرة على حـرمات الأمة أبعث بها عساها تجد آذانا صاغية . . . وقلوباً واعية . . . وهمماً عالية . . . . وقولا يتبعه فعل . . .

اخترتها من سورة براءة، أو الفاضحة، أو الكاشفة. . . .عسانا نبرأ من أعدائنا،

ونتبرأ من عارنا، وعسانا نداري فضيحتنا، وندفع بليتنا، وعسانا نكشف بسواعد الجهاد العار عنا، حتى لا يقال: أمة ماتت... وعزة فاتت...

الرسالة الأولى:

قال تعالى محذرا: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[(١)].

قدموا الدنيا فحل بهم النكال...

أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَه أَنْ يَتَوَعَّد مَنْ آثَرَ أَهْلَه وَقَرَابَتَه وَعَشِيرَتَه عَلَى اللَّه وَرَسُوله وَجِهَاد فِي سَبِيله، فَقَالَ: ﴿**وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا**﴾ أَيْ: تُحِبُّونَهَا لِطِيبِهَا وَحُسْنهَا أَيْ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الأَشْيَاء ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾ أَيْ: فَانْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلّ بِكُمْ مِنْ عِقَابه وَنَكَاله بِكُمْ.

دينك قبل نفسك...

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ روى الإِمَام أَحْمَد عَنْ زُهْرَة بْن مَعْبَد عَنْ جَدّه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ وَهُوَ آخِذ بِيَد عُمَر بْن الْخَطَّاب فَقَالَ: وَاَللَّه يَا رَسُول اللَّه لَأَنْتَ أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ كُلّ شَيْء إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**لاَ يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى أَكُون أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسه**» فَقَالَ عُمَر: فَأَنْتَ الآن وَاَللَّه أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**الآن يَا عُمَر**»[(٢)].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى أَكُون أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِده وَوَلَده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**»[(٣)].

وعَنْ ابْن عُمَر قَالَ: سَمِعْت رَسُول اللَّه ﷺ يَقُول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ**

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أَذْنَاب الْبَقَر وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الجِـهَاد سَلَّطَ اللَّه عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينكُمْ»[(١)].

الرسالة الثانية :

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[(٢)].

التكاسل عن نصرة الله دليل النجاسة وعنوان الخباثة :

يَقُول تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ أَيْ: مَعَك إِلَى الْغَزْو ﴿لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أَيْ: لَكَانُوا تَأَهَّبُوا لَهُ ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أَيْ: أَبْغَض أَنْ يَخْرُجُوا مَعَكُمْ قَدَرًا ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أَيْ: أَخَّرَهُمْ ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أَيْ : قَدَرًا ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى وَجْه كَرَاهِيَته لِخُرُوجِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

الرسالة الثالثة :

قال تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ...﴾[(٣)].

احذروا المثبطين...

قوله سبحانه : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ أَيْ: لأَنَّهُمْ جُبَنَاء مَخْذُولُونَ ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أَيْ: وَلأَسْرَعُوا السَّيْر وَالْمَشْي بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَة وَالْبَغْضَاء وَالْفِتْنَة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلامهم يَسْتَنْصِحُونَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا لا يَعْلَمُونَ حَالهمْ، فَيُؤَدِّي إِلَى وُقُوع شَرّ بَيْن الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَاد كَبِير.

احذروا... المتهودين العرب :

وهم زمرة الخونة والعملاء، والأراذل المنافقين من حراس اليهود والمدافعين عن إسرائيل، ووكلاء الصهاينة في العالم الإسلامي، وهذا ما تشير إليه هذه الرسالة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

(٢) التوبة : ٤٦.　　(٣) التوبة : ٤٧.

واسمع ما قاله المفسرون فيها.

قَالَ مُـجَاهِد وَزَيْد بْن أَسْلَم وَابْـن جَرِير: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أَيْ: عُيُـون يَسْمَعُونَ لَهُمْ الأَخْـبَار وَيَنْقُلُونَهَا إِلَيْهِمْ. وَهَذَا لاَ يَبْقَى لَهُ اخْتِصَاص بِخُـرُوجِهِمْ مَعَهُمْ بَلْ هَذَا عَامّ فِي جَمِيع الأَحْوَال وَالمَعْنَى الأَوَّل أَظْهَـر فِي المُنَاسَبَة بِالسِّيَاق، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ قَتَادَة وَغَيْره مِنْ المُفَـسِّرِينَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق: كَانَ الَّذِينَ اسْـتَأْذَنُوا فِيمَا بَلَغَنِي مِنْ ذَوِي الشَّرَف مِنْهُمْ عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ ابْن سَلُول وَالجُـدّ بْن قَيْس، وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمهمْ، فَثَبَّطَهُمْ اللَّه لِعِلْمِهِ بِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَـعَهُ، فَيُفْسِدُوا عَلَيْهِ جُنْده، وَكَانَ فِي جُنْده قَوْمٌ أَهْل مَحَبَّة لَهُمْ وَطَاعَة فِيمَا يَدْعُـونَهُمْ إِلَيْهِ لِشَرَفِهِمْ فِيهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [1] يأبى الله أن يحرر قدسه إلا الطاهرون.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ إخبار بأنه يَعْلَم مَا كَانَ وَمَا يَكُون وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَـيْف كَانَ يَكُون؛ وَلِهَذَا قَـالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ فَأَخْبَرَ عَنْ حَالهمْ كَيْف يَكُون لَوْ خَرَجُوا وَمَعَ هَذَا مَا خَرَجُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا. وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [3]، وَالآيَات فِي هَذَا كَثِيرَة.

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٦٢).

(٢) الأنفال: ٢٣.

(٣) النساء: ٦٦ـ ٦٨.

الثاني عشر:
هل ستعود السلطة إلى دور الشرطي الصهيوني ضد المجاهدين ؟

عار على سلطة الحكم الذاتي هذه السياسات الخاطئة التي تنتهجها، ففي الوقت الذي احتفى جميع الوطنيين والأحرار بالعملية الاستشهادية الفذة التي أخرجها ونفذها أبناء حماس البررة في مطعم البيتزا الصهيوني، خرج علينا صوت عرفات النشاز بالاستنكار والشجب، وعللت زمرته هذا التصريح الكارثة بأن السياسة تقتضي هذا الموقف، أي: سياسة هذه التي يؤمن بها عرفات !! سياسة الخسائر الفادحة التي فرغت القضية من مضمونها بسبب التحول عن خيارات المقاومة إلى نهج التفاوض والذل على أبواب أوسلو وشرم الشيخ وكامب ديفيد!! أي سياسة والقضية تتعرض لعملية تصفية محكمة تحت شعارات الحلول السلمية!! أي سياسة وأبناء الشعب الفلسطيني يبادون يوميًا من جراء القصف الصهيوني عبر أعتى الأسلحة الثقيلة !!

ومن المضحكات المبكيات أن تنشغل الأمة خلال الآونة الأخيرة بمدى جدوى بقاء عرفات من عدمه، وأن تختزل قضية فلسطين في شخصيته، وجعله محور القضية، ما حدث في هذا الشأن لايعدو أن يكون مسرحيات هزلية ومخططات من تدبير الصهاينة والغرب، الهدف منها صناعة بطولات زائفة وزعامات غوغائية كعرفات في فلسطين، وصدام في العراق، فمن السذاجة أن نصدق بأن الكيان الصهيوني يستهدف عرفات ويدبر له المكائد لاغتياله، كيف يعقل ذلك وهو خير من أدى دوره لصالح اليهود؟ هذه التمثيليات ما هي إلا لصناعة أصنام بشرية وترويجها بهدف كسب التعاطف والتأييد لهذا الشخص أو غيره.

والحال نفسه ينسحب على صدام فحين اعتدى على إيران طبل له الخليج وزمر وصنع منه زعيماً وصدق مزاعمه بأنه حامي حمى الجزيرة العربية، فيما نظرت له بقية الدول العربية على أنه مجرم حرب ولابد من وقفه عند حده، وعندما اعتدى على الكويت تغيرت النظرة، فأصبح في حسابات الخليج مجرماً لكن رآه البعض زعيماً وطنيًا سوف يقوم بتحرير فلسطين؟!!

صناعة هذه الأصنام العربية تقوم عليها مخططات مشبوهة تعمل لصالح الصهيونية العالمية؛ لترويجها في أسواق السياسة العربية في بداية كل مرحلة من مراحل الصراع اليهودي.

هذه الأمة الشاهدة ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[١]، علّمها دينها ألا تتعلق بالشخص ولكن ترتبط بالقيم والمبادئ العادلة، فحين توفي النبي ﷺ جسّد الصديق أبوبكر خليفة المسلمين هذا المعنى جلياً واضحاً بقوله: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»[٢] هذه هي المعادلة السليمة، فلا صنمية في الإسلام ولا قداسة لأشخاص، والنبي ﷺ معلم البشرية يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[٣]، وفي موضع آخر: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»[٤].

١ـ حلقة جديدة من الخداع:

إنها مفارقة عجيبة أن تقوم سلطة عرفات الغادرة باعتقال ٤ من أبناء حماس؛ إرضاء لسادته من الصهاينة حتى يقبلوا العودة به مرة ثانية إلى لقاءات الكازينوهات والمنتجعات، إن عرفات وسلطته مخطئون إذا كانوا يظنون أنهم باعتقالهم أبناء حماس ومناصريهم، سوف يرضى عنهم الصهاينة، كلا وألف كلا، فاللعبة السياسية التي يضع سيناريوهاتها شارون وحليفه بيريز بعد أن أوجعتهما ضربات حماس والجهاد لاستقطاب قادة السلطة إلى ساحة المفاوضات ما هي إلا حلقة جديدة في سلسلة المناورات والخداع والكذب التي بدأت مع مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، حتى يستمر عرفات وبطانته المنتفعة في حمايته لأربابه من الصهاينة باعتقال ناشطي حماس والجهاد والتصدي للانتفاضة الباسلة، والأدهى أن بيريز مكلف من شيطانه الأكبر شارون بالتفاوض فقط حول عملية وقف إطلاق النار من دون أن يكون له صلاحية اتخاذ قرار!!

٢ـ الأولى رصد حركة العملاء:

وقد ظهرت أولى مؤشرات هذه اللعبة، فبعد أن اعتقلت قوات الأمن الفلسطينية

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٨) عن عائشة $.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر #.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/٣٦٧) عن أبي هريرة #، وصححه الألباني.

أبناء حماس صـرح قادة العدو الصهيـوني لوكالات الأنباء والأجهزة الإعـلامية، بأن هذه الإجراءات غير كافية، وبمقتـضى هذا التصريح الصهيوني يجب على عرفات أن يقدم مزيداً من الولاء وفـروض الطاعة وإلا واصلت إسرائيل اعتداءاتهـا على مقرات سلطته وهددته بالوعد والوعيد والويل والثبـور؛ لذا فإذا كانت السلطة مكترثة بقضية شعبها كما تزعم، فإن عليها أن تثـبت ذلك عبر الانحياز إلى شعبها المجاهد بدل من طعنه من الخلف، كما ينبغي عليها عدم الاستجـابة الجبانة لإملاءات اليهود، فاعتقال المجاهدين خيانة عظمى خاصة في هذا المـرحلة بالغة الدقة، وكان الأَولى بها أن ترصد حركـة العملاء والخونة الذين يتـجسسـون لحساب الصهـاينة، ويبلغونهم كل كبـيرة وصغيرة عن حركة المجاهدين.

والأمـر المثيـر للدهشة هـو أن سلطة الحكم الذاتي مـا زالت تتلهف شوقـاً إلى الجلوس مرة ثانية مع قادة سفك الدماء والاغتيالات متغاضية عن الخبرة التاريخية التي تقطع بأن الصهاينة أهل غدر وخيانة، وليسوا أهل سلام أو تعايش، ولست مبالغاً إذا قلت: إن قبول السلطة للـتفاوض مرة أخرى هو تقديم دمـاء أبناء الشعب الفلسطيني المجاهد رخيصة مقابل حفنة من الدولارات وأعراض الدنيا الزائلة.

لقد آن للسلطـة الفلسطينية أن تحد من إجـراءاتها الاستـثنائية ضـد أبناء الشعب الفلسطيني، وأن توقف عمليات الاعتقالات الواسـعة والعنيفة والمداهمات الليلية التي سبق أن ارتكبتها والتي من المتوقع أن تتزايد بموجب الاتصالات الصهيونية الفلسطينية الرامية إلى بدء ما يسمى بالعملية السلمية.

وحان الوقـت لأن تتوقف عن التواطؤ مع الكيـان الصهيوني الذي لم ولن تتوقف صواريخه ومدافعه الثقيلة عن حصد أرواح الأطفال والشباب والشيوخ والنساء.

السجل الأسود

إنَّ قراءة التاريخ تؤكد أن هذا التدهور الذي لحق بالقضية الفلسطينية تتحمل الجزء الأكبر من مسؤوليته السلطة الفلسطينية بعد أن أعطت ظهرها لخيار المقاومة، وقامت بدور الجهاز الأمني الوظيفي لصالح الصهاينة من ناحية وقبلت باللعبة السياسية القذرة من ناحية أخرى، مقدمة سجلاً سوداوياً كان له الأثر الأكبر في إضعاف القضية وسحق المجاهدين وملاحقتهم من قبل اليهود.

٣ـ اعتقالات وزج في غياهب السجون:

لقد حفل تاريخ سلطة الحكم الذاتي بالكثير من الممارسات القمعية ضد أبناء المقاومة ومؤيديها، فقد اعتقلت ١٠٠ شاب فلسطيني بعد مرور قرابة شهر على دخول ياسر عرفات إلى قطاع غزة عام ١٩٩٤م، وهكذا فقد كان أول القصيدة ينطق بالكفر !!

ثم قامت بحملة اعتقالات تعتبر الأعنف والأوسع من نوعها في ٢٥ فبراير ١٩٩٦م، واستمرت قرابة ٦ أشهر من دون توقف طالت خلالها عشرات الفلسطينيين المجاهدين، وفي اليوم التالي واصل عساكر السلطة اعتقالهم ١٨٧ مواطناً آخر من نشطاء وفصائل المقاومة، ووصل عدد المعتقلين في ١٣ أبريل ١٩٩٦ حسب تصريحات المسؤولين في السلطة ٩٠٠ معتقل، وطالت هذه الحملات الطلبة والأكاديميين والنشطاء في المجالات الاجتماعية من أبناء حركتي حماس والجهاد، بل واعتقل أولادهم وأشقاؤهم كرهائن وهددت زوجاتهم وبناتهم وشقيقاتهم؛ لإرغامهن على الإدلاء بمعلومات للسلطة حول أنشطة المقاومة، وقد وصف المدعو محمد دحلان مسؤول ما يسمى بجهاز الأمن الوقائي في قطاع غزة حملة السلطة ضد أنصار الجهاد وحماس بأنها «أكبر حملة يشهدها قطاع غزة منذ احتلاله عام ١٩٦٧!!» ومنذ ذلك الحين لم تكف السلطة عن اعتقالات النشطاء والوطنيين، وهذا هو الشهيد جمال منصور أحد قيادات حماس كان قد زج به في غياهب سجون السلطة عدة مرات، ثم قدمه العملاء والخونة فريسة للكيان الصهيوني ضمن ٨ فلسطينيين بينهم طفلان، وهذا هو الدكتور عبد العزيز الرنتيسي أحد أبرز قادة حماس الذي تعتقله السلطة، كلما شاءت وتضعه خلف القضبان كل ذلك لصالح من!! إلا العدو الصهيوني.

٤ ـ اقتحامات وانتهاكات صارخة:

وتتوالى سـقطات السلطة، ففـي إطار تنفيذ المخطـط الصهيـوني شنت السلطة الكثير من عمليات المداهمة والاقتحام ضد مؤسسات حماس في انتهاك صارخ لحقوق أبناء الشعب الفلسطيني، حيث شارك نحو ٢٠٠ مـسلح في مارس ١٩٩٦ في اقتحام الجامعة بمدينة غزة وعمدوا إلى تفتيش مبانيها وحطموا خلالها الأبواب واعتقلوا عدداً من حراس الجامعة بعد مصادرة ملفات وأجـهزة الكمبيوتر، وطالت حملات المداهمة والاقتحـام عشرات المؤسـسات الاجتمـاعية مثـل جمعـية الصلاح والمدارس ورياض الأطفال والعيادات الصحية، وتعرض طلاب جـامعتي النجاح وبيرزيت إلى انتهاكات بشعة إثر المداهمات التي يقوم بها رجال السلطة بين الحين والآخر.

وكانت السلطة ـ حسب تقـارير منظمات حقـوق الإنسـان والضحايا ـ تستخدم وسائل تعذيب وحشيـة ضد المعتقلين في سجونها، وأكدت منـظمات حقوق الإنسان أن عدداً من المعتقلين توفوا في سجون السلطة بـسبب تعرضهم للتعذيب، ومنهم فريد جربوع وسلمـان جلايطة وتوفـيق على السواركة، وكـانت السلطة تترك المعـتقلين في حالة إضراب عن الطعام لمدة أسبوع، بل كانت تعاقبهم بالترحيل بعيداً عن منازلهم، ولم تكن تسـمح لمنظمـات حقـوق الإنسان بزيارتـهم!! وتاريخ عرفـات في مجـال التصفـيات الجسدية حافل، فـمن قتل أبا جهاد، ومن قتل أبا إياد، ومن قـتل فيصل الحسيني ؟!! إنهـا مؤامرة دبرها عرفـات وأتباعه لكل من اشتم من رائحـته الوطنية، ليوسـع المجال لسكـارى كـازينـو أريحـا ومراقـص وبـارات حـيـفا أمـثـال رجـوب ودحـلان والبرغوثي وغيرهم.

ألم تكن كل هذه الممارسـات غير الإنسانيـة إلا لدعم موقف الكيان الصهـيوني وإعطائه الذريعة للاستـئساد ضد أبناء الشعب الفلسطيني!! ألم تكن هذه الـسياسات الخرقاء إلا لوأد الانتفاضة والتنكيل بأبناء المقاومة؟! إن السلطـة تتحمل مسؤولية كبيرة بسبب تصديهـا لخط الدفاع الأول عن القضيـة، وهم هؤلاء المجاهدون الذين أدركوا حقيقة العدو منذ البداية وسلكوا نهج الجهاد والقوة.

٥ ـ تواطؤ وعمالة:

والأسوأ من نوعـه في تاريخ القضية الفلسطينـية هو تواطؤ سلطة الحكم الذاتي مع أجهزة الاستخبارات الصهيونيـة، وقد أعلن عرفات ذلك غـير مرة متـحدياً الشـعور

الوطني والديني (سنواصل تنسيقنا مع الحكومة الإسرائيلية) في إشارة إلى نشاط حركات المقاومة، وفي وقت لاحق لهذا التصريح أعلنت مصادر في السلطة عن اعتقال ١١مواطناً فلسطينياً كانت السلطة الصهيونية قد أمرت نظيرتها الفلسطينية باعتقالهم، وأكد غازي جبالي أحد القيادات الأمنية في السلطة قوله: (سنواصل التعاون مع القوى الأمنية الإسرائيلية ضد كل المجموعات التي تعمل لحساب المقاومة وسنضربها)، وتم توسيع هذا التعاون في أعقاب مؤتمر شرم الشيخ الذي وافقت خلاله السلطة على مطلب إسرائيل بضرب حماس، ومحمود عباس(أبو مازن) نفسه هدد في تصريحاته بأنه لن يرحم المسؤولين عن الهجمات ضد الاحتلال، وجاء ذلك في إطار التنسيق بين إسرائيل وأجهزة الأمن الفلسطينية؛ لقمع حماس والجهاد الإسلامي داخل مناطق الحكم الذاتي.

بعد كل هذا التواطؤ من جانب السلطة الفلسطينية لحساب الكيان الصهيوني ماذا حصدت السلطة الفلسطينية ؟ وماذا ستحصد إذا استمرت على هذا النهج ؟ لن تحصد إلا العار والدمار وعواقب الخيانة، ومزيداً من احتلال الأرض سواء بالقوة أو بالمفاوضات المزعومة !!

أشرف للسلطة الفلسطينية أن تعود إلى خيار المقاومة، وأن تعيد ترتيب البيت الفلسطيني من الداخل، وأن توحد جهود جميع الفصائل الجهادية والوطنية في مواجهة العدو الصهيوني، فلا سبيل على الإطلاق لحل القضية سلمياً، ففي لحظة واحدة عصف الكيان الصهيوني بكل التفاهمات والاتفاقيات التي سبق أن أبرمها مع قادة السلطة، ألا تقتنع السلطة بأن الكيان الصهيوني قد نقض كل العهود والمواثيق باحتلاله للأرض والمؤسسات التي سبق أن تنازل عنها؟!

إن الأمة تعيش مرحلة فاصلة فارقة، وليس ثمة طريق لإنقاذ الأقصى وإزالة العدو والعدوان إلا طريق واحد كما أكدنا مراراً، وشعاره قول الله تعالى: **﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[1].

---

(١) النساء: ٧٤ .

الثالث عشر:
أمة الإسلام بين تيه الحاضر... وبشارات المستقبل

كلمة ذات دلالة خاصة اسمها التيه... «تيه في تيه إلى تيه... من تيه»!!

هكذا في كلمات موجزات يمكن وصف حال أمتنا الإسلامية في زمنها الحاضر...

ومن عجيب التوافق أن التيه مبنى ومعنى حالاً وواقعاً معروفة جد المعرفة لدى اليهود قديماً وحديثاً.. فقد ضرب الله عليهم التيه ردحاً مديداً من الزمن ساحوا فيه في الأرض وتخبطوا فيها من قطر إلى قطر، ومن نكال إلى نكال إلى وبال.. إلى عثار جزاء لهم بما كسبت أيديهم، وقد عبر القرآن عنه بقوله تعالى: ﴿**اسْكُنُوا الأَرْضَ**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[2].

غير أن الواقع يشهد أنهم تجاوزا هذا التيه وراحوا يلملمون شتاتهم... طمعاً في إقامة مملكة داود المزعومة...

ثم راحوا يورثون هذا التيه الذي تجاوزه إلى أمة الإسلام التي حبلها ممدود طرفه بيد الله وطرفه بيدي الجهاد فكيف بها تتيه... وكيف بها تضيع؟!

العصر الشاروني... رمز اختيال اليهود... وذروة تيه المسلمين!!

ولم لا ونحن كثير كثير ولكننا كالغثاء ما بين شاب يذبح، وما بين تلميذ جريح غشيته غواشي أسلحة يهود... وأصابته بنبلها ورصاصها الأمريكي الأصل الأوروبي المنشأ والصهيوني الصنع...

وما بين طفل مصروع لا حول له ولا قوة، وهذا طيف من عاصفة شارون المتجبر الذي أعاد بهيئته الفجة وغلظته وعجرفته تاريخ التيه الذي لاقاه اليهود قبل على يدي المتجبرة والعتاة من الأقدمين...!!

---

(1) الإسراء: ١٠٤ .

(2) الأعراف: ١٦٧ .

عز شارون.... وذل المسلمين...!

سبحان الله... وتعالى الله ما أذل المسلـمين.. ! وما أشد تيههم...! شارون يقتل ونحن نتوسل...!!

إسرائيل تقول والعرب يسمعون... ويتوسلون...!!

إسرائيل تقود والعرب ينقادون...!!

تالله إنها لمهانة المهانات... ولإحدى عجائب الدهر

أن نكون ألعوبة... وأحبولة... ودمية تحركنا ريموتات أمريكا... !!

وتصقلنا سمعاً وطاعة تضميدات أوروبا... !!

ويغرينا حيناً تقارب الدب الروسي الدموي ذي المخالب المغروسة..

في نحور أطفال ونساء شعب الشيشان الأعزل...!!

الكل يضحك علينا.. الكل يسخر منا...!!

والله إن قوماً بهذه الصفات البليدات المتجهمات.. لهم أدنى عزة وأوضع مكانة من أعراب الجاهلية الذين كانوا يستغضبون فيغضبون...!!

ويستثارون... فيثارون..!!

وهذا صعلوكهم الشنفرى يتـبرأ من قومه لذلتهم وضعتهم فيـقول معنفاً لهم في أخلاق ما وصلنا نصيفها على جاهليته وصعلكته:

أَقِـيـمُـوا بَـنِي أُمِّي صُـدُورَ مَطِـيِّكُمْ فَـإِنِّي إِلَـى قَـوْمٍ سِـوَاكُـم لأَمْـيَلُ

وَفِي الأَرْضِ مَـنْأىً لِـلْكَـرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِـيـهَـا لِمَـنْ خَـافَ الْقِلَـى مُـتَـحَـوَّلُ

لَعَـمْـرُكَ مَـا فِي الأَرْضِ ضِـيقٌ عَلَى امْـرِئٍ سَـرَى رَاغِـبـاً أَوْ رَاهِـبـاً وَهُوَ يَعْـقِلُ

فما بالنا ضللنا... وكتاب الله حليفنا..؟!

وما بالنا نتيه... والقرآن دستورنا...؟!

وما بالنا خزينا... والجهاد سبيلنا....؟!

وما بالنا ذللنا . . . والموت في سبيل الله أغلى أمانينا !

من لنا في ذلتنا . . . ؟!

ومن يرثي لحالنا . . . ؟!

ومن يعيدنا إلى رشدنا . . . ؟!

ومن يرد علينا صوابنا . . . ؟!

هل ننتظر أعتى وأطغى من شارون . . ؟!

وهل ننتظر نبتاً أقوى من شباب الحجارة . . .

وأطفال الانتفاضة . . . يردون عنا جيوش إسرائيل . . . ويدافعون عن كرامة الأمة؟!!

وهذا جدول يبين بعضاً من سوء صنائعهم وإذلالهم لأمتنا .

جدول يمثل تيه الأمة و بعضاً من تنكيل اليهود بشعب فلسطين[١] .

اسم المجزرة	التاريخ	المكان	عدد الشهداء	عدد الجرحى
مجزرة الحرم الإبراهيمي	١٩٩٤	الحرم الإبراهيمي ـ الخليل	٢٩	٦٠
مجزرة ريشون ليسيتون ضد العمال	١٩٩٠	عيون قارة	٨	—
مجزرة داخل المسجد الأقصى	١٩٨٢	القدس المحتلة	٣٠	١٠٠٠
مجزرة دير ياسين	١٩٤٨	القدس	٣٦٠	—
مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	بيروت	٤٠٠٠	—

(١) انظر : إحصائيات المركز الفلسطيني للإعلام .

اسم المجزرة	التاريخ	المكان	عدد الشهداء	عدد الجرحى
مجزرة كفر قاسم	١٩٥٦	كفر قاسم	٥٦	—
مجرزة الطنطورة	١٩٤٨	قضاء حيفا	أكثر من ٢٠٠	—
مجزرة بيت داراس	١٩٤٨		٣٦٠	—
مجزرة الدوايمة	١٩٤٨	قضاء الخليل	٧٥	٨
مجزرة مخيم رفح	١٩٥٦	رفح ـ قطاع غزة	١١١	—
مجزرة بيت لحم	١٩٥٢	بيت لحم	١٠	٧٥
مجزرة مخيم البريج	١٩٥٥	مخيم البريج ـ قطاع غزة	٢٠	٦٢
مجزرة قبية	١٩٥٣	رام الله	٦٧	٣٣
مجزرة غزة	١٩٥٥	غزة	٣٩	٢١
مجزرة حوسان	١٩٥٦		٢٩	
مجزرة خانيونس	١٩٥٦	خانيونس	٢٧٥	—
مجزرة قلقيلية	١٩٥٦	قلقيلية	٤٨	—

لقد احلولك الظلام... فهل من فجر لصلاح الدين....؟!

نعم والله.... احلولك الظلام....!!

وحل التيه...وولى ربيع العزة،وتساقطت الأجنة من البطون على الحدود ونقاط التفتيش... وعريت النساء... ورهب الأطفال.. وجرفت الأراضي...!

فهل من فائق وهل من يقظ، وهل من منتهض..؟!

وهل من قائل صائل بالحق غير متوسل يقولها لا... ثم لا... ثم لا لذلة الأمة ولهوان الإسلام...؟!

القمة العربية... هل من مغيث ؟

ها هي ذا قمة عربية... تجمع ولاة الأمر من أمراء ورؤساء وملوك وسلاطين العرب.. فهلا اتقوا الله في أمتهم... وهلا كانوا عند حسن ظن الشعوب.. وهلا

سمعت كبريات الدول العربية استغاثات النساء بهم... حتى والله دمعت العين من سماع امرأة هدم منزلها... وجرفت أرضها... وقتل ولدها وزوجها... تصرخ وتصيح وتقول: يا عبد الله... يا حسني.. يا فهد... يا عرب...!!

تستغيث فهل من مغيث.. إنها تستجير فهل من مجير...؟!

أسأل الله أن يلهمكم الصواب... وأن تكونوا عند حسن ظن شعوبكم وأن تستذكروا أن الإمارة والرئاسة والملك لو دام لغيركم ما اتصل إليكم....

اللهم فاشهد... اللهم هل بلغت وأخيراً أذكركم قبل اجتماعكم بقوله تعالى: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ**...﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[2].

نعم سيبزغ فجر جديد... وسيأتي جيل منصور قاهر غير مقهور...!

قضى الله بقدرته وعزته وسابق حكمه أن دامس الظلام وحالك السواد يجليه ولو بصيص من النور.

وصدق الله؛ إذ يقول عن فرعون الطاغية بعد أن زاد طغيانه واستبد بسلطانه: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[3]، وهكذا اقتضت حكمة الله أن يجعل فرعون وجنوده عبرة لمن يخشى، وصدق الله؛ إذ يقول: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي** ﴾[4].

وهكذا فسيأتي جيل منا أو من غيرنا يأخذ مبادرة الجهاد... ويقود لواء المجد والنصر... ويزيل عار الأمة ويمسح عنها ذلتها ويقودها إلى الآفاق عالية... باقية زاهية...

وإن غداً لناظره قريب وصدق القائل:

ولو استوى للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

ولقد نما لنمل اليهود أجنحة، واستنوقت جمالنا، واستنسر بغاثهم... !!

---

(١) آل عمران: ١٦٠.
(٢) محمد: ٧.
(٣) القصص: ٥، ٦.
(٤) المجادلة: ٢١.

واستأسد حملهم. . . !!

تيه بني إسرائيل... هل ورثوه للمسلمين؟

أرى أن هذا السؤال وجيهٌ لأسباب عـدة على رأسها ذلك السبب الموضوعي من شتات أمة الإسلام وخوضها لجج التيه وانتـهاض اليهود من كبوتهم، واجتماعهم من شتاتهم. . . وتملكهم لدوائر القـرار في جميع أنحاء العالم تقريبـاً. . على المستوى : (الإعلامي ـ الاقتصادي ـ الفكري والثقافي ـ الفني).

وفـي حـين انـتـهـاض اليـهـود كـان انـتكاس المسلـمين، وتـشـردهم وضـيـاع مقدرتهم ومقدراتهم. . . وتخبطهم في ظلام التخلف. . .

وفي سفاسف الإعلام. . . وفي هامش عالم الاقتصاد.

وفي ذَنَـب دوائـر الفكر الثقـافي والحـضاري، وفـي حضـيض التقنـية الفنـية وتوابعها. . . ؟!

ترى ما الخطب. . .؟ وما الأمر. . . ؟ وهل هناك مكيدة حيكت بليل بيد يهودية آثمة. . . أم على نفسها جنت براقش؟!

سؤال هل له من جواب. . . ومجمل هل له من تفصيل؟

وهذا ما سنحاول الإجابة عليه في المحاور التالية:

ماذا تعرف عن تيه بني إسرائيل:

تذكر كتب السيرة والتفسير أن نبي الله موسى لما نجاه الله من فرعون انفصل عن مصـر، وقدم إلى بلاد بيت المقدس فـوجد فيهـا قوماً من الجـبارين، من الحيـثانيين، والفزاريين والكنعانيين وغيرهم.

فـأمرهم مـوسى بالدخـول عليـهم ومـقـاتلتـهم، وإجـلائهم عن بيت المقدس. . . فـأبوا ونكلوا عن الجهاد، فسلـط الله عليهم الخوف، وألقاهم في التـيه يسيرون ويحلون ويذهبون ويجيئون في مدة من السنين طويلة هي أربعون سنة.

وهكذا أبى بنو إسـرائيل الدخول، وخـنعوا وذلوا على رغم أن الله أنجـاهم من فرعون، وكـان أشد من الجبارين قوة وعـتوًا وبطشاً، غير أنهم لم يثـقوا في نصر الله

ولم يراعوا أمر الله.. حتى صاح رجلان مؤمنان منهما **﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(١).

ورد بنو إسرائيل كلام الله وكلام نبي الله موسى، وكلام الرجلين المؤمنين قائلين كما يحكي الله عنهم: **﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** (٢).

وهكذا كان توقحهم وجرأتهم على الله وردهم على نبي الله موسى، فأحل الله بهم العقاب، كما قال تعالى: **﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**(٣).

ماذا عن بني إسرائيل بعد دخولهم التيه؟

روى أهل السير أن بني إسرائيل أخذهم الله بعذابه على يد هؤلاء الجبارين الذين أذاقوهم سوء العذاب.

وأخذوا يتيهون في الأرض إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً.

صباحاً ومساءً... ويقال: إنه لم يخرج من التيه هذا، إلا قليل منهم حيث مات الكثيرون في مدة أربعين سنة.

ولم يبق من ذراريهم إلا قليل منهم مثل يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ويقال: إنهما الرجلان الصالحان..

تيه أمتنا... أشبه تيه بني إسرائيل:

لا غرابة أن تتشابه أمتنا مع بني إسرائيل في خطوط كثيرة ومواقع عديدة... إذ نص على ذلك نبينا محمد ﷺ في نصوص ليست بالقليلة...وتبين هذه النصوص أن هذا التشابه يتشاكل تماماً حتى لكأنما يعيد التاريخ نفسه في مشاهد وفصول أبطالها بنو إسرائيل وأبطالها الآخرون هم بنو الإسلام؛ إذ قال النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»

(١) المائدة: ٢٣.
(٢) المائدة: ٢٤.
(٣) المائدة: ٢٦.

فقيل: من؟ قال: «**اليهود والنصارى**»[1] أو كما قال ﷺ على اختلاف روايات الحديث، وعليه يتحقق لدينا إثبات تلك الفرضية القائلة بأننا ندور في فلك بني إسرائيل من التيه والضياع والهيام على الوجه إلى غير جهة إلى غير سبيل. . . !!

فالله الله لنا. . . والله الله على حالنا. . . !!

أوجه الشبه بين تيه بني إسرائيل قديماً وتيه أمة المسلمين حديثاً:

هناك أوجه شبه عدة يمكن استخلاصها من قصة تيه بني إسرائيل لعل أظهرها هو «الوهن».

ومعناه حب الدنيا وكراهية الموت وتقديم العاجل على الآجل والمنقود على الموعود. . .

وهذا يستبين تماماً في نكوص بني إسرائيل عن الجهاد للجبارين وارتدادهم على أدبارهم وخوفهم على متاعهم. . .

هذا حال بني إسرائيل فما حال أمة المسلمين ؟!

يعبر عن هذا الحال واقعنا المرير والذي جاءت نذارات قرآنية. . وتحذيرات نبوية.

ورسول الله لما حذر وقال في حديثه: «**تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» قالوا: أو من قلة يا رسول الله؟ قال: «**لا بل أنتم كثير ولكنكم كغثاء السيل... وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**» قالوا: وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[2] أو كما قال ﷺ.

وأوجه الشبه في التيه كثيرة لولا ضيق المقام ومحدودية المكان لأتيت عليها كلها. . . ولذلك مقام آخر.

أطروحات الخروج.. من تيه الحاضر.. إلى تيه المستقبل:

كثرت الأطروحات وتعالت الأصوات هتافاً بين العرب تارة. . . وبأهل الإسلام

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٤) عن أبي هريرة #، وفي الزوائد: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

(٢) تقدم تخريجه.

تارة أخرى. . . يصيب بعضها ويضل بعضها الآخر ويشوب بعضها بأفكار ملونة تابعة للغرب أو للشرق أو للماضي غير الإسلامي المنبت عن حاضرنا العقيم. . . ويحلو لي كثيراً أن أورد مختصراً جماع هذه الأفكار بقلم طبيب الأمة وجهبذها الراحل فضيلة الشيخ الغزالي رحمه الله حيث يقول في كتابه «قذائف الحق» :

وفيما يلي نستعرض في إيجاز عابر صوراً دقيقة بقدر الإمكان لهذه الدعوات أو الصيغ التي يتداولها الفكر في المجتمع العربي من الخليج إلى المحيط في إطار الدعوة للقومية العربية ـ منذ سقوط الخلافة العثمانية ـ حيث تمتد مخالب كثيرة لأعدائه تدعي أمومته أو أبوته لتصنع منه عبداً، وتفرض عليه وصاية من خلال حضانتها له بفكر سياسي خاطئ وإن كان له بريق.

١ـ دعوة قديمة حديثة :

ترفض الإقليمية والقومية معاً وتنادي بالفكرة العالمية الغربية وهذه تتردد في أفكار فردية أو مدارس فكرية مقنعة تتحرك هنا وهناك في مباحث ثقافية ذات طابع تحرري وهي دعوة تشجعها الصهيونية والاستعمار من قرب أو بعد.

٢ـ دعوة إقليمية:

ترفض القومية العربية إيثاراً لوطنيات ضيقة باسم الفرعونية أو الفينيقية أو الآشورية. . وهي أثر من آثار التحرك الاستعماري. . .

٣ـ دعوة للقومية العربية أوروبية الشكل والمضمون:

وهي دعوة ينفثها الاستعمار داخل الجماعات الرجعية. . . . وتريد أن تفرض بصورها للقومية العربية بالشكل الذي يحمي نظرية التفوق والدم وامتيازات رأس المال.

٤ـ دعوة للقومية العربية ترفض الدين وتشترط هذا الرفض.

٥ـ دعوة للقومية العربية يتبناها التقدميون الماركسيون ويضعون في مقوماتها التجانس العقلي والثقافي ووحدة النظرة إلى الكون؛ بدلاً من الدين، والأممية بدلاً من الإنسانية.

أعظم مخارج التيه: الاستجابة لله «بالجهاد»:

نعم والله إنه لمخرج عظيم من ذلك التيه والفساد الذي حل بنا وغشانا بظلامه. . .

وصدق الله . إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١) .

ولله در الهمام ابن القيم لما أحسن في استخلاص العبر من هذه الآيات فقال : إن هذه الآية تضمنت أموراً منها : «**أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله**»(٢).

وقال مجاهد : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني : للحق، وقال قتادة : هو هذا القرآن فيه الحياة، والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة، وقال السدى : هو الإسلام أحياهم بعد موتهم، وقال ابن إسحاق وعروة بن الزبير واللفظ له : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ تعني : للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وقال الواحدي والأكثرون على أن معنى قوله : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ هو الجهاد واختيار أكثر أهل المعاني، قال الفراء : إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم يريد إنما يقوى بالحرب والجهاد، فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم، ولله هذا الكلام المبين في علاج واقعنا المهين الذي ضاعت فيه عزتنا وصرنا وحداناً تتداعى علينا الأكلة كما تداعى إلى قصعتها.

تحيا هذه الأمة بما حيي به أوائلها:

نعم والله إنها لقاعدة جليلة في إحياء هذه الأمة وابتعاث حضارتها واسترجاع مجدها . . . حيث نص سلفنا على أن هذه الأمة لن تحيا إلا بما حيي به أولها . . ولله در القائل :

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا

ومعلوم من أمر هذه الأمة أنها كشفت غربتها بالدعوة إلى الله وبالجهاد في عصر النبوة . . ولما كان حالنا يرثى له . . . حتى أصبح الإسلام بتعاليمه غريباً بيننا، فإنه لا تندفع عنه غربته إلا بالجهاد والعود ثانياً لما كان عليه سلفنا ولله القائل :

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ

---

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) الفوائد لابن القيم (٨٨).

وهذا كلام نفيس يصب في هـــذا المعنى أورده الإمـام ابن القيــم حيث يقول: «وقلت: الجهاد من أعظم مـا يحييهم ـ أي الأمة ـ في الدنيـا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما في الدنيا فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد.

وأما في البرزخ، فقـد قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

وأما في الآخرة، فـإن حظ المجاهدين والشهداء من حـياتها ونعيـمها أعظم من حظ غيرهم؛ ولهذا قال ابن قتيبة: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني الشهادة.

والآية تتناول هذا كله، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحيي القلوب. . . وكمال الحياة في الجنة والرسـول داع إلى الإيمان وإلى الجنة، فهو داع: إلى الحياة في الدنيا والآخرة.

والإنسان مضطر إلى نوعين من الحياة :

١ـ حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار، ويؤثر مـا ينفعه على ما يضره ومتى نقضت فيه من هذه الحياة ناله من الألم والضعف بحسب ذلك.

٢ـ حياة قلبه وروحه التي يميز بها الحق والباطل والغي والرشد والهوى والضلال فتفيد هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار في العلوم والإدارات والأعمال.

فأفيـقوا أيها المسلمون وأقـيموا وزن التحضـر ونهجة التقـدم. .وهي الجهاد. . الجهـاد، فما ذل قـوم لازموا الجهـاد ولا خاب حامل سـيف بالحق، وصدق الله إذ يقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٦٩ .

(٢) الحج: ٣٩ .

الرابع عشر:
لنستمر في الانتفاضة وصناعة الخير

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو درب المجد الذي لا يرام، وحسبك من قول سيد العباد، لما سئل عن الإسلام والزّاد، فقال في إفصاح وسداد: «**ذروة سنامه الجهاد**»[(١)].

واذكر مقالة ربنا في بشارة الخير والمنى، فيمن جاهد وتقرب لربه ودنا: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[(٢)].

وحدّث عما جاء في الشهيد، من ثناء وتمجيد، وبشارات كاللؤلؤ النضيد، أنه يعلو إلى ذروات الخير، وتحشر روحه في حواصل الطير، وأنّ ذنبه لا يزال يغفر، ودمه يفوح بالمسك والعنبر، وأنّ من تشحط منهم في دمه، حُشر ولا إله إلا الله على فمه، وحاز السبق والمقدمة، ثم الشهداء لا يموتون، ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[(٣)]. يصيبون من الخير وبله، ومن النور سبله، ﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[(٤)].

من في الناس مثلهم، في كرامتهم ونُزُلهم، بذلوا النفوس لربهم، ومهجهم ليحيا غيرهم ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم**﴾.

نالوا من ربهم الكرامة، وما خافوا في الله ملامة، صدعوا بالحق الثائر، ولم يهابوا السلطان الجائر.

هجروا الوسائد والقينات، ونأوا عن كل الشبهات، وراحوا يراعون الفرض، ويذبون عن الحريم والعرض لـ ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾[(٥)].

طلقوا الدنيا الخاسرة، وتركوا زهرتها للآخرة، لقد وعوا واستيقظوا، ولربهم لاحظوا، وأطاعوه وما تلمظوا، بل حكموا شرعه وقرّظوا، وبالشهادة حظوا.

آثروا الله فآثرهم، ووصلوه فواصلهم، سعوا إليه باعاً، فسعى إليهم ذراعاً، جاؤوا إليه بمهل، فبادرهم الخير على عجل، مشوا إليه بمسألة، فحباهم بفضله قرباً

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح».
(٢) العنكبوت: ٦٩.
(٣) آل عمران: ١٦٩.
(٤) آل عمران: ١٧٠.
(٥) آل عمران: ١٣٣.

وهرولة.

سيد الشهـداء محمد، صاحب السيف المهند، يقطر دمـه من كل معاند ملحد، وشيطان أجرد، وذي قلب على الإسلام أسود، من للفتنة صعّد، وللشرع أبعد، كان بغير شـرع الله أسعد، ولغيـر ربه قال:أشهد، نال النبي بـسيفه الرتبة العـليا، وحاز بغزواته المكانـات السميـا، وشرى الآخرة بالدنيـا (وللآخرة عند الله خـير وأبقى)، اصطنع بدعوته الرجـال، وبين لهم الحق من المحال، وأمره ربه بذروة المنال، فـقال: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾[1].

وكم أمره مـولاه، بعد ما مكنه فـيما أتاه، أن يُقـاتل عداه، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

من يريد خبرا، ولجـهاد النبي سبرا، فليسأل عنه بدراً، حـيث دار القتال، وبان الحق من المحال، ولمع سيف النبي، لقتل كل كافر شقي.

وإن كانت العـرب تذكر، شبـابها وتفخر، بمعـدي كرب وعنتر، فـاذكر النبي الأنور، صاحب الله أكبر، في كـل خفاء ومجهر، فذاك شـفاء النفس، لا قول فتى عبس:

وَلَقَـدْ شَفَا نَـفْسِي وَأَبْرأَ سُـقْمَـهَا　　　قِـيلُ الْفَوَارِسِ وَيْـكَ عَنْتَرَ أَقْـدِمِ

وإن أعلام الأمة، علت بهم الهمة، وانكشفت بجـهادهم، الملمة، حينما نشروا الجهاد، وبـاعوا الدنيا ليوم المعـاد، فهذا أحدهم يبـوح، عن نفسه بوضوح، حـينما أعلنت امتناعاً، وفرت من القتال سراعاً، فقال يدافع جزعها، ويدحض امتناعها :

أَقُـولُ لَهَـا وَقَـدْ طَارَتْ شُـعَـاعـاً　　　منَ الأهْـوَالِ وَيْحَـك لَنْ تُـرَاعِي
فَصَبْـراً فِي مَجَالِ الـمْـوتِ صَبْراً　　　فَـمَـا نَـيْلُ الـخُلُودِ بِمُـسْتَطَاعِ

والله الله في ابن الوليد، من فـارس أسيس مجيد، عـلا بصارمه كل صنديد، ملحد في دين الله عـربيد، حتى لقب بسيف الله المسلول، على كل سـيف للشيطان مغـلول، لله دره يوم ذات السلاسل، أوسع في الفـرس المقاتل، وكـان لرستـم شر

---

(١) الأنفال: ٦٥ .　　(٢) البقرة: ٢٤٤ .

خاذل، فقوّض أركان آل ساسان، وهدم ملك الفرس لآخر الزمان، وطار الإسلام في ربوع فارس، وانتشرت لتعليمه المدارس، وانحسر دين زرادشت ومزدك، وباد كل مجوسي مشرك، وعلا الإسلام علياً، وبان نوره جلياً.

والله الله في يوم حطين، وزعيم الجهاد صلاح الدين، لما جاءته رسالة بيت المقدس، أبى الضحك وعبّس، إلا بتحرير الأقصى بجهاد مقدس.

يَا أَيُّهَا الملكُ الَّذي ... لمَعَالِم الصُّلْبَانِ نَكَّسْ
جاءَتْ إِلَيْكَ ظَلامَةٌ ... تَسْعَى منَ الْبَيْت المُقَدَّسْ
كُلُّ المَسَاجِدِ حُرِّرَتْ ... وأَنَا عَلَى شَرَفِي أُدَنَّسْ

لم يأل صلاح الدين جهداً، ولم يمنع رفداً، في سبيل الدفاع عن أرض المقدس، ويدفع عنها جموع التنجس، فأبدل الله به الهزيمة نصراً، وجبر به كسراً، وأعاد للمسلمين زخراً، فأين نحن من حطين، وأين نحن من صلاح الدين، وأين منّا القدس وفلسطين.

فَآهاً لعِزٍّ تَقَضى مَنَامَا
مَنَحْنَا به الجَاهَ دَوْمَاً كِرَامَا
وكنا نَسُوسُ أُمُوراً عِظَامَاً
وَكُنَّا عِظَامَاً فَصِرْنَا حُطَامَا

حيّ على الجهاد، أجب صوت المناد، كن لله سيفاً، واقتل عنك خوفاً، ودع عذراً وسوف، وكن خير من لبّى، وصب حماسك صبّا، وأطع في الإقدام ربّا، فأنت أولى من هالك دربه في سبيل المهالك، وقال مقاله ذلك :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتىً خِلْتُ أَنَّني ... عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ ولَمْ أَتَبَلَّدِ
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذي تَعْرِفُونَهُ ... خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ
فَآلَيْتُ لاَ يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٌ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ ... كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

اذكر أمـجاد أسلافك الذين سبـقوك، في أجنادين واليرمـوك، حيث بذلوا النفس والنفيس، وحطموا أنف إبليس، وطاولوا هام السها، جـهاداً وعلماً ونهى، فتحوا بلاد السند، واقتحـموا ممالك الهند، وكم مات منهم من جند، لا تزال سيـوفهم تقطر دماً، وسقوا أعـداءهم سُمّاً وعلقماً، وغدا حب الموت لهـم ميسماً، وقضـوا في الله نحبهم ريثما، وآثروا الآخرة على الدنيا دائماً، وفي سبيل الله خفّوا، وأنشدوا وهتفوا :

لاَ تَسْقِنِـــي كَـــأْسَ الحياة بِذِلَّـــةٍ   بَلْ وَاسْقِـنِي بِالْعِزِّ كَـأسَ الْحَنْـظَلِ

فـتح المسلمون الأندلـس، وامتطى الإسـلام قيـادها وجلس، وبلغـوا في أوربا الآفاق، وفتـح الإسلام منها الأعمـاق، وبذل الجندي دمه وأراق، ولم يأس أو ينهل دمعه المهراق، بل صفا لـه الموت وراق، وكان التنافس بينهم على الموت والاستباق، كأنما هو توزيع للأرزاق، أو هو عرسٌ وترياق.

ونادى في الغرب تقبل جموعـهم، من لي بسلفي أم من مثلهم، لم يكن جهادهم عدوانـاً، ولم يكونوا على الباطل أعـواناً، بل كان قـتالهم دفـاعاً، لمن أبى للـدعوة اتساعاً، وعـمد تعطيلها عناداً وامتناعـاً، وما كانوا يستهـوون الدم، بل حافظوا على حقـوق ابن آدم، وحفظوا ذمـة من هادن وسالم، ولم يـقتلوا قط طفـلاً، ولا امرأة وحملا، ولم يهـدموا كنائس، ولم يضعوا بين الديانات الدسـائس، بل تركوا الناس وحرياتهم، وفكرهم واختيارتهم، فمن رام الإسلام فليظهر ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[1]؛ إذ لا إكراه في الدين، وإنما الحق واضح مبين، وما تعبدنا الله بالقسر، وإنما بالعقل والفكر، والدراسة والذكر.

أين هذا من صرب البوسنة، وما دمروا من الكتاب والسنة، ولم يـبقوا من حقوق البشر حـفنة، فذبحـوا المسلمين ذبحاً، وهـتكوا الأعراض ليـلاً وصبـحاً، وبقـروا البطون جهـاراً ووضحاً، وساموا المسلمين خسفاً، أمطروهم بوابل الرصاص حتفاً، وقتلوا الرأس والطفلا.

بل أين مجرمو الروس، الذين قطعوا أوصال الشيشان والرؤوس، وأظهروا في كل فن التـعذيب الدروس، وهم قلة مـستضـعفـون، أتوا من حيث لا يعلمـون؛ لأنهم موحدون مسلمون.

---

(١) الكهف: ٢٩.

واذكر أبناء القـردة والخنازير، من يهود أمريكا وإسـرائيل، كيف سحـقوا عظام الأطفال، من الولدان والأشبـال، وكيف يواجهون الحجر بدبابة، ويقـتلون من يشير لهم بالسبـابة، وكيف استـلبوا الأراضي، وكذبوا في العـهود ، وخانوا في الحـاضر والماضي، وكيف يسخرون من ديننا، أم كيف ينجسون قدسنا.

أم سل المجوس من الهندوس، كيف قطعـوا من المسلمين الرؤوس، ولِمَ هدموا مسجد بابري بالفـؤوس، وكيف يحاصرون المسلمين في كشمير، ويضـربون كبيرهم والصغير... واصدع في جمـوعهم، واصرخ في آذانهم، بقول من قال، في وصف هذا الحال :

مَلَـكْنَا فَكَـانَ الْعَـفْوُ منَّا سَـجيَّةً ... وَلَمَّـا مَلَـكْتُمْ سَـالَ بِالـدَّمِ أَبْطُـحُ
وَحَلَـلْتُمُ قَـتْـلَ الأُسَـارَى وَطَالَمَا ... غَدَوْنَا عَــلَى الأَسْرَى نَمُنُّ وَنَصْفَحُ
وَحَسْبُـكُمُ هَــذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا ... وَكُلُّ إِنَـاءٍ بِالَّذِي فِــيـهِ يَنْضَـحُ

كذب من زعم أن الإسلام انتشر بسـيف، أم بإرهاب وخوف، لو كان ذلك حقاً، وما زعـموه صدقاً، لارتـد عن الإسلام دول، بعدما زال سـلطانه والحلل، وضاعت خلافته وأصابها الهمل، ولكنه انتشر بالمحبة، لا بالسيف والمسبة، وتبصر قول ربك: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، وهكذا الأمر دائمـاً، لدى من كان مادحاً ولائمـاً، أن من لطفت كلمته، وجبـت محبته، وأن القلوب لا تـشترى، لا بالمال والحلى، ولا الثياب والطلا، وإنما القلوب تستهم، لدى الأقربين وغيرهم، بالله لا بمالهم ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، ولك في عم الرسول عـبرة جلياء، أنه مـات على الكفر والكبـرياء، والنبي يتلهف، ليعلن عـمّه للدين الولاء، ومن الكفر البراء، فنزل عليـه وحي السماء: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[3].

يا مَن من الموت خاف، وحرص على السلامة من الإتلاف، لعائلته والأخلاف، وركن إلى زمرة الضعاف، استـيقظ من سباتك، فإن الموت آتيك، وأفق من وهمك،

(١) آل عمران: ١٥٩ .
(٢) الأنفال: ٦٣ .
(٣) القصص: ٥٦ .

فلن تبلغ همك، إلا بطوع ربك.

يا من غرته الأَسِرّة، واتباع الخادمة والحرة، وجرع النبيذ والخمرة، أما خشيت من القضاء، يحيل سعادتك لشقاء، أما علمت بقول الصديق، وهو الحق الحقيق، والخبر الوثيق، في نصحه لابن الوليد، الباسل الشديد، على كل كافر صنديد، مدجج بالسلاح عتيد، (قال له أن يثق بمولاه، وأن احرص على الموت توهب لك الحياة).

أَيُّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوت أَفِرْ　　يَوْمٌ لاَ يُقْدَرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِرْ
يَوْمٌ لاَ يُقْدَرُ لاَ أَدْفَعُهُ　　وَمِنَ الْمَقْدُورِ لاَ يَنْجُو الْحَذَرْ

يا من يبتغي الحل في الوطنية، والمجد في القومية، والنصر بالمفاوضات والأغنية، عد أدراجك وادرج، من ساح الوغى فلتخرج، ولتتبع زمرتك والبهرج، فإنما الحل جهاد، وهجر القينات والرقاد، وبذل الطريف والتلاد:

وَمَنْ يَخْطِبِ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ

ويا من يجهز الجيوش بغير الدين، ويزعم أن عتاده مكين، لقد ركنت لركن وهين، وتركت حبل الجهاد المتين، مما لا يفل سيفه، وللعدو يحرق صيفه، وهو ما طاب نبله، وهطل صوبه ووبله، فانهض للجهاد بلا توان، باسم الحق والقول القرآني، وباسم الله لا باسم الشعب، تُنصر ويركع أعداؤك الرعب، واذكر قول ربك المتين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1]. واذكر قول البارع، في مثله الشائع، وبيته الذائع، ونصحه الماتع:

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ　　وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فاللهم أعنّا على الجهاد، ولا تخزنا يوم التناد، ووفقنا إلى ما فيه السداد..

هل تنتقل العدوى من الطاغوت العربي إلى نظيره اليهودي؟

يبدو أن الكيان الصهيوني أصابه فيروس الجنون الذي أصاب البقر في بريطانيا، بعد أن أوجعته ضربات حركات المقاومة الإسلامية المشروعة، فأخذ قادته يهددون

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

وحسبكم الله، والله غالب على أمره والحمد لله رب العالمين.

إن لم ينتفض العرب والمسلمون الآن فمتى؟

المسجد الأقصى يئن ويتوجع ويصرخ مع القائل:

آلَمَنِي وآلَمَ كُـــــلَّ حُــــــرٍّ ... سُؤَالُ الدَّهْرِ أَيْنَ الـمُسْلِمُونَا؟

إن الجماعات اليـهودية المتطرفة لن تتوقف عن محاولات المساس بالمسـجد، كما هو سلوكـها فـي السابق من خـلال الحـفريات الأثريـة التي تقف خلفـها الحكومـة الصهيـونية ووزارة الآثار بحجة البـحث عن بقايا الهيكل المزعوم، أو عـبر ممارسات التنظيمات اليهودية المتطرفة لاقتـحام الحرم وآداء الطقوس اليهودية الكاذبة فيه، أو من خلال محاولات وضع حـجر ما يسمى بالهيكل، وتقف على رأس هذه التـجمعات جماعة أمناء الهيكل المتطرفة بزعامة المتطرف (جرشون سلمون).

يمثل اعتداء الصـهاينة على المسجد الأقصى بوضع حجـر الأساس ـ ولو رمزيا ـ للهيكل المزعوم وإقرار المحكمـة الصهيونية لهذا الإجراء المتطرف خطوة مـتقدمة على طريق تحقيق الهـدف الذي يحلم به الصهاينة، وهو بناء الهيكل على أنقـاض المسجد الأقصى.

ونحـــن نتـســاءل أين العــرب والمسلمون مما يـحدث للأقصى (أولى القـبلتين وثالث الحـرمين)؟ فـإذا لم يتحـرك العـرب والمسلمـون الآن ضد هـذه الممارسـات الصهـيونية فمـتى يتحركـون؟ وأين الجيوش العـربية والإسلاميـة من هذه الأحداث الجسام؟ إن الأمـة مطالبة في هذه الآونة بالتحرك أكثـر من أي وقت مضى، فالخطب جلل والغطرسة الصهـيونية فاقت كل التصورات والحـدود ولن تتوقف عن حدها إلا بالتصدي والمواجهة وإشهار سلاح القوة.

هذه المحاولة الغاشمة ضد الأقصى ليســت الأولى ولن تكون الأخـيرة، فسجل الاعتداءات على الأقصى الشريف حافل بالأحداث وفيما يلي بيانها:

❖ ففي الحادي عشر من يونيو عام ١٩٦٧م قامت إسرائيل بهدم (حارة المغاربة) المجاورة للحـائط الغربي للمـسجـد الأقصى بعد مـهلة ٢٤ساعـة، أعطيت للسكان لإخلاء الحي، حيث تم طرد ٦٥٠ عـربياً من حارة المغاربة التي أوقفـها عليهم الملك

ويتوعدون أهالـي الاستشهاديين مـعلنين أن كيانهم المغتـصب يمكث الآن على دراسة توقيع عـقوبات مشددة على كـل من له صلة قرابة بالاستـشهادي الذي ينفذ عـملية فدائية في فلسطين المحتلة، وإذا كان هؤلاء المغتـصبون جادين في دعواهم، فإنني في هذا المقام أشـد على أيدي الإخوة المجاهدين في فلسطين وأقـول لهم: إن الطاغوت العربي صدام حـسين قد سبق اليهود في القـيام بهذه الممارسات الإجرامـية ونفذ هذا السيناريو دون استحـياء غير عابئ بأية معـايير أو قيم إنسانية، فقـد نَصَّب نفسه إلهاً وصنماً يعبـد من دون الله، وما حدث في حلبجـة دليل على أن الإنسان ليس له أي اعتبار في العـراق، وكذلك ما يمارس اليوم في العراق دليل آخر على انتـهاك حقوق الإنسـان وإهدارها، وإننا نذكّر إخـوتنا المجاهدين في فلسطـين بأننا كشـعب صغـير مورس معنا إبان الغـزو العراقي الغاشم لأراضينا وشعبنا كل مـا كان وما زال يمارس في العراق من انتـهاك لكرامة الإنسـان، وأن كل من تثبت له صلة بجـهاد من أجل وطنه وعـرضه وأهله يعـدم هو ومن معـه، من أرحام ويدمـر بيته والأدلـة ما زالت شاهدة في الكويـت، ومع ذلك فإن هذا الطغيـان الذي لا يقل ضراوة عن الطغـيان اليـهودي لم يثن أهل الكويت عن مـواصلتهم في جـهادهم ضـد الطاغـوت صدام حسين، فنرجـو ألا تثني هذه التهديدات الشارونـية إخوتنا المجاهدين عن عـملياتهم الاستشهادية، وأن يواصلوا الانتفاضـة المباركة، فهي عزهم في الدنيا والآخرة، وهذا قدرهم أن يكونوا في خط الدفاع الأول عن فلسطين والمقدسات الإسلامية، وكأن الله أراد بهم أن يكونوا في رباط إلى يوم القـيامـة، وإن كان ذلك لا يعـفي المسلمين من المسؤوليـة تجاه مـا يحدث في فلسطين، ونحن نـظن بإخوتنا الفلسطينيين أنهـم باعوا أنفســهم لله ولدينه، وما أظن أنهم تعـجزهم الحيلة في إخـفاء أصول وفـروع عائلة الشهـيد ولا يهم أن يعرفـهم الناس، فالله عز وجل يعـرفهم، (فقـد جاء رجل من العـراق في عهـد سـيدنا عـمر بن الخـطاب رضي الله عنه وقال لـه عمـر: كيف حـال المجاهدين؟ فقال الرجل وعدّد أسمـاء من العلماء والقراء، ثم قال الرجل لعمر: وأناس لا أعرفهم، فقـال عمر رضي الله عنه: ويحك الله يعرفهم)[1]، إخوتي المجاهديـن حسبنا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧٨٦) عن مدرك بن عـوف الأحمسي، وصحح الحافظ ابن حجر سنده في الإصابة (٥/ ١٦٤).

الأفضل الأيوبي في القرن الثالث عشر الميلادي، كما تم طرد ٣ آلاف عربي من (حارة الشرف) التي أطلق عليها فيما بعد (حارة اليهود)، وبهدم حارة المغاربة استولى اليهود على الحائط الغربي للمسجد ـ حائط البراق ـ وأطلقوا عليه زوراً وبهتاناً (حائط المبكى)، وقاموا بتوسيع الساحة الملاحقة له.

❖ وفي نفس الفترة من عام ١٩٦٧م قام اليهود بهدم الزاوية الغربية للمسجد الأقصى والمعروفة بالزاوية الفخرية وهدموا ١٤ منزلاً فيها.

❖ قامت الشرطة الإسرائيلية في ٣١/ ٨/ ١٩٦٧م بالاستيلاء على مفتاح باب المغاربة (وهو من أبواب المسجد الأقصى).

❖ وفي عام ١٩٦٩م وبحجة المحافظة على أمن اليهود في حائط البراق الشريف (المبكى)، قامت إسرائيل بالاستيلاء على المدرسة التنكزية المطلة على ساحة المسجد الأقصى المبارك، وقاموا بطرد ١٠٥ أشخاص من ١٠منازل إلى جانب المدرسة، وقاموا بتحويل المدرسة إلى مقر لحرس الحدود الإسرائيلي.

❖ وفي وقت لاحق من عام ١٩٦٩م قام اليهودي الأسترالي (وينس دوهان) بإحراق الجزء الجنوبي من المسجد الأقصى المبارك،حيث تم إحراق منبر صلاح الدين الأيوبي والحائط الجنوبي الذي تعود زخارفه إلى العهدين الأموي والعباسي، وقد اعتقلته الشرطة الإسرائيلية وقامت بترحيله بحجة أنه مختل عقليًّا !!!

❖ وفي عام ١٩٧٥م سمحت إحدى المحاكم الإسرائيلية بالسماح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى بالتعاون مع الشرطة الإسرائيلية في ساحات المسجد،وقامت الشرطة الإسرائيلية بالاستيلاء والسيطرة على بوابات المسجد الأقصى المبارك، ومنع المصلين من الدخول إلى المسجد بحجة المحافظة على الأمن داخل المسجد.

❖ في ١٤/ ٨/ ١٩٧٩م حاولت هذه المجموعة اقتحام المسجد الأقصى، ولكن الفلسطينيين تصدوا لهذه المحاولة.

❖ وفي ١٣/ ١/ ١٩٨١م اقتحم أفراد هذه المجموعة الحرم الشريف، وكان يرافقهم الحاخام (شيغل) وبعض قادة حركة هاتحيا (النهضة) وأرادوا الصلاة فيه،وهم يرفعون العلم الإسرائيلي، ويحملون في أيديهم التوراة.

❖ وفي ٢٤/ ٢/ ١٩٨٢م كانت محاولة اقتحام المسجد الأقصى من أجل أداء

الصلاة والشعائر الدينية اليهودية.

❖ وفي ١٦/ ٤/ ١٩٨٣م اعترفت هذه المجموعة بوضع ملصقات على الجدران الخارجية للحرم تدعو إلى الدخول للأقصى؛ لتأدية صلاة عيد الاستقلال.

❖ وفي ١٤/ ٨/ ١٩٨٧م حاولت مجموعة منهم إقامة الصلاة اليهودية داخل المسجد الأقصى.

❖ وفي ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٠م حاولت مجموعة من عشرة أفراد يتزعمها مسلحون الدخول إلى الحرم القدسي، رغم وجود إقرار من الشرطة بمنع الزيارة.

❖ وفي ٢١/ ٧/ ١٩٩٩م أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية قراراً يسمح لمجموعة الجبل بالدخول إلى الحرم القدسي الشريف، وقد فشلت المحاولة.

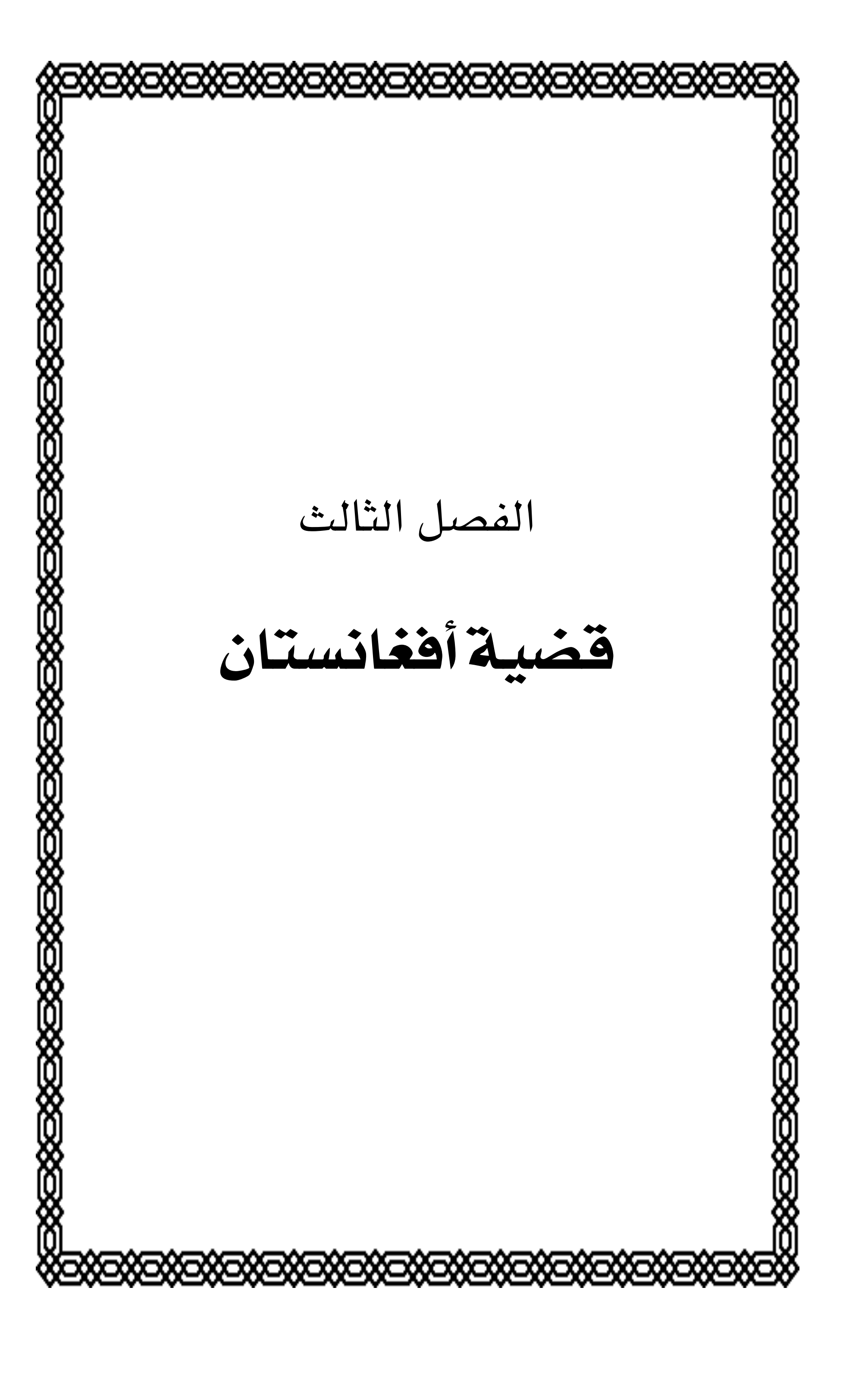
❖ وفي ٢٣/ ٩/ ١٩٩٩م دعت هذه المجموعة إلى اقتحام المسجد الأقصى في يوم (عيد المظلة) لدى اليهود، الموافق الاثنين ٢٧/ ٩/ ١٩٩٩م.

❖ وفي ٨/ ١٠/ ١٩٩٩م قامت القوات الإسرائيلية بمذبحة في المسجد الأقصى أدت إلى استشهاد ١٨ مصليًا، وإصابة مئات الجرحى داخل المسجد، ومن بعدها مجزرة النفق، وليس آخرها مجزرة الحرم القدسي، واندلاع انتفاضة الأقصى المباركة إثر اقتحام شارون للحرم.

❖ وفي ١١/ ١/ ٢٠٠٠م ردّت المحكمة العليا الإسرائيلية التماسا تقدمت به هذه المجموعة لوقف أعمال الترميم في المسجد الأقصى المبارك.

❖ وفي ٢٩/ ٧/ ٢٠٠١ قامت جماعة أمناء الهيكل الصهيونية المتطرفة بوضع حجر أساس رمزي للهيكل ونجم عن ذلك مصادمات أسفرت عن إصابة الكثيرين من الجانب الفلسطيني.

بعد هذه الاعتداءات الغادرة هل يظل العرب والمسلمون في حالة صمت مطبق إلا من بعض تصريحات الشجب والإدانة والاستنكار؟ إن ما يحدث الآن للأقصى وسط صمت الأمة لهو وصمة عار في جبين أصحاب القرار والمتنفذين وأن الله سبحانه وتعالى سائلهم عن هذا السكوت المريب ومحاسبهم على الوقوف ضد إرادة الجماهير العربية والإسلامية.



الفصل الثالث

قضية أفغانستان

مدخل

كتب لأفغانستان أن تكون محل صراع، وأن تتوالى عليها الخطوب والنزاع، فما تنتهي من حرب إلا وتدخل في أخرى، وما تفتأ تجاهد حتى أصبحت قبلة المجاهدين، ومقصد راغبي إعلاء كلمة الله، أو نيل الشهادة، فتركوا بلادهم وأهلهم، حاملين أرواحهم على أكفهم، يشترون بها مرضاة الله، مقتدين بصحابة رسول الله ﷺ واضعين نصب أعينهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1].

فخرجوا إلى الله مقاومين وساوس النفس قائلين لها قول الشاعر:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً ... مِنَ ٱلْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الأَجَلِ الَّذِى لَكِ لَنْ تُطَاعِي
فَصَبْراً فِي مَجَالِ المَوْتِ صَبْراً ... فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلاَ ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الخَنَعِ الْيَرَاعِ

وكتبوا بدمائهم مع إخوانهم على أرض أفغانستان صفحات مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي.

١ ـ أفغانستان اجتماعياً:

أ ـ القبائل:

يوجد بأفغانستان أكثر من ٢٠ مجموعة عرقية لكل مجموعة منها لغتها الخاصة ونمطها المميز، ويشعر كثير من الأفغان بالولاء الكبير لمجموعاتهم العرقية أو القبلية أكثر من ولائهم لبلادهم.

هذه القبائل أو المجموعات موزعة كما يلى:

ـ ٣٨ ٪ باشتون.

---

(١) النساء: ٩٥.

ـ ٢٥ ٪ طاجيك.

ـ ٦ ٪ أوزبك.

بالإضافة إلى الأرمقيون، والتركمان، وغيرهم.

ب ـ الديانة:

ـ ٨٤٪ مسلمون سنة .

ـ ١٥٪ مسلمون شيعة.

ـ ١٪ ديانات أخرى .

وبهذا يمثل المسلمون في أفغانستان ٩٩٪، ومعظم القرى الريفية والقبائل لها زعيم ديني يدعى «الملا».

وينص الدستور على أن الإسلام هو دين الدولة.

جـ ـ اللغة:

في أفغانستان أكثر من لغة على النحو التالي :

ـ ٥٠٪ الأفغانية الفارسية (الدارية).

ـ ٣٥٪ باشتو.

ـ ١١٪ لغات تركية (أوزبكية وتركمانية) .

ـ بالإضافة إلى ٣٠ لغة ثانوية تمثل لهجات محلية.

٢ ـ أفغانستان جغرافياً:

أ ـ موقعها:

تقع أفغانستان في القارة الآسيوية بين خطوط العرض ٥٣ ـ ٢٢ ـ ٢٩ و ٢٧ ـ ٢٩ ـ ٣٨ شمال البلد، وبين خطوط الطول ٤١ ـ ٢٨ ـ ٤٥ و ٤٧ ـ٥١ ـ ٧٤ شرقي البلد.

تحدها من الغرب إيران، ومن الشمال تركمانستان وأوزباكستان وطاجيكستان، ومن الشمال الشرقي الصين، ومن الشرق والجنوب باكستان.

ب. مساحتها وعدد السكان:

- مساحتها : ٦٥٢٠٠٠ كم٢ ت .
- عدد سكانها : ٢٦ مليون نسمة ت.

جـ. طبيعة الأرض:

- جبالها وعرة، وتوجد سهول في شمالها وجنوب غربها .

د. الموارد الطبيعية:

- الغاز الطبيعى	- النفط
- الفحم الحجري	- النحاس
- الكروم	- الملح
- الرخام	- الكبريت
- الرصاص	- الزنك
- الحديد	- الذهب
- الفضة	- الأحجار الكريمة

مساحة الأرض المروية : ٣٠ ألف كم٢ .

الأخطار الطبيعية:

زلازل مدمرة في جبال هند وكاش، وفيضانات.

المشكلات البيئية:

- تردي نوعية التربة.
- تزايد الأعشاب البرية.
- تقلص الغابات (ويجري قطع ما تبقى من الغابات للوقود ومواد البناء).
- التصحر .

٣. أفغانستان تاريخياً:

دارت على أرض أفغانستان أحداث لقرون عديدة، وفيما يلي أهم هذه الأحداث

على أرض أفغانستان :

٣٣٠ قبل الميلاد : غزا الإسكندر المقدوني أفغانستان، وأسس مدينتي «قندهار» و« هرات » واستمر حكم اليونان ما يقرب من مائتي سنة. ثم خضعت لحكم الساسانيين.

٦٣٩م : قدم إليها الفاتحون المسلمون بقيادة الأحنف بن قيس التميمي، واعتنق أهلها الإسلام وتمسكوا به إلى الآن.

١٢٢١م: نجح المغولي جنكيز خان في غزوها.

١٧٤٧م : أحمر عبدلي يؤسس مملكة مستقلة.

من ١٨٣٩ إلى ١٨٤٢م : الحرب الإنجليزية الأفغانية الأولى، وفيها هزم «أكبر خان» البريطانيين.

من ١٨٧٨م إلى ١٨٨٠م : الحرب الإنجليزية الأفغانية الثانية، وأسفرت عن هيمنة بريطانيا على السياسة الخارجية لأفغانستان.

من ١٩١٩م إلى ١٩٢١م :الحرب الإنجليزية الأفغانية الثالثة،وتم بعدها الاستقلال عن بريطانيا.

١٩٧٩م : القوات السوفيتية تغزو أفغانستان.

من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٩م : حرب بين جماعات إسلامية والنظام الذي نصبه السوفيت في كابول أسفرت عن قتل ١,٥ مليون وتهجير نحو خمسة ملايين شخص.

١٩٨٩ : انسحاب القوات السوفيتية .

من ١٩٨٩م إلى ١٩٩٢م :قتال بين الحكومة المدعومة من موسكو، وبين جماعات المجاهدين.

١٩٩٢م : الرئيس الموالي لموسكو « نجيب الله » يتنحى ويعلن « برهان الدين رباني» رئيساً.

١٩٩٤م : بروز طالبان متعهدة إقامة حكم إسلامي.

١٩٩٥م : طالبان تسيطر على كابول.

١٩٩٧م : التحالف المعارض لطالبان يسيطر على مناطق شمال كابول.

١٩٩٨م : الولايات المتحدة الأمريكية تشن هجوماً عسكرياً ضد مواقع أسامة بن لادن إثر تفجير السفارات الأمريكية في إفريقيا.

١٩٩٩م: الأمم المتحدة تفرض عقوبات ضد طالبان لإيوائها أسامة بن لادن.

٢٠٠٠م : طالبان تسيطر على طالقان وتواجه عقوبات إضافية.

٢٠٠١م : تعرض أفغانستان لهجمات أمريكية عقب الاعتداءات على أمريكا. مع حروب داخلية بين تحالف الشمال وطالبان، وسقوط طالبان وتولي حامد قرضاي الحكومة الانتقالية.

٤ ـ موجز تاريخ الأفغان مع السوفيت :

١٩٢٧: حاول السوفيت الاعتداء على أفغانستان بقيادة جريماكوف، وبعد مقاومة شديدة استشهد فيها ٧ آلاف مسلم رجع السوفيت مهزومين.

من ١٩٢٨م إلى ١٩٥٣: بدأ الصراع الخفي من السوفيت وذلك بأخذ الكثير من الشباب الأفغاني إلى موسكو وإجراء عمليات غسيل مخ له؛ ليقوم بالانقلاب العسكري في أفغانستان.

١٩٥٦ : وقع داود خان معاهدة التعاون الاقتصادي مع رئيس الوزراء السوفيتي «خروتشوف» وتمكن السوفيت من بث الأفكار الشيوعية في الشباب الأفغاني الذين أرسلوا إلى روسيا.

١٩٦٥ : قامت العناصر الماركسية بتأسيس الحزب الشيوعي الأفغاني باسم «الحزب الشعبي الديمقراطي».

١٩٧٣ : أوعز الروس إلى محمد داود للقيام بأول انقلاب عسكري قضي فيه على الملكية، وأعلن قيام الجمهورية الأفغانية، وساق السوفيت جيوشه السرية إلى أفغانستان، لاستلام مقاليد الحكم من وراء الكواليس.

١٩٧٨: هيأ السوفيت الأوضاع لقيام الحزبين الشيوعيين «خلق» و«برشام» بمجزرة من أبشع المجازر، إذ قتل داو خان رئيس الوزراء وابن عم الملك ـ وجميع

أفراد أسرته وأعوانه والمئات من أهله، وزج بالآلاف إلى السجون والمعتقلات.

١٩٧٩م: الغزو السوفيتي لأفغانستان، وقيام السوفيت بإجبار الأفغانيين على الهجرة من خلال تخييرهم بين تغيير دينهم، وقبول الشيوعية، كما قام السوفيت بالاعتداء على النساء، وحرق المنازل، وكانت الطائرات الروسية تلاحق المهاجرين وتقصفهم بقنابلها، لتقضي عليهم، كما عمدت سياستهم على إلغاء مناهج العلوم الدينية من المدارس.

١٩٨٠م : بدأت فصول الجهاد الأفغاني الإسلامي ضد السوفيت.

١٩٨٩م : انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان.

٥ـ موقف أمريكا من الصراع الأفغاني السوفيتي :

لم تعارض الولايات المتحدة الأمريكية الغزو السوفيتي لأفغانستان وتجاهلت ما يحدث في أفغانستان من جراء هذا الغزو، وذلك للأسباب التالية :

١ـرغبة أمريكا في إخماد التيار الإسلامي الذي زاد وانتشر في أفغانستان وباكستان، ورأت أن الاتحاد السوفيتي يقوم بتحقيق هذه الرغبة.

٢ـ رغبة أمريكا في أن تسوء صورة الاتحاد السوفيتي عند العرب والمسلمين بعد أن نجح في تصوير نفسه على أنه نصير القضايا العربية سابقاً.

٣ـ قناعة أمريكا بأن أفغانستان ستكون مقبرة الاتحاد السوفيتي مثلما كانت فيتنام في الستينيات بالنسبة لها.

وبعد انتهاء الحرب ظل الخوف الأمريكي من إقامة دولة إسلامية في أفغانستان قائماً؛ لذا كانت تتدخل أكثر من مرة عبر الأمم المتحدة لإقرار حل سلمي لمشكلة أفغانستان يضمن عدم سيطرة المجاهدين على الحكم بأي شكل وبأي ثمن.

٦ـ تنظيم القاعدة :

تنظيم القاعدة تنظيم إسلامي أسس هذا التنظيم وقاده أسامة بن لادن عام ١٩٨٩م.

واتخذ تنظيم القاعدة أفغانستان مقراً للقاعدة، ولكن شبكة عملياتهم تمتد في كل أنحاء العالم.

في ١٩٨٩م قام بشراء أرض لإنشاء معسكرات التدريب، ومخازن لتخزين أشياء

مثل المتفجرات، وقام بشراء معدات إلكترونية، وأجهزة اتصالات.

كما قام التنظيم بإنشاء سلسلة من المشاريع التجارية، لتأمين دخل مالي للقاعدة.

ـ قيادة القاعدة وأعضاؤها :

يقود أسامة بن لادن تنظيم القاعدة، ويأتي دونه هيئة تعرف بهيئة الشورى، تتألف من ممثلين عن الجماعات الأخرى، مثل : أيمن الظواهري زعيم جماعة الجهاد المصرية، وأبو حفص المصري القائد الشهير لابن لادن.

إلى جانب هيئة الشورى هناك العديد من المجموعات الأخرى داخل القاعدة المكلفة بمتابعة الشؤون العسكرية والإعلامية والمالية، والقضايا الإسلامية.

يضم تنظيم القاعدة أكثر من خمسة آلاف عضو ناشط بينهم تقريبا ٦٠٠ مصري، ٤٠٠ أردني، ٢٥٠ عراقياً، ١٦٠ سورياً، ٢٢٠ جزائرياً، ١٦٠ سودانياً، ٦٥ تونسياً، ٥٥ مغربياً، ٤٠ فلسطينياً، ٣٠٠ يمني، بالإضافة لعدد غير محدد من مواطني بلدان غير عربية كأذربيجان، والبوسنة، والشيشان، وأفغانستان، وباكستان، ودول إسلامية أخرى.

٧ـ أهم ما نسب إلى تنظيم القاعدة من أعمال :

أكتوبر١٩٩٣م: هجوم على الجنود الأمريكيين العاملين في الصومال، أسفر هذا الهجوم عن مقتل ١٨ من الجنود الأمريكيين.

أواخر ١٩٩٣م: شرع أعضاء القاعدة في كينيا يناقشون إمكانية الهجوم على السفارة الأمريكية في نيروبي.

أغسطس ١٩٩٨م: تفجير السفارة الأمريكية في نيروبي.

أغسطس ١٩٩٨م: تفجير السفارة الأمريكية في دار السلام.

ديسمبر ١٩٩٩م: اكتشفت خلية لها صلة بالقاعدة كانت تحاول تنفيذ تفجيرات داخل أمريكا.

يناير ٢٠٠٠م : حاولت مجموعة من أعضاء القاعدة وغيرهم الهجوم على مدمرة أمريكية بقارب صغير محمل بالمتفجرات، وقد غرق القارب مما أدى إلى فشل الهجوم.

أكتوبر ٢٠٠٠م: ارتطم قارب محـمل بالمتفجرات بالمدمـرة الأمريكية (يو. إس. إس. كول) أثناء تموينها بالوقود في ميناء عدن، أسفر عن قتل ١٧ وإصابة ٤٠.

سبتـمبر ٢٠٠١م: اتهام بتفجـير مبنى التجارة العالمي، وكذلـك مبنى البنتاجون بأمريكا.

٨ـ حركة طالبان:

برزت حـركة طالبـان في عام ١٩٩٤ مـتعهـدة إقامـة حكم إسلامي، بـعد أن قاتلت، وقاومت الاحتلال السوفيتي لأفغانستان ونمت طالبان وشبت وأصبحت حركة سيـاسيـة عالميـة إسلامـية، وفى ١٩٩٥ سـيطرت طالبان على كـابول، وفى ١٩٩٦ أصبـحت البلاد تحت قيادة طالبـان التي أجرت تحولات هامـة غيرت وجه الحـياة في أفغانستان، ومن ذلك :

١ـ تخـصيص وزارة تشـجع الناس على فعل الخـير والبـعد عن الفـواحش تحت مسـمي «وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر» تقوم هذه الوزارة بعقـوبة العاصين، كالمتخلف عن صلاة الجماعة، أو تارك الصلاة، أو سامع الأغاني، أو حالق اللحية..

٢ـ إلغـاء نظام المحامـاة، فلا يعـرف القضـاء في طالبـان هذا النظام؛ لأنه نظام غربي، أما وسائل التثبت، فهي محصورة في الإقرار والشهادة.

٣ ـ تقوم حكومة طـالبان بتطبيق الحدود في كل وقت؛ لأنهـا ذكرت في القرآن لتطبق لا لتعطل لأي سبب من الأسباب؛ لأن تعطيلها زيادة في الجرم.

٤ـ يعتمد الحكم في طـالبان على الفقهاء، فهم الذين يستطـيعون النهوض بأية مسؤوليات يكلفون بها.

٥ـ يعين الولاة بناء على مقدار القـوة في استقامتهم وورعهـم وإحاطتهم بأمور الحلال والحرام.

الحكومة في طالبان:

يرأس حكومة طالبان الملا محمد عمر مجاهد، وقد اختارته طالبان أميراً لها عام ١٩٩٤: لأنه أول من أطلق شرارة الحركة، وعندما دانت البلاد لطالـبان عقد اجتماع وفيه اخـتاره العلماء أميراً للمـؤمنين، وقدموا له البيـعة، ويأتي بعد الملا محمـد عمر

الرجل الثاني في طالبان، هو الملا محمد رباني، وهو من أقـوى شخصيات الحركة، وأوسعهم خبرة وعمل في فترة الجهاد ضد الغزو السوفيتي ويضم مجلس الوزراء ٢١ وزيراً ويوجد في «قندهار » دار الإفتاء التي تحدد الموقف الشرعي من كل القضايا.

والمسؤولون؛ في طالبان يعتبرون أنفسهم رفاق سلاح قبل أن يكونوا مسؤولين: لذلك قد يصدر وزير قراراً ولا ينفذه زميله من منطلق الحرص على المصلحة العامة.

كمـا أن الوزير يعتبـر نفسه مـسؤولاً في الحكومة من الصـباح، وحتى السـاعة الواحدة ظهراً، وبعـدها من الممكن أن يتوجه إلى جبـهة القتال كـجندي مقاتل تحت إمرة القائد العسكري، وإن كان من موظفي وزارته.

علاقة طالبان بأسامة بن لادن :

كانت هناك تبـرعات تأتي لحركـة طالبان في بدايتـها وفى أواسط ١٩٩٦ بدأت أموال الحركة في النـضوب حتى كادت حـركة طالبـان تعـلن إفلاسـها في أغسطس ١٩٩٦، ولكن عناية الله جاءت لحركة طالبان بمدد من أهل الخير مما جعلها تنظم في سبـتمبر ١٩٩٦ مـسيرتهـا إلى كابول،ثم نشأت العـلاقة بين الشيخ أسـامة بن لادن وحركة طالبان، وجـرت اتصالات عديدة بينه وبين الملا محمد عـمر يتحدثان مطولاً عن تنامي التيار الإسلامي، والوضع العسكري في أفغانستان.

ومن هنا عززت طالبـان دعمهـا لأسامة بـن لادن، وزاد هو في مساعـدتها في الحرب الأهلية.

وبعد الاعتداء على السفارتين الأمريكيتين في نيروبي، ودار السلام ١٩٩٨ والتي اتهمت فيها أمريكا أسامة بـن لادن طالبت أمريكا من طالبان تسليم أسامة فرفضت، فهاجمت أمريكا قواعد في خوست شرقي أفغانستان بالصواريخ.

وعن علاقته بطالبـان يقول أسامة بن لادن: علاقتنا بطالبـان قوية جداً ووطيدة، وهى علاقة عقدية، قائمة على معتقدات، وليس على مواقف سياسية أو تجارية وبعد أحداث سبتـمبر ٢٠٠١م والتي اتهمت فيها أمريـكا أسامة بن لادن طلبت أمريكا من طالبان تسليم أسامـة فرفضت، ذاكرة أن أمريكا لا تملك الدليل على صـدق اتهامها، وبموقفها هذا أصبحت أفغانستان لا إنسانية وقامت أمريكا بالحرب بالتعاون مع تحالف الشمال، مما أدى إلى سقوط حكومة طالبان ولكن بقيت الحركة قائمة.

أسامة بن لادن:

أصبحت شخصية أسامة بن لادن شخصيته نموذجية في تحدي القوى الغربية، وقد شهد التاريخ شخصيات نموذجية، أو أضفى عليها العامة صفة النموذجية، فعنترة شخصية نموذجية في البطولة والشجاعة والإقدام، وحاتم الطائي شخصية نموذجية في الكرم، وأشعب في البخل، وجحا في الظرافة، وأبو نواس في المجون، . . . . إلخ.

وشخصية أسامة بن لادن ـ رغم أنها معاصرة ـ قد اكتسبت أو أضفي عليها طابع النموذجية في كل ما يتعلق بتحدي القوى العظمى.

هذه الشخصية قد انقسم حولها الناس: فمن معجب به ينظر إليه على أنه الأمل الباقي في تخليص العرب والمسلمين مما هم فيه وهناك آخرون ينظرون إليه على أنه هو السبب في تدمير فلسطين وأفغانستان، وأنه جر على المسلمين الويلات والويلات بتحديه للقوى العظمى.

وآخرون يترنحون بين هذا وذاك، أحيانا يدفعهم الأمل فيكونون من الفريق الأول، وأحياناً يدفعهم اليأس فيكونون من الفريق الثاني.

فالناس دائماً مختلفون حول العظماء، ومن أعظم من رسول الله ﷺ ؟ فمن الناس من كان يفديه بروحه، ومنهم من كاد له وأراد قتله تخلصاً منه.

والمتنبي من الناس من رفعوه ليس على قمة شعراء العرب، وإنما على قمة شعراء العالم، ومنهم من قال عنه: الدعي المتصنع.

وأبو العلاء المعري منهم من كان يلثم موطئ نعله، ومنهم من هاجمه، وعاب عليه ورماه بالإلحاد.

والحسن البصري، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية. . . . . . إلخ .

وصدق المنفلوطي؛ إذ يقول: لا يعجبنك اتفاق الناس على حبك، فإنهم لا يتفقون إلا على حب الرجل الضعيف المهين الذي يقعي تحت أرجلهم إقعاء الكلب الذليل، يضربونه فيزدجر، ويعبثون به فيبصبص ذنبه، طلباً لرضاهم، ولا يعجبنك اتفاق الناس على بغضك؛ فإنهم لا يبغضون إلا الخبثاء الأشرار الذين لا يحبون الناس فلا يحبهم الناس، وإنما يعجبك أن يختلفوا فيك، وأن يذهبوا في تقدير منزلتك كل مذهب.

مولد ابن لادن ونشأته :

ولد أسامة بن لادن عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م[١]. في مكة المكرمة، والده محمد بن عوض بن لادن من مواليـد حضرموت، وهو أحـد المؤسسين للبنية التحتـية في المملكة العربية السعودية ويحتل أسامة المرتبة الثانية عشر من عائلة مكونة من ٥٥ ولداً.

التحق أسـامة بمدارس الفلاح الابتـدائية في مكة المكرمة وأنهى مـرحلة الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ثم انتـقل من مكة إلى جدة حيث التحق بكلية الإدارة والاقتصاد بجـامعة الملك عبد العزيز، ثم عمـل في شركة والده الذي مات وهو في العاشرة من عمره، في حادث احتراق طائرته الخاصة في مطار وادي الدواسير.

أسامة بن لادن في أفغانستان :

انشغل أسـامة مـنـذ وقـت مبـكر بأمـور الجمـاعات الإسـلامية وبعـد الغـزو السوفيتي لأفغانستان بأيام قليلة رحل أسامة إلى أفـغانستان؛ ليشارك في الجهاد بنفسه وماله؛ فقد كان ممولاً للجهاد كما أنه لم يـتوقف جهد أسامة في التمويل، بل تجاوز ذلك إلى إقـامة مشـروعـات عملية كبرى،حـولت الجهـاد العربي في أفغـانستان من مجرد جهـود ومحـاولات فردية إلى عمـل تنظيـمي وحركي؛فقام ببناء وتشييد العديد من المعسكرات،منها: معسكر «صدي» الذي خصص للـتدريب الأولي قبل الالتحاق بجبـهة القتـال والحرب،ومعسـكر «جاجي» الذي اختـار موقعه بشـكل تكتيكي بين سلسلة من الجبال والكهوف؛ تفادياً للقصف الجوي السوفيتي.

وقد استقر أسـامة في بيشاور ١٩٨٧، وأدى استقراره فيـها إلى حسم الخلافات الدائرة بين فصائلها.

---

(١) جاء في كتاب خالد خليل أسعد : مقاتل من مكة قيل: أن مولده كان عام ١٩٥٧م (ص١٧).

محطات للحوار في الهجوم الأمريكي على أفغانستان

وبعد هذه المقدمة السريعة عن أفغانستان أعيش معكم بتلك المفتتحات والتعليقات على المسألة الأفغانية، ابتدرت الكتابة فيها إبان الأزمة الأفغانية الأمريكية، وفى البحث عن كبش فداء، لتهدأ ثورة الأسد الأمريكي الجريح بعد أحداث ١١ سبتمبر وقد بدأت الكتابة في تلك المسألة مبكراً نسبياً بعد وقوع الأحداث بأحد عشر يوماً ٢٢ سبتمبر ٢٠٠١، حيث هالني من الخطب حملة الأمريكان وحلفائهم على الإسلام والمسلمين، وتوفير دهاقنة الصهاينة لأنفسهم ولمراكز القرار في الغرب ـ عموماً ـ غطاءً متينا، لكي يتهجموا على الإسلام وقيمه؛ محاولين القضاء عليه، ناسبين له كل أشكال الإرهاب، ناسين، أو متناسين ما فعلوه ويفعلونه في المسلمين.

وهكذا دأبوا وهم على ذلك ماضون، وصدق الله؛ إذ يقول : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[1].

وقد جاءت هذه المقالات في صورة محطات، تتضمن النقد والتحليل والاستبصار، والوصف والاستشراق في ضوء تفاعلات الواقع وامتداد الأحداث، وأسباب ونتائج المتغيرات الدولية المصاحبة للحدث، وخاصة أثرها على الصعيد الإسلامي في تلك البقعة الحساسة والملتهبة في دول بحر قزوين، وهى معظمها دول إسلامية.

وقد شملت هذه المحطات إحدى عشرة محطة نشرت جميعها في جريدة «الوطن» تحت عنوان : «**محطات وعبر فيما حدث من تفجيرات**»

المحطة الأولى : هل الإسلام مدان حتى تثبت براءته؟

المحطة الثانية : لا للانحراف نحو البيانات الإعلامية المحمومة .

المحطة الثالثة : الأمان في الإيمان .

المحطة الرابعة: هلا استشرفنا المستقبل في عالم ما بعد التفجيرات؟

المحطة الخامسة : صراعات النسر الأمريكي والتنين الصيني حول مصادر الطاقة وموقع عالمنا الإسلامي من ذلك الصراع.

المحطة السادسة : أعداء أمريكا الكثيرون.

---

(١) البقرة: ١٢٠ .

المحطة السابعة : التعقل لا الحمية.

المحطة الثامنة : توابع التفجيرات وتأسي الماضي والحاضر.

المحطة التاسعة : ما بعد البعد ودماء المسلمين الأبرياء.

المحطة العاشرة : ودقت طبول الحرب. دماء الشهداء وملاحم تصنع التاريخ.

المحطة الحادية عشرة : تساقط القيم والإسلام الأمريكي.

❖ المحطة الأولى: هل الإسلام مدان حتى تثبت براءته؟!

لماذا نضع الإسلام والمسلمين في دائرة الاتهام دائما كأن الأصل في المسلمين الشبهة وفي الإسلام العوج..؟ على أن الله نزه كتابه ومن تمسك به من عباده عن كل ذلك فقال سبحانه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾(١) لماذا نطوع النصوص ونلوي أعناقها لما نريد وما لا نريد؟! ولماذا نتعسف في فهم أقوال العلماء الأقدمين..؟! وقد تحملنا الحاجة والضرورة وسياق الحدث إلى أن نعمل أكثر من ذلك، فنلج سبيل من يظهر نصف الحقيقة يخفي نصفها الآخر، ذلك النصف الذي يرضى المتهجم علينا.. فنفرد أمورا بديهية من مثل ما لاكته ألسنتنا كثيرا «الإسلام دين السلام.. الإسلام لا يرتضى قتل الأبرياء..» وما سوى ذلك من العبارات والمنشيتات العريضة العامة التي تحتاج إلى تفصيل وبيان، وخاصة إذا كنا في معرض البيان، حتى لا يكون هناك تدليس أو تلبيس على عامة الناس فيقع العالم، ويوقع العامة في إرباكات نفطية ونصية وفقهية وعقدية!!

مع أن الإسلام دين واضح بقواعده ونصوصه وأحكامه وبيانه، والمطلوب أن نؤمن به كاملا كُلاً واحدا، لا أن نجزئه فنؤمن بجزء يناسبنا اليوم، ونغفل عن شطر سيباغتنا غدا.. فنقع تحت طائلة من نعى الله عليهم في كتابه قائلا ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ..﴾(٢). على أن الله قد أخذ على النبيين وكل المرسلين أن يصدعوا بالحق ويبينوه، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾(٣).

وأمر نبيه محمد بالبلاغ الكامل الوافي الشافي فقال سبحانه: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**

(١) الكهف: ١ . (٢) البقرة: ٨٥ .

(٣) آل عمران: ١٨٧ .

فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ..﴾(١). وقال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**(٢). وقال سبحانه لنبيه أيضا: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾**(٣). فلنصدع إذن بالحق ولنذكر حقائق الإسلام كاملة، دون تقييدها بقيد المناسبات أو الزمان والمكان ولتكن رؤيتنا كلية للأمور غير جزئية ولا جانبية.

❖ المحطة الثانية: لا للانجراف نحو البيانات الإعلامية المحمومة:

وهذه المحطة تدور حول تلك اللسعة المحمومة حول مرتكبي الحادث... فيستعجل بعض المسلمين ويحملون بيانات وما يليها من تبعات.. مع أن أهل الشأن لم يقروا كثيرا منها بعد..!

وإنما تلك هي صنيعة وسائل الإعلام التي تختلق وتخلق إفكا من البيانات والنشرات ساعين لبثها ونشرها على الخواص والعوام والمؤسسات والأفراد، لكي تثبت تصوراتها وتسعى لأن تغدو حقيقة في أذهاننا فنتلفظ بها، ونقوم بكتابتها والسعي لجعلها مسلمة من المسلمات، وبديهة من البديهيات، وهي ليست كذلك وإنما نحن الذين صممنا عقولنا، وفتحنا آذاننا لأبواق الإعلام لنغسل أدمغتنا ونخط فيها ما أرادت وسائل الإعلام المشبوهة أن تبثه فينا، حتى غدونا مجرد رؤوس حافظة ومسجلة، وأطباق لاقطة لما تردده هذه الأجهزة فهي الفاعل ونحن المفعول بنا.. وليعلم أن الحكومة الأمريكية إلى اليوم على المستوى الرسمي ونحن نكتب هذه الورقة (الأربعاء ١٩/٩/٢٠٠١) لم تعلن أدلتها الظاهرة المعلنة والخفية الكامنة والتي تدين أي جهة مسئولة عن تلك التفجيرات.. فلماذا نستعجل نحن ونتلهف على معرفة الجاني.. نحن بهذا نساعد أجهزة الإعلام على ما تريد أن توصله إلى الشعوب من قناعات وبيانات لا تقبلها الشعوب نفسها عند إعمال فكرها ومنطق الحوادث حولها.

انتبهوا... فهناك المخابرات الأمريكية تدبر وتحوك كيدها في الظلام:

ولم لا؟ وهناك من القرائن الكثيرة التي تشير إلى تورط المخابرات في اتهام أبرياء وحوك الاتهامات ضد من تريد، فهذا عالم الذرة الأمريكي ذو الأصول الصينية

---

(١) الأعراف: ٢ .
(٢) المائدة: ٦٧ .
(٣) الحجر: ٩٤ .

(وان هولي) الذي اتهم قبل سنتين بتسريب معلومات حول الأبحاث الذرية الأمريكية والتجسس لحساب وطنه الأصلي، وألقت المباحث الفيدرالية القبض عليه ووجهت له ٥٩ تهمــة منها ٣٩ تهمة عـقوبتها السـجن مدى الحياة. . . ثم التـفت أبواق الإعلام حول الـرجل لتجـعل منه عدو أمـريكا اللدود. . . إلا أن فريق المحـامين الذي تولي الدفاع عنه أثبت أن القـضية كلهـا من تلفيقـات المخابرات، وحين اكتـشف القاضي جيمس باركر الأمر أصدر أمراً ببراءته ووجه لوماً شديداً إلى المباحث الفيدرالية قائلاً: إن رجال المباحث الفيدرالية (أخجلوا وأهانوا هذه الأمة وكل مواطن فيها).

وكأن رجـالات الغرب فهـموا ذلك حـيث دعا رئيس وزراء بلجيـكا إلى تحديد الجناة أولاً؛ لأن كل ما هو متوفر الآن شكوك.

❖ المحطة الثالثة : الأمان في الإيمان:

إن هجائيات العـقيدة عندنا مبنيـة على الإيمان والتسليم أنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراده الـله الذي «لا إله إلا هو الحي القيـوم» وأن تصريف الأرزاق، وتحـديد المحيا والممات، وما يصيبنا من سراء أو ضراء إنما هو في كتاب عنده سبحانه: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾[1].

ودورنا إزاء تلك المقادير أن نؤمن بها، ونعـمل بما أمرنا ونسعى لما هو منوط بنا مع الاستـقامـة على أمـر الله، فهي رأس الأمـر وعمـوده، وهي العاصم من كل قـاصم ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾[2]، وفي الحديث عن النبي ﷺ لابن عباس «**يا غـلام إني أعلمك كلمات.. احـفظ الله يحـفظك، احفظ الله تجـده تجاهك، إذا سـألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستـعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[3] أو كما قال ﷺ.

فالله الله في العـقيدة وأثرها وعـملها في القلوب وأثرها على الجـوارح. . فلماذا الهلع. . ؟!ولم الخوف؟ أنخاف على أرصـدتنا في الشرق أم على أولادنا في الغرب؟! وقد سبق قدر الله بما هو كائن وما علينا إلا الاستقامة فهي النجاة حين لا منجاة !

---

(١) الجن: ٢٦. (٢) هود: ١١٢.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، عن ابن عباس٪، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

❖ المحطة الرابعة: هلا استشرفنا المستقبل في عالم ما بعد التفجيرات؟

نلاحظ على المستوى الإسلامي والعربي أننا للأسف الشديد قد شغلنا أنفسنا وأنفقنا أوقاتنا في القيل ومقول القول حول من فعل هذا، ومن جرؤ عليه، ومن وراءه، مع أن أمريكا صاحبة الحدث وحليفاتها من الغرب الأوربي لا تفكر إلا في كيفية وسبيل التغلب على آثار هذا الحدث في المقام الأول، فأمريكا تعمل لحساب مصالحها، وحصادها وجنائها من وراء هذا الحدث، وكم ستعوض من خساراتها، وكيف تبني برج إستراتيجيتها الجديدة؟ وكيف تنعش شركاتها العملاقة؟ وكيف تربح حربها الاقتصادية في المقام الأول..؟!

فأين نحن من هذا؟ أين نحن من استشراف مستقبلنا؟ وتوفير وقتنا فيما يعود علينا بالنفع والنهوض وتبوُّء المكانة السامقة في عالم المستقبل.. عالم الأمم المتحضرة الواعية..!

فهل حددنا موقعنا في ذلك العالم الجديد.. عالم ما بعد التفجيرات.. هلموا نستشرف المستقبل ونضع اللمسات والخطط الإستراتيجية العملية المفيدة..!

❖ المحطة الخامسة: صراعات النسر الأمريكي والتنين الصيني حول مصادر الطاقة وموقع عالمنا الإسلامي من ذلك الصراع:

هناك نهاية أخرى نرى منها الحدث، تتمحور حول قضية مركزية ألا وهي قضية «الطاقة» فهي بحق بؤرة الصراع ومحوره في عالم الصناعات العملاقة في هذا الزمان.

فها هي ذا أمريكا قائدة العالم رغم أنف أوربا العاجزة وروسيا المتهاوية تدخل في عالم الصراع بشركاتها العملاقة وصناعاتها الثقيلة والخفيفة معا.

وبما أن أكبر مصادر الطاقة اليوم هي (النفط والغاز) فعليهما إذن تتوجه أنظار الولايات المتحدة، وبما أن عالمنا الإسلامي هو محط هذه المصادر في كل العالم، فإنها تعرف وتسعى جاهدة لتتعامل هي وأوربا من خلفها مع ذلك العالم الذي له تاريخ لا ينسى من حيث (التدافع الحضاري) منذ القديم، فإنها تسعى جاهدة لكي تلملم بخيوط نسيجها العنكبوتي الإستراتيجي لكي توجه هذه المصادر من (النفط والغاز) إلى مصانعها ومرابحها، ساعية إلى تجفيف المنابع على غريمها التنين الأصفر الصيني

الذي يعتبر خصمــها الاقتصادي في الصنــاعات الثقيلة والخفــيفــة معا، مع مـا يتمتع به من رخص للأيدي العامـلة، وضخـامة السوق الداخلــي واتـساع السوق الخارجي، مع احتضانها لقاعدتي الاقتــصاد الرأسمالي «هونج كونج ـ وتايوان» بعد مائة عام من الاستعمــار الطوعي لهما، حيث كانتا قطعتين أوربيــتين في النشأة وأطوار النمو حتى اليفاع، ثم بلغتا، ونضجتا فاحتضنهما التنين الأصفر الصيني المتعطش لفتح الأسواق، والساعي إلى تغيير أنظمته الشيوعية تدريجيا.

وهكـذا عرف الناس أو لـم يعــرفـوا، ولكن أصحاب الإستراتيــجيات والعلـوم الاستشــرافية يعلمون جيـدا أن الغول الاقتصادي القادم هــو التنين الصيني، الذي قد يلتهم النسر الأمريكي، ولن يصاب بعسر هضم على الغالب. . . !!

ولذلك فـإن النسر الأمــريكي يسعى لتـأجيج بؤر الخـلاف بين الصين والهند الناميـة الطامـحة، فالهنـد واليابان ومن ورائهـما أمريكا يـسعون لمحـاصرة ذلك التنين الصــيني ـ وليلحظ العقلاء أن عالمنا المعاصر سيكون محور تقسيمه هو مصادر الطاقة (الغاز والنفط).

موقع الخليج من تلك الرؤيـة:

تعد منطقة الخليج هي البقعة الأغنى في العالم بموارد الطاقة من النفط، وهو تابع إستراتيجيا بصورة أو بأخرى برضى أو من غير رضى إلى الولايات المتحدة والغرب، وفي هذا ضمان واطمئنــان من أمريكا على موارد الطاقة، وفي السابق كانت التــبعية من الأنظمة الموالية لأمريكا لسبب أو لآخر مما ظهر ومما لم يظهر.

غير أنهــا بعد حرب الخليج أصبحت التــبعية من الأنظمة والشعــوب معا، وفي هذا نجاح كبير للقطب الأحادي «أمريكا» التي بنت سياساتها الداخلية والخارجية على ما يسمى بالنظام الديمــقراطي الذي يعتبر فيــه الشعوب القاعدة الرئيــسة، ولولا غزو العــراق الآثم للكويت لما اســتطاعت أمــريكا أن تأخــذ المباركــة الشــعبيــة من تلك الشعوب، بـل لما أخـذت بعـضاً من التـأيـيد في أي من صـوره، فإذا كـان الغـزو قـد انتـهى في الخليج، واستمــرت لأمريـكا مطـامحها واكتملت دائـرة سيطرتها في ذلك المحور المتكامل (إيران ـ العراق ـ مجلس التعاون) فإنها قد راحت تخطط لغنيمة من (النفط) بعيدة المدى.

فهناك في السودان تسعى كبريات الشركـات الأمريكية لكي تنهب مصادر الطاقة هناك بحق أو بغيـر حق وبمباركة في الجنوب، وبـهذا تنهب مصـادر الطاقة من النفط البكر في السودان دون أن يظفر التنين الصيني بحظوة تسد رمقه. . . !!

أما شق الطاقة الثاني وهو(الغاز) :

فقد أحكمت أمريكا الحصار على هذا المصدر في أبشع صوره عندما وقعت قطر معـاهدة بيع الغاز لإسـرائيل، ورضيت دول الخليج بذلك بإرادة أم بغـير إرادة، وتم النقد على استحياء، ورضى الجميع وأسكتت بعض الأصوات الدينية التي قد تعترض على بيع الغاز لإسرائيل ولا يعترض على بيعها لأمريكا.

بحجة احتياجها لمعالجة وضـعها الأمني السيئ الذي تعيش فيه الدول الإسلامية في البلاد الدكتـاتورية التي صنعتها يد الغـرب في عالمنا الإسلامي، وسحـقت الشعوب من خلالها، والنـموذج الصـارخ على ذلـك مثـلاً في العراق في المشرق وتونس في المغرب، ونظرة عابرة على طالبي اللجوء من هاتين الدولتين فقط دليل واضح على ما ذكرنا.

أما الخزان الثاني للغـاز فهو مكـان قد لاتعـرفه كثيـراً ولكنه خزان بمعنى الكلمة وهو (أفغـانستان) وما يعـرفه العامة عن بحـر قزوين ومنطقته دليل على مـا ذكرنا، وعليه فليست المشـكلة متعلقة بشخص اســمه (أسامة بن لادن) ولا بمجمـوعة الطلبة (طالبان) التي تدير الحـكم في أفغانستـان، بل المطلب خزان الغـاز فيها وقـد قررت أمريكا فيما يظهر أنها لا ترضى بوكيل عنها في مناطق احتياجها للطاقة. . .

ومن تمعن النظر لاحظ أن تشكيلة الحكومـة الأمريكية ذو مغزى مـعين حيث إن وزير خارجيتها هو (كولن باول) وهو رئيس هيئة الأركان المشاركة في تحرير الكويت، وأن نائب الرئيس هو تشيني وهو وزير الدفاع في أيام تحرير الكويت.

كما أن وزير الدفاع الحالي هو (رامسفيلد) وهو وزير الدفاع أيام فيتنام.

وهذا جميـعاً يشي بأنها حكومة عسكرية تعلن التـأهب الدائم للانقضاض على كل مصادر الطاقة مطلقاً.

أضف إلى ذلـك أنه رغـم انهـيار الاتـحاد السوفيـتي لم تـتقلص ميزانية الإنفاق العـسكري بل ازدادت عن ذلك. . . ! ونـرى أن هذا لا يخـرج عن السـبب السـابق نفسه.

ولذلك فإننا نتصور أنه سيتم السيطـرة على أفغانستان من خلال أناس من أهلها مراعين بذلك الدراسـات التي عندهم حول طبيـعة الشعب الأفغـاني، فهم لن يأتوا ببرهان الدين رباني؛ لأنه من الطاجيك، وهذه فئة من المجـتمع، باستعراض التاريخ الأفغاني لا تحكم ولا تذعن لها بالطاعة، ولكن سياف وحكمـتيار هم من البشتو، فمن الممكن أن يكون لهم دور؛ لما لهما من قـاعدة إسلامية واسعـة إذا دُعّما بالمال ولكن سيكون هذا الخيار مستبعد كذلك لأمرين :

الأول: أنهمـا قد جربا في الحـرب الأفغانيـة الروسية، فـتبين لأمريكا صـعوبة التعامل معهما.

الثاني: أنهمـا خلال الجهاد الأفـغاني ـ الروسي كانت لهم جـولات في المشرق والمغرب، ومن هذه الجولات مـا شمل التنين الأصفر الصيني، حيث كـان الاحتياج للدعم بالمال والعتاد، فهم يخشون لذلك أن تظل هناك علاقة ودية مع ذلك التنين.

وقبل قد كانت أمـريكا تراهن على الطلبة باعتبارهم لا علاقـة لهم بالسياسة وأنهم سيـدينـون للأمريـكـان ببعـض الـولاء من خــلال ولائـهم لبعـض الأنظـمة التقـليـدية التابعة لأمريكا، ولكن أثبتت الأيام عدم صحة ذلك، وخصوصاً في قضيتي :

ـ تدمير الأصـنام البـوذية الوثـنية التـي عـدها البعـض تراثاً إنسانياً، ودافعت عن وجودها أمريكا والغرب من خلفها.

ـ إضافة على موقفهم من المبشرين بالمسيحية في أفغانستان.

وعليه فستسعى أمريكا إلى السيطرة عـلى أفغانستان بداية بوادي بنشير المحصن؛ ليجيئوا بعميل لهم من البشتو؛ ليـحفظ لهم آبار الغاز لتصب في مستودعات ومراكز الطاقة الأمريكية بعيداً عن التنين الصـيني الأصفر، ثم سيكون هناك باب لأمريكا في القضاء على مزارع المخدرات التي دمرت أمـريكا من الداخل، حيث المساحات الكبيرة التي تزرع في أفغانستـان مع محاربة الطلبة لزراعتها، إضـافة إلى أن بعض فتات هذه الكعكة ستناله روسيا المنهارة، وشبه القـارة الهنـدية المتعـطشة للــدولار والتكـنولوجيا الأمريكية، وأرى أن فرنسا لن تقوم بدرو مـشاغب على أمريكا في ذلك الصيد؛ لأن هناك «أسد بنشير» الموالي لفرنسا والغرب قتل، وليس له خليفة في جيشه وجموعه، كما

أنها لا تملك الإمكانات التكنولوجيـة والعملية فيما يتعلق بآلات اسـتخراج الغاز. . . حتى إن هناك دراسات تبين مدى الهوة في التكـنولوجيا بين أمريكا وأوروبا في عالم الاستفادة من الغاز، كمصدر للطاقة بما يفصل بينهما بـ(ثلاثين سنة) لصالح أمريكا.

❖ المحطة السادسة : أعداء أمريكا الكثيرون:

إن أمـريكا باعتـبارهـا الرجل الأقوى فـي العـالم لهـا أعداء في داخل أمـريكا وخارجها ابتـداءً من مافيا المخدرات. . . وانتهاءً بعـامة الأمريكان المنهكين من البنوك والتقسيـط كما بينت (النيوزويك فـي دراسـة لهـا قبـل شـهر من هـذا التاريخ) مروراً بالتنظيمات المتعلقـة بجماعات حقوق الإنسان، والجماعـات المناهضة للعولمة، وبقايا تنظيـمات الهنود الحـمر. .وبعض تنظيـمات ضـحايا القنابل الذرية في اليـابان التي سفكت بها أمريكا دماء الأبرياء. .فهي مئات بل آلاف التنظيمات. . فلماذا فقط تشار للأحزاب والحركات الإسلامية؟!

وإليك ما قاله وأشار إليه به بعض أساطين التحليل الدولي مثل الفرنسي فرانسوا جوزان ـ أبرز المتـخصصـين في الإرهاب الدولي ـ إلى احتمـال أن تكون الميليشـيات اليمينيـة الأمريكية التي قام أحد عناصرها بـتفجير المبنى الفيـدرالي في أكلاهوما سنة ١٩٩٥م مما أدى إلى جـرح ١٦٨ شخـصاً وراء ذلك الـهجـوم الإرهابي، ولا ننسى الالتفـاتة التي أشار إليهـا وزير العدل الأمـريكي (جون أشكروفت) إلى احتـمال أن يكون هناك أمريكيون من بين منفذي الهجمات. . .

❖ المحطة السابعة : التعقل لا الحمية:

على أمريكا أن تفكر طويلاً قـبل قيامها بأي أمر قـد يفسد عليها مـصادر الطاقة ويخلخل أمنـها فـي الداخل والخـارج، وعلى المسلمين ألا يتنـازلوا عن دينهم، وأن يثبتوا على قيمهم. . . فالله من ورائهم مـحيط؟ سبحانه هو القاهر فوق عباده، وهو الحافظ لدينه وعباده ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[1] .حبذا أن نلزم سبيل الحق ونلزم قول الصدق، وقـد جاء عن النبي ﷺ في مثل هذه المواقف إما أن نقـول خيراً أو لنصمت[2]. . .

---

(١) المجادلة: ٢١ .

(٢) أخرجه البخارى (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة #.

وقد كنت أعـزم على عدم الحـديث عن هذا الحدث، وأن ألتـزم الصمت، وأنا على ما أنا عليـه إلا أن ما كتبـته في هذه العجـالة إنما هي نقاط مما في الإناء بل هي بعض ما فاض به الإناء.

وهنا تجدر بنا الالتفاتة إلى هذه الآثار النبـوية في حوادث آخر الزمان من ظهور غير المألوف والمخالف؛ لما جرت عليه عادات الناس من مثل:

❖ ما رواه أبوهريرة #: عن النبي ﷺ بأن «**من أشراط الساعـة أن يتقارب الزمان ويـنقص العلم وتظهر الفتن ويعم الـهرج**» قالوا: يا رسول الله، ومـا الهرج؟ قال : «**القتل**»(١).

❖ وعن أنس رضي الله عنه قال رضي الله عنه: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنى(٢).

❖ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتـل في أي شيء قَتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل**»(٣).

❖ وهناك من الأحاديث الصـحيحة التي تشـد إلى تطاول البنيان ولا يبعـد أنها تشير إلى ناطحـات سحاب نيويورك وغيرها. . ولا سـبيل من النجاة من تلك الفتن المظلمة إلا بالاعـتصام بالله والاسـتقامـة على أمره ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾(٤)، وهذا حديث رسول الله ﷺ يقول: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**»(٥).

وأخيـراً: فإننـا ندعو بدعاء رسـول الله ﷺ في قوله: «**إذا فرغ أحـدكم من التشهـد، فليستعـذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عـذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري(٨٠)، ومسلم (٢٦٧١) عن أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) (هود: ١١٢) .
(٥) أخرجه مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.
(٦) أخرجه مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ونسأل الله أن يحفظنا في ألسنتنا وفي ديننا وأعمالنا وأولادنا وأزواجنا وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.. وألا نشارك في إهدار دم مسلم ولو بكلمة.. فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

❖ المحطة الثامنة: إطلالة على سنن الله في تكوين الأمم واندثارها:

من الحقائق المتفق عليها في العلوم الطبيعية أن الطور الطبيعي لعالم الأحياء هو مرحلة التكوين.. ثم مرحلة النشأة.. ثم التطور والنمو ثم اليفاع والانتضاج.. ثم مرحلة الهشيم والتلاشي، فالفناء وهكذا ينتظم عالم الأحياء تلك المنظومة الراسخة التي تعد من سنن الله في الخلق في الأفراد كما الأمم، وفي عالم النبات، كما في عالم الحيوان، وصدق الله؛ إذ يقول: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾[1]، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[2].

وهكذا الأمر في الأمم تبدأ ضعيفة، ثم قوية فائقة ثم تبلغ مرحلة اليفاع والانتضاج ثم مرحلة الهشيم والحطام، وقد استفاض عالم العمران الأول ومؤسس علم الاجتماع ابن خلدون في ذكر أطوار الأمم ومراحله كما في مقدمته على «ديوان المبتدأ والخبر».

أما عن موقف الأمم المتحضرة من هذه الحقيقة، فهي موقف الواعي لها، الملم بحقيقتها وثباتها.. ومن ثم فهم يتعاملون معها من منطلق واقعي واع..

ولذلك، فهم يحرصون على أن يظلوا أطول مدة في طور الشباب واليفاع.. على أن الطول والقصر لا يؤثر في حقيقة استمرارية مُضي السنن واكتمال دورتها.

وحالهم في ذلك حال ذلك الشيخ اليفن الذي يلتزم الحمية، ويحافظ على توازن الطعام ويجتهد في إطالة مدة الشباب دون أن يخلد فيه أو أن ينجو من قبضة الفناء..

وإذا أطردنا هذا المثال على أمريكا علمنا أنها بلغت مرحلة النضج واليفاع بما لديها من مخترعات كثيرات فاقت بها دول العالم أجمع.. حتى إنهم طوروا نوعا من «الروبورت» الإنسان الآلي ليجري عملية في جينات البشر والعوامل الوراثية.. بما لم يعهده العالم من قبل..؟!

وهكذا بلغت المخترعات في أمريكا حد استخراج معظم طاقات العقل البشري

---

(١) القصص: ٨٨ .

(٢) الرحمن: ٢٦ .

المخزونة لديه. . حتى إنه اخترع من الأشياء ما يمكن أن يبيد البشر ويدمر بني الإنسان عن آخرهم وهذا التطور المذهل يخبر عن تحول غير طبيعي في مسيرة البشرية أجمع وبالأخص في أمريكا رائدة الاخترعات. . حتى ليصدق عليهم قول الشاعر :

وَلَو اسْتَوَى لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطَبُهْ

عمليات التفجير في أمريكا.. (من.. وكيف؟)

لازالت الألسنة تتكلم والخطط تحاك والسيناريوهات تُخط في الظلمات. . وهناك الإدارة الأمريكية بخيلها ورجلها وقضها وقضيضها تعمل في الخفاء. . ولا يزال السؤال قائم يبحث عن جواب جازم من وراء هذه التفجيرات؟ وهل وراءها عرب بالفعل؟

لا نستبعد شخصيا أن يكون هناك عرب وراء هذه التفجيرات، فهذا احتمال قائم وهناك احتمالات كثيرة أن يكون غيرهم قام بها.

ولكن إن كان هناك عرب وراء هذه التفجيرات فلنا هنا وقفات أهمها: هل يجب أن يكون أولئك العرب من أتباع أسامة بن لادن. . ؟! ألا يحتمل أن يكون هناك عرب غيرهم قاموا بهذا. . ؟!

ولم لا يكون هؤلاء العرب عملاء للموساد وقد جندوا من قبله لهذه العملية. . ألم يجند الموساد عربا عملاء خونة لاغتيال إخوانهم وبني جلدتهم من الفلسطينيين ومن حماس وغيرهم وخاصة في المرحلة الأخيرة من العدوان الإسرائيلي في عهد شارون لإجهاض الانتفاضة. . وتوفير الأمن المزعوم لإسرائيل. . . !!

فمن باب أولى أن يجند الموساد عربا لتدمير مبنى مركز التجارة العالمي بنيويورك، ومبنى البنتاجون بواشنطن، إنها تساؤلات، أراها جديرة بالتفكير والتدبر، والله أعلم بما تكن الأيام وما يختبئ في المقدور. . !

الصراع الآن مبني على الطاقة:

قد يقول قائل: وهل يتصور أن تكون أمريكا قامت بتدمير عمارتين رمزي الاقتصاد والبنتاجون، وقتل أكثر من ٦ آلاف من أجل شركات بترولية. .؟!! فهذا اللغز لا يمكن أن يتصور في العقل السوي فقول:

إن الأمر ليس فيه تلازم بين أن تصنع هذا الأمر الذي هو خارج النطاق العقلي

وبين أن نستفـيد من الحدث. . ولا يهم بعد ذلك من الذي صنع الحـدث، فهذه هي الأمة القـائدة التي لا تلطم ولا تولول بعد وجـود الأحداث، وإنما تسـعى لاستثـمار الأحداث بأقصى ما تستطيع لصالحها.

ثم إن هناك صناع المال الذين لا يهمهم البشر ولا النفس الإنسانية، وإنما يهمهم الدرهم والدولار.

وهؤلاء هم دعائم وقـوة الدول الرأسمالية، وهم المخـرجات الطبيعـية في البناء النفسي للجشع المالي، وأكبر دليل على مـا نقول وأنه ليس من ضرب الخيال ولا من تداعي خطرات القلم هو ما نراه من أباطرة مافيا المخدرات والدعارة في العالم والذين لا يخـرجون في الغـالب عن الغربيين سـواء من أوربا أو أمريكا. . وهم كـذلك لا يخرجون في الغالب عن اليهود الذين بيّن الله حقيـقتهم، وكيف يتعاملون مع البشر من غير جنسهم وجلدتهم عندما بين الله حقيقة، في تركيبتهم النفسية فيما حكاه القرآن عنهم: ﴿**وَيَقُولُونَ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾[1]. فأين هذه الأمـة اليهـودية من أمة الإسلام التي ترى أن من أحيا نفسا، فكأنما أحيا الناس جميعا، وأن من أماتها فكأنما أمات الناس جميعا ؟!

فإذن أصابع الاتهام تشير إلى أن هناك مشاركـة بصورة أو بأخرى من عبّاد العجل وعبيد المال في تدمير ـ ليس فقط ـ ستة آلاف نفس أو عمارتين أو ثلاث بل وتدمير نصف أمريكا إن كان هذا سيؤدي إلى الإبقاء وقوة شعب الله المختار. . !!! وها هم يقومون اليوم بتدمير أمريكا بالإيدز والمخدرات وسحق الأخلاقـيات والقيم. . وهذا ثلاثي لا يدمر مجمـوعة محددة من البشر، بل يأتي على الأمة من أساسها، وهذا ما لا تقوم به أمة الإسلام.

أما أن تكون بعض الأسماء العربية قد شاركت في هذه التفجيرات، فنقول: إنه قد تكون هناك مشـاركة من البعض، ولكنها بالتأكيـد قامت بمثل هذا الأمر وهي من حيث تدري أو لا تدري نفذت استجابة المخطط اليهودي الكبير. .

وهذا الذي نقوله ليس من باب تعليق كل شيء على مشجب اليهود ولكن الذي يعرف التسلسل في تدمـير الأمم واندثارها. . ويعرف الأصابع اليـهودية وتغلغلها في

---

(١) آل عمران: ٧٥ .

مثل هذه المؤامـرات والتي تعرف بعد فتـرة طويلة من الزمن، يعرف كيف أن اليـهود عندهم من الإمكانات والأخلاقيـات والتجارب عبر مـئات السنين التي تؤهلهم لكي يكونوا أداة تدمير في العالم أجمع.

انظروا إلى الحروب بين فارس والروم، وانظروا إلى القتال في جزيرة العرب قبل الإسلام، وانظروا إلى فـتنة عثـمان.. ومقـتل علي.. والإنهاء على الـدولة الأموية ومن بعدها العباسية.. وهكذا إلى إسقـاط الخلافة العثمانية ودور يهود الدونمة.. بل وانظروا إلى صناع الثَّـورات الغربيـة والحروب الـطاحنة التي دمرت أوربا من ورائهـا ترون الأصابع اليهودية والأموال الصهيونية والعقول الماسونية..

وهذا الذي ذكرناه ليس فـيه تهويل وتخويف.. بل فـيه تنبيه وتحـذير، فاليهـود كما عندهم هذا الأمر إلا أنهم من أجبن خلق الله ﴿**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى..**﴾[1]. وهكذا علمنا الواقع، وكذلك سنن الله والشـرعيـة والبيانـات القرآنيـة التي تقرر أن النصـر في النهاية ليس للعـبث بل للخير، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ....**﴾[2].

حقائق.. في أرقام وبيانات وإحصائيات:

عندما تكلمنا في مـقالنا السابق عن التـوجه الأمريكي نحـو أفغانستـان وأطماع أمريكا الكبرى في ثروات بحر قزوين لم يكن ذلك إلا عن دراسـة علمية موثقة، وها نحن ذا نعرض طـرفا منها سـاعين إلى توثيق فرضـياتنا.. وتثبـيتهـا علميـا داعمين لأطروحة الطمع الأمريكي في باكستان والنية المـبيتة بليل نحوها من خلال ما طرحناه من سيناريو الافتراس الأمريكي لها.

أهمية أفغانستان من الناحية الإستراتيجية:

ـ كما يبدو من الخريطة، فإن أفغانستان تمثل موقـعا متميزا بالنسبة لحزمة دول آسيا الوسطى ذات الاحتياطي الإستراتيجي في مصدري الطاقة (النفط والغاز).

ـ يمثل (الخط الأحمر) مـشروع (سنتغاز) ٢ مليار دولار بطاقـة ١,٩ بليون قدم مكعب يوميا.

---

(١) الحشر: ١٤ . (٢) يوسف: ٢١ .

ـ يمثل (الخط الأخضر) مشروع (أنبوب بترول وسط آسيا) ٢,٥ مليار دولار بطاقة مليون برميل يوميا.

تكمن أهمية أفغانستان من ناحية استراتيجيات الطاقة في موقعها الجغرافي الحساس كما ستبين الخرائط التالية؛ حيث إنها من أجدر الطرق وأولاها لتصدير هذه الطاقة الكامنة في دول أواسط آسيا إلى عالم المستهلك، سواء كان في الهند أو الصين أو فلنقل عموم دول شرق آسيا.. حتى إلى الغرب بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

من ناحية أخرى فإن احتمال وجود مكامن بترولية وغازية في أفغانستان وارد جدا حيث إنها لا زالت إحدى الدول مبكرة الاستكشافات.

ثروة أفغانستان وموقعها في حقائق وأرقام(١) :

❖ تعد أفغانستان إحدى أهم المنافذ الفعالة لتصدير الطاقة المحبوسة في دول آسيا الوسطى كما تبين ذلك الخريطة رقم «١».

❖ في مجال الطاقة تكمن أهمية أفغانستان بموقعها الجغرافي، كممر لتصدير الغاز والنفط من آسيا الوسطى إلى بحر العرب.

ويتضمن ذلك عدة مشاريع إستراتيجية لأنابيب التصدير تقدر بعدة مليارات من الدولارات.

❖ قدر السوفيت المخزون الغازي المؤكد المحتمل لدى أفغانستان بـ (٥ تريليونات) قدم مكعب.

❖ أنتج الأفغان ٢٧٥ مليون قدم مكعب في السبعينيات،ووصل إلى ٢٢٠ مليون قدم مكعب في الثمانينيات.

❖ اكتشف حقل (كجاركيدول) في أوائل الثمانينيات وكان مقدرا أن يرفع الإنتاج إلى ٣٨٥ مليون قدم مكعب في اليوم ولم يتم ذلك نتيجة الحرب.. إذ إن الإنتاج تحدد بـ (٢٩٠) مليون قدم مكعب باليوم نتيجة للجهاد ضد السوفيت.

❖ بعد أن انسحب السوفيت عام ١٩٨٩م، دارت الحرب الأهلية وتوقف التصدير إلى روسيا ثم توقف الإنتاج.

(١) انظر (أوراق حقيقية عن أفغانستان) على موقع :
www. 13 /p1 . html . afgham /cabs /emeu /gov . doe . eia .

❖ في فبراير عام ١٩٩٨ أعلنت حركة طالبـان عن خطة لإعادة تأهيل الشركة الوطنية الأفغانية للنفط[١]، حيث كان من المتوقع أن تلعب دورا رئيـسا في عمليات الإنتاج والاستكشاف.

❖ في عـام ١٩٩٨م كان إنتـاج الغاز فـقط ٢٢ مليـون قدم مكعب في اليـوم، وكله يذهب للاستهلاك المحلي، ولإنتاج السماد الكيماوي ولتوليد الكهرباء. . وتقوم أفغانستان الآن بسد احتياجاتها باستيراد الغاز من تركمستان.

❖ قدر السـوفيت الاحـتيـاط النفطي والمكثفـات في أواخر السـبعينات بـ ٩٥ مليار برميل، وتم إلغاء بناء مصفات للبترول طاقـتها (١٠٠٠٠) برميل يوميا بسبب الغزو السوفيتي عام ١٩٧٩.

❖ في سبتمبر عام ١٩٩٩م وقعت أفغانسـتان عقدا مع «شركة المقاولين المتحدين»[٢]. ـ اليونان ـ للكشف عن النفط والغاز في الحدود المتاخمـة لإيران حيث يعتقد بأنها منطقة غنية بالبتـرول وبالإضافة إلى النفط والغاز فإن مخزون الفحم بهـا كبير جداً ويقدر بحوالي ٤٠٠ مليون طن ومعظمه في المناطق الشمالية.

❖ في أغسطس عام ١٩٩٦م شُكل اتحـاد شركات (سنتغاز كـونسورتيوم) ويتكون من يونيكال الأمريكية وغاز بروم الروسية ودلتا السعودية[٣]، وهو نداي الكورية وشركة كريسنت البـاكستـانية وشركة إيـبكس وأوتو شو اليابانيـتين وذلك لمد خط أنبوب لتصدير ٤٥ ترليـون مكعـب من تركمـستان إلى باكسـتان عبر أفغانستان[٤]، وتقدر كلفة المشـروع بـ ٢ بليون دولار لنقل ١,٩بليون قدم مكعب من الغـاز في اليوم، وقد أبرمت حـركة طالبان اتفـاقية مع اتحاد الشـركات سنة ١٩٩٨ تسمح بموجـبه بتشييد الأنبوب عبر أراضيها والبالغ طوله ٨٩٠ ميلا.

❖ في ديسـمـبـر سـنة ١٩٩٨ أعلنت يونيكال التـي تملك قـرابة ٨٠٪ من المشـروع

---

(١) وهي على شاكلة «شركة البترول الوطنية في الكويت».

(٢) ويقال: إن بعض الكويتيين مشارك في تأسيسها.

(٣) وتملك يونيكال الأمريكية مع دلتا السعودية قرابة ٨٥ ٪ من المشروع.

(٤) وبهذا فإن أفغانستان تعتبر ممر ومجمع للغاز الذي يغطي احتياج العالم كله.

انسحابها من المشروع؛ نظرا لانخفاض أسـعار البترول والمخاطر الأخرى حسب ما ادعت، وأكدت يونيكال أن مشروع خط الغاز لن يتحقق إلا بوجود حكومة أفغانية معترف بها دوليا[١].

❖ كما اعتمدت يونيـكال إضافة إلى هذا المشروع السابق خط أنابيب بطول (١٠٠٠) ميل لنقل وتصدير مليون برميل يوميا من تركمستان إلى بحر العرب عبر أفغانستان وباكستان، ولأن تركستان متصلة بشبكة البترول لدول الاتحاد السوفيتي سابقا، فإن هذا الخط يشكل بديلا فعالا لتصدير نفوط بحر قزوين وغرب سيبريا ويبلغ تكلفته بـ ٢٠٥ بلايين دولار ويسمى هذا المشروع (خط بترول وسط آسيا)، ولم يتم تمويل هذا المشروع، خوفا من المخاطر المعروفة سلفا..!!

❖ في أبريل عام ١٩٩٩م قـادت شركة دلتا السـعودية، وذلك بعد انسـحاب يونيكال المفاوضات لإحياء مشروع (سنتغاز)، وذلك بموافقة أفغانستان وتركمستان وباكستان.

❖ وفي منتصف عام ٢٠٠٠م تابع الموضوع تطوره بمناقشات بين الهند وباكستان وإيران تركستان وأفغانستان.

❖ وعلى ما يبدو سـيكون احتمال إقامـة هذا المشروع رهن تحسن الأوضاع السيـاسية والعسكرية في أفغانستان.

❖ ومن الجدير بـالذكر أن شركـة (أكسـون موبيل) الأمريكيـة تمتلك٤٠٪ من حقل بورون التركـمستاني، وقـد منعت الحكومة الأمريكيـة الشركة من مقـايضة النفط التركمـستاني بالنفط الإيراني، وذلك في أبريل ١٩٩٩م. بسبـب الحظر الأمريكية على إيران[٢].

ولذلك كان لا بد من وجـود خـط من تـركمـستان إلى باكـستان عـن طريق أفغانستان.

---

(١) وحبذا أن يكون للعاقل هنا وقفة حيث تصريحات يونيكال الأمريكية ذات المغزى السياسي.

(٢) وملاحظة دولة إيران وكون عاصـمتها طهران في الشمال الغربـي، فإنها تحتاج إلى نفط تركمستـان الشمالية؛ لأنه أقرب لها من نفطها في الجنوب وتكلفة نقله، ولكن أمريكا حرمـتها من ذلك إضافة إلى نيتها تمرير النفط بأفغانستان لا بأرض إيران، وفي ذلك حرمان كثير لإيران وهذا يبين كـيف أن العقوبات الاقتصادية والسياسية تؤثر في الدول وسياساتها، وأن سلاح الاقتصاد من أشـد الأسلحة الفاعلة التي ترفع كعصى للعقاب من قبل أمريكا من الإفادة من نفط وغاز جاراتها..!!

ثروات دول بحر قزوين ودور أفغانستان في نقل ثرواتها :

دول بحر قزوين هي :

١ـ روسيا ٢ـ إيران

٣ـ أذربيجان ٤ـ كازخستان

٥ـ تركمستان ٦ـ أوزباكستان

فهذه الدول الستة شركاء في تلك الثـروات الهائلة والتي هي الرصيد الإستراتيجي للمستقبل؛ ولذلك فإن عين أمريكا لم تفارقها. . تدبيرا وكيدا والتفافا حولها. .

وهنا يطرح سؤال هام. . ما هو موقع أفغانستان من هذه الدول؟

والإجابة إجمالا هي أن تلك الثـروات الإستراتيجية لا قيمـة لها إلا بنقلها ودرجة تكلفة النقل وآلياته. . ولا يجدي ذلك إلا عن طريق أفغانستان التي تعدها أمريكا لتكون مجمع مصادر الطاقة، وخط المرور الأول منها إلى بحر العرب، ومن ثم إلى الخارج.

من ذلك يتبين لنا الآتي :

١ـ احتياج المنطقة للاستثـمارات المقدرة بالبلايين لزيادة المخزون النفطي والغازي واستغلال التقنية الغربية لزيادة الإنتاج تبعا لذلك.

٢ـ احتياج المنطقة إلى منافذ لتصدير هـذه الطاقة بعد إيفاء الاستهلاك المحلي لهذه الدولة.

٣ـ أن يعم المنطقة الاستقرار لتقليل مخاطر الاستثمار منها.

صيحة في واد.. عساها تجد أذنا صاغية :

من خلال عرض ما سبق يجدر بنا ملاحظة الآتي :

❖ أن تطوير خطوط التـصـدير في آسيـا الوسـطى يهـدد بلا شـك المنافـسـة الخليجية ونفط الخليج في السوق الدولية.

مما يؤدي إلى ضرب أسـعار البترول. . . أو الاسـتغناء عـن سوق الخليج لوجود البديل الفتي، فيتم الاستغناء عن دول الخليج،وترك المنطقة في حالة فوضى يستبد بها العراق. .

ما المخرج من هذه الأزمة المتوقعة؟

أعتقد أن المخرج هو أن نقوم بخطوات عملية جادة ومدروسة وجريئة مثلما كان في شركة (سنتافي) حيث كان قرارا جريئا ومثَّل استثمارا ناجحا بكل المعايير..؟!

فهلا شاركنا باستثمارات جادة من منطقة بحر قزوين حتى لا تفوتنا الفرصة وبعد ذلك نعض أصابع الندم ولات مندم.

وعليه فإنني أوصي دول الخليج جميعا أن تتحد وتعمل على المشاركة في المشاريع البترولية في تلك المنطقة تعويضا وتجنبا لما يمكن أن تخسره مستقبلا!!!

زعيق الإعلام ودسمه السام:

لا تزال الآلة الإعلامية الغربية تعمل تحت إدارة صناديد اليهود ودسائسهم وتسميم العلاقات والإلقاء بالشبهات على كل ما هو عربي مسلم، سعيا إلى إحداث حالة من التوتر وحرب الحضارات، كما هو دأبهم دائما ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾[1]. ﴿**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا**﴾[2].

فإذا عرفنا هذا، فلماذا يخوض المسلمون في النتائج تحت قوة وسيطرة الإعلام وكأن الأمر قد انتهى وقد استبانت الحقائق واندفعت العوائق وبان الحي من اللي؟!

ومن ثم، فإنهم يكيلون بكل نعوت الإثم والعدوان على أسامة بن لادن ومن معه.

مع أنهم ـ على ما نعرف ـ ما خرجوا من ديارهم وأموالهم إلا للجهاد في سبيل الله؛ سعيا وراء دحر العدوان السوفيتي الشيوعي الملحد على أرض أفغانستان.. والجميع يشهد لهم بذلك حيث أبلوا بلاء حسنا، وكانوا رأس الحربة التي يقاتل بهم قادة الأحزاب معسكر الإلحاد السوفيتي.. لما عندهم من حرص على نيل شرف الشهادة والظفر بها..

لماذا كانوا إذن في نظر ـ هؤلاء الذين تولوا عنهم ـ مجاهدين أبطالا.. وكيف تحولوا اليوم إلى خوارج مارقين، وهناك صحف وفضائيات وإعلاميات مسلمة تشارك في هذا الاتهام وتفيض عليه بأبشع ما يكون بلا بينة واضحة داحضة إلى الآن..

وبهذا يكونون قد ساهموا في إهراق دم مسلم من حيث لا يعلمون.

(١، ٢) المائدة: ٦٤.

الحذر من العون على قتل الأبرياء:

إن دم المسلم لا يحل إلا بإحدى ثلاث كما بين الحديث الصحيح «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[١].

ولله در ابن عمر لما نظر إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وما أشد حرمتك ووالله إن دم المسلم عند الله أعظم منك..!!» أو كما قال رضي الله عنه.

وإنني إذ أنص هنا على حرمة دم المسلم وكونه من أكبر الكبائر عند الله عندما يهدد بغير حق، فإني أنوه كذلك بحرمة دم أي إنسان كائنًا ما كان ـ وإن بأي دين ـ ما دام بريئا مسالما لم يرتكب جرما يفضي إلى إهدار دمه.

وقد جاءت الأحاديث متوافرة على تحريم دم المسلم حيث ذكر النبي ﷺ فيما يروى عنه: «**من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته: آيس من رحمة الله**»[٢] أو كما قال ﷺ.

وهؤلاء سلفنا الصالح في عهد الفتنة إبان خلافة عثمان يحذرن من الخوض فيها ومن الإعانة على سفك دماء إخوانهم المسلمين، فيقول عبد الله بن عكيم في مجمع من الناس: «لا أعين على دم خليفة أبدا بعد عثمان».. وهذا الشيخ المؤمن لم يرفع في وجه عثمان رضي الله عنه سيفا أبدا، ولذلك قالوا له: يا أبا معبد، أو أعنت على دمه، قال: إني أرى ذكر مساوئ الرجل عونا على دمه[٣].

مع أنه ثبت عنه أنه قال ما قال عن كراهية لعثمان، بل كان من حب صادق حيث كان ابن عبد الله بن عكيم يقول: «كان أبي يحب عثمان»[٤].

فاحذر أخي المسلم الداعية من الوقيعة في مسلم والتفت إلى عيب نفسك وصن سمعك ولا تعن بلسانك على قتل مسلم.. وعن السري السقطي البغدادي رحمه الله

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه(٢٦٢٠)، أبو يعلى في مسنده (٥٩٠٠)، والبيهقي في الكبري (٨/ ٢٢) (١٤٦٤٣) عن أبي هريرة # وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ٣٢).

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٥/ ٣٢٤).

أنه قال: «ما رأيت شيئا أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب ولا أسرع في هلاك العبد، ولا أدوم للأحزان ولا أقرب للمقت ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد لنفسه ونظره في عيوب الناس».

وقال رضي الله عنه: من علامة الاستدراج للعبد عماه عن عيبه واطلاعه على عيوب الناس ولله در القائل :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا مَصُونًا مِنَ الأَذَى ... وَحَظُّكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانَكَ لاَ تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ ... فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَسَاوِئًا ... فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

إذن أوصيك أخي الكريم وأوصي نفسي أن نشتغل بما فيه صلاح أحوالنا ونكف ألسنتنا عن إخواننا، فعثرة اللسان تدمي وتجني على نفوس بريئة وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «رحم الله امرأ أمسك فضل القول وقدم فضل العمل».

وأنا في مقامي هذا لا أدافع عن أشخاص وإنما أدافع عن فكر دعوي إسلامي ومبدأ إسلامي راسخ وعمل إسلامي قائم ما دامت السموات والأرض.

دعوة للمراجعة.. والتفكير والتعقل :

تفكر وفقا للمقاصد الشرعية والقواعد الفقهية في دفع أشد الضررين وأكبر المفسدتين. . فإن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومعلوم أن وجود حكومة إسلامية لا تدخل في أصول الدولة الإسلامية وقواعدها أفضل من وجود حكومة علمانية تعادي الدين. ولنا عبرة في سلفنا.

وهذا خالد بن الوليد عصم الله به دماء المسلمين في مؤتة، وانسحب بجيشه. . . من وجه الروم فغاظ ذلك المسلمون وقالوا: يا فرار، فأجابهم البني ﷺ بمنطق القائد الواعي العارف بسنن الله «**بل أنتم الكرار**»[1] وحقاً لقد كروا على الروم وفتحوا بلادهم وأصابوا الظفر والنصر عليهم.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (٥/ ٣٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٧٤) عن عروة بن الزبير مرسلاً.

رؤية فوقية للأحداث.. وسيناريوهات مطروحة :

تعد حركة طالبان بذرة باكستانية في الأساس، دفعت بها باكستان على الساحة وباركتها على أمل أن تصبح جمهورية إسلامية أفغانية على نمط الدول الخليجية، وأن تكون بلد مؤسسات وحوار، ولكن تغير الأمر عن المرسوم له، ونفذ الطلبة إلى حيث هم الآن. .

أمريكا تجلب بخيلها ورجلها..

أعدت الخارجية الأمريكية قائمة بأسماء المنظمات والأفراد والمؤسسات التي تنضاف إلى قائمة الإرهاب من وجهة نظرها على أن تجمد أرصدتها بحسب قرار بوش وهي :

- الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة.
- الاتحاد الإسلامي.
- جيش عدن الإسلامي.
- أسامة بن لادن.
- محمد عاطف (المعروف كذلك بأبي حفص المصري).
- سيف العدل.
- الشيخ سعيد (واسمه الحقيقي مصطفى محمد أحمد).
- أبو حفص الموريتاني (واسمه الحقيقي محفوظ ولد الوليد خالد الشنقيطي).
- ابن الشيخ الليبي.
- أبو زبيدة (واسمه الحقيقي زين العابدين محمد حسين طارق).
- عبد الهادي العراقي (المعروف بلقب أبو عبد الله).
- أيمن الظواهرى.
- ثروت صالح شحاتة.
- طارق أنور السعيد أحمد (المعروف باسم عمرو الفاتح).
- محمد صلاح (واسمه الحقيقي فهمي نصر حسين).
- مكتب الخدمات (المعروف باسم مكتب الكفاح).

ـ منظمة الوفاء الإنسانية.

ـ صندوق الرشيد.

ثم راحت أمريكا تجند جيوشها وتستعدي ترسانتها العسكرية،وتلوح بالمعدات والذخائر والتقنيات التي لم يسمع عنها من قبل في سبيل حربها القادمة ضد الإرهاب على حد زعمها ولنا على هذه المشاهد تعليقات وهي :

❖ أرى أن الأمر لايعدو مجرد استعراض عسكري كرد فعل على تلك الكرامة التي هدرت والمكانة التي اندثرت نتيجة للتفجيرات الأخيرة.

❖ وأكبر دليل عندي هو ما حدث في حرب الكويت حيث تم حشد نصف مليون إضافة إلى ترسانة البوارج وحزم الأقمار الاصطناعية.. وتساءل الجميع وفكروا وتدبروا وحاروا في أين تكون المعركة وكيف تكون.. ثم آلت إلى أن اعتمدت على سرعة تنقل الجيش، ولم يكن هناك إنزال ولا زحف كما توقع المتوقعون.. بينما تمت كل المناورات بطريقة مختلفة تماما.. وظل هناك داع إعلامي قوي ليستمر صدام في الكويت لتتحقق القصة وتكتمل أركانها.. ثم ينفذ بعد ذلك السيناريو المرسوم.. على ما كان.

وها نحن اليوم تدفع أمريكا الجموع من الطلبة للإصرار..والتحدي حتى يتم تنفيذ السيناريو بحسب رؤيتهم وترى أمريكا أن الجماهير الغاضبة هي هي تعيد كرة الجماهير إبان حرب الخليج، ولم يغير ذلك من سياستها العسكرية شيئا وإنما سعت لتنفيذ مخططها.. ونفذته ثم بعد انتهاء الفيلم بحسب السيناريوهات الأمريكية واستسلام صدام رجع الجميع إلى يومياته كالمعتاد..

تلك رؤيتي.. حسب خبرتي :

بداية أقر بجهلي وعدم إحاطتي بالاستراتيجيات والخبرات العسكرية، وإنما تلك رؤيتي المتواضعة البسيطة لسيناريو الأحداث حيث أرى ببساطة قد تثير ضحك البعض ما يلي :

❖ أن تلك القوى المجيشة والجنود المسيرة والغواصات والأساطيل التي تمخر عباب البحر والمحيطات لم تستخدم كلها وإنما المستخدم كان أقل بكثير مما استعمل أيام حرب الخليج.

❖ بل إن ما سيستعمل في المقام الأول هو(ذخيرة أمريكا التقنية في سلاح الطيران) لضرب وتدمير كل المضادات الجوية عند الأفغان، وكل الآليات التي فيها وقود يحركها . . .

❖ وبالتالي تبقى جمـــوع الناس من غير آلية ومن غير مضـاد، فتنكشف عليهم السماء، وتجمد تحتهم الأرض

ومن هناك فإن جبهة الشمال ستقوى وتستنسر بذلك الدعم اللوجستي المقدم لها وبقيادة من الـبشتو. . فيـسيرون هناك ويلملم شتـات أولئك الذين هربوا إلى الحدود الإيرانية والحدود الباكستانية داخلها وخارجها مع ذلك الشتات الذي هاجر إلى أمريكا أو أوربا وتتكون منهم دولة الأفغان الحديثة. .

ثم يأتي دور الشركـات الأمريكية الكبـرى ذات المصالح والنفوذ، فتـعمل على إيجاد نظام ديمقراطي ـ علـى ما هو موجود في باقي دول العالم الإســلامى ـ فتعطى فيه هوامش من الحريات، وتظهر فيه المؤسسات الدستورية الشكلية لتسير شؤون البلاد الداخلية والاقتصادية سوى الأمور الإستراتيجية.

ـ وما تبـقى من فلول طالبان فإنهم سيلوذون بالجبال والكهوف وسيعدون قطاعا للطرق بعد ذلك.

ثم يأتي الوعد الحق لأمريكا وشركاتها بمد أنابيب الغاز تلك السلعة الاستراتيجية التي كانت وراء تحرك الأمريكان مبتدأ ونشأة، وتظفر شركات أمريكا العملاقة بالسيطرة على موارد الطاقة مع حرمان الهند والصين وإيران بل وباكستان. . وتبلغ خطوتها في عمليات استخراج متوالية لكميات كبيرة بتكاليف زهيدة.

❖ ثم يهدأ العالم وتستقر الأمور بعد ظفر أمريكـا بكعكتها وفرضها لهيمنتها. . ويستمر بقاء الأمة الأمريكية ردحا آخر من الزمان كما تعلن نبوءاتهم. .

ومما يؤيد هذا السيناريو السابق :

أن أمريكا ساعية لأن تأخذ بنصائح أصـحاب الدراسات الاستراتيجية، ولن توسع رقعة الحرب. . ولن تدخل في تصادم مع إيران، وهذا وزير خـارجية بريطانية وموفد من الاتحاد الأوربي يزورانها لأول مرة منذ الثورة الإسلامية. .ليمهدا لذلك. . ويكفي في شفاء الإدارة الأمريكية من إيران أن تحرمهـا من مرور أنبوب الغاز بأراضيها؛ ولذلك فلم تجمد أرصدتها رغم أنها داعية كبرى للإرهاب على ما يزعمون. . . وهي كذلك لم

تجمد أرصدة صدام ولم تعلن عن حزب الله ولا حماس ضمن تلك القائمة التي طرحوها مما يؤيد أنها لن توسع رقعة المصادمة؛ لأن طموحها الأول ونبوءتها الخالدة هي الظفر بمعين الطاقة من الغاز عبورا بأفغانستان.

أضف إلى ذلك أن هناك خطأً للغاز سيمر عبورا بعمان رضيت أو لم ترض. . . مع السيطرة على غاز قطر بطريقتها الخاصة. . . وبهذا يستتم لها السيطرة المطلقة على تلك السلعة الإستراتيجية. . .

❖ المحطة التاسعة: ما بعد.. البعد.. ودماء المسلمين الأبرياء:

لا زلنا نتابع عن كثب تطورات التفجيرات. . وآثارها على الأصعدة المحلية والعالمية وخاصة هرولة الدول الإسلامية في مصف الأسد الجريح أمريكا والائتمار بأمره والوقوف عند قوله. . وأرى أن المقام يسعفنا للإشارة إلى تلك اللفتات الواقعة والمهمة:

هل البقاء للأقوى أم للأصلح؟

خلصت الحضارة الغربية في بدايات القرن الثامن عشر الميلادي ومطالع القرن التاسع عشر إلى أن البقاء إنما هو للأقوى، وكان هذا نتيجة لنظرية النشوء والارتقاء التي برز فيها داروين وأفاد منها الغرب في كل حياته وطبقها عمليا من خلال المستعمرات الغربية وفرض أجنحة القوة على كل دول العالم غير الغربي تقريبا. . غير أن سنن الله الكونية في نشأة الأمم وتطورها على ما سبق ذكره في المقال السابق تقضي بأن البقاء للأصلح لا للأقوى، ولعل التفجيرات الأخيرة في أمريكا تثبت ذلك جليا في العصر الحديث، كما أثبت التاريخ ذلك في الإمبراطوريات صاحبة جناح القوة مثل الإمبراطورية الرومانية وإمبراطورية المغول. . . وغيرها.

وعليه فإن عمر الأمم لا يطول بالقوى، وإنما بعناصر الصلاح والانسجام مع العوامل الطبيعية من السنن والمجريات الكونية. . فلتنتبه الحضارة الغربية إلى تلك النقطة ولتتعظ بحضارات سابقة كانت أقوى وأعتى وأكثر قوة منها في عصرها فالسعيد من وُعظ بغيره. . ورب أمة تحمل بذور فنائها في قوتها.

ولتعد الإمبراطورية الأمريكية ترتيب أوراقها في ضوء ما حل بها. . ولتلزم

مبـادئ العدل في تدخلهـا في سياسـات ومسيـرات الأمم الأخرى، ولتنأ بعـيداً عن سيـاسة الكيل بمكيالين ومـوالاة الإرهاب الإسرائيلي الذي لا تخبـو ناره ولا تتوقف مكائده ضد المسلمين بل والمسيحيين من أمريكا وغيرها. .

هل نقلع الشوك .. أم نقتلع جذور الشوك؟

سؤال منطقي يطرحه المقام هـل نطنطـن ونصخـب ونملأ الدنيـا زعيقـا ووعيـدا وتهديدا لكي نقلع شوكة الإرهاب على حدّ زعمهم فـتخرج شوكات أخرى أعتى منه وأقدر علـى التكيف مع واقع مقـاومتـها الجديد. . . أم نـذهب إلى أسبـاب الشوك وجذوره ودوافعه. . . فنجتـثها ونحسن معالجتها لكـي يتحول شوك نفوس الكارهين لأمريكا إلى زهر وثمر أو فلنقل إلى لا شوك. . ؟!!

وهذا أحد أبناء اليهود المتعاقلين من أكـابر علماء اللغة في العالم ألا وهو ناعوم تشـومسكي ينبـه على مواطن الأشـواك عند يهـود فيـقول في مـحاضـرة له بمعهـد ماساسـوسيتش للتكنولوجيا : «إن الحـصار المفروض على الضفـة وغزة لم يسبق له مثيل، وإن رهان الكيـان الصهيوني هو على كسر إرادة الفـلسطينيين، ويجري تسويق ذلك تحت مظلة رد اليهود على العنف الفلسطيني. .أما الموقف الأمريكي، فإنه يتسم بالتواطؤ والنفاق والتصديق على عدوان الكيان الصهيواني».

فهل وعت أمريكا الدرس في أنها دولة مستهدفة في الداخل والخارج بسبب ممارساتها المنحازة؟! وهل أدركت أنها بهذه السياسات تسـتقطب أعداء جددا وتوغر الأحقاد في صدور الشعوب. . ؟!

هل تنظيم القاعدة هو من قام بالتفجيرات ؟

كل الاحتمالات قائمة ولا يستبعد احتمال، فكما وضعنا أن هناك احتمالاً في المحطة الثامنة أن يكون الموساد له أثر، كذلك لا نستبعد أن يكون الأمر من تخطيط تنظيم القاعدة.

وقـد يكون بعلم الشيخ أسـامة بن لادن، وقـد لا يكون بعلمـه، ففي الغـالب تنظيمـات الجهاد لا تعتـمد على الضبط القيـادي والانصياع لأوامر التـسلسل الهرمي بمقدار ما تكون مأسورة لمعاني الاستشهاد وتـضخم حقيقة الشهادة من خلال الأدبيات والمداخلات التربوية على مدى سنوات طويلة؛ ليصبح بعد ذلك المنتمي للتنظيمات الجهادية

لا يرى إلا حقيقة الجهاد والاستشهاد، فتملك عليه نفسه وتفكيره وتخطيطه، ويبدأ بالبحث عن ضالته وهي واحدة لا تتجزأ ولا تتنوع، إنه يبحث عن الجنة من خلال الشهادة.

ونحن عندما نذكر هــذا الأمر لا نتحدث عن الصواب والخطأ في ذات الفعل، فالتصويب والتخطيء أمر اجتهادي مبني على مقدمات في الفهم ومداخلات في التربية.

وكما يقــول الأصوليون: إن الحق واحد لا يتـعدد ويعنون بذلك الحق عند الله، والحق في ذات الأمــر، ولكنه في اجتــهاد البشــر يقع الاختــلاف بحسب المقــاييس، واختلاف المقدمات وفهم النصوص.

وعلى هذا فيظل الاحتمال بأن تنظيم القاعدة هو من قام بالتفجيرات ولا يستبعد كما سبق؛ إضافة إلى ما ذكــرناه من احتمال أن تكون هناك أصابع من الموساد أو من تجار الحروب.

فهذه كلها احتمالات ولكل احتــمال ما يبرره، ولكل فعل من هذه الاحتمالات دوافعه عند أصحابه ونحن لا نشك أن من قام بتنفــيذ هذه العمليات عاقل جد العقل ويعرف يقينا ما يترتب على هذا الأمر.

وقد أخذ أهبته وجند نفسه ليستــفيد من هذا العمل، والحدث بكل مقاييسه ليس بالحدث العــارض، وليس بنزوة ولا بحماس آنــي.. والذي قام بالفعل يعــرف حجم أمريكا في العالم ويعــرف مقدراتها وقدرتها وصلفــها وأن هذا الفعل سيثيــر كبرياءها ويدفعها إلى حصاد الأخضر واليابس، وهكذا الأسد إذا أصابه كلم، ولله در القائل:

إِذاَ رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً   فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

فهل من قام بهذا الأمر هم تنظيم القاعدة؟!

هل كان الأمر بعلم قائد القاعدة الشيخ أسامة بن لادن؟

وهل الفقه الحركي والديني عند جماعة القاعدة يبيح فعل مثل هذه العمليات؟

هل الاستنكار من قبل كــثير من رموز العمل الإسلامي لهــذه العملية بناء على اعتقادات فقهية شرعية نصية.. أم إنه فقه مصلحي اجتهادي؟

وهل يجوز لنا أن نأتي بأوصاف صنعــها الغرب؛ لنلصقها بمجــموعة من الدعاة إن لم يوافقونا فيما نذهب إليه؟

وهل يجوز لنا أن نشحذ مصطلحات وأسماء فرق قديمة لنلصقها بأي إنسان لا نتفق معه، فهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا خارجي؟!

هل يجوز لنا أن نغير المصطلحات الشرعية كالولاء والبراء مثلا عندما يكون المقابل في قوة أمريكا..؟! هل نتخلى عن أصول الفهم والصدع بها؛ لخوف موهوم نظنه واقع بنا؟!

هل وهل وهل..؟! سلسلة لا تنتهي من التساؤلات والاستفسارات تدعو العاقل للاعتبار والادكار والتريث على غير عجلة، فالحق أبلج والباطل لجلج وصدق القائل:

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ نَهجَيْنِ تَنْهَجُ   طَرِيقَانِ شَتَّى مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ

❖ **المحطة العاشرة: ودقت طبول الحرب دماء الشهداء.. وملاحم تصنع التاريخ:**

قبل البدء في المحطة العاشرة ـ والتي أسأل الله تعالى أن تكون الأخيرة، وأن تحقن دماء المسلمين ـ أود التأكيد على عدة أمور أرى ضرورة ذكرها في هذا المقام:

أولاً: أن الإنفاق في سبيل الله وصناعة الخير تقي مصارع السوء، وحسنا فعل سمو الأمير حينما أمر بالمسارعة في إرسال الإغاثات العاجلة للاجئين الأفغان وعلى نفقته الخاصة، وحسنا فعلت الحكومة الكويتية مع ما أثير من بلبلة في موضوع اللجان الخيرية، وتعاملت بحكمة وعقلانية بعيدا عن بعض المزايدين والمصطادين في الماء العكر، وهذا يدل على الرقي الذي تمتاز به بلدتنا الطيبة والذي يصنع سياجا يرد الطامعين في كل مرة، كما نثني على الشعب الكويتي الذي استمر في تفاعله مع العمل الخيري وتعامله الحضاري الإنساني مع مشروع صناعة الخير في بلاد العالم، فهنيئا للكويت على هذا الرقي في التفاعل المتوازن والمدروس مع أحداث العالم، والذي يبدأ من سمو الأمير إلى الطفل الصغير في أحضان أمه، فهكذا يدفع البلاء.

ثانياً: إن أحداث ١١ سبتمبر التي دمرت أهدافا مدنية في نيويورك وواشنطن قد أثرت كثيرا على العمل الإسلامي وعلى الامتداد الحضاري لهذا الدين في العالم، ونحن نستبعد أن تقوم بها مجموعات دعوية لها فهم دقيق وعميق ونظرات إستراتيجية، فهذا العمل بكل المقاييس لم يكن في صالح الإسلام لا على المدى

القريب ولا على المدى البعيد.

ثالثا: حتى الآن وبعد كل هذه المدة وحتى بعد بداية أولى حروب القرن ـ كما يسمونها ـ لا زالت علامات الاستفهام الكبيرة حول من قام بهذا العمل، كما ذكرنا وكما ذكر غيرنا طوال الأيام الماضية، وخاصة أن بعض الأدلة تهافتت أمام المنطق، والأخرى سقطت أمام الحقائق!

رابعا: واهمٌ من يعتقد أن الحروب على الشعوب يمكن أن تحل المشكلات وتضمن الأمن، وعلاج أي شيء يتعلق بالإرهاب إنما يتم أولا بتعريف الإرهاب، وثانيا بإلغاء التعامل المزدوج في هذا الموضوع بناء على جنس أو عرق أو دين، وثالثا بمواجهة أسباب ودوافع الإرهاب وليس التعاطي مع نتائجه.

خامسا: إن محاربة الإرهاب بالطريقة التي تمت سيؤدي إلى سقوط الكثير من المدنيين، وسيكون لذلك تبعات كثيرة وسلبيات متوقعة بشكل أو بآخر، وستضيف عبئا جديدا على المؤسسات الدولية والمجتمع الدولي وتضيف فصلا جديدا إلى فصول الهجرة واللجوء الإنساني، مما يؤدي في النهاية إلى المزيد من الفوضى والاضطراب في العالم وعدم الاستقرار.

سادساً: إن مقالنا اليوم هو في الحقيقة محاولة تأصيلية، تحاول أن تتجاوز ردود الأفعال الأولية تجاه الأحداث، وتقفز فوق استدراكاتها السطحية للوصول إلى حقيقة هامة تتمحور حول مفهوم الجهاد وحقيقته، مع تجنب أي هزات في هذا المفهوم الهام للأمة في الدين الإسلامي؛ لأن الأمة إن ضيعت مفهوم الجهاد الحقيقي والمنضبط بضوابط الشرع الحنيف وأهدافه الإنسانية كرسالة عالية، تكون قد ضيعت هويتها ومقومات بقائها؛ لأن الأمة بخير ما دام هناك من يسعى لتثبيت ثوابت هذه الأمة، مهما تعرضت له من تشويه وسوء فهم.

ومن هذا المنطلق كانت المحطة العاشرة، وأرجو من الله أن أكون قد ذكرت في الأسطر القادمة ما فيه بيان لعدم خلط الأوراق..

دقات طبول الحرب:

تُبين الأحداث أن الولايات المتحدة قد شنت حربها ضد أفغانستان لأسباب كثيرة

محاورها لا تخرج عن :

١ـ رد هيبـتها واسـتعادة بعض من شمم أنفـها المجدعة أمـام العالم الذي طالما رقصت أمامه زهوا. . ورفلت خيلاء وزهت عجبـا. . بقدراتها ومقدراتها وأساطيلها التي جابت البحـار. . وطائراتها التي أوسعت الخافقين ومـلأت المشرقين والمغربين. . وجنودها البواسل الصناديد الذيـن لا يشق لهم غبار. . ناهيك عن أجهـزة أمنها التي ترصد ما بعد البعد وما قبل البـعد. . ثم ها هي ذا تشهد اللكمات الموجهة، من كل صوب وجهة، حتـى أشفق لها الصامت. . وترك حسدها الشامت في ثلاثاء سـبتمبر الذي حمر بيتها الأبيض وبيض بيت روسيا الأحمر. .؟!!

فَلَوْ كَانَ سَهْمًا واحِدًا لاَتَّقَيْتُهُ وَلكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

٢ـ استعادة الإدارة لبعض ما تناثر من موقفها أمام الأمريكيين في الداخل الذين طالما زهوا. . وتبـاهوا. . وتفـاخروا. . وتشـاجعـوا. . وتسـامروا. . وتسـاندوا. . وتعاضدوا بموقعهم الحصين الأحصن. . والعظيم الأحسن الذي لا تطاله يد غريب. . ولا تسموا إليه هواجس مشرقي مسلم أو مغربي روسي أو أصفر صيني. .

يا لهم من هانئين قبل ذلك اليوم المشـؤوم. . يكرعون كئوس الحب. . وينهلون من روافد بحر الاقـتصاد العالمي الذي يصب في قنوات ولاياتهم تحت إمرة زعـيمهم الأوحد لا يجدون فـيه لغوا ولا إرهابا ولا تأثيمـا. . إلا قيل هنيئا مريئـا. . وسائغا لائغا لكم أيها الأمـريكيون يا من تسيدتم ودمتـم. . وإذا قلتم عملتم. . وإذا أشرتم أطعتم. . وإذا طلبتم أجبتم. .

يا من مللتم الأمن حتى رحتم تتحرشون بالشعوب وتتطلعون لمعاند. . أو مجرد مكايد. . أو واهـم بالوقـوف الذهـني أمـام إرادتكـم المطلقـة. . وإلا كـــان الدرع الصاروخي مثواه. . وكانت حكمة الآلة العسكرية الأمريكية مأواه. .

٣ـ تحقيق مآرب اقتصادية طالما داعبت شركـاتها. . وتطلعت إليها مؤسساتها. . وسال لها لعاب حكامها وشيـوخها. . إنها كنز الطاقة من الغاز والنفط لا من الكعك والأقط. .

فهو جدير بالحرب. . وأهل لأن تسفك فيه دماء الأبرياء، وحريّ أن يسخط في

سبيل نيله القريب المحابي أو ذلك البعيد المعادي. . إنها آسيا الوسطى أرض الميعاد. . ومستقبل ثروات الأحفاد. . يا لها من جنة خصبة حصينة. . وحديقة غناء لا تلك الحديقة الخليجية التي شبعوا من نفطها وغنوا من آبارها، وقد تجعد وجهها وسمجت مداعباتها. . فهي عما قريب عجوز يفن أو قل عجوز دردبيس، لا يحمى لها وطيس ولا يعادى في سبيلها إبليس. . فكأنهم يحكون حال ذلك الأعرابي لما رأى العجائز اللاتي كن بالأمس كواعب ونواهد ربات جمال، ناطقات بالجمال ثم تبدل بهن الحال وقادهن إلى الهزال حيث قال:

لَقَدْ رأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمْسِ عَجَائزاً مثلَ السَّعَالَى خَمْسِ
يَأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسِ لاَ تَرَكَ اللَّهُ لَهُنَّ ضَرْسِ
وَلاَ لَقِينَ الدَّهْرَ إِلاَّ تَعْسِ

٤ـ تقزيم ذلك المارد الإسلامي الذي كاد يستفيق من ظلامات كثيرة وبدأ يوطد له أركانا في قاصي بلاد الإسلام ودانيها. . ومن ثم نهض الغرب ليعلن على الملأ أن الحضارة في الألفية الثالثة إنما هي مبتدأ ونشأة تتبع شعار «صنع في الغرب» ونشط البابا مباركا الجهود فراح يصول ويجول في هذه الأزمة الحرجة لتحل بركات الرب على كل مساعدة ومعاضد.

وثار رئيس وزراء إيطاليا سليل البابا «أوربان» ليعلن في حماس غير هياب من روما أن الإسلام حضارة بالية، وأنه دين ينبغي أن يحاصر ويحل محل الشيوعية في العداء وإعداد العدة لوأده في مهده. . فهؤلاء الإسلاميون الذين نظموا جهودهم. . وبدؤوا يتدبرون أمورهم ويعدون لاستعادة مجدهم الغابر. . وقيادهم الضائع ينبغي أن يتحدوا. . ولئلا تتأرق الفتاة اللعوب المدللة بنت أمريكا الصفراء الشقراء ذات اللون الذهبي والقلب السوداوي (إسرائيل) ثم لكي لا تعلو عيونهم السقيمة على حاجب الغرب، فهو المبتدى وهو المنتهى، وهو رب النظام العالمي الجديد الذي يقول فيسمع ويأمر فيطاع من خلال شرعية دولية تحت يديه وبين عينيه. .

ملحمة.. غير متكافئة:

نعم إنها بحق ملحمة على ما تذكر بعض الفضائيات «حرب الألفية الثالثة

بدأت في أمريكا.. ولا ندري أين ستنتهي»؟!

إنها ملحمة بين طرفين:

أولهما: ذلك السيد الغربي الأشقر الذي يرتدي قبعة ملؤها الدولارات ويحمل صولجانا فولاذيا إلكترونيا يشير به حيثما شاء فتلبى طلباته وتحق إجابته.. من خلال آلاته ومعداته.. إنها أقوى قوى بشرية مادية على وجه الأرض قوة الأقمار الاصطناعية التي تجوب الأرض دورانا لتبحث عن مواقعها وتحدد أماكن فرائسه وقوة نووية رادعة قد تبيد الأرض بمن عليها آلاف المرات.. وقوة طائرات حربية في صدارتها طائرات الشبح التي تخفى عن الرادار وليس لها صوت ولا إنذار كأنما هي خفافيش تجوب الظلام وتقضي الأوطار قبل بزوغ النهار.. إضافة إلى قوة بحرية أطت منها المحيطات وفارت لها البحار الزاخرات.. وخشعت لها حيتان البحر الضواري.. وسكنت لبوارجها البحرية وغواصاتها النووية قيعان المحيطات.. أضف إلى ذلك تحالف دولي فرضته أمريكا فرضا ولم تقبل عنه عوضا إنما هو حتم وحكم منها جزم، فإما تلبي وإلا كنت مطرودا من رحمتها خارجا عن عطائها ولست ببعيد من محاصرة اقتصادية... أو ضربة عسكرية... أو انقلاب مبيت من شعبك ويردك ذليلا خاشعا بين يديها..

وأما طرفه الثاني فهو:

دولة نامية حديثة عهد بالألفية الثالثة ومقدراتها ونظمها لا زالت أقرب إلى الفطرة في كل شيء.

اتخذت من الإسلام منهجا للحكم.. ومن بقايا ما تلقفته من أيدي الشيوعيين في حقبهم المنصرمة سلاحا.. فعتادها وضيع وسلاحها رقيع.. ولا تملك إلا المنهج وحب الشهادة والعزم والإباء والتمسك بالدفاع عن دينها وعن أرضها حيث تحالف عليها الأحزاب واجتمع عليها بنو جلدتها وتعاونوا مع الغازين ضدها، وفر عنها جارها، وتولى عنها صديقها، فلم تعد تملك إلا تأييد السماء وكفى بالله نصيرا؛ إذ لا حول عن حال إلى حال إلا بالله ولا قوة ترتجى إلا بالله.. ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1].

---

(١) آل عمران: ١٠١.

فهل ترى أنهم غالبون؟! وأنهم منصورون؟!

وهل تحكم مقاييس المادة أم هناك شيء وراء المادة؟!

وهل هم في طريقهم إلا الفناء.. وفي سبيلهم إلى سجلات التاريخ القديمة.. والمعالم الغابرة العتيقة..؟!

الملحمة بين عالم الغيب.. وعالم الشهادة:

حسبي هنا أن أذكر كلمة قالها عبد الله بن عمر أو غيره للحسين رضي الله عنه قال فيها: «أستودعك الله يا شهيد» وهي عبارة مختصرة ناطقة بدلالات كثيرة وعاها ابن عباس حين قالها..

أما عن عوالم الناس في زمن العولمة إزاء تلك الملحمة غير المتكافئة، فإنهم أصحاب منظارين:

أولهما: من ينظر من نافذة القياس العقلي والتقييم الكمي، فإنه يرى أن حركة طالبان عما قريب ستنمحي من الوجود وتغدو أثرا بعد عين وكَماً مهملا بعد دولة سادت معظم أراضي أفغانستان.

وهذا منظور مادي محض يجعل الاعتبار للقوة، ويستنطق الآلة والخطة المحكمة... واقعا تحت تأثير التفسير المادي المحض للأحداث في عالم الشهادة دون اعتبار لمعايير أخرى لا تقل أهمية عن المعايير المادية.

ثانيهما: من ينظر من نافذة عالم الغيب والشهادة معا فيقيم الأمور في مقاماتها ولا يعدو بها جورا إلى دروب خاوية وعرة في التحليل فيستنطق شهادة المدفع وصوت الرصاص والقنابل ويستشرف غيب رب المدفع والقوة في سننه الكونية والشرعية معا... ويستذكر سنن الأولين والتي يخبر عنها القرآن ويمكن ذكر بعضها فيما يلي:

١. اعتبار قوة العقيدة والمبدأ:

فهي لعمري سلاح ماض وفاتك لا تخبو ناره ولا يندفع أواره ولا يقل أثرا في حلبات القتال عن أثر المدافع والقنابل..

وهذا القرآن يقول لرسول الله ﷺ: ﴿**وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[1]. أي: بالقرآن

(١) الفرقان: ٥٢.

ومـا فيـه من قـوة وصادق الاعـتـقاد، وثابت المـبدأ. . . وقـوة الروح. . . وراسخ الحماس، ورغبة في نيل الشهادة.

٢. استحضار معية الله وحضرته:

وهذا مبـدأ ينبثق عن العقيـدة الصادقة وحـسن الاعتقاد في الله مـدبر الأمر. . وهذا القرآن ينوه بذلك في أكثر من مقام، فيقول سبحانه: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾(١). انظروا معي إلى صدق العـقيدة وحسن الظن بالله. . على القلـة في العدد والضعف في العتاد. . إلا أن تأييد الله كان، ثم فوق كل عدد وعتاد فقال سبحانه: ﴿**فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا**﴾(٢).

نعم تلك هي العقبى وذلك هو مسك الختام.

عِنَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

٣. استحضار عون الله:

وهذا من أثر الإيمان بالله وصادق العقيـدة في عونه، حيث إن جنود الله لا حد لهم ولا منتهى لتعدادهم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**..﴾(٣). فجنود الله يؤيدون عباده، قال تعالى: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾(٤)، وقال سبـحانه في معرض تأييـد عباده المؤمنين: ﴿**فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾(٥). وقال سبحانه: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾(٦). وقال سبحانه: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾(٧). وقال سبحانه: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**﴾(٨).

٤. الثقة في «موعود الله»:

وهذه الثقة في الله تَفْعـل فِعْل السحر في قلب موازين المعركة وتثـقيل كفة أهل

(١، ٢) التوبة: ٤٠.
(٣) المدثر: ٣١.
(٤) المجادلة: ٢١.
(٥) التوبة: ٤٠.
(٦) الأنفال: ٩.
(٧) الأنفال: ١٢.
(٨) الأنفال: ١٧، ١٨.

الإيمان على غيرهم.. وقد نوه القرآن كثيرا بهذه الثقة في غير ما مكان قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣). وقال: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤). وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٥). وقال: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾(٦). وقال: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٧). وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا..﴾(٨). وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ..﴾(٩). وقال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾(١٠). وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١١). أو قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(١٢)، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١٣). وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾(١٤).

وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾(١٥).. إلى آخر ذلك من الآيات الكريمات الكثيرات.

نصر الله للمؤمنين (بين العاجل.. والآجل):

اختلفت المفاهيم حول كلمة الانتصار في المعركة من قديم الزمان حيث ساد بين معظم الفئات أن النصر هو الغلبة والهيمنة إثر المعركة مباشرة وتدمير جيش العدو وتحطيم قواته.

---

(١) المجادلة: ٢١.
(٢) الصافات: ١٧٣.
(٣) المجادلة: ٢٢.
(٤) يونس: ١٠٣.
(٥) الحج: ٣٨.
(٦) طه: ١٢٣.
(٧) البقرة: ٣٨.
(٨) النور: ٥٥.
(٩) التوبة: ٣٢.
(١٠) الصف: ٨.
(١١) الصف: ٩.
(١٢) يوسف: ١١٠.
(١٣) محمد: ٧.
(١٤) النساء: ١٢٢.
(١٥) النساء: ٨٧.

بيد أن هناك مفاهيم أخرى للنصر ترصد ما بعد المعركة وما حولها بنظرة ثاقبة بعيدة المدى على المستوى الاجتماعي والفردي والإقليمي والدولي.. فهذا المفهوم القرآني للنصر يكمن في آيات سورة الأنفال وغيرها من مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾(١).

فمن هذه الآيات مع ما سبقها يستبين لنا ما يلي:

أولا: أن النصر حليف المؤمنين ما صدقوا:

وهذا ثابت بنصوص القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (٢).

فالعلو هنا علو نصر وهو كائن وقائم وثابت في حق المؤمنين ما داموا مؤمنين قائمين لله بأصول الإيمان.

ثانيا: أن النصر ليس هو الثمرة العاجلة:

والفكر الإسلامي قائم على الديمومة والاستمرارية وليس هو ابنا للحماس ولا وليد الساعة.. فإن الله لا يعجل بعجلة أحد فمن غالب الله غلبه.. ومن خادع الله خدعه والله خير الماكرين.. ولنذكر حديث رسول الله ﷺ الصحيح المتفق عليه: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة وهم على ذلك**»(٣).

في هذا الحديث تستبين معان جمة أهمها:

أن في الأمة طائفة منصورة دائما غير مضارين ولا متضررين بمن حولهم من أعدائهم، أو من شيع أعدائهم وإن رعدوا وأزبدوا فهم في حفظ الله ونصرة الله وهم على ذلك إلى يوم القيامة، حتى وإن بدت الهزيمة ظاهرة تدق طبولها فهم في عصمة منها بل إنها بشير خير لهم ويكمن في مطالعها بذور تبديدها.. ومكامن تبديلها نصرا مبينا.

---

(١) الأنفال: ٧، ٨. (٢) آل عمران: ١٣٩.

(٣) تقدم تخريجه.

وعليه فلا عجلة ولا ابتئاس وإن حاق العدوان وبدا الخذلان.

فَاللَّهُ نَاصِرُ عَبْدِهِ وَجنُودِهِ أَبَداً على الأَدْهَارِ وَالأَزْمَانِ

وليكن لنا عبرة في صلح الحديبية الذي غضب منه الصحابة؛ أول الأمر؛ لأنهم رأوا الظاهر وغفلوا عن الباطن الذي تلمسه الرسول ﷺ حتى عد هذا الصلح والرجوع عن مكة بعد إعلان العمرة ولبس الإحرام فتحا ونصرا وظفرا؛ كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾[1]. ولما سلم الصحابة بأمر الله ووثقوا في وعده ونصره ولو تأخر، أنزل فيهم: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾[2].

وتلك هي الرؤية الإسلامية لمعايير الانتصار والهزيمة؛ ولذلك عاد النبي ﷺ بعد سنتين فاتحا لمكة وحاجا ومعتمرا في جمع فاق ١٥٠٠ ممن ذهب بهم ورجع دون اعتمار..!

ثالثا: أن النصر مراتب ودرجات.. وأنواع:

وهذا شيء معروف في الاستراتيجيات العسكرية والعلاقات الدبلوماسية.. وهو مبدأ إسلامي نلتمسه من قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[3].

هزيمة النصر ونصر الهزيمة:

من الممكن أن تكون الهزيمة نصرا وهذا كائن وواقع وفي التاريخ الإسلامي ما يشهد بهذا، فلو التفتنا إلى غزوة أحد التي هزم فيها المسلمون ظاهرا فما هي إلا نصر لأنها:

١ـ نبهت المؤمنين على الأخذ بالأسباب دون تواكل.

٢ـ أسست مبدأ طاعة القيادة والانتهاء عند قولها.

٣ـ طهرت الصف المسلم فأبانت عن المنافقين والمثبطين وأهل الأهواء.. وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾[4].

---

(١) الفتح: ١.
(٢) الفتح: ١٨.
(٣) البقرة: ٢١٦.
(٤) التوبة: ٤٧.

٤ـ أبانت عن صادق المؤمنين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه، قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(١).

ومن نصر الهزائم وهزائم النصر:

ما يمكن ذكره من غزوة حنين التي بدأت بالهزيمة الظاهرة وانتهت بالنصر المبين ففي هزيمة المبتدى، كمن نصر المنتهى، وهذا الله سبحانه يقول: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾(٢).

ويمكن أن يعد منها غزوة مؤتة التي قتل فيها من المسلمين الجمع الغفير حيث قتل عبد الله بن رواحة وقتل جعفر بن أبي طالب وما كان من خالد بن الوليد إلا أنه استطاع بحذق القائد أن ينسحب بعبقرية القائد الواعي البصير.. وعلى ما بدا للبعض كان انسحابه انسحاب هزيمة.. ولذلك عُيِّرَ المسلمون حينها ونودي عليهم: يا فرار يعنون بذلك أنهم تولوا يوم الزحف وأنهم حاق بهم ما ذكره الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾(٣).

غير أن الرسول ﷺ صاحب الرؤية البعيدة المدى يصحح ذلك يقول: «**بل أنتم الكرار..**»(٤).

وقد كانت تلك هي هزيمة النصر والفتح المبين على المسلمين بعد عهد النبي ﷺ حيث حاربوا الروم وأفادوا من معركتهم السابقة في مؤتة، فأتوا بنيانهم من القواعد في معركة اليرموك وفي ذات السلاسل وفي القادسية أيضا فتم لهم النصر ودان لهم البلاد.. بينما تفرق الروم أيدي سبأ إلى حيث لا رجعة رغم بريق النصر الزائف الذي لاح لهم في مؤتة، فإنما ذلك برق خلب.. وناقة بغير محلب؟! فذلك هو هزيمة النصر.. وفرح العسر.

---

(١) الأحزاب: ٢٣ .
(٢) التوبة: ٢٥، ٢٦ .
(٣) الأنفال: ١٦ .
(٤) تقدم تخريجه .

ثم استتم الأمـر للمسلمين في عهد المعـتصم عندما حاصـر عمورية وأدب بني الأصفر في ربوعها. . وكان مسك الختام من الخليـفة الشاب عاقد لواء الجهاد محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية رحمه الله. .

صور من هزائم النصر في العصر الحديث :

لا يزال موعود الله قائماً بنصر عباده، وما برحت سنته ماضية لا تبديل لها ولا تحويل . .

ولقد لاح بريق نصـر لكثير من أعـداء الإسلام في العصـر الحديث، فظنوا أنهم ثبتـوا ورسخـوا وما كان ذلك إلا بداية النهـاية لهم؛ إذ كانت تلك الـوقائع من باب هزائم النصر ومعاسر اليسر.

مثلما كان من الفـرنسيين عندما احتلوا مصر ودقوا أعناق علمائهـا بالمدفعية التي لا عهـد لعلماء الأزهر وشـعب مصـر بها، حـتى إذا لاح لهم بريق النصر فـإذا بهم يدخلون الأزهر بالخيول ويعـقدون العزم على الاستعـمار الدائم فكانت ثورة القاهرة الأولى والثانية حتى اجتثهم الله من أرض الكنانة سنة ١٨٠٠م تقريبا.

وخلفهم الإنجليز فانتصروا في معارك التل الكبير وغيره فانجلوا وراحوا بلا عودة. . .

وهؤلاء المستعمرون الإيطاليون استولوا على ليبيا ولاح لهم بريق نصر من خلال عدتهم وعتادهم، فإذا بهم يشربون نخب الانتصار المطلق بعد شنقهم للمجاهد الشهيد بإذن الله والباسل الصنديد عمر المختار وجمهور الشعب الليبي حوله.

فمـا كان مـقتله إلا عـلامة بارزة للنصـر ومنارة اهتدت بهـا أجيال المجـاهدين السنوسيين من بعده حـتى دحروا الطليان شر اندحار ولله در شوقي لما قـال في مقتل عمر المختار.

رَكَّزُوا رفَاتَكَ في الرِّمَال لوَاء يَسْتَنْهِضُ الْوَادي صَبَاحَ مَسَاء
يَا وَيْحَهُمْ نَصَبُوا مَنَاراً مِـنْ دَمٍ يُوحِي إِلَى جِيلِ الْغَدِ الْبَغْضَـاء

ثم قال في وصف عمر المختار حين إعدامه :

وَأَتَى الأَسِيرُ يَجُرُّ ثِقْلَ حَدِيدِهِ أَسَـــدٌ يُجَرِّرُ حَيَّـــةً رَقْطَـاء

وهكذا تستمـر مسيرة الدعوة بموت الشهداء فـيأنس بموتهـم الأعـداء ويظنون أن المقاليد بأيدهم والقدر على فـوهة مدافع، فإذا بالنصر الزائف ينقلب هزيمة وإذ بدم الشهـيد يغدو منارا عالـيا يلهم الأجيال روح الجـهاد والشهـادة والاستبسـال فتنقلب الهزيمة نصرا ويلوح الفتح بإذن الله.

وهـؤلاء هم شهـداء الحـركة الإسلامـية يمثلون مشـاعل الهدى ووقود الصـحوة الإسلامية، ويكفي أن نشير هنا إلى ذلك العالـم الشهيد بإذن الله سيد قطـب حيث كان وحده مريضا سجينا أعـزل عن كل سلاح إلا سلاح الإيمان بالله وبعد قتله ظلما وعدوانا عاش أثره المتمثل في سيـرته الخالدة، وفي كتاباته النيرة التي أضاءت الطريق للصحوة الإسلامية من بعـده في كل العالم الإسلامي، حيث يمثل كتابه الظلال الذي أكمله في السجن مرجعا رئيسا لشباب الصحوة على المستوى السني والشيعي معا..

نعم مات سـيد قطب، ولكن بقي علـما ورمزا مع إخـوانه الشهـداء من الدعاة والقادة الإسـلاميين لشبـاب الصحوة من بعـده، وقد ظن قاتلوه أنهم انتـصروا بموته ولكن هيهات إنه نصر الهزيمة الذي يغر برقـه وينقشع في العاجل سحابة ـ رحمه الله تعالى.

وفي الختام فـإننا في تصورنا لسيناريو الأحداث القادمـة، فإن أقرب شيء ممكن أن يكون كالتالي:

١ـ احتمالات كبيرة أن تنتهي الحرب قبل شهر رمضان بمدة كافية.

٢ـ السعي لإقامة حكومة تفرض سيطرتها على أجزاء كبيرة من أفغانستان تشارك فيها بعض عناصر طالبان والملك، وأحزاب المعارضة والقوى التقليدية الموجودة.

٣ـ من المرجح أن تبقى حرب العصابات قائمة لفترة ليست بالقصيرة.

٤ـ ستقـوم الشركات العالميـة الكبرى لتعيـد بناء أفغانستـان؛ لتكون بعد ذلك مركزا آمنا لعبـور إمدادات الطاقة الآتية من الجمهوريات الإسلامـية في آسيا الوسطى وبحر الشمال ليكتمل لأمريكا المثل العربي «بلح الشام وعنب اليمن» أو مصادر الطاقة في آسيا مع نفط الخليج.

❖ المحطة الحادية عشرة: تساقط القيم... والإسلام الأمريكي:

تلك هي خاتمة المحطات من محطات تفجيرات نيويورك وواشنطن سعينا خلالها

إلى كشف النقاب عمـا بعد البعد وما قبل البعـد من هذه الأحداث في حدود رؤيتنا وقرائتنها للواقع . . . وتلك هي عاشرة المحطات نعيشها بترقب وترصد عما ستشكف عنه تلك الضربات المتتالية المتوالية بأحدث ما زخرت به ترسانة أمريكا العسكرية على دولة فقيرة في مواردها صلبة في إرادتها.

ويدور حديثنا هذا حول :

١ـ التأصيل الإسلامي للقيم وثبات قيم أجيال الإسلام الأولى.

٢ـ نبذة عن عواصف الفتن وتساقط القيم (في عصر النبوة ـ وفي عصر الصحابة ـ وفي مطالع عصرنا الحديث).

٣ـ نبذة عن خريف تساقط القيم بعد حادث التفجيرات الأخير.

٤ـ إشارات إلى تخوف الغرب من الإسلام وبزوغ الإسلام الأمريكي.

٥ـ نداء إلى قيـادات . . . ورموز العالم الإسـلامي في خريف القـيم وعواصف الفتن.

والله أسأله الـتوفيق والسـداد والقبـول والنصرة للإسلام والمسلـمين وأن يحفظ علينا قيمنا ويعصم ديننا إنه على كل شيء قدير.

رحى الحرب بين قدر الله الكوني.. وسننه الشرعية :

قد فصلنا القول في سيناريو هذه الحرب وطرحنا ما لمسناه من خلال قراءاتنا. . . وأؤكد في مقالي هذا بعد وقوع الحرب وانبعاثها وتأجج لهيبها أن ما ذكرناه في المقال الأسبق من انحسار طالبان، وتعلقهم بشعاب الجبال وانتصار الآلة العسكرية الأمريكية وقضاء وقتل ابن لادن أو فراره، إنما ذلك هو الظاهر لنا بـحسب رؤيتنا البشرية بينما مقادير الله تعمل في الخفاء. . . ولله قضاء سابق نافذ وإرادة قادرة على قلب الموازين ونصرة المستضـعفين وإجراء سننه الشرعية من نصرة حـزبه وأهله سبحانه: ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[1]، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ**﴾[2].

وقد دلت الأخبـار والآثار علـى تعطل السنن الكونيـة ونفـاذ السنن الشرعيـة

(١) الصافات: ١٧٣ . (٢) يوسف: ٢١ .

في نصرة المستضعفين ، فالله سبحانه يقول عن موسى عليه السلام المستضعف وفرعون المتجبر : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1] . فانفلق البحر لموسى ونجا وغرق فرعون وجنوده.

وهذه النار تطفأ لنبي الله إبراهيم ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2] . وهذه الشمس تقف وتنحبس في سدة السماء فينتصر نبي الله يوشع ويثبت قضاء الله . . .

وهذه القلة المستضعفة في بدر لم تغلب ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ . . .﴾[3] . وما ذلك على الله بعزيز فالله الله في الاعتصام بالله، ولله در القائل :

وَإِذَا الْعِنَايَةُ لاَحَظَتْكَ عُيُونُهَا ... نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

انفراط القيم . . مع موجات الاستعمار والتغريب في المشرق الإسلامي :

مع ذهاب الخلافة واتساع الرقعة الاستعمارية . . . بدأت تنحسر القيم الإسلامية كثيراً أمام الزحف القيمي الغربي الذي عم الدول الإسلامية عن طريق :

١ـ القوة العسكرية الضاربة في أعماق العالم الإسلامي.

٢ـ التقدم المادي والعمراني الغربي.

٣ـ تخلف القيادات الإسلامية وتفرقها . .

٤ـ انتشار أشباه المتغربين والمستشرقين والعلمانيين في المؤسسات التربوية والإعلامية في الدول الإسلامية.

٥ـ انتشار المدارس والجامعات الأجنبية في الدول الإسلامية ونبذها للقيم الإسلامية من خلال مدرسيها وطلابها . . .

٦ـ انتشار الإرساليات الأجنبية ووفود التبشير إلى العالم الإسلامي وأشياء كثيرة وكثيرة يعجز المقام عن حصرها[4].

---

(١) القصص: ٥ . (٢) الأنبياء: ٦٩ .

(٣) آل عمران: ١٢٣ .

(٤) انظر عن تلك الفواجع القيمية كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين رحمه الله، طبعة دار الإرشاد، بيروت ١٩٧٠م.

تخوف الغرب من استيقاظ قيم الإسلام وتحذيرهم منه كقوة ناهضة:

وهذا التخـوف قائم من قَبل تدمـير مركزي التـجارة العالمي بنيـويورك وضرب البنتاجون في واشنطن. . . بل ذكر الله أن الدعوة محاطة بهذا التخوف ويقوم وتروم الكيد للإسلام؛ تبـعاً لذلك منذ بعثة النبي مـحمد ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[1] . وقال سبحانه: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾[2]. وهكذا فمسيرة التـخوف مستمرة وهي واضحة في مقالات المتعصبين من المستشرقين من أمثال[3].

❖ رينان ❖ مرجليون ❖ نيكلسون ❖ هانوتو

وهذا كامفماير الأستاذ بجامعة برلين يسـتشرف المستقبل قبل ما يقارب مائة عام فيـقول في كـتابه (ISLAM WHITHER) في مقـال له بعنوان (مصر وغربي آسـيا) هل يستطيع الإسلام أن يستـعيد وحدته الداخلية في ظل التجزئة السيـاسية القائمة وتحت تأثير الآراء العصـرية والعلوم الغربية وهل سيكون الإسـلام عند ذلك عدواً ؟ أم أنه سيكون صـديقاً وحليفـاً؟ أم أن الإسلام في سبـيله إلى التفـتت إلى وحدات قومـية تعكس كل منها التأثيرات الأوربية على طريقتها الخاصة وبأسلوبها المستقل؟»[4].

وهذا سؤال رائع يبين في إجابتـه عن استشراف عميق لمستـقبل العالم الإسلامي الذي كان عدواً على ضعفه وتفرق دوله؟!

أما عن آليـة المواجهة فكانت عـلى (جهد مـبذول لحمل العـالم الإسلامي على الأخذ بالحضـارة الغربية وتفتـيت وحدة الحضارة الإسـلامية التي تقوم عليـها وحدة المسلمين؛ لأن كل قطر سيتجه إلى اقتـباس مـا يلائم ظروفه من هذه الحضارة، وعند ذلك تتعدد أسـاليب الاقتباس بتـعدد البيئات الإسـلامية المختلفـة، فتفتقـد الحضارة الإسلامية طابعها الموحد، بل لا يعود هناك شيء اسمه حضارة إسلامية)[5].

---

(١) البقرة: ١٢٠ . (٢) فصلت: ٢٦ .

(٣) انظر كتـاب الاتجاهات الوطنيـة فـي الأدب المعاصـر (١/ ٣٤٧) وما بعدهـا، وانظر: مناهج المستـشرقين في الدراسات العربية والإسلامية.

(٤) انظر الاتجاهات الوطنية (٢/ ٢١٤) وكتاب P islam whither ١٥٨، ١٥٩ .

(٥) المرجع السابق (٢ / ٢١٥).

هكذا بدأ يعمل معول الغرب في إسقاط القيم الحضارية والوحدوية للدول الإسلامية.

وبدأ بزوغ الإسلام الأمريكي:

نعني بقولنا: الإسلام الأمريكي أي ذلك الإسلام منقوض العرى ومنقوض المبادئ.. الإسلام المتقزم الكهنوتي الذي يشابه في حالاته مسيحية الغرب مسيحية الكنيسة فحسب؛ إذ يراد بالإسلام أن يسلك هذا الدرب وينحسر إلى داخل المساجد وفي المناسبات الاجتماعية كأعراف الزواج وطقوس الوفاة والجنائز دون التداخل في الأنشطة الحياتية الأخرى، ويعالج المشاكل الاجتماعية كالطلاق والأخلاقية كالشذوذ والمخدرات، فتذهب بذلك صبغة الإسلام وصبغة القيم ولا يكون دين العالمين أو دين الآخرة والدنيا، فينزاح عن الحكم عن المؤسسات وعن تقاليد الحاضر ويصبح أطلالاً خاوية على عروشها...

وهذا نقض لعالمية الإسلامة ومسخ لعقيدته... وتحجيم لرسالته وهذا لا يكون في ديننا.. ولن يكون بإذن الله.

ولله در ذلك الفذ الألمعي الشهيد ـ بإذن الله ـ الأستاذ سيد قطب عندما زار أمريكا واستبصر حضارة الغرب.. وما تحوكه للإسلام فحذر قبل نصف قرن تقريباً من انتقاض عُرى الإسلام وبزوغ فجر الإسلام الأمريكي أو الإسلام على الطريقة الأمريكية...

وبعد حوادث التفجيرات الأخيرة، فإننا نلاحظ انطلاق إرادات الغرب نحو تشجيع الحكام والمحكومين على هذا النوع من الإسلام... إسلام المسجد والقلب فحسب؛ لأنه يمثل عندهم الإسلام المتحضر والعولمي والذي يليق بألفية ثالثة هي ألفية الليزر والإنترنت.

ولعمرو الله أن ينادي بذلك بعض الدعاة أو أن يتواطأ على هذا بعض المحسوبين على التيار الإسلامي، فتلك لعمري قاصمة الظهر...

وهنا يتفق الغرب أجمع مع حكام المسلمين مع تجاوب الدعاة لهذا الإسلام المحلي الإقليمي.. فتضيع المبادئ وتتساقط القيم وتنحل عروة الإسلام الوثقى عروة العالمية.. وغاية تعبيد رب العالمين..!!!

وهكذا تتلاقى الإرادات وتتفق المساعي؛ لتثبيت صورة ذلك الإسلام الأمريكي القادم معلباً من أمريكا ومغلفاً من الدول الإسلامية ومسوقاً باسم الدعاة. . .

القيادات.. والدعاة... وخريف تساقط القيم:

إن ما يحدث الآن في عالمنا المعاصر يُعْتبر المحك الركيز في اختبار القيم لكل المسلمين فضلاً عن القيادات والدعاة. . . ولعل المقام يسعني أن أذكر بما كان من خريف في إبان حرب الخليج الأولى والثانية، ففي الحرب الأولى بين إيران والعراق عاشت القيادات الإسلامية في حالة ضياع، وتبع ذلك بعض القيادات الدعوية وتداخلت المفاهيم وتناقضت القيم. . . وباركت جموع من القيادات والدعاة فعل صدام في إبادته للأكراد بالأسلحة الكيماوية والجرثومية الممنوعة دولياً، وهذه أحداث (حلبجة) شاهدة على ذلك. . . فماذا كانت النتيجة؟

كانت من جنس العمل وعم الخطب واتقدت نيران الفتنة، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾[1].

فجاء الدور إلى أن أفزع صدام نفسه دول الخليج أجمع بغزوه وتخريبه للكويت المسالمة، وكذلك كان الجزاء، فالحذار الحذار من تأييد الطغاة بأي صورة وفي أي زمان وفي أي مكان دون إنكار ولو بالقلب.

وأنبه إخواني الدعاة على التكامل في الفهم والمراجعة لقيم الإسلام في كل خطب يحل والتمسك بهذه القيم؛ إذ إنها العصمة والنجاة قال تعالى ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2]. وعدم الالتزام بالقيم الإسلامية وتساقط بعضها يفضي إلى تساقط كلها وإلى تراجع دعوي وحركي. . . يفضي إلى توقف المسيرة وإلى حدوث صدع وتشققات في الجسد الدعوي الواحد. . .

---

(١) الأنفال: ٢٥ .

(٢) آل عمران: ١٠١ .



الفصل الرابع

مستقبل الإسلام بين السنن الإلهية والجهود البشرية

مدخـل

إن قضايانا في عـصرنا هذا تتحدى العقل،ومع ذلك يظهـر لها من الرجال من يتناولونها بفكر يذيب عـقدتها؛ لينتهي بها إلى حلول تـفض عنها مواضع الإشكال. والقائمون اليوم على المؤسسات الدعوية الإسلامية مؤهلون لأن يقوموا بهذا الواجب؛ ولذلك نراهم بين الحين والآخر يحاولون أن يركبوا بحر المشاكل والمعضلات؛ ليقوموا بحلها، وإن ابتلت ثيابهم وتعرضت أرواحهم للأخطار، و هكذا الكبار من الناس.

وهذه الكتابات هي محاولة في حل مشاكل هذه الأمة وإعادة دورها في الشهود الحضـاري؛ مصـداقا لقولـه تعالى: ﴿ **لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[1]. وذلك من خـلال عرض القـضايا التي تسـتدعي النظر والبحث للوصول للحل. وأنا هنا أعرف أن الأمر كبير يحتـاج إلى غيري من الكبار ولكنه جهد المقل، والمساهمة بشق كلمة لعلها تكون صادقة فينفع الله بها، وتكون لنا دافعا في ألا نضيع حقوق هذه الدعوة، وأن نعمل على معايشة زماننا في إطار أصالتنا وموازيننا.

(١) (البقرة:١٤٣) .

أولاً: قوانين النصر

أولاً: حتمية النصر

نصوص قرآنية وبيانات نبوية:

إن الانتصار لهذا الدين، والتمكين لأهله في الأرض مسألة حتمية نصية، وسنة كونية، سجلها كتاب الله:

١ ـ قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٢).

٣ ـ وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣).

٤ ـ وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(٤).

وهو وعد النبي ﷺ:

١ ـ أخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة**»(٥)، والأمة الإسلامية اليوم يبلغ عددها مليارا ونصف مليار من الأنفس موزعين على كل شبر في الأرض اليابسة، يركعون ويسجدون ويعبدون الله لا يشركون به شيئا.

٢ ـ أخرج الإمام أحمد بسند فيه ابن لهيعة: «**لا تجوع أمتي ولا تغلب**»(٦).

والتأكيد على نصر هذا الدين يمتد إلى درجة التفصيل والجزئيات بعد بيان الكليات.

---

(١) المجادلة: ٢١.
(٢) الصافات: ١٧٣.
(٣) النور: ٥٥.
(٤) غافر: ٥١.
(٥) أخرجه أبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥) وأحمد (١/ ٢٩٤)، قال الترمذي: «غريب»، وصححه الألباني.
(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣) عن حذيفة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٨، ٦٩): «رواه أحمد وإسناده حسن».

٣ ـ أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي قبـيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو ابن العاص وسـئل أي المدينتين تفـتح أولاً القسطنطينيـة أو رومية..؟ فـدعا عـبد الله بصندوق له حلق، فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً القـسطنطينية أو روميـة فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**»، يعني القسطنطينيـة[1]، ورومية والغرب ينتظرون منكم اليـوم مشـاعل الهـدي والنور. يا معـاشر الدعـاة والعلماء، وحـملة الرسالة تقدموا.

و الشك فيما ذكرنا أو في شيء منه يقف بنا على حافة الهاوية.

ثانياً: النصر من عند الله:

آية قرآنية، وحقيقة تاريخية، وبيانات مثبتة، تؤكد أن النصر من عند الله، ولكنه يتحقق من خلال سنن شرعية، وسنن كونية، وجهود بشرية.

١ ـ قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾[2].

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[3].

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[4].

٤ ـ وقال سـبحـانه في سورة آل عـمران: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[5]، وفي سورة الأنـفال: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[6].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/١٧٦) عن أبي قبيل عن عبد الله بن عـمرو، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢١٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة»، وصححه الألباني في الصحيحة (٤).

(٢) يوسف: ١١٠.

(٣) آل عمران: ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٥) آل عمران: ١٢٦.

(٦) الأنفال: ١٠.

نعم إنها كلمات الله التي لا مبدل لها، إنـها نور الله المبدد لظلمات الجاهلية ولو كره المجرمون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[١].

ثالثاً: طريق النصر:

إن هذه الحتمية ـ انتصار هذا الدين ـ لها طريق بينه سبحانه وتعالى نصاً، وبينته حوادث السيـرة مسلكا، والتاريخ البشـري شاهد على ذلك، والطريق إلى ذلك على سبيل المثال:

أ ـ اليقين بالقضاء والقدر واليوم الآخر:

إن اليقين بالوقـوف بين يدي الله يمنع الخوف، قـال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢].

ب ـ الموالاة لله ورسوله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣].

جـ ـ التوكل على الله سبحانه:

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

د ـ النصرة لدين الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٥].

هـ ـ أن النصر والهزيمة متداولة بين البشر:

قال تعالى: ﴿الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ

---

(١) الأنعام: ٣٤.
(٢) البقرة: ٢٤٩.
(٣) المائدة: ٥٦.
(٤) آل عمران: ١٦٠.
(٥) محمد: ٧.

سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١).

فنظام التدافع منصوص عليه بآية محكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾(٢).

ونظام المداولة هذا يختلف عندما يكون المنافس هو الإسلام، فهو مع الجهد البشري والأخذ بالأسباب ينتصر بسرعة، انظروا إلى هذا النص، قال العلاء بن الزبير الكلابي: يحدث عن أبيه أنه قال: «رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارساً، ثم رأيت غلبة المسلمين فارساً والروم كل ذلك في مدة خمس عشرة سنة»(٣). وقال رحمه الله: «مازال الإسلام في دهره في مد وجزر»(٤).

ثم بعد هذا الانتصار السريع هل كان الانتهاء سريعا؟ للإجابة عن هذا السؤال نستمع إلى سيد قطب، وهو يقول: «إنه ليس صحيحا أن هذا المنهج لم يعش طويلا كما قال بعضهم في خبث وكيد وبعضهم في حماسة وغيرة! فإن البناء الروحي والاجتماعي والسياسي، الذي قام على أساس هذا المنهج السامق الفريد، والذي لم يستغرق بناؤه سوى قرن واحد من الزمان، بل نصف قرن في الحقيقة قد ظل يقاوم جميع الآفات التي تسللت إليه، وجميع العداوات التي ساورته، وجميع الهجمات الوحشية التي شنت عليه أكثر من ألف عام.

وقد ظلت وسائل التشكيك في هذا الدين تساوره وتهاجمه وتتسلل إلى قواعده في إصرار.. ووراءها جميع قوى العالم الجاهلي.. فلا تبلغ أن تحطمه من أساسه. ولكنها مع تطاول الزمان، ومع التجمع والترصد، ومع الإصرار والاستمرار، ظلت تنقص منه شيئا فشيئا، وتنحرف به عن أصوله شيئا فشيئا، حتى أثخنته فعلا وهددته تهديدا خطيرا.. ومع هذا كله، فإنها لم تستطع حتى اللحظة الحاضرة ـ تشويه أصوله النظرية، فما تزال هذه الأصول قادرة على البعث الجديد، حين يعتنقها جيل جديد!» ا.هـ.

ولكي ندرك قيمة هذه الحقيقة التاريخية، ينبغي أن ننظر إلى بناء آخر، قام على منهج جاهلي ذلك هو بناء الدولة الرومانية.. لقد استغرق هذا البناء قرابة ألف عام.

---

(١) الروم: ١ـ ٤ .　　(٢) البقرة: ٢٥١ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر (٣/ ٦١) هذبه الشيخ عبد القادر بدران.

(٤) المرجع السابق (٣/ ٦٢).

ثم تحطم فيما لا يزيد على قرن واحد تحت ضربات الهون والقوط. . ولم يقم بعد ذلك أبدا. ولا بقيت في أصوله بقية ينهض عليها بعث جديد![1]. وهكذا هو نظام التدافع في الأرض.

و- أن هذا الدين قدره أن ينتصر بالجهد البشري :

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [2].

والملاحظ أن عدم الوضوح في هذه الحقيقة يوجد خللاً عند المسلمين، قال سيد قطب رحمه الله : إن البعض ينتظر من هذا الدين مادام منزلا من عند الله أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب. ودون أي اعتبار في طبيعة البشر، ولطاقاتهم الفطرية ولواقعهم المادي في مرحلة من مراحل نموهم، وفي أي بيئة من بيئاتهم[3].

ثم يقول مصححاً للمسار: إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية. يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقاتهم البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة[4].

وهذه الحقيقة ـ أنه ينتصر بالجهد البشري ـ ليس لأحد أن يعترض عليها؛ لأنه كما يقول سيد قطب رحمه الله : «ليس لأحد من خلق الله أن يسأله ـ سبحانه ـ لماذا شاء هذا كله على هذا النحو الذي أراده فكان. ليس لأحد من خلقه أن يسأله ـ سبحانه ـ مادام أن أحدا من خلقه ليس إلها، وليس لديه العلم ـ ولا إمكان العلم ـ بالنظام الكلي لهذا الكون، ومقتضيات هذا النظام في طبيعة كل كائن في هذا الوجود.

ولماذا ؟ ـ في هذا المقام ـ سؤال لا يسأله مؤمن جاد، ولا يسأله ملحد جاد. . المؤمن لا يسأله؛ لأنه أكثر أدبا مع الله ـ ويعرفه بذاته وصفاته وخصائصه ـ وأكثر معرفة بطبيعة إدراكه البشري وحدوده، وأنه لم يهيأ للعمل بهذا المجال. . والملحد الجاد لا يسأله؛ لأنه لا يعترف بالله ابتداء. فإن هو اعترف بألوهيته عرف معها أن هذا شأنه

---

(١) هذا الدين ص٣٦، ٣٧ بشيء من التصرف. (٢) محمد: ٤ .

(٣، ٤) هذا الدين ص٣ .

سبحـانه ومقتضى ألوهـيته، وأنه: ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[١]؛ لأنه وحده المهيمن العليم بما يفعل»[٢].

وهذا ـ أي: الاحتياج للجهد الذاتي البشـري ـ إن كان على مستوي الأمة، فهو على مستوي الأفراد كذلك. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٤]. وقال سبحانه: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[٥].

فيـلاحظ أن الجهد البشـري هذا مـحـكوم في إطار البشرية، فلا يكلف النفس البشرية جهـدا أشق من أن تطيقه أو تصبر طويلا عليه، إنه منهـج سامق فعلا ولكنه في الوقت ذاته منهج فطري[٦]. قال تعـالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[٧]، والقاعدة الفقهية «لا تكليف إلا بمقدور».

نعم يوم جاء الإسـلام أول مرة وقف في وجـهه «واقع» ضـخم. واقع الجزيرة العربية وواقع الكرة الأرضية! وقفت في وجـهه عـقائد وتصـورات، ووقفت في وجهه قيم وموازين، ووقفت في وجهه أنظمة وأوضـاع، ووقفت في وجهه مصالح وعصبيات.

كانت المسافة بين الإسلام ـ يوم جـاء ـ وبين واقع الناس في الجزيرة العربية وفي الكرة الأرضية، مسافة هائلة سحيقة. وكانت النقلة التي يريدهم عليها بعيدة بعيدة[٨].

ولكنه دين الله الذي تتحـقق فيه السنن الكونـية والشرعيـة في واقع البشرية بالجـهد البشري، وهنا قد يسأل سائل في غفلة: إن كان هذا الدين يحتاج إلى الجهد البشري كغيره من التغيرات التي تحدث في واقع الأمة، فلماذا نحن ملزمون به على وجه الخصوص؟ هذا مـا يجـيب علـيه سيـد قطـب فيـقول: نحـن ملـزمون بهـذا الدين لعدة أمور[٩] :

١ـ لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام ومقتضيات شهـادة أن لا إله إلا الله.

٢ـ أنه هو المنهج الوحـيد المبـرأ مـن نـتائج الهوى الإنساني والضعف الإنساني، والرغبة الإنسانية في النفع الذاتي للمشرع أو لأحد من أقربائه.

---

(١) الأنبياء: ٢٣.
(٢) هذا الدين.
(٣) العنكبوت: ٦٩ .
(٤) الرعد: ١٠ .
(٥) الشمس: ٧ـ١٠ .
(٦) هذا الدين.
(٧) البقرة: ٢٨٦ .
(٨) هذا الدين: ص٤٧ .
(٩) هذا الدين، ص١٥ـ٢٧ .

٣ـ أنه المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان، ويمنحه الحرية الحقيقية ويطلقه من العبودية، والتحرر من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس.

٤ـ لأنه وحده المنهج الذي يقيم نظام الحياة البشرية فيه على أساس من التفسير الشامل للوجود، ولمكان الإنسان من هذا الوجود، ولغاية الوجود الإنساني.

٥ـ لأنه وحده المنهج الذي يتناسق مع نظام الكون كله، فلا ينفرد الإنسان بمنهج لا يتناسق مع ذلك النظام.

٦ـ لأن هذا المنهج انتصر في وقت لم يجد إلا رصيد الفطرة يواجه به واقع البشرية، أما اليوم فهو يجد إلى جانب رصيد الفطرة المكنون، رصيد الموجة الأولى لهذا المنهج الإلهي في حياة البشرية جمعاء ـ من آمن بالإسلام، ومن دخل في حكم الإسلام، ومن تأثر على البعد بالمد الإسلامي، كما تجد رصيد التجارب البشرية المريرة، التي عانتها في التيه، حين بعدت عن الله، وعانت في ذلك التيه مرارة الحياة.

٧ـ لأن الاستمرارية أصل في هذه الأمة المحفوظة ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

وقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر في أحاديث كثيرة:

أ ـ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[٢].

ب ـ «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[٣].

جـ ـ «لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم خذلان من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[٤].

وأخيرا هذا الدين يحتاج إلى كل جهد، فالجميع يستطيع أن يقدم في طريق التمكين لهذا الدين، فليس هناك من هو أقل من أن يعطي ولا أكبر من أن يعطي،

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠) عن ثوبان.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية.

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦) عن قرة بن إياس، قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني.

فالضعيف والقوي وذو الروح والجماد. الجميع له مساهمة في صرح الأمة، قال ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[١] والذي يبذل الجهد لا يبخس حقه وإن كان كافرا، ميزان دقيق عند رب العالمين، قال عبد الله بن الحارث: سمعت العباس يقول: قلت: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم. وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح**»[٢].

أما مساهمة غير الإنسان ففي حديث أبي أمامة الباهلي الطويل الذي يتحدث فيه عن المسيح الدجال قال ﷺ: «**فيهزم فيه الله اليهود، فلا يبقي شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبدالله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله**»[٣] وحقيقة انتصار هذا الدين بينة، ويضادها أمر مهم وهو ترك الجهاد لله قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٤].

فالجهاد طريق الأمة لتحقيق السعادة للبشرية:

يَا سُعَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ مَهْلاً وَاصْطِبَارا ... إِنَّ للأَبْرَارِ مَهْمَا أَظلَمَ اللَّيْلُ انْتِصَارا[٥]

والأمة مقبلة إن شاء الله بعد اشتداد الأمر عليها، فما بعد العسر إلا اليسر، وها هو ذا الشاعر محمود مفلح يعبر عن ذلك بأشعاره فيقول:

فَكَمْ يَحُزُّ بِقَلْبِي أَنْ أَرَى أُمَماً ... طَارَتْ إلى الْمَجْدِ وَالْعُرْبَانُ قَدْ رَسَبُوا
وَنَحْنُ كُنَّا بهذا الْكَوْنِ أَلْوِيَّةً ... وَنَحْنُ كُنَّا لمجد الشَّمْسِ نَنْتَسِبُ
مَهْمَا دَجَا اللَّيْلُ فَالتَّارِيخُ أَنْبَأَنِي ... أَنَّ النَّهَارَ بِأَحْشَاءِ الدُّجَى يَثِبُ
مُسْتَمْسِكٌ بِكِتَابِ اللَّهِ مُعْتَصِمٌ ... وَالرِّيحُ حَوْلِي وَالأَوْثَانُ وَالنُّصُبُ[٦]

---

(١) أخرجه النسائي (٣١٧٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) عن العباس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني.
(٥) هدير الإيمان منذر الشعار (ص١٣).
(٦) إنها الصحوة: شعر محمود مفلح (ص٣٠).

وهذه الظلمات إنما يزيلها بعد الله وتوفيقه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إنهم أبناء الصحوة جاءوا يرتلون القرآن فرآهم ابن مفلح فقال:

إنْ تَكُنْ تَاهَت السَّفِينَةُ يَوْماً … فَلَقَدْ جَاءَهَا الْفَتَى الرُّبَان
مُسْلِمٌ صَاغَهُ الْوُجُودُ وُجُوداً … وَبعَيْنَيْه تُشْرِقُ الأَوْطَانُ
صَقَلَتْهُ الآيَاتُ حَتَّى تَرَاءَى … مِثْلَ سَيْفٍ يَزِينُه اللَّمَعَانُ!!
يَتَّقِي اللهَ فِي الرَّعِيَّة، يَخْشَى … مَوْقِفاً فِيهِ يُنْصَبُ الْمِيزَانُ
ظُلْمَةُ اللَّيْلِ لَنْ تَطُولَ عَلَيْنَا … وَلَدَيْنَا نِبْرَاسُنَا الْقُرآنُ
فِيهِ نَبْضُ الحَيَاة، فِيهِ الأَمَانِي … فِيهِ أَيَّامُنَا الْوضَاءُ الحِسَانُ[1]

فلابد من الصبر فهو الطريق إلى النصر:

فَكُلُّ الحادِثَاتِ وَإنْ تَنَاهَتْ … فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

فالصبر أمر العقلاء، قال أبو العتاهية:

اصْبِرْ لِكلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ … وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

رابعاً: أسباب عدم النصر:

الأسباب كثيرة ومذكورة في مكانها في كتب منتشرة بين المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة، ويعنينا منها في حديثنا هذا قضية بذل الجهد البشري لانتصار هذا الدين وتركيز العمل على إنجاح المشروع الإسلامي على وجه الأرض، وللأسف الشديد نرى بعض الدعاة أصابهم توزع في جهودهم.

فمنهم المشغول بهموم دعوته المحلية، ومنهم المنفذ غير المفكر ولا المخطط، ومنهم المستغرق في بعض القضايا التي حجبته عما سواها، ومنهم من يرى نفسه موثقاً بالأغلال لا يستطيع أن يعمل شيئاً بسبب العوائق النفسية التي تقعده عن أي عمل مثمر كبير، فهو يكتفي بالأعمال اليسيرة المضمونة القليلة ويوهم نفسه أنه بذلك قد أدى ما عليه.

نعم لقد تعلمت الجماعة المسلمة هذه الحقيقة «أهمية الجهد البشري» في غزوة

(١) إنها الصحوة: شعر محمود مفلح (ص٣٣، ٣٤).

أحد، لا بالكلام ولا بالعتاب: ولكن تعلمتها مع هذا بالدماء وبالآلام. ودفعت ثمنها غالياً :هزيمة بعد نصر. وخسارة بعد غنم. وجراحاً لم تكد تدع أحداً معافى. وشهداء كراماً فيهم سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وأغلى من ذلك كله وأشد وقعاً على الجماعة المسلمة كلها: جرح رسول الله ﷺ،وشج وجهه الكريم، وكسر رباعيته في فمه، ووقوعه لجنبه في الحفر التي حفرها أبو عمرو الفاسق حليف قريش، مكيدة للمسلمين، وجهد المشركين له ﷺوهم يطاردونه،وهو مفرد في نفر من أصحابه استشهدوا واحداً بعد واحد وهم يذودون عنه،ويتترس أحدهم ـ أبو دجانة بظهره عليه يقيه نبل المشركين، والنبل يقع في ظهره فلا يتحرك... حتى ثاب إليه المؤمنون من هزيمتهم وحيرتهم، وهم يتلقون هذا الدرس الشاق المرير(١).

قال تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(٢) . وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾(٣).

وبذل الجهد هذا يحتاج إلى قدرة على توظيف وإعمال واستثمار إمكانات وقدرات الأمة المسلمة.

وهكذا على مر التاريخ من أراد التمكين في الأرض لا بد له من بذل الجهد، فهذا ذو القرنين سار في الأرض،وكانت مساحة رحلته من مشرق الشمس إلى مغربها،وتعرف من خلال هذا السير على أسباب العجز الحضاري،والتحديات والمعاناة التي تواجه البشر، وأيقن بضرورة توفير الظروف والشروط التي تكسبهم المنعة، فكان أشبه بالمهندس الذي عرف أسباب التردي، ووسائل التمكين،في الأرض،ووضع الخطط، وأشرك الأيدي العاملة،واستحضر المواد المطلوبة لإتمام عملية الإنجاز وقد تكون العودة إلى النص القرآني والوقوف أمام هذا الأنموذج بدون حواجز، أدعى إلى التأمل المطلوب :

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي

---

(١) هذا الدين ص٩ .

(٢) آل عمران: ١٦٥ .

(٣) آل عمران: ١٥٢ .

الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ من كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا . قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا . كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا . ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (١) (٢) .

ومن الأخطاء في البناء الدعوي أن هناك ربطا لمستقبل الإسلام أو مستقبل الدعوة الإسلامية بما يؤول إليه أمر هذه الجماعة أو تلك، أو بمقدار ما يمنحه هذا الفرد أو ذاك، أو بسبب استمرارية نشاط نعتقد أنه إيجابي وبناء.

نعم، ثمة جهات كثيرة ذات تأثير واضح في دفع عجلة الدعوة، وثمة أحداث بارزة، وشخوص وأعمال. ولكن هذه كلها وسائل قد يقوم غيرها مقامها، وقد يموت شخص فتحيا أمة، أو يبدل الله الناس خيراً منه.

خامساً : حتمية يعرفها التاريخ:

التاريخ دليل على ما ذكرنا ولكننا قصرنا في تعلمه وضعفت هممنا في تدبره، فأصبح الكثير كما قال أبو شامة(٣) «إن الجاهل بعلم التاريخ راكب ظهر عمياء، خابط خبط عشواء(٤)، ينسب إلى من تقدم أخبار من تأخر، ويعكس ذلك ولا يتدبر، وإن رد عليه وهمه لا يتأثر، وإن ذكر فلجهله لا يتذكر، ولا يفرق بين صحابي وتابعي، وحنفي ومالكي وشافعي، ولا بين خليفة وأمير، وسلطان ووزير، ولا يعرف سيرة

---

(١) الكهف : ٨٣ ـ ٩٧.

(٢) مراجعات في الفكر والدعوة ـ للأستاذ عمر عبيد حسنة ـ ص١٦، ١٧ .

(٣) مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية للإمام أبي شامة. اختصار . محمد حسن بن عقيل موسى ص٢١ .

(٤) من أصل مثل يضرب للسادر الذي يركب رأسه ولا يهتم بعاقبة مكانته، كالناقة العشواء التي لا تبصر، فهي تخبط بيدها كل ما مرت به.

نبيه «أكثر من أنه نبي مرسل». ومن قرأ التاريخ عرف أمة الإسلام غالبة وأن القدس راجعة، فرجل الدعوة خرج للقدس طالبا، وبالعزم غالبا وللنصر مصاحبا، ولذيل العز ساحبا، والإسلام يخطب من القدس عروسا، ويبذل لها في المهر نفوسا، ويحمل إليها نعمي ليحمل عنها بؤسي، ويهدي بشري ليذهب عبوسا، ويسمع صرخة الصخرة المستعدية لأعدائها، وإجابة دعائها، وتلبية ندائها، وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، وإقصاء أعداء الدين أقصاهم الله ـ تعالى ـ بلعنته من الأقصى وإسكان الناقوس منه بنطاق الأذان، وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس، وأدناس أدنى الناس(١).

إن رجال الدعوة هم الذين يجددون للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية، والنازلات الخيرية(٢) والهجمات الخالدية فجزاهم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء، وشكر لهم ما يبذلونه من مهجهم ا.هـ.

فالتاريخ يعيد نفسه فصاحب ياسين رجل، وصاحب موسى رجل، والذين صدقوا مع النبي ﷺ في يوم حنين رجال، والإمام البنا ـ رحمه الله ـ جعل العدة في الدعوة رجال، فلنقرأ التاريخ ففيه بيان لما يصنعه الرجال، فالتاريخ كما قال ابن خلدون: فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا.

والتاريخ دليل على أن الأمم لها ما لعمر الإنسان من الضعف إلى القوة إلى الهرم والانتهاء، قال ابن خلدون: وإن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا. وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوة والنمو برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك؛ لأنه غاية لا مزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها. والحضارة (المدنية)، كما علمت، هي التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، كالصنائع المهيأة للمطابخ

---

(١) نفس المرجع السابق ص٢٤٣ .

(٢) خير الدين زنكى.

أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية، ولسائر أحوال المنزل وللتأنق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنق فيها. وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة، لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها : أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها، وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد، ويعجز الكسب عن الوفاء بها، وبيانه أن المصر في التفنن تعظم نفقات أهله، والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل. وقد كنا قدمنا أن المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته. ثم تزيدها المكوس غلاء؛ لأن كمال الحضارة إنما تكون عند نهاية الدولة في استفحالها، وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم. المكوس تعود على البياعات بالغلاء؛ لأن السوقة والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤونة أنفسهم، فيكون المكوس لذلك داخلا في قيم المبيعات وأثمانها. فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرج عن القصد إلى الإسراف. ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من أثر العوائد وطاعاتها، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات، ويتتابعون في الإملاق والخصاصة، ويغلب عليهم الفقر. ويقل المستامون للبضائع فتكسد الأسواق ويفسد حال المدينة. وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف. وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الأسواق والعمران.

وأما فساد أهلها في ذاتهم، واحدا واحدا على الخصوص، فمن الكد والتعب في حاجات العوائد، والتلون بألوان الشر في تحصيلها، وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها، بحصول لون آخر من ألوانها، فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحايل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه. وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له، فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الإيمان والربا في البياعات، ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف أبصر بطرق الفسق ومذاهبه، والمجاهرة به وبدواعيه، واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الأقارب وذوي الأرحام والمحارم، الذين تقضي البداوة الحياء منهم في الإقذاع بذلك، وتجدهم أيضا أبصر بالمكر والخديعة،

يدفعون بذلك ما عساه أن ينالهم من القهر، وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح، حتى يصير ذلك عادة وخلقا لأكثرهم، إلا من عصمه الله، ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة. ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم، ممن أهمل عن التأديب، وأهملته الدولة من عدادها، وغلب خلق الجواري، وإن كان أصحابه أهل أنساب وبيوتات. وذلك أن الناس بشر متماثلون، وإنما تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل[1].

(١) مقدمة ابن خلدون بتصرف ١٥٧ـ١٦٢ .

ثانيا: سنن الله في الأفراد والجماعات

من التتبع للقرآن الكريم وهو يحكي واقع الأمم، وكذلك من التتبع لما كتب في تاريخ الأمم والملوك، نلاحظ أن هناك سننا يخضع لها الكون ويسدد في إطارها من استخلفه الله في الأرض، ولبيان هذا الأمر نذكر هذه العناوين:

١. تعريف سنة الله [(١)]:

يدور معنى كلمة سنة على الطريقة المتبعة . . . وبهذا يكون المراد بسنة الله: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على تعاملهم مع الحياة.

وتنقسم سنة الله إلى وجهين:

الأول: المتعلق بسلوك البشر وأفعالهم في الدنيا، وما يترتب عليها من نتائج في الدنيا والآخرة.

الثاني: المتعلق بالأشياء والظواهر والأحداث المادية والذي يعنينا في مبحثنا هو الوجه الأول المتعلق بالبشر.

ونحن عندما نتحدث عن السنن والقوانين الإلهية في الكون والإنسان نذكر ضابطا في أن الواقع الإنساني، يختلف في طبيعته عن الواقع الكوني من حيث صرامة السنن والقوانين، التي تحكم سيرورته؛ ولذلك يمكن القول: بأن كشف القوانين والسنن، التي تحكم المادة الصماء والكون المادي، تثمر المعرفة اليقينية، وعلى ضوئها يتعامل الإنسان مع الكون في جهوده التي يبذلها في تسخيره لمصلحته، لكن الإنسان، والواقع الإنساني، ليس منضبطا كواقع المادة الحتمي، فالعنصر الروحي في تكوين الإنسان، والإرادة الحرة فيه تجعله هو أداة التحليل ومحله في وقت واحد، بينما في إطار المادة والكون، فالإنسان هو أداة التحليل، أما المحل فشيء آخر منفصل عنه من جانب آخر، فإن نفاذ السنن، والتحول الاجتماعي والإنساني الذي يخضع لها، يتم ببطء شديد، وعمر مديد، قد يستغرق حياة الإنسان؛ لذلك يكون من الصعوبة بمكان رصد مساراته، والتعرف على اتجاهاته بدقة في الواقع المشهود، والواقع المادي.

---

(١) كتاب السنن : للدكتور عبد الكريم زيدان.

ولتوضيح الفارق بين السنن في مجال المادة والكون، والسنن في مجالات الإنسان نقول :

إن السنن في مجال المادة والكون هي أشبه ما تكون بقضبان الحديد التي يسير عليها القطار، وتحكم وجهته بصرامة، حيث لا يستطيع أن يعدل عنها، أو يخرج عليها، فإذا حاد عنها تعرض للخطر، بينما السنن التي تحكم قضايا الإنسان هي أقرب لحركة السيارة التي تحدد الاتجاه والهدف، ويمتلك السائق معها حرية الحركة أكثر في الوصول إلى غايته.. وكل محكوم باتجاه، وإن اختلف طبيعة ومدى حركته(١).

وهنا يجب التفريق وعدم الخلط بين السنن الجارية التي تتطلب فعل مقدمات تحكمها نتائج، وبين السنن الخارقة التي لا تخضع للمقدمات والنتائج.

صور لهذه السنن المتعلقة بموضوعنا :

١ـ السنة الأولى: التدافع، من الدفع والإزالة بقوة، والمدافعة المزاحمة قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾ (٢). والتدافع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل يقتضي تنحية أحدهما للآخر وإزالته ومحوه بالقوة عند الاقتضاء، وهذا التدافع حتمي؛ لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان، وقد اقتضت سنة الله في التدافع أن الغلبة للحق وأهله ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾(٣). ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾(٤). ﴿**وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ (٥). وهناك أمور نلاحظها في سنة التدافع وانتصار الحق، و هذه قد تختلف في صورها من زمن لآخر ومن هذه الأمور :

أ ـ قد يتأخر النصر عن المؤمنين لنصر أكبر كما في دعوة النبي ﷺ.

ب ـ قد يسبق نصر المؤمنين أذى من العدو والغلبة له ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (٦).

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة : لعمر عبيد بتصرف.
(٢) البقرة: ٢٥١ . (٣) الشورى: ٢٤ .
(٤) الأنبياء: ١٨ . (٥) الفتح: ٢٢، ٢٣ .
(٦) آل عمران: ١٤٠، ١٤١ .

جـ ـ قد يخلّ المؤمنون بالمقدمات ـ من الإيمان والتقوى ـ والإعداد المادي والصبر والمصابرة، وهنا يتأخر النصر مع بقاء السنة ثابتة عند تحقق المقدمات.

٢ ـ السنة الثانيـة : نتيجة الطغيان:

الطغيان هو تجـاوز الإنسان حده وقدره وهو ما حـده الله له من حدود لا يجوز أن يتجاوزها، وأسباب هذا الطغيان في الأغلب الأعم المال أو السلطان.

٣ـ السنة الثالثة : في المكر والماكـرين:

المكر: هو التدبير الخفي لإيقاع ما يريده الماكر بالممكور به من حيث لايحتسب، والسنة في الماكرين بالدعـاة والمصلحين، وإن تأخرت هو ما أخـبر الله به ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾[١].

٤ـ غُلب المسلمون وهم من بعد غَلَبِهم سيغلبون :

لقد وقع على الأمة الإسلاميـة سيف العدل الكوني بما كسبت أيديهم ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٢]. نعم إنها سنة الله في الأمم ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾[٣]. وأمة الإسلام قَدَرُها أن لا تؤتي إلا من عند نفسها وفي داخل بنيانها نعم كما قال أبو شامة[٤].

«إنما أوتينا من قِبَل أنفسنا، ولو صدقنا الله لعجل لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا، ولـو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لـنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يستخصم أحد إلا عمله، ولا يلم إلا نفسه، ولا يَرْجُ إلا ربه، ولا تنتظر العساكر أن تكثر، ولا الأموال أن تحضر، ولا فلانا الذي يعتقد عليه أن يقاتل، ولا فلانا الذي ينتظر أنه يسـير، فكل هذه مشـاغل عن الله ليس النصر بهـا، ولا نأمن أن يكلنا الله إليهـا، والنصر به، واللطف منه، والعادة الجـميلة له، ونستـغفر الله سبـحانه ـ من ذنوبنا فلولا أنهـا تسـد طريق دعـائنا لكان جـواب دعـائنا قد نزل، وفـيض دمـوع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق».

وهذا الذي ذكـره مستـقى من الكتـاب والسـنة وهو كثـير نذكـر منه على سبيل

---

(١) فاطر: ٤٣ .

(٢) العنكبوت: ٤٠ .

(٣) الإسراء: ١٦ .

(٤) كتاب الروضتين (ص٣١٧).

التدليل ما أخرجه مسلم: «**وسألت ربي ثلاثا فأعطاني اثـنتين ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمـتي بالسنة فـأعطانيهـا، وسألتـه ألا يهلك أمـتي بالغرق فـأعطانيهـا، وسألت ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»[١].

أما الآن وقد بدأت الصـحوة الإسلامية تنتشـر في كل قطر ومصر، بل في كل زاوية وركُن، وتحقق ما أخبر عنه ﷺ بقوله: «**إن الله زوى ـ أي: جمع وضم ـ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**»[٢].

وبقوله ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمـر ما بلغ الليل والنهار، ولا يتـرك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عـزا يُعِزُّ الله به الإسلام وذُلا يذل به الكفر**»[٣].

نعم لقد افتضـحت الجاهلية، وبدت سوأتها للناس، واشتـد تذمر الناس منها، فـهذا طور انـتقـال العـالم من قـيادة الجـاهليـة إلى قـيادة الإسـلام[٤]، لننظر إلى الإحصاءات التي تعكس فـقط ما تم في سنة ١٩٨٦م كمؤشر للضـياع الغربي، في هذا العام أنفق سبـعمائة بليون دولار على الأسلحة في الغـرب، ويعد كل واحد من خمسة أفراد يعـملون لصالح الحرب على نحو مباشر أو غير مـباشر، بدءاً بالباحثين العلماء وانتهاء بصغار العـمال. فنجم عن ذلك أن ما يسمى بالدول المتطورة قد قامت ـ حتى الآن ـ بتكديس قنابل يعادل تدميرها مليون مرة ما فعلته قنبلة «هيروشيما». وإذا علمنا أن قنبلة هيـروشيما قـتلت سبعين ألف نسـمة خلال لحظات، فإنه يتـبادر إلى الذهن أن لديهم اليوم وسائل تقنية بإمكانها محو سبعين بليون مخلوق أي: ما يعادل خمس عشرة مرة عدد سكان العالم اليوم. وفي العام نفسه مات جوعاً أو بسبب سوء التغذية ثمانون مليون نسمة في مـختلف أنحاء العالم. ولا يمكن تصور إدارة لكوكبنا هذا أكثر شؤماً من هذه الإدارة (التي تهيمن عليه).

والسبب الأساسي لهذا التخاذل الانتحاري أنه خلال القرون الخمسة المنصرمة لم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحـمد (٤/ ١٠٣) عن تميم الداريرضي الله عنه.، وقال الهيثـمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة (٣).

(٤) مقدمة سيد قطب لكتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للعلامة أبي الحسن الندوي.

تعد الحضارة الغربية إلحادية وحسب، بل أصبحت تتصف بالشرك، فالجنس، والعنف، والمال، والقومية، غدت غايات بذاتها، وبتعبير آخر أصبحت آلهة مزيفة لها[١].

وزيادة على ما ذكرنا نذكر هذه الإحصائيات:

١ـ أجريت في جامعة لوس أنجلوس/كليفورنيا، إحصائية للشاذين جنسياً من الجنسين، فكانت النسبة (٨٤٪).

٢ـ إن عدد المستشفيات للأمراض الجنسية في الولايات المتحدة (٦٥٢) وهذا يفوق جميع المستشفيات لجميع الأمراض عدا السل.

٣ـ ما نقله المودودي رحمه الله عن دائرة المعارف البريطانية أنه في الأربعينيات كان ٩٠٪ من الشباب الأمريكي مصاباً بالزهري، و٦٠٪ من الشباب الأمريكي مصابا بالسيلان، و٤٠ ٪ من الشباب الأمريكي مصابا بالبرود الجنسي، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصورة لأحد الشباب الأمريكي عمره في الحادية والعشرين تزوج جدته!! وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلوس!![٢].

لقد بدأت الحضارة الغربية بالانهيار؛ لأنها أرادت أن تطير بجناح واحد «الجناح المادي» أرادت أن تتعامى عن طبيعة الإنسان، فما استطاعت أن تقوم على رجل واحدة[٣].

هذا الانحدار أهل الحضارة الإسلامية لدورها المطلوب، والمنشود من قبل البشرية، يقول شبنجلر[٤]: «إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا، لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية».

ونصوص الكتاب والسنة تؤيد هذه النتيجة وتثبت هذه الحقيقة.

---

(١) الإسلام والمستقبل: من بحوث مؤتمر القمة الإسلامية الخاص بحث «الفكر الإسلامي وآفاقه الجديدة»: للدكتور زكي نجيب محمود ص٣٦.

(٢) الإسلام ومستقبل البشرية: د. عبد الله عزام ـ رحمه الله (ص٣٣).

(٣) نفس المرجع (ص١٣).

(٤) انظر: عقيدة الإسلام أيدلوجية المستقبل: د. مهدي عبود (ص٢٨) عن نفس المرجع (ص٤٠) وهو من كتاب شبنجلر «سقوط الحضارة».

نعم المستقبل للمشروع الإسلامي رغم حال المسلمين المتأزم، التي لن تعوق المسلمين عن إمكانية الوصول إلى العالم الغربي والشرقي، بل إن الناس في الغرب والشرق سوف يتجهون إلى الإسلام، يرونه سفينة نجاة لا منقذ سواها. وسيقلب الإنسان الغربي حتماً (كإنسان) أوراقه بحثاً عن مخرج من أزماته المستحكمة كإنسان، لكن هذه الأوراق لن توصله إلى نتيجة.

وأخيراً سيقول: لماذا لا نتصفح أوراق هذا الدين، الذي هو الإسلام؟

إن رواد الفكر وعمداء الفلسفة في القرن العشرين يُجمعون على بروز مأزق حضاري، جاء نتيجةً؛ لأن إنسان هذا العصر إنسان الحيرة، إنسان القلق، إنسان الاكتئاب، لا يشبع في استهلاكه، ويبحث عن الرفاهية، وعن الرخاء بأمور يفتعلها ويصطنعها! إنه إنسان الحيرة! وقد أجاد «يدكر» عميد فلاسفة القرن العشرين في وصف إنسان هذا العصر حينما قال: «إنه إنسان يبدو كقصر شامخ في منظر كئيب، يُعاني سادته من الأرق والقلق، ويقاسي خدامه من المرض والجهل والجوع»[1].

(١) الفكر الإسلامي وآفاقه الجديدة: للدكتور زكي نجيب محمود من بحوث مؤتمر القمة (ص٢٧٥).

ثالثًا: المشكلــة والحل

مشكلتنا ـ نحن المسلمين ـ أن هزيمتنا ليست عسكرية، حـيث يمكننا أن نستبدلها في معركة ثانية، بل هي الهزيمة الداخلية، حيث أصبحت مجتمعاتنا وبيوتنا ومدارسنا وأسواقنا ميداناً للمنافسة والسباق علـى بضاعة الغرب الكاسدة، ومع ضخامة المشكلة فنحن نملك الحل حيث تمتاز الأمة بمزايا منها :

أولاً: الحق الملائم للفطرة، القريب للعـقل الذي إن صدق المسلم في تمسكه به، تحرك به منذراً ومجـاهداً، وخير مثـال على ذلك قصة استمـاع الجن للقرآن الكريم، قال الله تعالى : **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**(١) .

ثانياً: ثقة المسلمين بدينهم وإيمانهم الراسخ بأنه الحق من ربهم فـهو يقين لا يقبل الشك والمراجعة ثم صبر على مقتضيات هذا الدين وهنا تتحقق الآية القرآنية **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** (٢) .

وبالحق والثقة بديننا والصـبر عليه سيكون لنا سلوكنا ومنهج حيـاتنا صرخة في محيط الغرب ندعوهم للتأمل والمراجعة لما عندهم من ضياع**!!**

نعم إن مشكلتنا ليـست في الإسلام كدين، بل في المسلمين، فديننـا له ما يميزه ويجعله المنقذ للبـشرية من الضياع، فهو عالمي في كل شـيء،وهذا هو الذي سيحقق للإنسانية الكرامة والعزة والرحمة والمودة والوفرة والأمن والإيثار والعدل،ويجعل هذا كله من مظاهر الإنسانيـة الحقة، فهـو مجتمع العـدل والأخوة، والدعوة الإسـلامية كذلك، هو مـوجه إلى الإنســان في كل مكان. والتاريخ يبين أن هذه الأمـور ليست أفلاطونية، بل واقعية أثبتها التاريخ.

فالحضارة الإسلامية هي التي أفرزت دولاً عظمـى سادت البشرية أكثر من تسعة قرون أي: أكثر من ثلاثة أضعاف كل عمر الرأســمالية، ويثبت واقعنا اليوم في حركة

---

(١) الأحقاف: ٢٩ـ٣١ .
(٢) السجدة: ٢٤ .

الانهيار السوفياتي، والصعود الياباني أو الألماني السريع أن باب الصعود مفتوح للأمم التي تملك مقومات القيادة.

وهذه العالمية كما أنها ليست خيالا أو حلماً هي كذلك طرف واقعي عبر فهم واستيعاب المعادلات الإقليمية والدولية، واستخدام هذه المعادلات بواقعية، وهذا التعامل مع الواقع لا يمس الهدف، بل يمس الوسائل المستخدمة وإستراتيجية المراحل.

هذا هو الرصيد الفخم الذي يمتلكه المسلمون تقابله عقلية الغاب التي تهيمن على العالم وتقوم على فلسفة القوة ومنطق السيطرة والاستغلال، كما أن هناك الإعلام الموجه لمسخ الحضارة الإسلامية، وصناعة مجتمعات علمانية لا أخلاقية، فعلى سبيل المثال هناك خمس وسائل إعلام، تسيطر علي وسائل الإعلام العالمية وهي التايم وارنز (WARNER TIME) في أميركا وبيرتلزمان في ألمانيا، ومؤسسة روبرت ميردوك في أوستراليا وأشت اس. أي (A.HACHATTE-S) في فرنسا وكابيتول سيتيز ـ أ ـ ب ـ س (CITIE CAPITOL ABC) في أميركا. وتؤدي هذه السيطرة إلى تهميش الحضارات الأخري خاصة وأن العالم الإسلامي يعتمد على وسائل الإعلام الغربية. مثلاً ستون في المائة من البرامج المعروضة في التلفاز مصدرها الغرب، وفي عام ١٩٨٤ استوردت مصر حوالي ٧٥ بالمائة من الأفلام المعروضة من الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا، والجزائر استوردت عام ١٩٨٥ ـ ٥٢ بالمائة من الأفلام المعروضة من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا(١).

هذا الإعلام المؤثر دفع بعض الاستراتيجيين الغربيين مثل ـ لتوال، وتايلز ـ ليقول بحتمية الصراع مع الشرق الإسلامي، فهم يرون أن العلاقات المستقبلية بين العالم الإسلامي والغربي ستتركز حول الصراع. ويري لتوال: أن العالم الإسلامي منطقة متطرفة وعسكرية، يمكن لها أن تغزو جيرانها. ما البديل عن الصراع بين الاتحاد السوفياتي والعالم الغربي، فهو صراع بين العالم الغربي (بما فيه روسيا التي تحيط بها دول إسلامية) وبين العالم.

ويري «تايلر» أن المستقبل سيحمل هجرة ضخمة إلى الغرب وأيدلوجيات معادية للعرب على أسس إسلامية(٢).

---

(١) الأصولية الإسلامية والنظام العالمي : للدكتور أحمد الموصلي (ص٢٤).

(٢) نفس المرجع : (ص١٦، ١٧).

وأخيـراً نقول: إنه نتـيجة لوسـائل الإعلام المسلطة عـلى العالم،والموجـهة من الإستراتيجيين الذين ذكرنـاهم أصـبـحت هنـاك مجـموعة من الأوهـام تحـيط بالرجل الغـربي، وكذلك المسـلم الذي تشرب الإعـلام الغـربي، ومن هذه الأوهام خطورة تطبيق الشريعة على حرية الإنسان،وحقوقه، وخطورة الصحوة الإسلامية وأنها البوابة للتطرف.. إلى غيـر ذلك من السموم التي تبث لـزرع الشك في قلوب الناس حول نجاح المشروع الإسلامي في العالم.

رابعاً: وقفة مع المتخوفين من المشروع الإسلامي

إن الناظر اليوم في واقع الصراع بين الغرب والشرق الإسلامي، يرى أن هناك أسبابا مُصطنعة، تدفع بهذا الصراع من أجل عدم رجوع الغرب الضائع إلى الفطرة والاستقرار اللذين يبحث عنهما، ولعل من الأمور المتداولة عند مؤججي الصراع :

١ـ إحياء الصراع والنزاع السابق بين عالم الغرب المسيحي، والعالم الإسلامي الذي له عمر أكثر من ألف سنة.

٢ـ انتهاء الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، وسقوط الأول مع بداية التسعينيات مما أدى إلى إحياء النزاع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي.

٣ـ تطبيق الشريعة الإسلامية الذي يؤدي عندهم إلى إهدار حقوق الإنسان، وهدم التعايش العالمي والسلام.

هذه القضايا والإشكالات هي بعض ما يُثار، ولعلنا نذكر هنا بعض الردود العامة حول هذه الزوبعة المثارة من خلال النقاط الآتية :

١ـ ليست هناك علاقة ضرورية أو تاريخية بين السياسة الإرهابية والهويّات الإسلامية.

٢ـ وجود خطأ في اعتماد العدو الضروري للغرب من المجتمع الإسلامي.

٣ـ إن مشكلة ما يسمي بالدين والسياسة ليست خاصة بالبلدان الإسلامية ـ ففي الهند عبأت الحركة الهندوسية الملايين، وكذلك في الولايات المتحدة لعبت الأصولية المسيحية دوراً مهماً في السياسة[1].

٤ـ شعار تطبيق الشريعة: إن المدقق يرى مدى الظلم الذي وقع على هذا الشعار، فالطاعنون يُمثلونه عصا قسرية على المجتمع، تدفعه لأن يولي وجهه إلى الوراء بدلاً من التقدم إلى الإمام، هذا من جهة الأعداء، وكذلك هناك ظلم واقع من أهل الشريعة عندما يُعلقون المثالية على صياغة القوانين الإسلامية، ويعتقدونها

(١) الإسلام وخرافة المواجهة : فريد هالبداي : ترجمة محمد مستجير.

هي العصا السحرية التي ستملأ الأرض بالبركة، وتشفي المجتمع من أمراضه وتخلص ديار الإسلام من كل الشرور[١].

علماء الاجتماع وبناء الأمم وهدمها:

لعلماء الاجتماع أقوال متقاربة في حركة المجتمع وبناء الأمم وهدمها:

١ـ **يقول شبنجلر**: إن الحضارة تمر بنفس الأدوار التي يمر بها الكائن الإنساني من طفولة وشباب ورشد وشيخوخة..

٢ ـ **يقول أرنولد توينبي**: إن قيام الحضارات يتم من خلال التفاعل بين الخارجية الطبيعية والبشرية من جهة، والاستجابة الداخلية من الإنسان والمجتمع من جهة أخرى، فالأمر قائم على التحدي والاستجابة، وإن المجتمعات دائما تقودها الزمرة المختارة وأصحاب الرأي في الأمة، والاستجابة هي الإبداع والابتكار في الأفكار والمناهج ووسائل المعيشة والترفيه، وعند «توينبي» أنه عندما تصل عملية ما إلى ذروة الإنتاج والاختراع تتوقف القرائح، وتنصرف الصفوة المبدعة إلى الانشغالات، وتبدأ الحضارة في التدهور، وكذلك استمرار التحدي الذي يؤدي إلى ضعف الحضارة وتدهورها، وبداية السقوط بتحول القيادة أو الأقلية المبدعة إلى أقلية مسيطرة مستبدة، فتتحرك الفتن، وتثور الانتقادات في الأكثرية، ويشتد التحدي الداخلي المنبعث من الأغلبية، وآخر مسببات التدهور للحضارة هو الانشقاق، مما يؤدي إلى تفشي الخلافات الداخلية. ويقرر «توينبي» أن سقوط الحضارة لا يأتي فجأة لكنه يأخذ فترة من الزمن قد تصل إلى قرن، كما في الحضارتين المصرية والصينية.

٣ـ ابن خلدون يرى أنه عندما تعظم نفقات أهل الحضارة تخرج عن القصد إلى الإسراف، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات، ثم يغلب عليهم الفقر، وتكسد الأسواق، ويفسد حال المدينة، ثم يقول: ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات، والاسترسال فيها؛ لكثرة الترف.

ويرى ابن خلدون أن الأمم والحضارات تمر بثلاث مراحل هي:

الأولى: تعيش فيها عيشة البدو في الصحراء، كالعرب والبربر، ولا تعرف قانونا، ولا يحكمها سوى حاجات وعادات.

---

(١) من أراد التفصيل لهذه الأوهام وبيانها والرد عليها يرجع إلى الإسلام والمستقبل: للدكتور محمد عمارة.

الثانية: تصل الأمة فيـها إلى تأسيس دولة، وفي هذه المرحلة تعـرف الأمة القوانين، وتسن لنفسها النظـم.

الثالثة: تنمو فيها الأمة أو الدولة إلى حـالة الحضر، ثم تنغمس في الترف والملاهي، حتى يدركها الاضمحلال.

ويهتم ابن خلدون بالأخلاق كضرورة لتماسك الملك واستمرار وجوده الحضاري.

أما عن سنن سقـوط الحضارات ودمار الدول، فيـرى ابن خلدون أن الظلم مؤذن بخراب العـمران، أما التـرف فهو مـفسدة للخلق، بما يحـصل للنفس من ألوان الشر، وبه تذهب خلال الخير التي كانت علامة ودليلا على الملك.

٤ ـ **مالك بن نبي**: يرى أن حركـة تطور الأمم والشعوب مرهونة بالتـغيرات النفسـية والاجتماعية، وأنه لقيام أيـة حضارة لابد أن يكون لها نظام تربوي وثقافي جماعي، يحسن استـخدام كل الطاقات البشرية المادية، وأن مـشكلة أية حضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية هي: الإنسان، والوقت، والتراب.

ولا يعني توافر هذه العناصر الثلاثة توافر الحضارة، بل لابد من وجود عامل يؤثر في مزجها معا وهو عامل العقيدة أو الفكرة الدينية التي رافقت قيام الحضارات عبر التاريخ.

ويرى مالك أن الـحضارة تمر بـثلاث مراحل هـي: مرحلة الروح أو نقطة البداية، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان في أحسن حالاته النفسـية، وتكون طاقاته الحيوية في أتم استعدادها وتنظيمها.

وفي المرحلة الثانية تبـدأ بعض المظاهر السلبية تطفو على سطح المجـتمع، وتبرز بعض النقائص والانحرافات العقدية، والعقد النفسية، والمظالم الاجتماعية.

والمرحلة الثالثة يقع فيها التـفكك النفسي وانطلاق الغرائز، وهي مرحلة السقوط والانهيار الحضـاري.

خامساً: البشرية تستغيث.. والإسلام يُلبي

١. ضياع:

وبعد هذا الذي ذكرنا نقول:

إن هذه البشرية تعاني من الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتهرب من واقعها النفسي بالأفيون والحشيش والمسكرات، وبالسرعة المجنونة، والمغامرات الحمقاء، و«بالتقاليع» السخيفة.. وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسرة، والفراغ الكثير.. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتضاعف كلها كلما تضاعف الرخاء المادي، والتيسيرات الحضارية[1].

هذا الضياع تحدث عنه سيد قطب رحمه الله سنة ١٩٦٠ م أما الأرقام اليوم فهي تتحدث عن مسألة أخطر بكثير تنذر بدمار أشد فتكاً من الحرب العالمية الثانية، فمنذ ذلك الوقت ازداد على سبيل المثال سكان الولايات المتحدة بنسبة ٤١٪ في حين ارتفعت جرائم العنف بنسبة ٥٦٪، وزادت مواليد الأمهات غير المتزوجات بنسبة ٤١٩٪، ومعدلات الطلاق بنسبة ٣٠٠٪ فأي تفسح أكبر من دلالات هذه الأرقام؟

وهذا الواقع يُصوره الشاعر محمود مفلح في قوله:

سَقَطَ الْغَرْبُ في الجَرِيمَةِ حَتَّى ... رَسَفَتْ في جَحِيمِهَا الأَبْدَانُ
فَالظَّلامُ الْكَثِيفُ جِنْسٌ وَخَمْرٌ ... وَالنَّهَارَاتُ كُلُّهَا غَثَيَانُ
وَنِسَاءٌ مَا مِثْلُهُنَّ رِجَالٌ ... وَرِجَالٌ مَا مِثْلُهُمْ نِسْوَانُ
وَاسْتَبَدَّتْ بِهِمْ صُنُوفُ المخَازِي ... فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ تَنْطِقِ الأَدْرَانُ
عَشَقُوا الْمُوبِقَاتِ عِشْقاً عَجِيباً ... فَهُمْ فِي مَجَالِهَا الْعُقْبَانُ
صُوَرٌ تَبْعَثُ الْغَثَاثَةَ فِي النَّفْسِ ... وَيَنْبُو عَنْ مِثْلِهَا الإِنْسَانُ
فَسَدَتْ فِيهِمُ الطِّبَاعُ فَهَذَا ... ثُعْلُبَانٌ وَهَذِهِ ثُعْبَانُ[2]

---

(١) هذا الدين: (ص٢٤).

(٢) إنها الصحوة: (ص٣٥).

وهذا الدمار الأخلاقـي لاعلاقة له بالتقدم الـعلمي الآلي «التكنولوجي»؛ ولهذا نرى أن مالك بن نبي يفرق بين تقدم الفن الآلي والتقدم الأخلاقي، ويعبر عنه بالفرق بين المدنية والحضارة.

٢. أمل وإشـــراقة:

وبعد هذا الاستعــراض للضــياع الغـــربي الأخـــلاقي الـذي يمثل كارثة لكوكب الأرض، تظهر الحقيقة التي تقول: إن الإسلام هو صاحب أكبر الأسهم في المستقبل، وأن المجتمع العربي والغربي بدأ يتجـه نحو تبني الفكر الإسلامي كأساس للمنطلقات الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية. .نعم إن الشـعوب في الأرض على وجه العموم والإسلامـية على وجـه الخصوص، تبـحث عن مشـروع حضاري جـديد، لا يمكن للإســلام إلا أن يكون قلبه،ولا يمكن للمـعطيات المادية والعـالمية إلا أن تكـون مادة اقتباس وتولـيف وهضم له، وهذا الأمر ليس بالبعيد ولكنه يحتـاج إلى زمن وصبر، فصناعة الأمم لا تعد بالأيام والشهور، بل كما قال الحطيئة:

عُدِّي السِّنِينَ لِغَيْبَتِي وتَصَــــبَّرِي وَدَعِي الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَــارُ

والأمة الإسلاميـة مع كثرة الفتن التي تعرضت لها، والنكبـات التي لحقت بها، والضربات الموجعات التي عـصفت بالحركة الإسلامية، لم تكن لتُـقعد الأمة، بل إن هذه التحديات والاستفزازات تعتبر منبهات حضارية، تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها، والقيام بالمراجعة الكاملة لمواريثها الفكرية ومواقـفها العملية، بجرأة وشجاعة، لامتحان القيم، والأفكار، والثقافات التي تحكم حياة الناس، وتنظم وتفرز سلوكهم، وتصنع اهتماماتهم، في محاولة لتحديد أسباب القصور، ومواطن التقصير.

فالتـحديات الكبرى، والأزمـات الكبرى، هي التي توقظ الشـعوب والأمم من سباتها، وتصنع الحضارة، وتشكل التحولات الكبرى في مسيرة الحياة، وتقضي على الصورة المشوهة، والعناصر الـشائخة، والكيانات الرخوة في حياة الشـعوب، وتحفز الأمة للإقلاع من جديد، ذلك أن إحباطات الماضي وخيباته، عند الأمم الحية، لا تقضي على إمكانات المستقبل،أو ما يمكن أن نسميه: «خميرة النهوض والإمكان الحضاري»، وإنما تؤكد عليها، وتشير إليها، وتثير فاعليتها.

والمستقرئ لتاريخ الأمة الإسلامية ونخص من ذلك تاريخ الفتن الداخلية، والنكبات الخارجية، ابتداءً من فتنة الردة، ودعوات النبوة الكاذبة التي استهدفت عقيدة الأمة وعالم أفكارها، ومروراً بالفتنة الكبري، وما خلفته من إصابة فكرية، أدت إلى الرفض والخروج الذي لا تزال بعض آثاره ممتدة حتى اليوم، ومن ثم الإعصار المغولي، والغزو الصليبي، والاستعمار الحديث، والحقبة اليهودية التي يقع العالم الإسلامي تحت وطأتها اليوم(١).

نعم بقدر ما تعرضت له الأمة على مدي هذا التاريخ للأمة من الإصابات الفكرية، والوهن الحضاري، وصور الغثاء الاجتماعي، بقدر ما تشكل عندها من التحديات والاستفزازات التي صححت المسار، وجددت العزيمة، وشحذت الفاعلية، وحرضت على استئناف الشهود الحضاري، ففتنة الردة، وادعاءات النبوة، كانت وراء تنبه الأمة لجمع القرآن ـ بعد أن استحر القتل بالقراء ـ وحماية حصن أفكارها، وقيمها . . . والفتنة الكبري . . . والإعصار المغولي الذي دمر أشياء الأمة، وحرق وأغرق سجلات أفكارها، تحول لنصرة الإسلام. . . لأن حضارة المغلوب كانت أقوى من سلاح الغالب، والغزوات الصليبية، وحدت الأمة، وأشعرتها بمخاطر الفرقة، وضرورة التحدي الثقافي، فكانت الدعوات إلى إحياء علوم الدين. . . وإسقاط الخلافة، والاستعمار الحديث، والهجمة اليهودية، أثمر ذلك كله الصحوة الإسلامية.

٣.الإسلام يفرض نفسه :

أثبت الواقع أن الإسلام اليوم هو محور البحث عند وجود أي مشكلة، سواء اقتنع الباحث أم لم يقتنع، فالواقع يلزمه بذلك، وعلى هذا فأية محاولة للحركة والنهوض والمواجهة والحوار، تتم في خارج الإطار الإسلامي هي ضرب في حديد بارد، ومن يستعرض واقعنا العربي والإسلامي بكل أبعاده ومشاكله، يجد أن المؤتمرات الإسلامية والفتاوى والكتابات، بل والظاهرات، لا تكون إلا من خلال الطرح الإسلامي، وهذا ليس بالجديد فالذي يتتبع ثورات التحرر من الاستعمار في العالم العربي يجد أن مادة الثورة وشعارها الإسلام، وأنه الشعلة التي حرقت العدو وأضاءت للمجاهدين طريقهم، بل الأمر أكثر من ذلك، فحتى أعداء الدين ومن عملوا

(١) مراجعات للأستاذ عبيد حسنة ، (ص٨٧، ٨٨).

على خنق الدين كـان خطابهم إسلامياً في أول أمرهم ـ فكمـال أتاتورك الذي مثل تجـربة العسكر الأولى لـلاستيلاء على السلطة في العالم الإسـلامي، بعـد إسقـاط الخلافة، والذي عُممت تجربته فيما بعد ـ تقريباً على العالم الإسلامي ـ قد نستغرب، أو لا نستغرب، أن يـلبس العمامة، ويحمل السبـحة، ويمسك القرآن، ويطوف على الجماهير، والجنود، يستـثير حماسهم، ويبعثهم لحربه مع اليـونان، ويعتبر أن انتصار اليونان على تركيا، هزيمة للإسلام، وإبطالاً للقرآن. . ثم كلنا يعرف النتائج التي صارت إليها الأمور.

أما «الوثيقة الستالينية» والتي هي البيـان الذي وجهه جوزيف ستالين، وفلاديمير لينين إلى مسلمي روسيا بعد أقل من شهرين من استيلائهم على السلطة سنة ١٩١٧م فكانت خطاباً للمسلمين باعتبار أن الثورة جاءت لنصرتهم وكان من الشعارات :

يا مـسلمي روسيـا. . يا مسلمي الشـرق، أيها الرفـاق. . أيها الإخـوة. . . يا مـسلمي روسيـا، ويا تتار الفـولجا والـقرم، ويا أيهـا القرغـيز، وسكان سـيبـريا، والتركستان. . يا سكان القوقاز الأبطال، وقبائل الشاشان، وسكان الجبال الأشداء. . أنتم يا من هُدمت مساجـدكم، وحطمت معابدكم، ومزق القياصـرة الطغاة قرآنكم، وحاربوا دينكم، وأبادوا ثقافتكم، وعادتكم، ولغاتكم.

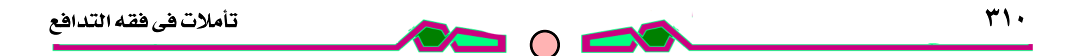
ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم، وحـريتكم في العبادة!! إننا هنا نعلن احـترامنا لدينكم، ومساجدكم وإن عادتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها. . ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات، ولكم كل حق في ذلك. . واعلموا أن جميع حقـوقكم الدينية والمدنيـة، مصونة بقـوة الثورة، ورجالـها، والعمـال، والفلاحين، والجنود، وممثليهم.

لهذا نطلب منكم تأييـد الثورة، ومساندتها؛ لأنهـا تقوم من أجلكم، ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية(١).

فالإسـلام والمسلمون هـم المرشحـون للـدور القـادم فـالأمة، المسلمـة تمتلك الوحي الصحيح بين الكتب السـماوية والعقيدة الواحدة التي وحـدت الأمة والحضارة

---

(١) نفس المرجع ، (ص٩١، ٩٢).



الواحدة، وتراثاً غنياً تعلمت منه حضارات الدنيا، ووطناً واسع الأرجاء، موصول الأقاليم والأقطار، وأرضاً فوقها وفي باطنها أوفر وأثمن ثمرات الدنيا.

فأمة الإسلام آمنة مرحومة وبذرة الخير فيها باقية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

(١) (النساء: ٨٣).

سادساً: إنهم متفقــون

صرخـة واحــدة يطلقهــا مـن لا يريدون للأرض أن تنعم بضيــاء الإسلام وتمرح بأنواره، إنها صرخــة الظلام « أوقفوا مد الإسلام، حــجموا أهله، قزموا مــشاريعهم وطموحاتهــم هذه صرخات نابعة للصــرخات السابقة؛ دمروا الإســلام أبيدوا أهله » وتاريخ السنوات الماضية شاهد على ذلك:

١ـ في مارس ١٩٨٥ قــام النميــري بعد مــحاولته لتطبــيق الشريعــة الإسلامــية بالاستجابة للضغوط الغربية التي يــرعبها نداء الإسلام ولو خرج من الحانات فانقلب على حلفائه في المشروع الإســلامي، فقبض على مائتين من قــادتهم، وأبعد رجالهم من المناصب. . . . كل ذلك رضــوخــا لشــروط الولايات المتــحــدة الأمــريكيــة التي اشترطت لتجديد المعونة الاقتصادية الأمريكية للسودان شروطا هي :

أولاً: عدم الاستمرارية في تطبيق الشريعة الإسلاميــة.

ثانياً: إقالة الناشطين الإسلاميين من مؤسسات الحكومية.

ثالثاً: وقف الاتصال مع ليبيــا.

رابعاً: تنفيذ الإصلاحات الاقتصادية التي يطالب بها صندوق النقد الدولي.

واستمرار الرصد للحركة الإسلامــية ظل يلاحق أبناء الصحوة الإسلامية في كل المجالات، ففي الجزائر عندما كان الإجماع الشعــبي متمسكا بقبول المشروع الإسلامي كبديل لإدارة الدولة تــدخلت الدول الكبري من خلال عملائهــا ورجال استخــباراتها لإحداث انقلاب عسكري علماني وحدث ذلك، ثم تم تحويل الجزائر إلى مسرح يمثل فيه المجرمون العملاء مسرحية تشويه الإســلام، أما أفغانستان فقد نجح فيها العاملون في تحجــيم المشروع الإسلامي بأســاليبهــم المتطورة المدروسة لتدمــير الإسلام فــتمت الاستفادة من داء الحضارات كما يقول مالك بن نبي «داء الأنا » فأخذ كل زعيم يعلن أنا أو الطوفان، وحدث الطوفان من خلال أصابع خــفية استفادت من تمزقنا الداخلي لتدمير بنائنا الخارجي، وأصبحت أفغانســتان على المسرح تعطي صورة وحشية لتقاتل الأشقاء من أجل الإسلام، هكذا تم تصوير المشهد للعالم الغربي والشرقي، وانطفأت

شمعة في صرح الدعوة، وفي البوسنة سلطوا على المشروع الإسلامي السلمي همج البشرية «الشـيوعيين الأرثوذكس» فوصلت بهم الهـمجية الحاقـدة إلى تنظيم رحلات لشذاذ البشر لاصطياد المسلمين بالقناصة من أعالى سـرايفو، وعندما لا تسعهم الحيلة الوحشية لتشويه الإسلام، ولا القرارات الدوليـة يلجئون إلى قضاء يعرفون منه الحكم مسبقا، وهذه لوحة المشروع الإسلامي يعرضها «نجم الدين أربكان» من الباقة السوداء والسيارة المرسـيدس «الشبح» ويتعامل مع المشروع العلمـاني التركي والدولي بحذر، ولكنه في النهاية يمثل صورة لإنجـاح المشروع الإسـلامي فيحول إلى القضـاء لتحجيم النجاحات الإسـلامية أو التأثيـر على سرعة نضجهـا، بل الأمر قد يأخذ بعـدا أكبر فمنطقـة الخليج أخذت دورا تاريخيا في الـدعوة وتمويلها والبدء بظهـور بصيص من الأمل لإشراقة جـديدة تنطلق من أرض النبوة، يحيطهـا تاريخ نبوي مجيـد، وتعززه ثروة عظيـمة أودعـها الله في أرضـه، فكان الغزو العـراقي للكويت الذي أدى دوره بصورة جـيدة في تحجـيم الصحوة الإسـلامية وإشـراقاتها، ثم جـاء مثلث الصيـغة التونسية الأمريكية الذي تولى كبـر الأمر، والذي جاء كنموذج لمحاربة الإسلام كدين بعد أن كان الذين سبـقوه في العالم العربي نموذجا لمحاربة الحركات الإسـلامية، جاء بالبدلة العـسكرية والعصـا الأمريكية الغـربية؛ ليطرح مشـروعا على الدول العـربية لمحاربة الدعوة الإسلامية والذي بناه على:

١ـ ضرورة هدم الهيكلة التنظيمية للعاملين في الحركة الإسلامية.

٢ ـ العمل على منع أي تعاون بين الحركات الإسلامية والقوى الوطنية الصادقة.

٣ ـ إفشـال أي محاولة لإيجـاد صيغـة تنسيق وترتيب بين الحـركات الإسلامـية بمختلف فصائلها.

هذه عجالة لبيان المكر العالمي لإجهاض أي محاولة لبناء الصرح الإسـلامي.

سابعاً : الدعوة الإسلامية ودورها المنشود

إن المكر الذي يُحاق بالأمــة من قبل أعدائها يســتدعي أن تكون هناك راية تُرفع من رجال يصدقون عهدهم مع الله، وقد تبرع نفر من الأمة لحمل راية الإسلام، فعملوا وجدوا واجتهدوا وبذلوا، وهم في كل أمرهم مأجورون ولإحدى المرتبتين نائلون «إذا اجتهد المسلم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجرٌ واحد» وخطابنا هنا محاولة لبيان ما نراه مساعدا للوصول للإحسان والاجتهاد الدعوي :

١ـ أن تنتقل الدعوة من مفهوم المشروع الإسلامي الحركي إلى المشروع الإسلامي العام وإشراك كل الطاقات والإمكـانات الموجودة في الساحة الإسلامية لخـدمة تحقيق هذا الدين في أرض الواقع، فإن من الظلم أن تبـدأ الحركة المعادية للإســلام بالتعامل معه كدين لمليــار ونصف ونحن لا زلنا نتعامل معه كمجامــيع تنظيمية، الكل يود أن ينجح ويخرج النصر من عباءته !! فالمتأمل لألفــاظ اليوم يجد أن الصحوة الإسلامية أصبحت اليوم أمة وليست حركة.

٢ ـ أن تكون أدبيات التربيــة لأبناء الدعوة الإسلامية قائمــة على روح تفاؤلية، ترى نصب عــينيــهــا رايات لا إله إلا الله خـفــاقــة على أرض الإســلام على وجــه الخصوص وعلى العالم على وجه العــموم، فالشاب الذي نريد أن يكون أداة في بناء الدولة، وعضوا عاملا في المجتمع الإسلامي في العالم لابد أن يسمع نداءات الحركة التفاؤلية التي كان النبي ﷺ يحبهـا «كان يعجبه أن يــسمع يا نجيح»[1] وأهديت له شاة فقــال: «من يحلبها؟» فقام رجل فــقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك**»، فقال: صخر، فقال له ﷺ: «**اجلس**» فقام آخر فقال ﷺ: «**ما اسمك؟**» قال: يعيش. قال ﷺ: «**احلبهـا يا يعيش**»[2] حتى بيــان البلاء يكون بروح تفاؤليــة كما عــرضه ﷺ عندما اشتــدت الشكوى من المسلمين في مكة فقال ﷺ: «**والله ليتــمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسيــر الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخـشي إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون**»[3] وعندما استقرت هذه الحقيــقة التفاؤلية في نفس السائل بين ﷺ

(١) أخرجه الترمذى (١٦١٦) عن أنس بن مالك # ، قال الترمذى : « حسن غريب صحيح » .
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٣) عن يحيى بن سعيد مرسلاً.
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٤٣) عن خباب #.

حقيقة البلاء الذي يقع على أهل الدعوة، ونحن اليوم في العصر الحديث الذي نعوّل فيه على موقف إسلامي عام ومستقبل حضاري يقوم على لا إله إلا الله، لسنا ملزمين أن نضع أمام شباب الدعوة صورة رجل سقط من حبل المشنقة، صحيح أن البلاء من طبيعة الصراع في كل صور التدافع البشري، ولكن ليس بالضرورة أن يأخذ البلاء صورة واحدة متكررة في كل جيل وزمان ومرحلة،فلا شك أن البلاء في وقت الاستضعاف الذي وقع على الصحابة في مكة يختلف عن البلاء الذي وقع في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك هو مغاير للفتنة التي وقعت في زمن عثمان. . . وهكذا. . . فنحن وإن وقع علينا البلاء فهو ليس بالأصل بل هو عارض، فالحقيقة في هذا الدين أنه في النهاية ينتصر، وانتصار الدين كان اليقين الذي ينطلق منه سيد البشر، ففي اللحظة التي كان فيها ﷺ يتعرض فيها لأشد صور المطاردة بين الحق والباطل، ولم يكن بين سراقة والنبي ﷺ إلا مسافة سماع الصوت يقول ﷺ بثقة: «**يا سراقة ارجع وخذل عنا ولك سوار كسرى**»[1] وتمر الأيام القليلة ليتسلم سراقة ما وعد به ﷺ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣ ـ أن يحمل الدعاة هم الأمة، فعند انشغال رجل الدعوة بالأمة يكون قد بدأ رحلة الكبار التي تبدأ من عيش الداعية للآخرين وإن كان الأمر متعبا، فمن عاش لغيره عاش متعبا ولكنه عاش كبيرا ومات كبيرا، فبداية الهم تعني الانطلاقة، يتحدث الأستاذ عباس السيسي عن حوار تم بينه وبين الإمام البنا فيقول: رآني الإمام البنا مهموما فقال: أراك مهموما اليوم، فقلت «عباس»: كيف لا أكون مهموما وقد سقطت اليوم «ألبانيا» بأيدي الشيوعيين، فقال الإمام البنا رحمه الله: أَوَهَمَّكَ هذا؟ فقال الأستاذ عباس : نعم. فقال الإمام البنا: لقد بدأت الطريق إذا!! نعم إن الرجال الكبار هم الذين يغيرون واقع الجاهلية بفضل الله وكرمه، وإلا فكما قال المتنبي :

إِنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

الذي يمتلئ قلبه بهموم الأمة لا يعرف خوفا ولا خورا، يسمع محمد إقبال يجلجل في أذنه :

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤١)، من رواية الحسن مرسلاً.

لَـمْ نَخْـشَ طَـاغُوتاً يُحَارِبُنَا وَلَـوْ نَصَـبَ الـمَنَايَا حَـوْلَـنَا أَسْوَارَا
نَدْعُـو جِهَـاراً لاَ إِلهَ سِـوَى الَّذِي صَـنَعَ الْوُجُـودَ وَقَـدَّرَ الأَقْدَارَا
وَرُؤُوسُـنَا يَـارَبِّ فَـوْقَ أَكُـفِّنَـا نَـرْجُو ثَـوَابَكَ مَغْـنَماً وَجِوَارَا

والكبار هم الذين يختـارون لأنفسهم المكان العالى حتى في طريقـة موتهم قال عنترة العبسي :

وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلاً تَعْلُو بِهِ أَوْ مُتْ كَرِيماً تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
مَوْتُ الفَتَى في عزه خير لـه مِنْ أَنْ يَعِيش أسير طرف أكحـل

ولذلك هم في نماء دائما وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غـربت شمسـه نقص فيـه أجلي ولم يزد فيـه عملي لله» فهم عـلى أهبة الاستعداد دائما أينما تكون هيعة لبوا النداء في صفاء ووضوح وجد وإخلاص كما قيل :

لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

فكل حدث يحصل للكبار يصبرون عليه ينالون الأجر والفرج كما قيل:

فَكُلُّ الـحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَـتْ فَمَوْصُـولٌ بِهَا فَرَجٌ قَـرِيبُ

٤ ـ إيجاد لحمة قوية بين العاملين للإسـلام بعضهم مع بعض على وجه الخصوص والمسلمين عامة على وجه العموم، فـالأمة لا تزلزل إلا من داخلها، فنحن أمة قدرنا ألا نؤتى إلا من داخلنا، وهنا تأتي أهمية الحصن الداخلي كـما قيل : كيف أحترس من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي؟ ومـجيء الإيذاء من أبناء جلدتنا الطيبين فيه عناء وثقل على النفس، كما قال طرفة بن العبد :

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الـمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الـحُسَامِ الـمُهَنَّدِ

٥ ـ مراجعات قيادية :

أ ـ مراجـعة طريقة تـعامل الحركـة مع الخصوم والمتـخوفين من حكم الشـريعة الإسلامية وإحلال النظام الإسلامي كبـديل للأنظمة البشرية المهترئة،لقد أثبت الواقع أن استـمرار لعبة الـقط والفأر بين الأنظمة الحـاكمة والحركـة الإسلاميـة العاملة في

الساحة، هذه الاستمرارية فيها دمار للأرض وخيراتها وللبشر وإمكاناتهم، فالأمر يحتاج إلى دراسة من الطرفين فقد أثبت الواقع أن سياسة الاحتواء من الأنظمة للحركات الإسلامية، والحوار من أعلى والضرب بيد من حديد لم تحقق نتيجة مع الجماعات الإسلامية فهل يمكن أن :

١ـ تتخلى الدولة عن وظيفة الوصي على المجتمع، وتترك للشعوب القرار الأنسب والأصلح لها.

٢ ـ يتنازل الطرفان ـ الحكومة والحركة ـ عن فكرة نفي الآخر والإيمان بفكرة التعايش وفق نظام العدل والحرية وإعطاء الحقوق.

ثامناً: القرن القادم بين الخوف والأمل

التطلع نحو المستقبل، والمحاولة المستمرة لاستشراف معالمه، والوقوف على خطوطه العريضة، دأب الإنسان من قديم، وقد كان تطلعه في الماضي دافعا ذاتيا محضا، يحاول به أن يزداد مما يحب، وأن يتجنب ما يكره، وما تزال هذه الرغبة دافعة له لتمحيص النظر في الرؤية المستقبلية، من خلال ما وضعته بين يديه النظم الحديثة في مجال الآلات والاتصالات ووسائل الرصد والكشف، أو من خلال المؤسسات القائمة على تحليل المعلومات، ووضع الخطط الخمسية والعشرية لبناء العمران المنشود، والمحافظة عليه بحيث يكون في الحسبان تحديد أماكن القوة والضعف بين الدول، ورصد أماكن القوة الدولية التي يمكن أن تبرز وتتقدم وتسبق غيرها من الدول ذات التأثير الحاضر... وليس في الأمر غرابة ولا ابتداع ولا رجم بالغيب؛ لأن أمور الحياة ـ في معظمها ـ موكولة إلى السنن الإلهية والنواميس التي وضعها الله في الكون، وهي سنن لا تتخلف ولا تتبدل، ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾[1] فالشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب منذ خلق الله السموات والأرض وسوف تبقى كذلك.

والأمم الجادة العاملة تنهض، والأمم المترفة الكسولة تتأخر، ومن يأخذ بأسباب الحياة يرقى، ومن يهملها يتأخر ويتقهقر. ولسنا هنا بحاجة إلى دليل وبرهان، فلا ينكر عاقل شيئا من ذلك، بل يشهد بذلك الأميّ والمتعلم على السواء، وقد نطقت بذلك ألسنة الجميع، فجاء في المأثور الشعبي: من جَدَّ وَجَدَ، ومن زرع حصد.

والمهم أن من الخصائص الإنسانية التعلق بالمستقبل بالتطلع والأمل، أو التخوف والحذر، والعمل على تحقيق الأمل والتوقي من الفشل.

والدراسات التي يطل منها الإنسان على المستقبل أثناء عبوره من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين دراسات متنوعة، تطل علينا حينا بعد حين من الشرق ومن الغرب، وتجد لها بعض الصدى في البلاد الإسلامية، فتعلق على دراسة هنا، أو تبشر بالقضاء على بعض مشاكل البشر في القريب، أو تحذر من كوارث يمكن أن

---

(١) فاطر: ٤٣ .

تظهر نتيجة تصرفات كثيرة خاطئة.

وإذا كنا ـ بحمد الله ـ غير متشائمين مما يحدث في المستقبل، فإننا ينبغي أن نكون ـ نحن المسلمين ـ حذرين في تفاؤلنا؛ لأن المستقبل غير مبنيّ على فراغ، إنه غرس الحاضر، ومبني عليه، فالحاضر المشاهد مقدمة للمستقبل الغائب، وإذا كانت النتائج مبنية على المقدمات، فإننا لا نستطيع أن ننظر في صفحة المستقبل من غير أن نستصحب معنا أجندة اليوم، لنرى ما فيها مما يمكن أن يؤثر في حياة البشرية في القرن القادم.

إن الحاضر مليء بالآلام التي تثير الخوف من المستقبل، والتي تستدعي التغلب عليها وإزالتها أو التخفيف من آثارها ونتائجها قبل أن نستصحبها معنا إلى القرن القادم، الذي نطمع أن تكون آماله كثيرة وآلامه قليلة، ومتاعبه غير عسيرة.

إن القرن العشرين حققت فيه البشرية لنفسها من الآلام ما لم يتحقق من قبل في التاريخ البشري المعروف، فقد نشبت فيه حربان عالميتان استمرتا قرابة عقد من الزمان، شغل فيهما الناس بالتدمير والخراب، وهلاك الإنسان، والقضاء على الحرث والنسل، وظهرت فيه الأسلحة الفتاكة التي تقضي على الأخضر واليابس، وعرف ثورة المواصلات والاتصالات، وسهولة انتقال الآلام والأمراض، وتلوثت فيه البيئة، وظهرت الأمراض التي لم تكن معروفة من قبل، والتي استعصى علاجها، وبرزت فيه الزلازل والبراكين والأعاصير والعواصف وغير ذلك من ألوان الفيضانات والجفاف والتصحر وغيرها، وكلها تصب في النهاية في الأجندة اليومية الحاضرة التي لا نستطيع إغفالها ونحن نتطلع إلى المستقبل.

فإذا طالعنا في أجندة اليوم، نرى ثلاثة أمور تلاحق الناس:

أولها: الصراع بين البشر.

ثانيها: صراع البشر مع القيم الأخلاقية والمحاولات المستمرة للتفلت منها.

ثالثها: الصراع مع مظاهر الكون من حولنا.

وسنتناول كل واحد منها بشيء من التفصيل.

١ ـ الصراع البشري:

لا خلاف في أن أحد مسببات القلق والاضطراب والخوف في العالم هو الصراع

البشري الذي يتمثل في:

أ - صراع النصارى مع المسلمين:

وهو صراع يشنه النصارى ـ ولا يزالون ـ منذ طرد المسلمين من الأندلس مرورا بالاستعمار الغربي لبلاد الشرق الإسلامي، واستمرار الكيد للإسلام والمسلمين بغرس إسرائيل في قلب العالم الإسلامي، وحمايتها وتمكينها ومدها بأسباب البقاء والتمكن، لتتوسع على حساب المسلمين، وتستولي على مقدساتهم.

ويتخذ هذا الصراع مسارات مختلفة من صراع السلاح إلى صراع الدبلوماسية، ومن مكان إلى آخر، وقد كان آخر ما تمخض عنه هذا الصراع هو النزاع المسلح بين الفريقين (النصارى والمسلمين) في منطقة البلقان، حيث شن النصارى أعنف الحروب التي تستهدف إخلاء الأرض من المسلمين فيما سمي وقتها بسياسة الأرض المحروقة، في البوسنة والهرسك، فشردت مئات الألوف من المسلمين، وظهرت إلى الوجود ـ من جديد ـ المقابر الجماعية، ودمرت مدن ولم يتدخل العالم الغربي ـ القادر على إيقاف الحرب ـ إلا بعد أن حقق الصرب أهدافهم على حساب المسلمين... ولم يهنأ مسلمو البلقان بوضع الحرب أوزارها في البوسنة والهرسك حتى شبت من جديد في إقليم «كوسوفا» على يد الصرب الذين يلقون الدعم والتأييد من الكنائس الشرقية والغربية، ويجدون من السياسيين التغطية الإعلامية اللازمة، حيث يقدم حلف الأطلسي تهديداته الكلامية لهم، وينتقل المندوب الأمريكي من بلد إلى آخر دون أمل يرتجى في إيقاف الحرب، التي سببت هجرة أكثر من ٢٥٠ ألفا إلى الجبال والغابات انتظارا للشتاء القارس القادم حيث يموتون دون أن تمتد يد بالعون لهم، ودون أن يأسى عليهم أحد، فالمسلمون اليوم في أي أرض لا بواكي لهم، وفي الوقت الذي يحدث فيه ذلك تظهر التحرشات في العالم الإسلامي؛ لينشغل بما يحدث فيه عما يدور حوله، وقد أخذ هذا الانشغال يتركز حول بوادر أزمة بين السنة والشيعة في أفغانستان وإيران.

ب - بوادر الصراع بين السنة والشيعة:

فجّر استيلاء حركة «طالبان» على مزار شريف عاصمة الشمال في بلاد الأفغان واختفاء عدد من الدبلوماسيين والصحفيين الإيرانيين، هذا الصراع وأبرزه على وجه

الأحداث، وحشدت إيران لهذا الصراع مظاهر القوة فحركت من جيشها ٧٠ ألف جندي إلى الحدود الشمالية الشرقية المواجهة لأفغانستان في مناورة كبيرة الحشد، مع تهديد إعلامي واضح من جانب إيران يقابله شيء من التحدي من جانب طالبان، ونأمل ألا يزيد الأمر عن هذا الحد، وأن يقضي على أسباب النزاع، وأن يدرك الطرفان أن الحرب لا تأتي بخير وأن كليهما خاسر، وأن قوتهما ينبغي أن تدخر لما هو أسمى وأعظم.

جـ ـ الصراع القبلي:

وهذا لون آخر من ألوان الصراع البشري بقي مع الناس منذ عرفت الحروب حتى وقتنا الراهن، وهو نزعة مسلحة تريد أن تحيي العصبية العنصرية، وتظهر الميول العرقية، ولا تنظر إلى معنى الآية القرآنية: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]، وقد أخذت هذه النزعة العنصرية بوسائل الحرب الحديثة، فقضت على الأمن والإنتاج، وأوقفت حركة النماء، وزرعت في قلوب الناس الخوف واليأس والقنوط.

والصومال والكونغو مثالان مشاهدان لهذا الصراع الدموي، الذي ما يكاد يهدأ حتى يثور من جديد، متخذا موجة جديدة من العنف والقتل والدمار والخوف والاضطراب تنشر في وهجها الجوع والعري والفقر والمرض تجعل الناس يستغيثون، فلا يغاثون، ويطلبون الإنقاذ فلا يُستنقَذون.

وأخوف ما أخاف أن ينتشر هذا اللون من الصراع في عالمنا الثالث، فيقضي على ما قد يكون فيه من مقومات الحياة.

د ـ الصراع بين اليهود والمسلمين:

ولا نستطيع أن نغفل هذا النوع من الصراع، المعروف الخطوات، الواضح القسمات، الذي يزداد فيه العرب كل يوم ـ بفعل أنفسهم ـ تشرذما، وتزداد فيه إسرائيل ـ بفعل الأعداء ـ تمكينا، وقد أسفر هذا الصراع ـ أخيرا ـ عما أسموه ـ ظلما ـ السلام، وما هو في الواقع إلا استسلام يطلبه العرب في كل يوم، وتتمنع إسرائيل عنه في كل حين، ومع حرص السلطة الفلسطينية على الوصول إلى هذا السلام بأي ثمن إلا أن الصلافة الإسرائيلية تأبى ذلك وتصر على تمزيق كل ورقة تمنع استعادة الأرض،

---

(١) الحجرات: ١٣.

وتعمل على أن تظل الأرض المرتجعة تحت سيطرتهـا أمنيا؛ لتظل لها الهيمنة والسطوة التي تستطيع بها أن تفعل ما تشاء.

وإلى جانب هـذه الألوان من الصراع التي تطوق عـالمنا العربي والإسـلامي تجد الاستعداد التـام بين البشر لمزيد من الصراع، ومزيد من العنف والتـدمير القائم على إيجاد الأسلحة النووية وانتـشارها بعد تمزق الاتحاد السوفييـتي السابق، ومحاولة دوله التخلص من الترسانة العسكرية لمواجهة العجز الاقتصادي. . . وأدى انتشار هذا النوع إلى انتشـار نوع آخر من الأسلحة أقل تكلفـة وأكثر انتشـارا بين الدول هو الأسلحة البيولوجية التي يمكن لأي دولة أن تحصل عليها وأن تستعملها ضد غيرها، ما دام هذا العالم أمسى غابة يدب في ظلامها الأقوياء على جثث الضعفاء.

تلك كانت أهم ألـوان الصراع بين البشـر، ألقينا عليهـا نظرة خاطفـة، قبل أن نلقي كذلك نظرة سريعة على أهم ألوان الصراع مع القيم.

٢ ـ صراع البشر مع القيم الأخلاقية:

محاولة التفلت من الضـوابط الأخلاقية، والقيم السلوكية، والفـضائل الإنسانية محاولة قديمة قدم الإنسانية، وقـد كانت من مهمات المرسلين رد الناس إلى هذه القيم والفضائل بالتـرغيب والترهيب، فكلما عتا البـشر، فتجبروا في الأرض وعـبدوا غير الله، وخرجوا على منهج رسوله أرسل الله لهم رسولا جديدا يبلغهم دعوته، ويردهم إلى طاعتـه، ويحضهم على الدخول فـي دائرة الأخلاق، التي تحمي سائر البـشر من الوقوع تحت سطوة الاعتـداء على الآخرين، إن أمنوا العقاب البشـري، وتساعد هذه الأخلاق على غرس المعـاني النبيلة بين الناس، بحيث يكف البشـر أنفسهم عن الظلم والعدوان بنفس القدر الذي يحاولون به أن يردوا عن أنفسهم البغي والشر.

وقد كـان للجانب الخلقي ركن ركين في الرسـالة الخاتمة التي جـاء بها محـمد ﷺ، حتى كأن هذا الركن الأصيل هو الهدف الكبير من رسالة الإسلام فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

ومع أهميـة هذا الركن في استقـامة الحيـاة البشرية إلا أن الناس يتـفلتون منه،

---

(١) أخرجـه الحاكم (٢/ ٦١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صـحيح على شرط مسلم ولم يخـرجاه»، ووافقه الذهبي.

وينحرفون عنه، وينجرفون في تيـارات الشهوات والأهواء؛ إرضاء لنفوس انحرفت، وأمزجة الْـتَوَتْ.

ومن مظاهر هذا الانحراف الذي نراه اليوم:

أ- الإيدز:

ذلك الاسم الكريه الذي ينفـر منه الناس ويفرون من المصاب به فـرارهم من الأسد، لإحساسهم بالخطر المميت، والوحش المهلك، الذي يحمله من أصيب بهذا الداء الوبيل، من جراء كسب يده، ودناءة نفسه، واتباعه شهوته القاتلة، التي توروده موارد الهلاك.

وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «**يا معشر المهاجرين، خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ لم تظهر الفـاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم..**» الحديث[١].

وقد سرى طاعون العصر بين الناس حتى لا تكاد تجد بلدة تسلم من شره وخطره، وتقدر منظمـة الصحة العـالمية عدد المصابين حـاليا بهذا الداء بما يقـرب من ٣٠ مليون شخص، ينتظر أن يزيدوا مع نهاية القرن إلى ٤٠ مليون شخص، وتقدر عدد الإصابات اليومية بحوالي ١٦ ألف حالة منهم ١٦٠٠ طفل، وترسم التوقـعات صورة مخيفة لهذا المرض في المستقبل، خـاصة مع استعصائه على العلاج بعد أن أنفق العـالم لمقاومته ما يقـدر بـ ١٧٥ مليار دولار حـتى الآن، دون تقدم يذكـر، اللهم إلا ثبات بعـض أرقام الإصابة به في بعض البـلدان، وقد بلغت حالة الإصـابة الرسميـة بهذا المرض في سنة ١٩٩٧م ١,٧٣٦,٩٥٨ إصابة، وتقـول مقـررة لجنة التوعيـة والإعلام بالحملـة الوطنية لمكافحـة الإيدز: إن الأمهات المصابات بالإيدز سـيلقون حتفـهم خلال ٥-١٠ سنوات تاركين خلفـهم حوالي ٥ ملايـين طفل، وتذكر أن الإيدز مـرض يعتمـد على السلوك الشخصي، وأن تحسين سلوك الفـرد كفيل بانحسار هذا المرض، ويقول الدكتـور محمد زكريا مطر: «ويأتي العلم من الغـرب ليؤيد ما جاء به الإسلام منذ مـا يزيد على أربعة عشر قـرنا، ويثبت من خلال بحوثه بالدليل القـاطع أنه علاج للإيدز، ولا نجاة منه إلا باتباع أوامـر الإسلام وتجنب نواهيه، والالتـزام بمبادئه، فالحل الأمـثل لكارثة الإيدز هو باتباع مبادئ العفة والطهارة، فذلك هو العلاج الشافي والناجح ولا علاج غيره»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه، وهو حديث حسن.

(٢) المجتمع العدد (١٢٩) ص ٥٣.

ب- التفكك الأسري:

الأسرة خلية المجتمع الأولى، التي بتماسكها يتماسك المجتمع وبانفراط عقدها يتفكك ويتحلل، ولا ينفرط عقد الأسرة إلا إذا دبّ إليها الشقاق والخلاف وتمزقت بين أفرادها رابطة الحب، فلم تعد تجمع المتقاربين، وبدأ كل عضو من أعضائها يأخذ طريقه في اتجاه مضاد للآخرين، وحين يحدث ذلك تكون أبواب الشر قد فتحت أمام هؤلاء، فقد يصبحون مشردين، وقد يصبحون مدمنين، وقد يصبحون لصوصا آثمين، يبثون في المجتمع شرورهم، وقد تسير الفاحشة في ركابهم، فيجنون بتصرفاتهم على الأخلاق والفضائل، وينشرون الإثم والفسوق والعصيان.

وآثار التفكك الأسري لا تقف عند حد، فكثير من جرائم السرقات، والمخدرات، والاغتصاب، والتعدي على المال العام، مردها إلى التفكك الأسري والتنشئة غير السويّة، وليس من غرضنا التصدي لهذا الموضوع بقدر ما نود أن نشير إلى أن هذا السبب واحد من أهم العناصر التي تدفع إلى التحلل من الأخلاق والدخول في صراع مع القيم والفضائل.

ولا يقف الصراع الإنساني عند صراع البشر مع بعضهم أو صراعهم مع القيم التي تحفظ عليهم حياتهم وإنما يتخطى هذين النوعين إلى نوع ثالث هو:

٣. صراع البشر مع الكوارث الكونية:

وهو ما يسميه غير المسلمين ثورة الطبيعة، ويجعلون التغلب على آثار هذا الصراع نوعا من قهر الطبيعة واستغلالها واستخراج كنوزها، وكف شرها، بينما يرى المسلمون أن هذه الطبيعة مخلوقة لله وأن الله سخرها للبشر واستعمرهم فيها، وأمرهم بالمشي في مناكبها، واستخراج مكنوناتها التي أودعها الله فيها وساقها رزقا للناس، والمسلمون يعتبرون ما يحدث من خروج للطبيعة على مألوفها إنما هو من أقدار الله التي يسوقها لعباده امتحانا وابتلاء لعلهم يتعظون ويعتبرون. وقد أخبر الله بذلك في قوله: ﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ**﴾[1]، وتتنوع هذه القوارع التي تصيب البشر ما بين جفاف وتصحر، إلى فيضانات مغرقة وسيول طينية عجيبة تغطي قرى بأكملها وتطمسها من الوجود، ومن

(١) الرعد: ٣١ .

حرائق في الغابات تستمر أياما وأسابيع إلى تفجيرات نووية، إلى نضوب للخيرات في باطن الأرض، إلى تلوث بيئي خطير يهدد حياة الكائنات وينشر ألوانا من الأمراض والأخطار التي يستعصي شفاؤها، ومن الزلازل والبراكين إلى خرق في طبقة الأوزون، وكل هذه أمور ما زالت عالقة بالحياة الإنسانية فهل ستبقى معها وتنتقل إلى القرن القادم؟ وسنشير إشارة عابرة إلى بعض الآيات الجارية في الكون حولنا لنعتبر ونتعظ ونعمل على تسخير هذا الكون بحسب ما أراده الله، دون أن يقر في أذهاننا قهر الطبيعة أو غير ذلك من صور التغلب والصراع.

أ ـ التصحر آفة الزرع والضرع:

زحف الصحراء نحو الأرض الزراعية واستقطاع أجزاء منها لا يمكن زراعتها هو ما يطلق عليه التصحر، وهو يسير ببطء ويزحف بتؤدة، ولكنه يلتهم ما يلتهم من الأراضي الزراعية ويأخذها من أيدي البشر، وقد أخذت هذه الظاهرة تلتهم نحو ٧٠٪ من الأراضي الجافة المستخدمة في الزراعة في العالم وتبلغ مساحة هذا النوع من الأراضي ٥,٢ مليار هكتار ويكلف التصحر العالم ٤٢ مليار دولار سنويا، ويتعرض لخطر العيش بسبب هذه الظاهرة أكثر من مليار نسمة ويواجه أكثر من ١٣٥ مليون شخص النزوح من أراضيهم مهاجرين إلى بلاد أخرى، قد لا تقبلهم ولا ترحب بهم، فما مصير هذه الملايين؟

ولبيان أهمية هذه الظاهرة نذكر بعض مظاهرها في العالم العربي:

تبلغ المساحة الأرضية للوطن العربي حوالي ١٣,٦٩ مليون كيلو متر مربع، يشكل حوالي ١٠,١٥٪ من سكان العالم، ويشير توزيع أراضي الوطن العربي إلى أن ١١٪ فقط من هذه الأرض هي بيئات ملائمة نوعا ما للإنتاج الزراعي يزيد فيها معدل هطول المطر السنوي عن ١٠٠ ملم، في حين أن ٢٠٪ منها مناطق هامشية يتراوح معدل الهطول المطري فيها من ١٠٠-٤٠٠ ملم سنويا، وتعتبر مناطق مهددة بالتصحر، في حين أن ٦٩٪ من أراضيه مناطق جافة وحادة الجفاف يقل معدل الهطول المطري فيها عن ١٠٠ ملم سنويا، وتعتبر مناطق متدهورة أو صحراء.

ويعتبر تدهور التربة وتصحرها من أخطر المشاكل التي تهدد بقاء المواطن العربي في أرضه وعدم هجرته، كما أنه من أخطر المشاكل التي تهدد الأمن الغذائي العربي،

خاصة أن أغلب أراضي الدول العربية هي مناطق أكثر تعرضا للتدهور عند استثمار مواردها الطبيعية استثمارا غير رشيد[١].

ب. حرائق الغابات:

وهذا لون آخر من القوارع التي تصيب الإنسان، فيقف أمامها حائرا عاجزا، يود أن يسلم من شرها الذي يلاحقه حتى بعد أن يبتعد عن أماكنها، وهذا ما حدث في أندونيسيا في بداية هذا الصيف حيث اندلعت النيران في الغابات، وعجز الإنسان عن إخمادها والتصدي لها، وأصبح أكبر همه أن يبتعد عن أضرار الدخان الذي يلاحقه في كل مكان، ويكاد يخنقه ويقضي عليه، هذا فضلا عن أن هذه الحرائق تهديد جديد لم يكن معروفا أو شائعا من قبل لأنها تؤدي إلى إتلاف واختفاء خمسة آلاف من الأصناف الحيوانية والنباتية كل عام، ويشكل ذلك كارثة بيئية حقيقية تلاحق الإنسان وتسبب له الخسائر والبلاء.

جـ. الفيضانات المدمرة والأعاصير:

وهي تظهر في مناطق عديدة من العالم لا تستطيع دولة ـ وإن زادت قوة مقاومتها ـ التحكم فيها أو الهرب من طريقها، لقد شردت الفيضانات في العام الماضي في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ١٠٠ ألف شخص، وزادت خسائر الأعاصير التي تهب على الولايات المتحدة على مئات الملايين من الدولارات. ولم تستطع الولايات المتحدة عمل أي شيء سوى تهجير السكان الذين يخترق الإعصار ديارهم إلى أماكن أخرى لتقلل من الخسائر البشرية وحدها، دون أن تملك وسيلة للتقليل من الخسائر المادية.

فإذا انتقلنا مع الفيضانات إلى شرق آسيا لوجدنا ألف شخص قد قتلتهم الفيضانات في الصين، وشردت ملايين من الأشخاص، وبلغت الخسائر المادية مليارات من الدولارات. وفي بنغلاديش دمرت الفيضانات كثيرا من القرى وكذلك في السودان وفي غير ذلك من الأماكن. وبينما تغرق الفيضانات الناس في مناطق فيموتون، فإن الجفاف في أماكن أخرى يلاحقهم فيموتون كذلك.

إن هذه المؤشرات التي تحدث في الطبيعة ما هي إلا إنذارات للناس ليرجعوا إلى

(١) الشرق الأوسط العدد ٦٤٣٤.

ربهم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

د ـ الزلازل والبراكين:

ومن حين لآخر تسمع عن زلزال هنا وبركان هناك، يهز الديار، ويدمر البيوت، ويخرب العمران، ويدفع بآلاف الناس، لينزحوا عن أماكنهم ويتركوا مواطن عيشهم؛ ليعيشوا عبئا على غيرهم، وهناك في العالم ١٥٠٠ بركان خامد قابل لأن يثور بعضها في أي لحظة ويهدد البشر، ومنذ عام ١٩٨٠م قتلت البراكين أكثر من ٣٠ ألف شخص، وأرغمت أكثر من مليون شخص على إخلاء منازلهم، وقد كبدت الاقتصاد العالمي مليارات الدولارات، وثورة البراكين تؤثر بشكل كبير على المناخ العالمي، والعجيب أن العلماء متحيرون؛ لأن البركان قد يخمد قرنا أو قرونا ثم يثور بغير مقدمات، ليدمر ما حوله ويهدد الناس في حياتهم وأرزاقهم.

هـ. نضوب معادن الأرض:

وإلى جانب كل ما تقدم، فإننا نجد نضوبا كبيرا في الثروة التي في باطن الأرض، وفي مقدمتها البترول، لقد استنزفت هذه الثروة استنزافا متواصلا في الخمسين سنة الماضية، مما يوحي بأن هذا المخزون الأرضي سوف يكون مجالا للصراع، كما كان في هذا القرن، وقد تزيد حدة الصراع كلما قل المخزون منه، مما يوحي بأن هذا المخزون يزداد قيمة وأهمية.

الحـــــل:

هذه ألوان من الصراع طبعت العقود الأخيرة من القرن العشرين، فهل تنتقل مع الإنسان إلى القرن الحادي والعشرين؟ وكيف يمكن التغلب عليها وتقديم الحل المناسب لها؟

أما انتقالها مع الإنسان إلى القرن القادم، فهذا لا شك فيه إن استمر حال الإنسان على ما هو عليه، وأما كيفية التغلب عليها وتقديم الحل المناسب لها، فقد شهد به المفكرون الغربيون فبرناردشو يقول: «إن مشاكل العالم الحالية لو اجتمعت أمام محمد ﷺ لحلها وهو يرتشف فنجانا من القهوة».

---

(١) الروم: ٤١ .

وهذا يقيننا بهدي نبينا وثقتنا في الدين الذي جاء به، ليضع ويحدد العلاقة والصلة بين الله والإنسـان والكون والحـياة، ويبين أن الله خـالق كل شيء ورب العـالمين، وأنه جعل الإنسان سيـدا في هذا الكون، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جـميعا منه، وأن هذه الحيـاة مرحلة في حيـاة هذا الإنسان الممتـدة إلى الدار الآخرة، وأن على الإنسان أن يتبع أوامر الله، التي رسمت التـوسط في كل شيء وحققت التوازن في كل أمر، مما يوحي بالاعتـدال بين الإنسان والكون وينعكس من الإنسان العابـد لله ليتضح في الطبيعة المسخرة بأمر الله وصدق الله؛ إذ قال: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾**[1]، يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيـر هذه الآية: « وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصـور القلب، كل حصاة، كل حجر، وكل حبـة، كل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شـجرة، كل حشرة وكل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء... ومعها سكان السماء... كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه.

وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعـر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت قدمـه أن تطأ شيئا، سمعه يسبح الله، وينبض بالحياة... يسبح بطريقته ولغتـه ولكن لا تفقهون تسبيحهم... وحين تشف الروح وتصفو، فـتتسمع لكل متـحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح، ويتوجه بالتـسبيح، فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون».

فالعلاقة بين الإنسان والبيئة ليست عـلاقة صراع، البقاء فيه للأقوى، بل علاقة عبودية لله تستلزم التكامل والاتساق في التوجـه إلى الخالق الواحد سبحانه، والسعي في تحقيق مراده.

وقد جـعل الله هذا الكون مسخرا للإنسـان، يسخره بسنن الله التي خلقـها في الكون وجعلها تسير وفق نظام لا يختل ولا يتغير، واستخلف الله الإنسان في الكون ليعمره **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾**[2]، وجعل الله هذا الاستخلاف أمانة في عنق الإنسان يسير فيه بحسب التكاليف الشرعية **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾** [3]،

---

(١) الإسراء: ٤٤ .
(٢) هود: ٦١ .
(٣) الأحزاب: ٧٢ .

ومع هذا التسخير والاستخلاف فإن الأمور مقدرة، قدرها العليم الحكيم يوم خلق السماء والأرض ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾(١).

وهذه الأمور حين يؤمن بها الإنسان ويسلك بها طريقه في الحياة تجعله في توائم مع الحياة من حوله؛ لأن كل ما حوله مسبح لله مسخر للإنسان ينتفع به من غير ضرر، ومن غير إحساس بالصراع أو الضياع، فيتجنب بذلك الصراع الناشب بينه وبين الطبيعة.

وما عليه في الصراع الناشب بينه وبين القيم إلا أن يلتزم بالأخلاق لتسلم له نفسه من الأمراض والقلق والاضطراب والشقاء: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(٢)، قال ابن كثير: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

والالتزام بقيم الحرية والعدل والحق والشورى وغيرها معلم لانتفاء الصراع البشري، الذي لا يقوم إلا على الظلم والبغي والعدوان، وقد جاءت الآية الكريمة الفذة جامعة لكل خير ناهية عن كل شر لتحقق للحياة البشرية العدل والحق في ظل الحرية الكاملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

وبعد هذه اللمحات الخاطفة في تشخيص آلام البشر ومحاولة تقديم العلاج لها، فإننا ندعو مفكري الإسلام في جميع الفروع المعرفية أن يعملوا على إشاعة الحل الإسلامي لحلول البشر المستعصية وصراعاتهم المتواصلة، وفي ذلك قيام بحق الدعوة وواجبها على المسلمين مع نهاية القرن العشرين، الذي يشهد بأن كل دعوة فيه تصل إلى الأسماع في أي بقعة في الأرض حين ينادي بها المنادي. فهل نجد من علماء المسلمين من يتحقق فيه القول: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾(٤)؟

---

(١) فصلت: ١٠.
(٢) طه: ١٢٣، ١٢٤.
(٣) النحل: ٩٠.
(٤) آل عمران: ١٩٣.

تاسعًا: «العولمة» نوع من الغزو الجديد

(١) دلالة العولمة:

العولمة تعبير مستحدث أخذ يجـري على الألسنة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وتبلور نظام عالمي جديد، أحـاديّ القطبية، تقوده أمريكا، ومن ورائهـا دول عديدة تسعى في نفس المضمار، ولا يحدث بينها -غالبا- خلاف في قرار، فشاع استعمال «لفظ العولمة» للدلالة على اكتساح الرؤية الغربية في السـياسة الدولية لوجه الأرض، فلا يخرج عن هذه السياسة الدوليـة التي تضع أسسها الولايات المتحدة، وتبرزها وتخرجـها الأمم المتحدة إلا قليل من الدول، التي يؤدبهـا الحصار الاقـتصـادي (ليبيـا) أو العداء السيـاسي والانقطاع الدبلوماسي (إيران) أو العدوان المسلح (السودان وأفغانستان).

ولـم يقف تعبير (العولمة) عند المجال السياسي وحده، بل تعداه إلى مجالات أخرى عديدة حتى صار يعني: خـضوع الشعوب لمجموعة النظم والأفكار والعـادات والتقاليد السائدة في (الغرب) في المجالات الاجـتماعية والسلوكية والاقتـصادية بجميع مظاهرها وعللها، ما صلح منهـا وما فسد على السواء إلى جانب المجـال السياسي بالطبع، وهذا مـا أعلنه الرئيـس كلينتـون في خطابه في الأمم المـتحـدة فـي دورة انعـقـادها الثـامنة والأربعين، حين بيّن سياسة بلاده الخارجية التي تقوم على الأسس الأربعة الآتية:

١ـ تقوية وتوحيد المجتمعات الديمقراطية الصناعية.

٢ـ التبشير بالديمقراطية والعمل على نشرها في العالم.

٣ـ التبشير باقتصاديات السوق (الخصخصة) والعمل على تطبيقها في العالم.

٤ـ حصر وتطويق الدول غير الديمقراطية[١].

(٢) وسائل تسويق العولمة:

أولا: إقامة المؤتمرات:

وبالطبع فإن نشـر هذه المبادئ في العالم يسـتتبـعها نشر القـيم الغربية ومـعالم السلوك وغيـرها مما يصطدم في كثير من الأحـيان مع قيم الشرق الإسـلامي ومبادئه

(١) قضايا دولية العدد (١٩٨) ص ١٦.

والعادات والتقاليد السائدة بين الشعوب الإسلامية، ولعل العمل على نشر هذه القيم الغربية كان وراء إقامة مجموعة كبيرة من المؤتمرات في العديد من البلاد، أذكر منها مؤتمر السكان الذي أقيم في القاهرة، وواجه معارضة شديدة، ومؤتمر المرأة الذي عقد في بكين وواجه ـ أيضا ـ معارضة شديدة للتوجيهات والقيم التي يرغب الغرب في تسويقها ونشرها بين الشعوب، لا لشيء إلا لأنها سائدة عنده.

ثانيا: التعليم:

ولم تقف محاولة الغرب فرض مجموعة النظم السائدة عنده على العالم عند عقد عدة مؤتمرات في بلدان مختلفة، بل اتخذ عدة وسائل أخرى تؤدي إلى نفس الغرض، فعمل على إتاحة فرص تعليم بعض القيادات الشابة التي تعود إلى بلادها حاملة مبادئ الغرب وقيمه، رافضة نظم بلادها، وطرائق تفكيرها وأسلوب تعاملها (وقد تعلم في أمريكا ـ وحدها ـ في الفترات الأخيرة مليوني طالب آسيوي، بينما لا يوجد طلبة روس في أمريكا سوى ١٠ آلاف كما يقول ميخائيل كرامر في مقال له بمجلة تايم الأمريكية بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٩٩٣م، ويذكر في مقاله أن حوالي نصف أعضاء البرلمان الألماني درسوا في أمريكا الأمر الذي ساعد على تماسك الديمقراطية في بلادهم على حد قوله.

وقد دعا السيناتور الأمريكي بيل برادلي إلى إحضار الروس إلى أمريكا بأعداد ضخمة؛ لأنهم سيتعلمون الرأسمالية بطريقتهم الخاصة، وهذا سيأخذ وقتا ولكن لا يوجد شيء مختصر في تبادل الأفكار على مستوى كبير)[(١)].

ثالثا: العادات والتقاليد:

ثم بدأت تنتشر في العالم الطريقة الأمريكية في المطعم والمشرب بحيث أحاطت بالكرة الأرضية مجموعة من المطاعم الأمريكية المنتشرة في كل الأرض، تقدم الوجبات السريعة الجاهزة على الطريقة الأمريكية، وغزت طريقة ونوعية الملابس الأمريكية الشباب، وصار (الكاوبوي) راعي البقر بزيّه المعروف الذي ما يزال ينشر في الإعلانات على أنه الرجل العصري الذي لا تهزه الأعاصير، صار هذا النموذج الموضوع في كل حين أمام الشباب هو القدوة وهو الأمل الذي يحلم به كثير من الشباب في كثير من البلاد.

---

(١) قضايا دولية ص ٢٤.

وليس معنى هذا أن هذا الغزو في طرائق الطعام والشراب والملبس قاصر على الناحية الشكلية الخارجية، فهذا هو المظهر البادي للعيان، والحقيقة أن هذا الفتى الآخذ بالمظاهر الغربية لم يأخذ بها إلا بعد أن تفتت جزء من هويته، وهبط جزء من ذاتيته، وسقطت من حسابه قيم كان يدين بها ويتمثل آدابها فتخلى عنها وتمسك بغيرها.

وهنا مكمن الخطر ومستوقد الشر الذي قد لا ينطفئ إلا بعد أن يجتاح العقول ويمسك بزمام العاطفة، وحينئذ يكون الغرب قد استكمل هيمنته من غير حرب وبلا أي سلاح وبدون أي خسائر، بل يكون قد صنع لنفسه مددا جديدا، يأخذ منه ـ عند الحاجة ـ ما يريد.

رابعا: التقنية الحديثة في وسائل الاتصال:

وقد تسأل: وما الجديد في ذلك كله بعد أن شاع خبره وعمّ ذكره؟

والجديد: هو في التقنية الحديثة التي تطرأ كل يوم على وسائل الاتصالات والمواصلات، وتطور بها أجهزة الإعلام أداءها على نحو غاية في السهولة والإتقان، بحيث تصل إلى من يعيش فوق الجبال، أو يركب ظهر البحار، أو يسكن سحيق الأودية، أو يطير سابحا في الفضاء، فلم تترك هذه الأجهزة ذات التقنية الحديثة ركنا إلا دخلته، تاركة لصاحبه أن يختار من بينها ما يشاء من فضائيات، تخاطبه بلغات مختلفة، وتعرض عليه من الأفلام والمسلسلات الجيد والرديء، وما يخاطب العقول، وما يدغدغ الغرائز، وما على الإنسان إلا أن يضغط بلمسة رقيقة من إصبعه على زر لتعرض عليه الفضائيات المتعددة ـ وهو نائم في فراشه ـ ما يشاء.

وكان آخر ما توصلت إليه التقنية الحديثة في مجال الاتصالات هو «الستلايت المترجم» أي الذي يقوم بدورين في آن واحد التقريب والتوضيح ثم تخرج منه الكلمات الملقاة على ألسنة الممثلين أو قارئي الأخبار، أو غيرها مترجمة إلى اللغة التي يريدها المشاهد.

ولا شك أن للغتنا العربية نصيبها الوافر من الترجمة، لأن السوق العربية واسعة كبيرة، والشركات المنتجة لا تستغني عنها، وإلا ضاع عليها جزء كبير من مبيعاتها، وقد تلحق بها بعض الخسارة إن فقدت هذا السوق.

والربح المادي لهذه الشركات يأتي على حساب القيم الأخلاقية والفضائل الكريمة للشعوب الإسلامية، ورغم انتشار (الستلايت) إلا أنه كان يحد من أثره الاحتياج إلى

الترجـمة المصاحـبة لكل ما يبـثه من أفلام ومـسلسلات أجنبيـة، وهذا أمر ترهق به ميزانية أجهـزة الإعلام؛ نظرا للأموال التي تدفعها للقائمين على التـرجمة والمشرفين عليهـا. وكان كثيـر من غير القارئين ينصـرفون عمّا يبـثه الستلايت؛ نظرا لأنـه غير مترجم، وغير مفهوم، ومن لم ينصـرف كانت المشاهدة بالنسبة له قاصرة على صورة يراها أو منظر يمّر عليه ضمن مسلسل أو فيلم، ثم يمضي لحال سبيله يرى ما يراه، فلم تسمع أذنه ألفاظا تخـدش الحياء مع وجودها والنطق بها؛ لأن حـاجز اللغة منع عنه هذا الأذى، وكانت أجهـزة الترجمة ـ وما تزال ـ تحاول أن تغـير بعض الألفاظ التي تصك الأسماع بقبيح القول، فتجعل بدلها ألفاظا مقبولة.. أما مع اختراع الستلايت المترجم فقـد سقطت كل الحواجز بين المشاهد وبين ما يشـاهده، تصل إليه الصورة، وتصل إليه الكلمة، قبيحة أو غير قبيحة؛ صريحة أو مغلفة، والذين يحسنون اللغات الأجنبية وعندهم من الوقـت ما يشاهدون بعض المعروض بهذه اللغـات يخبروننا أن بهذا المعروض الذي يعالج مـشاكل الشباب أو الأسرة أو المشاكل الاجتـماعية وبعض المشكلات الاقتـصادية كثيـرا من الكلمات التي تصطدم بجدار الحـياء فتخرقـه وتنفذ منه، لتستـقر في ذهن المشاهد مرتبطة بأحداثها ومـقدماتها ونتائجهـا، فلا تغيب عن وعيه إلا بعد وقت طويل وجهد كبير.. ويا له من بلاء!!! ويا له من ابتكار قد يجر علينا كثـيرا من المصائب والمتـاعب ما لم نقـاومه ونصد الناس عنه. والمقـاومة المادية بجميع صورها قد لا تجدي في حـالات كثيرة، ولذا فلم يبق أمامنا إلا أن نقاوم هذا البلاء مقاومة معنوية.

(٣) المقاومة:

وفي مقدمة هـذه المقاومة المعنوية إيجاد الوازع الديني في ضميـر كل فرد بحيث يصده هذا الوازع عن السعي نحو الشر، أو عن البحث عنه، وعن متابعته والتأثر به، والانغماس في هوّته؛ لأن أمثال هذه الشرور التي تبث من خلال الأجهزة العصرية، لا تزيد عن سراب خادع يحـسبه الظمآن ماء، وما هو بماء، ولكنه هراء يثـير نفوس الشباب بما يـعرضه أمامهم، ويفـسد أخلاقهم، وقـد يدفع بهم ـ وهم يجرون خلف السراب ـ إلى الجريمة وهم يظنونها غنيمة، وما هي إلا غرامة وندامة وحسرة وخسارة يوم القيامة، يوم يؤتى بأنعم أهل الأرض، فيـغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيما قط؟ فيقول: لا.

ومن عناصر هذه المقـاومة: تعميق الجـانب الثقافي والفكري والاهتمـام بإحياء القيم الأصيلة فـي نفوس الأفراد، بحيث يدركون أن هذه القـيم متعلقة بأشـخاصهم وذواتهم، فإن هم نفـضوها عنهم وخلعوها من سلوكـهم، فقد لا تحيـا من بعدهم، ولا يبقـى لها أثر في حيـاة قومـهم، ولذا فإن الحـرص على هذه الجوانب الثـقافـية والفكرية تعميق للمشاعر الوطنية وإحياء لها في النفوس، فإذا ما تعرضت هذه القيم للضياع ضاعت معهـا فكرة الأوطان، وضربت الوطنية في الصمي؛ لأن الوطن ليس أرضا فقط، بل إنه مجموعة من الناس تتفاعل وتتعاون حول مبادئ معينة فوق قطعة من الأرض تعارفت المجتمعات على حدودها، وكما أن الحدود الجغرافية يهب الناس للدفاع عنها حين يعتدي عليها المعـتدون، فكذلك ينبغي أن يدافع الناس عن ثقافتهم وأفكارهم ومبادئهم وقيمهم حين يعتدي عليها ـ كذلك ـ المعتدون.

ونضيف إلى هذين الأمرين المهمين أمرا آخر، وهو قيام المؤسسات الفنية بواجبها نحو حماية الشباب من هذا الغزو الداعر الممقوت بعرض القيم الصحيحة، التي نشأنا عليها وتربى عليـها الآباء والأجداد، وهي بحمد الله قيم وفـيرة من الممكن أن تعمل فيها الأجهزة الفنية سنوات ثم سنوات من غير أن تنضب أو تجف.

ولسنا نشك في أن من بين العـاملين في هذه المجالات من مـخرجين ومنـتجين وممثلين نماذج تحرص على دينـها وعلى وطنها، وتحـاول أن تقدم الفن الراقي الذي لا يعرف الإسـفاف، ولا يقيم أعـمدته في الخـمارات أو دور العاهرات، وإنما يقـدمون الواقع المستمد من البيئة وحدها غير متأثر بما عند الغرب أو بما عند الشرق. فيكونون بهذا قد شاركوا في صد هذا الغزو الجديد. ومن يدري فلعل عملهم هذا يكون بديلا نافعا عمَّا يأتي من الخارج. فهل هم فاعلون؟

وقـبل هـؤلاء وأولئك فـإن دور الأسرة فـي رعاية أبنائهـا ومعـرفة مـاذا يرون ويشـاهدون، أمر لا مـفر منه، ولا يغني عنه شيء آخـر، بل إن جمـيع المؤسـسات التربوية يكون دورها مكملا لدور الأسـرة، فإذا ضيعت الأسرة واجبهـا نحو أبنائها، فقد ضاعت جهود المؤسسات التربوية، ولم تعد لها قيمة تذكر أو عمل يرجى.

إن الخطر كبير، ولكن الأمل في مقاومته عظيم، فهل ننجح في إقامة جدار أمام هذا الموج الهادر؟

عاشراً: الدخول في دائرة السنن الكونية

للواقع سطوته وهيمنته التي يستمدها من إلف الناس له، ورضاهم به، وخضوعهم لما يحدث فيه، ولقد كانت محاربة المشركين لرسلهم مبعثها وسببها هو خروج الرسل عما ألفته أقوامهم، وعاشته واقعاً وثنياً لا يجد نكيراً من أحد، ولا يجد دعوة لتغييره من عاقل عاش بينهم، فلما جاءت الرسل بالدعوة الجديدة، حاربها الناس رغم وضوح جوانب الخير فيها، وكان النصر في النهاية للمرسلين؛ لما تحمله دعوتهم من صدق وحق، يدعون الناس إليه، ولما تحملوه من صبر وحلم في سبيل وصول هذا الحق للبشر دون أن يطلبوا منهم أجرًا: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾[١].

وقد استطاعت دعوة الرسل أن تغير واقع المجتمعات، وأن تخرجها من باطل مألوف متبع، إلى حق واضح غير منكور، فكان أن تحول الناس راضين بالدعوة الجديدة، باذلين في سبيلها أنفسهم وأموالهم.

وهكذا كل دعوة يحكم عليها أو لها بمدى تغييرها للواقع وتأثيرها فيه بحيث يشعر الناس بجدواها، فيعملون من أجلها ويبذلون ما وسعهم في التمكين لها.

ولن يتقبل الناس دعوة إلى تغيير واقعهم إلا إذا اتضح صدقها، وظهر نفعها، وأشاعت بين الناس الحق والعدل، ورفعت عن إصر الناس الظلم والجور والطغيان ودعت المتجبرين أن يرفعوا أيديهم عن مقدرات الناس؛ حتى ينال كل صاحب حق حقه، ويأخذ كل ظالم جزاءه.

ومعنى ذلك أن تسير هذه الحركة الداعية إلى التغيير بين الجماهير، تتحمل مشقاتها، تكابد في سبيل إصلاحها، وتتحرك في كل مسار؛ لتخفف عن الناس أعباء الحياة وتخلق فيهم الهمة والعزيمة، التي تنفض غبار السنين عن المجتمعات، فتنهض من غفلة وتستيقظ من سبات.

---

(١) إبراهيم: ١٣، ١٤ .

وتلك إحدى السنن الكونية التي خلقهـا الله في الكون، أن يصل المجتهدون إلى غايتهم وإن طال سـيرهم، ماداموا يعرفـون الغاية ولا يبتعـدون عنها أو يعدلون عن مسارها. والصحوة الإسـلامية ليست بدعًا بين الحركات، فهي كـغيرها من الحركات تخضع للسنن الكونيـة، وينالها من المشقـات في سبيل تغيـير المجتمع وإصـلاحه ما ينالهـا، ويلحق بها الأذى وقـد تثار من حولـها التهم والشـبهـات، فإن قـعدت أو استكانت واكتفت بالملصقات، وتحاشت أن تواجه الناس وخرجت من دائرة الاختلاط بهم والاحتكاك معهم مع بيان ودوام الدعوة إلى الحق والخير الذي جاء به الدين، إذا لم تفعل ذلك، فقدت مصداقيتها، وانكفأت على نفسها، فلم تغير واقعًا، ولم توجه مجتـمعًا، وذلك من أخطر ما يصـيب الدعوات؛ لأنه يصيبـها في الصميم فـيقضي عليـها الواقع المألوف وتصـير الدعـوة الحركيـة تاريخًا يدرس، وأثرًا يذكـر من حين لآخر، لا واقعًا مشاهدًا يعيشه الناس أو أغلبهم.

وأولى بأصحاب الحركات الدعـوية أن يعوا الدرس، ويدركوا الواقع، ويحددوا أين هم منه؟ وما أثرهم فيه؟

١ ـ موقع الإسلام في البعد الحضاري الحالي:

« إن مـصدر النـزاع الأساسي في هذا الـعالم الجـديد لن يكون أيديولـوجيًـا ولا اقتصاديًا بشكل رئيس، فالانقسامات العظيمـة بين أفراد البشرية ومصدر الصراع المهيمن سيـأخذان طابعًا ثقـافيًا، كمـا ستبقـى الدول القومية الفـاعلة والأكثر قـوة في الشؤون العالمية، إلا أن صراعات السـياسة العالمية الرئيسة ستحصل بـين دول ومجموعات تنتمي إلى حضـارات مختلفـة، كذلك سيـسيطر صراع الحـضارات على السيـاسية العـالمية، وستصبح خطوط الاختلاف بين الحضارات هي خطوط المعارك في المستقبل»(١).

إذًا فمن الخطأ الـقول بأن هناك ثقافـة عالميـة واحدة كمـا يروج الغرب المنتـصر والمتقدم؛ ذلك لأن هذه الدعـوة ترمي إلى سيادة الثقـافة الغربية بكل معـطياتها على ثقـافات وحـضارات باقي الأمم، وفي ظل هذه المعطـيات، هل نسـتطيع الكلام عن الإسلام كإطار حـضاري له تاريخه وعراقـته وتفاعله مع الحضـارات الأخرى؟ وبعد

(١) صموئيل ب. هانتجتون.

ذلك هل نستطيع أن نتصور لهذا الإسلام موقعًا جديدًا له ولأبنائه في البعد الحضاري الحالي أو بالأحرى في خفايا ما يصور ويهيأ لإدارة الغرب في إدارة العالم بنظام جديد يبدو أكثر عصبية وشوفانية من النظام السابق ـ الحالي ـ الذي سادت فيه إرادة حق النقض الفيتو.

لا شك أن القريب والبعيد يقر بأن الحضارة الإسلامية سادت لفترات طويلة من الزمن، ولا تزال منتشرة بروحها رغم ضمورها واضمحلالها، إلا أن موطن الخلاف يتجلى في التضاد في تصوير هذه الحضارة، فالمنصفون يقدرونها، بينما الكثير من أبناء الحضارات الأخرى يناصبونها العداء والقدح في سياق غير موضوعي متأثر أشد التأثر بالتوجه السياسي الهادف لإسقاط الأمة الإسلامية من الداخل وتفريغها من إسلامها في حين أن جموع الأمة تتطلع للإسلام كمنطلق وكمستقبل، واضعة اليد على حقيقة دوره في حياة الأمة وفي العلاقة مع الحضارات الأخرى، فمنذ البداية كان لهذه الأمة مشروعها الكوني، وهو الإسلام، وكان هو مسوغ نشأتها، وعلى الأرجح ما كان ممكنًا ولادة هذه الأمة وتطورها لولا ذلك المشروع الكوني الذي دفعها على الدوام إلى تجاوز نفسها[١].

أضف إلى ذلك أن الحضارة الإسلامية لم ترفض مطلقًا في أي مرحلة التعامل مع العالم، والتفاعل معه حتى في وقتنا الحالي، وفي ظل الهجمة الغربية الواسعة لاستيعاب الحضارات كافة نجد أن الإسلام من خلال أبنائه ـ مفكرين ومثقفين ـ لا يزال يسلك سبيل التفاعل والحوار؛ عملاً بقوله تعالى ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[٢].

إلا أن الغرب لم يحفظ الود، ولم يعامل المسلمين بالمثل، إن الغرب بقي في تأخره ثقافيًا واقتصاديًا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً.

واستيقظ الفكر الأوروبي من سباته الذي دام قرونًا،على قدوم العلوم والآداب

---

(١) الفضل شلق، الانخراط في العالم، مجلة الاجتهاد، العددان ٢٦، ٢٧، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م.ص.١٠ .

(٢) النحل: ١٢٥ .

والفنون العربية، ليصبح أكثر غنى وجمالاً وأوفر صحة وسعادة[١]. والغرب اليوم الذي أصبح مركز العلوم والتكنولوجيا ومحط البعثات العلمية يريد أن يرد الدين للحضارة الإسلامية على طريقته من خلال استيعاب الأمة الإسلامية وفق النمط الغربي بحيث يؤدي إلى ضياع بقايا الإسلام والاندماج الكامل في الرؤية الغربية للحياة والكون والإنسان.

إن هذا التماثل الحضاري المطلق الذي يسعى له الغرب بكل الوسائل والأساليب لن يتحقق أبدًا؛ لأن مسيرة التاريخ لم تحدثنا عن سبق من هذا النوع، فلم تنجح أي حضارة قديمة مهما بلغت من العظمة في بلوغ هذا المرمى، فالحضارتان اليونانية والرومانية اللتان يتباهى بهما الغرب لم تجعلا العالم كله مماثلاً لهما، وكذلك يصح القول على الحضارة الإسلامية، وبناء عليه، يصدق القول بمنطق التاريخ والتجربة أن الحضارة الغربية لن تصل إلى جعل العالم ابنًا للغرب منسجمًا فيه، لكن الغرب ماض في رغبته تلك مرسخًا لذلك، من خلال التبعية الاقتصادية والثقافية التي يعمل على تفعيلها من خلال ربط الدول بمناهج اقتصادية وثقافية غربية.

لقد أراد الاستعمار ـ الغرب ـ أن يجعل التبعية له شاملة ولكن هذا يتطلب ـ خصوصاً في بلاد العرب والمسلمين ـ أن يركز على جانب الغزو الثقافي الحضاري من جهة، وعلى جانب التجزيىء الذي يولد العجز الدائم من جهة أخرى[٢] تجاه هذا الواقع الصعب انحرف المجتمع الإسلامي عن إسلامه الشيء الكثير وكاد يصبح غريبًا عنه، وتأثر البيت الإسلامي لهذا الانحراف، واضطربت علاقات المرأة والرجل، واهتزت القدوة في الأب والأم على السواء، وأثر في التعليم العلماني المفرغ من قيم العقيدة والأخلاق وأخطار وسائل الإعلام[٣]. وهذا التأثر الذي أصاب العالم الإسلامي أصاب العالم الثالث بأسره ثقافياً واقتصادياً حتى بات يصح معه القول « إنه لا يمكن للشمال والجنوب الاستمرار على ما هما عليه. . . فالفجوة بين الدول الغنية والفقيرة هي من العمق بحيث يبدو الأغنياء والفقراء وكأنهم ينتمون إلى عصور مختلفة أو أنهم لا ينتمون إلى عالم واحد».

---

(١) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٧، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٥٤١ .

(٢) منير شفيق، الإسلام في معركة الحضارة . مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٤٨

(٣) أنور جندي، أهداف التغريب، ص ١٦٣ .

فالمسلمون اليــوم يتجلى دورهم ـ مع التمني بإعادة دور حـضارتهم إلى العالـم ـ في الحيلولة دون الانصهار في أتون العالمية أو الأممية أو السـقوط في مصيدة الاحتواء الخارجي، ولـم يكن شغل المسلمين الشـاغل على مدى التاريخ إلا حماية الشـخصية الإسلامية الحضارية من أن تذوب أو تتلاشى في شخصية حضارية أخرى، ويلحظ الكثير من الكتاب الأجانب أهمية ودور الشخصية والقـيم الإسلامية، فيرى «مالكون هـ كير» أن أهم أسبــاب تنامي الصحوة الإســلامية يكمن في المشــاكل الاقتصــادية السياســية والثقــافية والتـحدي الثقــافي الخارجي، ومواجــهة القيم الإســلامية بما يســمى الغزو الفكري الأجنبي[١].

إن انطلاقة الركب الحـضاري للأمة تأتي بمقــدار التزامهــا بالإسلام قولاً وفـعلاً وفكرة وحركة، مهما ابتعــد الزمن وتغيرت الظروف؛ لأن الإسلام باعتقاد أبنائه يرتبط بإصلاح الإنسان في أي مكان وجد، وفي أي زمن عــاش، وليس غريبًا على المسلمين أن يدخلوا من جديد وبقوة في الإطــار الحضاري العالمي،فنحن لم نفصل عن مــاضينا العريق فترات طويلة، بينما نرى الفكر الغربي المعاصر يقــوم على التراث الروماني واليوناني يستمد منه قيمه في الوقت الذي انفصل الغرب عن التراث الإغريقي قرابة ألف عام.

ولكن كي يكون لنا دور بارز ومكانة مـعتبرة في البـعد الحضــاري العالمي، يجب أن نسلم بأن ذلك لن يحـدث إلا بناء على مقومــات أساسيــة ترعرعت في صمـيم الإسلام وعلى المسلمين الأخذ بها، وهي عناصر القوة في الإسلام: «قوة العقيدة، قوة العلم، قوة الخلق ،قوة التماسك الاجتماعي وقوة الجهاد»[٢] .

ـ فالعقيدة هي الأساس الذي يستـقيم عليه حال الفرد والأمة، وبقيت عقيدة المسلمين راسخة قوية رغم كل الهـجمات الكاسحة التي تعرضت لها الأمــة، من المغول والتتار إلى الصليبيين إضافة إلى ألوان التعذيب والاضطهــاد للتخلي عن هذه العقيدة، كما يحدث في بعض دول جنوب شــرق آسيا والبــوسنة والهرسك وهذا حــال المسلمين مع الهندوس في الهند، والصهاينة في فلسطين المحتلة.

---

(١) مالكوم هـ كيــر « ندوة حركة الإحياء الإســلامي، ومظاهرها المعاصرة »، السياســة الدولية، السنة ١٦ العدد ٦١ « تموز ١٩٨٠ »، ص ١١٦ .

(٢) سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

ـ أما بشأن العلم، فالعلم أساس الحضارات، ويحتل في الإسلام مكانة كبرى، فطلبه فريضة والتفرغ له عبادة، والبحث عنه جهاد، وتعليمه قربة، وهو مفتاح الإيمان، ودليل العمل ونور الطريق.

ـ أما الأخلاق الفاضلة فقد كان لها في الإسلام حيزًا كبيرًا، فرسول الله ﷺ ـ الأسوة والقدوة الحسنة ـ لخص بعثته النبوية الشريفة بحديثه المشهور «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١)، والإسلام لم يفصل بين الأخلاق والسياسة شأن الفكر السياسي الغربي عقب ميكافيللي، بل اعتبرهما ينسلان من ثوب واحد هو الإسلام، فالأخلاق أدب وسلوك ومعاملة تحكمها أحكام شرعية واضحة وليست شأنًا ذاتيًا يقيمه الفرد حسب مشيئته.

ـ وقوة التماسك الاجتماعي ودواعي الوحدة صانها الإسلام وشجعها؛ لأنه اللبنة الأساسية لمجتمع قوي معافى منطلق ليحقق ذاته بين المجتمعات الأخرى، فكان وصف الله للمؤمنين أكبر دليل على لحمتهم وتماسكهم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ (٢)، وجاءت قوة الجهر بعد بناء المجتمع السليم لتتوجه ولترفع شأن هذه الأمة ولتحميها من طمع الطامعين ولتحفظ لها دينها وقيمها ومنجزاتها.

إن عناصر القوة تلك لن تقوم أو تتحقق بمفردها إذا لم يوجد الإنسان السوي الذي يحملها؛ لذلك نرى أن الإسلام لم يغفل هذا الإنسان بل اعتبره الأساس في هذا الكون وسخر له كل ما فيه ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾(٣)، ولقد أراد الله لهذا الإنسان منذ البداية أن يكون خليفته في الأرض: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (٤).

إذن فوجود الإنسان وتسخير الكون له وارتباطهما بالمنهج الرباني يعتبر برنامجاً حضارياً متعدد الأبعاد والجوانب يدور مع الإنسان حيث دار، إنما المطلوب العمل والتمسك بالمنهج الرباني الذي تتعين على ضوئه أسباب القوة وتتأكد، والعمل أيضًا ـ وجميعنا مدعوون إليه ـ فريضة ربانية لا تخرج عن إطار المنهج الذي تحدثنا عنه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ**

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) الحجرات: ١٠.
(٣) لقمان: ٢٠.
(٤) البقرة: ٣٠.

﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١). إنه عمل مطلق، وحرية مشرعة أبوابها، تقتحم كل الميادين وتبتعد فقط عن الفواحش والإثم والبغي التي تعطل مسيرة الحضارة الإنسانية، والتي نقتل فيها ـ نحن المسلمون ـ إمكانية وجودنا وكياننا في الحضارة العالمية السائدة، ذلك أن أهم ما يميزنا هو خاصيتنا التي قامت عليها هذه الأمة وحققت وجودها، ألا وهي إنَّهُ الإسلام بكل ما يحتويه من معنى والتزام، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

أما ما نواجهه من عقبات أمام المد الحضاري الإسلامي، ورغم أهميتها، فإنه مقدور عليها بعد إعادة تكوين الذات الإسلامية وتأصيلها، صحيح أن المسافة الحالية من حيث تطور المدنية بيننا وبين الغرب بعيدة إلا أن إمكانية تذليل تلك العقبات متوفرة من داخل العالم الإسلامي الذي ينوء تحت وابل التخلف بأجزاء كبيرة منه، فعندما يمتلك أسباب القوة التي يوفرها له انتماؤه الخالص للإسلام، سوف يحسن بعدها التعامل مع الإمكانات الهائلة المتوفرة لديه: «**الاستراتيجية الجغرافية، الثروات الباطنية، العقول المهاجرة**» وقبل كل ذلك الإنجاز التام لخيار الاستقلال والرفض التام لواقع التبعية.

«إن التقارب أو التنازع الذي يسود من فترة إلى أخرى علاقتنا بالغرب يجب أن يقوي من انتمائنا الإسلامي، والتفاتنا لحضارة الآخرين التقنية لا الثقافية».

وهذا ما مر على تاريخ الغرب نفسه حيث أدى التقارب بين الشرق والغرب إلى نقل الحضارة العربية إلى أوروبا لتبدأ نهضة الغرب، كذلك فإن التنازع الدائم بينهما مثل من جهته دافعًا للغرب لإنشاء حضارته نتيجة للتحدي وإثبات الذات. ويبدو أن الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الذي دخل في الإسلام منذ مدة طويلة نسبياً، قد وضع يده على عقبة هامة تحتل حيزاً كبيراً في فهم الغربيين وتصوراتهم وتحول دون التواصل مع العالم الإسلامي انطلاقاً من نظرته الفوقية الدائمة، فقال: «أعتقد الغرب أنه مباح له تحديد مكانة الآخرين، والحكم عليهم لصالح تاريخه وغاياته وقيمه. وأضاف أن الحضارة الغربية تعتبر نفسها هي الوحيدة الجديرة بالتعبير عما هو شامل»(٣).

---

(١) التوبة: ١٠٥ . (٢) الأعراف: ٣٣ .

(٣) روجيه جارودي، الإسلام دين المستقبل، دار الإيمان، بيروت، ص ١٧٥، ١٧٦ .

أخيرًا أقول: إن الإسـلام اليوم يمثل أكثر من مليار مسلم، وينتشـر على أكثر البقع الجغرافية حساسية، لذلك فـإنه من الصعب أن يمنع من ممارسة دوره الحضاري، فموقعه محفـوظ عند غالبية أهلـه وخطابه ملفت للعديد من الغربيين، والمسـتقبل يبشر بـالبعد الحضاري الواسع لانتشار الإسلام ثم بتوكلهم على الله أولاً، ثم بهمة أبنائه، لكن ذلك لا ينفي الصراع الذي سوف يسـتمر مع الغرب المتفرد بإدارة هذا العـالم دون أي اعتبار للأمم الأخرى، هذا الموقـف الغربي المعاند يقـابله موقف التـيار الإسـلامي من الغرب المستمد من الأمر الرباني الصريح للنبي ﷺ: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1]، والوصول إلى كلمة سـواء لا يكون إلا بالحوار الحر المخلص الذي يبتغـي كل طرف فيه الوصول إلى الحقـيقة، وليس في تاريخ علاقـتنا بالغرب أي توجه يحسب علينا، فلم تكن هناك أبدًا مشكلة عدوان من جانب العرب والمسلمين في مـواجهـة الغـربيين، ولكن المواقف والتـوجـهات السلبـيـة، كانت دائـمًا من جـانب الغرب، حكامه وأحزابه ومفكريه، ضد الأمة العربية والإسلامية وضد حضارتها وثقافتها وشعوبهـا جميعًا، وهذا كـله يجب ألا يوقف طريق الحوار والإعداد للمسـتقبل ولدور إسلامي كبير على مستوى الرسالة وأبعادها الكونية والإنسانية.

---

(١) (آل عمران: ٦٤).

الحادي عشر: على هامش أيام الجمر

١ ـ الطوفان عبر وعظة:

الغافلون عن أخذ العبرة من تاريخهم وما مر بهم في حياتهم أشبه بالنائمين الذين لا يدرون شيئا من حركة الحياة حولهم، فهم لا يملكون لأنفسهم أن يتحولوا عن مواضع الخطر إلى أماكن الأمان ولا يملكون أن يتفادوا الخطر المواجه لهم، والذي قد يطبق عليهم في أي لحظة فيهلكهم، وهم في غفلة ساهون.

من هنا كان من واجبنا أن ننبه الأذهان ونشحذ الهمم، ونثير في الناس عوامل اليقظة التي تسري في الأبدان والأوطان، فتدفع عنها الأوبئة الفتاكة، وتتفادى ـ بعافيتها ـ الأخطار المحدقة بها والمتربصة من حولها.

ونحن ـ بحمد الله ـ لسنا غافلين ولا ناسين ما حدث لنا، حيث اجتاح الطوفان الباغي أرضنا فشرد أبناءنا وأهلنا، وأهلك أموالنا ورجالنا، وأزال عن الكويت طهرها وصفاءها، ونشر فيها الذئاب والأفاعي تعبث بساكنيها، وتثير الرعب والفزع في أرجائها.

وطال الأمد سبعة أشهر لم تكن في نفوسنا قصيرة، بل كانت مريرة أليمة، حيث تفرق الأحباب وتقاطع الأصحاب، واتجه الناس في بلاد الله شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وصار المذياع في كثير من الأحيان هو الملتقى الذي يجمع أبناء أسرة واحدة في عواصم شتى، وفي داخل البلاد أو خارجها. سبعة أشهر. قل: نُوِّمَ الناس فيها، وكثر أرقهم، وقلت مؤونتهم، وذاقوا شظف العيش بعد نعيم، وشقاء الحرمان بعد رغد، والتشتت في الأرض بعد أن جمعتهم الكويت في أحضانها وشبوا في ربوعها.

ومع هذه الآلام العظيمة كانت هناك بطولات عظيمة، فجرت العزائم في نفوس الرجال، فما وهنوا وما استكانوا، بل صبروا على ما أصابهم، فكان من في خارج البلاد غير راضين بما حدث ولا قانعين بما أصابهم، بل كانوا خير سفراء لقضية البلاد في أركان الأرض.

وكان من في داخل البلاد كتلة صلبة في وجه العدو بحيث لا يعرف هذا العدو منفذا يتسلل منه إلى داخلها ليثير الفتنة بينها، بل كان الجميع جسدا واحدا يألم لما

يصيب أحد أبنائه، ويقف حجر عثرة أمام كل خطوة يحاول الغاصبون أن يذللوا لهم فيها طريقا، ويشقوا لأنفسهم فيها سبيلا.

ووقف الجميع في الخارج والداخل على السواء خلف القيادة الحاكمة لا يرضون بغيرها بديلا، ولا يقبلون بينها تغييرا، وكان ذلك أسوأ ما يسوء الغاصبين، ويسر المؤيدين، الذين يقفون من القضية موقف الحق وينادون بأن يرحل الغاصبون، وأن يعود إلى أرضهم وكويتهم المشردون فيسعدون.

٢. أشواك في طريق الأفراح:

إن الفرحة ليست قاصرة على الأحياء، بل إن الشهداء في سبيل الله ليفرحون، بما يرونه من كرامتهم عند ربهم، وما أعده الله لهم من عظيم النعيم ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (١). ففرحة الشهداء لأنفسهم أولا ولإخوانهم السائرين على الدرب، المحافظين على العهد، العاملين على نصرة دين الله في الأرض. ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ**﴾ وفرحة الأحياء من المؤمنين بنصر الله عظيمة، فبه تكون العزة من غير تكبر، والقوة في غير بطش، واللين في غير ضعف، والتمكين للمؤمنين الذين يحملون منهج الله في الأرض ويطبقونه. ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾(٢).

وإذا تحققت فرحة الأحياء منا بالنصر والتحرير والعودة إلى الأرض والصحب والأهل، وممارسة شؤون الحياة من جديد، فإن فرحة الشهداء هي بغير شك فوق فرحة الأحياء، وأعظم من كل تصور يخطر على قلب بشر؛ إذ هي فرحة خالصة بغير منغصات.

أما فرحة الأحياء فكثيرا ما تلحق بها المنغصات، التي يثيرها المفسدون. وما كادت تتم فرحة التحرير حتى لحقت بها منغصات حرق آبار البترول، الذي هو العنصر الأساسي في اقتصاد البلاد في الوقت الراهن، وما كان ذلك إلا إظهارا لحسد

(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) الروم: ٤، ٥.

في نفوسهم، ومرض في قلوبهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١). كان ذلك أيضا من أجل إفساد الفرحة، وإزالة البهجة عن قلوب الناس الذين فرحوا بتحرير البلاد.

ومع حرق البترول كان هناك منغص آخر شديد له وقعه في كل بيت، لأن الكويت كلها كانت أسرة واحدة، لقد تمثل هذا المنغص في احتجاز الأسرى، وقد استطعنا بفضل الله القضاء على حرائق البترول، ولكن مشكلة الأسرى ما زالت قائمة تقلل من فرحة التحرير، بل وتكون سببا في إلغاء الاحتفال الرسمي بذكرى التحرير، وما زال المفسدون يثيرون الشكوك حينا بعد حين، ليقللوا من الفرحة، وما زالوا من آونة لأخرى يعتدون على الحدود، وكأنهم يقولون لنا: نحن هنا فخذوا حذركم واتركوا فرحكم.

ولسنا ـ بحمد الله ـ غافلين عن مثل هذه المنغصات وما دمنا قد عقدنا بيننا وبين الله المواثيق على أن نكون له جنودا طائعين، فإننا لن نخشى أحدا، بل ونعلن في وجوه المفسدين ـ حسبنا الله ونعم الوكيل ـ فيما فعلتم، وفيما تقدمون عليه مما ستفعلون. وحينما كانت الكويت رائدة في مساعدة المحتاجين أردتم أن تقضوا على الخير، فكنتم سلاح الشيطان حين غزوتم الكويت ولكن الله نجانا من شركم، وسوف ينجينا دائما ـ إن شاء الله ـ ما دمنا له مطيعين، وعليه متوكلين ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾(٢).

٣. عش عزيزا أو مت عزيزا:

عاث الغاصبون في أرض الكويت فسادا، فوجدوا البغض في كل قلب، والغضب على كل وجه، ووجدوا أهلها كتلة صلبة، لا يستطيع عابث أن يعبث بها، أو أن يستهويها ويستميلها بالترغيب والإغراء، أو أن يجعلها ترضى به ولو بالترهيب والإيذاء.

وجنّ جنون الغاصبين، وصاروا يعاقبون الناس بالشبهة، ويؤاخذونهم بالظنة، وطغوا وبغوا وتكبروا في الأرض بغير الحق، ورفعوا راية الظلم فوق أرضنا، وتكلمت لغة الرصاص، فسقط الشهداء في كثير من أماكن الكويت، وسالت دماؤهم فظن بذلك العدو أن العزم سيلين، وأن التمكين له في الأرض عما قريب يتحقق، ولما لم يجد شيئا من ذلك، ووجد الناس تنكر موقفه وتأباه، زاد القتل وسفك الدماء.

ولكن الذين يعلمون منزلة الشهداء عند الله فوضوا أمرهم لخالقهم، وأدركوا

---

(١) النساء: ٥٤ . (٢) يوسف: ٢١ .

أنهم إن يلقوا الله شـهداء فهـو خير لهم من أن يـعيشوا تحـت سطوة جائر أو بطش ظالم، وتكونت حركـة المقاومة التي كـان أفرادها يرددون ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1]. وكان شعارهم:

عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وأَنْتَ كَرِيـمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْـقِ الْبُنُـودِ
فَصُدُورُ الرِّمَاحِ أَذْهَـبُ لِلْغَيْـظِ ... وأَشْفَى لِغِلِّ صَـدْرِ الْحَقُـودِ

وقـدم هـؤلاء أرواحـهـم، فكانت إعـلانا بالرفض لكـل من عـاش فـوق هذه الأرض، وسقط شهداء من الرجال والنسـاء. لسنا ننساهم مدى الدهر؛ لأنهم جادوا بأعز مـا يملكون وأكبر ما يقـدرون، جادوا بنفوسهم راضين، غـير راضين الظلم من الظالمين: «والجود بالنفس أقـصى غاية الجود». ومن لم ينل شرف الشهـادة نال شرفا آخر، يظل أبناء الكويـت يذكرونه ولا ينسونه، إن الأسـرى الذين يحتجـزهم العدو العـراقي، أو بالأصح الرهائن الذين رحـلهم من ديارهم وأخـذهم من بين أهليـهم سـيظلون في قلوبنا وملء سـمعنا وأبصـارنا حـتى يفرج عنهـم، ولن تهدأ نفـوسنا وتطمئن قلوبنا إلا حين يعودون مكرّمين إلى ديارهم وبلادهم وإخـوانهم، فقد أخذوا بغيـر ذنب، ولم يعتدوا على أحد، ولم يؤخـذوا في ميدان قتـال مشهود، وسـاحة نضال معـروف، ولكنهم أخذوا لما عرف عنهم أنهم يرفـضون العدوان، ولا يؤيدون الظلم والبطش والطغيان ويقفون حـيث وقف كل كويتي يعلن رفضه لصدام، ويعلن رضاه بشـرعية أبناء الكويت مـن الحكام. ولسنا ننسى شهداءنا ولسـنا ننسى أسرانا، وندعو الله أن يرحم الشهداء ويفك قيد الأسرى، وأن يجزي الجميع بالجزاء الحسن.

٤- الابتلاء مدرسة لتخريج الرجال:

إن يكن في الشدائد من خـير، فهي أنهـا تكشف عن معادن النفـوس، وتظهر الطيب من الخبيث، وتبين الخائر الواهن من القوي الأمين، وقد بلغت الكويت أقصى حالات الشـدة يوم غطى أرضهـا طوفان الشـر، فظهرت ـ جلـية ـ نفوس أبنـائها، فاتجهوا إلى الله قبل أن يتجهوا إلى أحد سواه وتشابكت الأيدي كلها، وتلاحم البنيان البـشري، فكان التـعاون والتكاتف الذي أخـبر عنـه رسول الله ﷺ بقوله: «**ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعـاطفهم كمثل الجسد الواحـد إذا اشتكى منه عضو**

(١) آل عمران: ١٦٩ .

تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» متفق عليه[١].

وقامت لجان التكافل تسعى في خدمة الناس طواعيــة بغير جبر من أحد؛ وبغير أجر كذلك، تحمل الطعام للجائعين، تعين على تحمل النائبة. وتذهب إلى الناس في بيوتهم، تقدم لهم ما يحتاجون، وتحقق لــهم ما يريدون، تأخذ ما فاض منها لتوزعه هنالك، وتنظف الشوارع، وتجـمع القمامـة وتعمل على إحراقـها في أماكن مـعينة، لتمنع انتشار الأمراض وتفشي الأوبئة، حتى توفر بعض الدواء للمرضى الذين يعانون الآلام، لقد كان العــاملون في لجان التكافل يشعــرون بمسؤوليتهم عن إخــوانهم كما يشعر الأب بمسؤوليته نحو أبنائه بحيث يوفر لهم المتطلبات الأساسية لاستمرار الحياة، وتخفيف ويلاتها والتقليل من شقائها ما أمكن.

لقد جعلت لجان التكافل الكويت كلها أسرة واحدة، يشعر كل فرد بواجبه نحو أخيه، فيؤديه في غير سخط، ويقوم به في غير تبرم، ولو لقي في سبيل ذلك أهوالا وآلامــا، فكم نجى الله من بينهــم من كنا نظن أنه هالك لا مــحــالة، وصــدق الله: ﴿**وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[٢].

وكم زاد رصيــد الصبر عند النــاس وقت أن قل رصيد المال، وقل رصــيد الأمن، وقل رصيد الزاد وكثر البـغي وعتا الظلم، وكثر التفتيش، وكـثر بقاء الناس في بيوتها، وخوفهم من أن تمتد إليهم يد العدوان، فلا يدري أحــد مصيرهم، كم زاد رصيد الصبر حين كان الناس يؤخذون من بيوتهم أو من الشوارع، فيــصب عليهم العذاب صبا، فلا يتحولون عمــا ارتضوا ولا يتضعضعون أمــام باغ أثيم. فكان الجزاء أن فرج الله الكرب وأزال الغاشية وأمن الناس مرة أخرى في بيوتهم وديارهم وبين إخوانهم، بعد ما جاءهم نصر الله، فكان الصبر خــير عون على مواجهة المحنة، ومقــاومة الأزمة، وصدق الله: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣].

إنها بطولات لا تنسى، ونعمٌ من الله لا تحـصى، نعم وسط المحنة أنعم الله بها على أبنائنا وإخــواننا، وقد زالت بحــمد الله المحنة، وبقـيت هذه النعم نعم التـعاون والتكافل، نعم الإحساس بالمســؤولية والقيام بها، نعم الصبر أمــام الشدائد والتمسك بالصبر حــتى تزول، فكيف ننسى تلك النعم التي رعانا الله بها وحــبانا إياها وصدق

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشر رضي الله عنه.

(٢) الزمر: ٦١. (٣) الزمر: ١٠.

قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[1].

٥ ـ الخوف والجوع:

الخوف والجوع هما من أشد ما يصيب الناس في هذه الحياة، فيبددان الطاقة، ويقلبان الحياة جحيما لا يطاق، فالجائع لا يحسن عملا، ولا يتقن صنعا، والخائف لا يجد نفسه التي أذهب الخوف تماسكها، وحل الذعر فيها مكان الاستقرار، فارتعشت من صاحبها الأطراف، وتعثرت الكلمات، ووهنت القوى، ولقد امتن الله على قريش في قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[2]، وما كان هذا الامتنان من الله إلا لأهمية الأمن وما به تقوم حياة الإنسان من الطعام والشراب، فالحياة بغير طعام مأكول نهايتها قريبة، والحياة بغير أمن مكفول نهايتها أليمة.

لقد قاسى الناس تحت وطأة طوفان الغزو من الخوف في كثير من الأحيان، ومن قلة الطعام في أحيان أخرى، ورغم هذه القسوة لم تلن لهم قناة، ولم يفرطوا في أرض أو عرض أو يتحولوا من تأييد للحكومة القائمة على غيرها، وهذا من فضل الله ولطفه بعباده، الذين توالت عليهم الصدمات والشدائد بعد العدوان، فأصابهم الخوف والجوع، ولكن بقي لهم الكثير من التماسك والقدرة على مواجهة المحنة، فلم يستكينوا للعدو أو يسلموا بمطلب يدعيه.

وتكر الأيام فالشهور، ويطل على بلادنا فجر النصر والتحرير، فيزيح عن الصدور ضيق الخوف، والجوع، ويتحقق الأمل الذي طالما تحدثنا عنه، وأكدنا تحقيقه؛ مصداقا لقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[3]، ويولد الأمل كبيرا ناميا ويتم الله نعمته بتحقيق الأمن في ديارنا وبلادنا وبين أهلينا وإخواننا، ويتم الله نعمته، وتلحق بنا رحمته، حين أطفئت حرائق البترول في وقت قياسي، ما كان يظن معظم المتفائلين أن يتم فيه؛ فيتحقق لنا امتنان الله بنعمتي الأمن بعد الخوف والشبع بعد الجوع.

ويسعدنا الله بعد ذلك فنرى فرحة الأبناء، وهم يعودون مع آبائهم وإخوانهم وفرحة الشعب الكويتي، وهو يرى حكومته قد عادت إلى البلاد بعد أن فرج الله

---

(١) سورة الزمر: ٣٦ .
(٢) قريش: ٣، ٤ .
(٣) الحج: ٣٨ .

الكرب وأزال الغم، فكان اتفاق الجميع أن يتم تطبيق شرع الله في الأرض، وتعاهد الجميع على ذلك في كل لقاء رسمي أو شعبي في أي مكان داخل البلاد أو خارجها.

وإنها لفرصة أن نذكر الجميع بما قطعوه على أنفسهم من عهود أن يتجهوا إلى الله يبتغون رضاه، يحققون دينه، ويحكمون شريعته. وإذا كان هذا العهد يمهد له السبيل إلى التحقيق الآن، فإننا لنرجو أن يتم ذلك في أقرب وقت، حتى نكون لربنا من الشاكرين، ولا تلحق بنا صفة الجاحدين المنكرين.

٦- الشكر لله بالقول والعمل:

يريد كل الناس أن يستزيدوا من نعم الله في الرزق والأمن والعافية وسلامة الأبدان والأوطان دون أن يسلكوا السبيل الموصلة إلى ذلك، مع وضوحها وسهولة العمل بها. وإذا حرصنا على أن تظل نعم الله بين أيدينا، فتقييدها لا يكون بغير الشكر عليها، وإذا حرصنا أن نستزيد من النعم بعد تقييدها فطريق ذلك هو الشكر أيضا، والله سبحانه يقول: ﴿**وَلَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (١)، ونكران نعم الله وجحودها ليس دأب الصالحين، ولا طبيعة المؤمنين، فكيف ننسى نعم الله علينا، وهي مركوزة في قلوبنا شهودا ومحبة، وظاهرة على جوارحنا؛ انقيادا وطاعة ويجري ذكرها على ألسنتنا اعترافا وثناء وحمدا وشكرا؟

إننا نشكر الله على النجاة من الطغاة، ومن مستلزمات الشكر ألا نطغى ولا نبغي ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (٢) ، والبغي مرتعه وخيم والطغيان عاقبته ندامة وخسران.

إننا نشكر الله على نعمة التوحيد والبعد عن التفرق والتمزق، وتلك نعمة أدركها كل من عايش الأحداث عن قرب، وشارك بجهد في سبيل تحرير البلاد، فتحقق المراد، وزال عنا الشر والفساد ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (٣)، وما زلنا في كل حين في حاجة إلى نعم الله كلها، ونعمة التوحد لبناء البلاد والسير بها إلى بر الأمان وشاطئ النجاة أمر مطلوب ولن يكون ذلك إلا بشكر الله والتوجه إليه وحده أن يجمع الصف على شريعته ويوحد بين القلوب بحبه

---

(١) إبراهيم: ٧ . (٢) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩ .

(٣) الأنفال: ٤٦ .

والتوجه إليه ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ (١) .

إننا نشكر الله طول حياتنا على نعمة الإيمان به، واتباع رسوله ﷺ وتذكر تلك المنة التي امتن الله بهـا علينا وبيّنها لنا في كـتابه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾(٢) ،وقد رضينا بما رضيه الله لنا، ولن ننسى أن الإيمان بالله هو سـبب النجاة في الدنيـا والآخرة، نجاة من خـزي الانكسار، وعـثرة الاندحار، ونجـاة من كبرياء الأعداء، وطغـيان السفهـاء، نجاة نجّانا الله بها، فـعادت الديار لأصـحابهـا، والأموال لمالكيـهـا، وتحقق لنا النصـر، ولن يدوم ذلك إلا إذا انتصـرنا على أنفسنا، وتحكمنا في أهوائنا بحـيث تكون تابعة لشرع الله، وأخـضعنا أحكامنا وأنفـسنا وسلوكنا، وكل مـا نأتي ومـا ندع لدين الله، فنكون له مطيـعين، ونحقق بذلك العـزة والكرامة، لأننا بذلك نكتب في عـداد الشاكرين، فـيذهب الله بأسنا، ويحقق رجاءنا، ويكبت أعداءنا، ومـا ذلك إلا بتمام الإيمان واليقين، ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ (٣) .

وإننا ما زلنا معتزين بأصالتنا الإسلامية وبأمتنا العربية،لا ننزع أنفسنا من الأمة، ولا نتـخلف عمـا يوجبـه الدين نحو المسلمـين، فذلك واجب نؤديه نحـو المسلمين راضين، غيـر ساخطين، مدركين أن هذا أمـر به تكون حياتنا، وبغـيره تفقد الحـياة معناها، ويزول منها الرضا واليقين، وما زلنا بحمد الله نقوم بدورنا الإسلامي، وبدعم أمتنا العربيـة لإيماننا بأن سفينتنا واحدة، فنجاة السـفينة نجاة للجميع، وغـرقها هلاك للجميع، وإننا لندعو أنفسنا وإخواننا المسلمين في كل أرض أن نحتكم إلى كتاب الله دستورا ومنهجا في كل تصرف، ولا نقـدم شيئا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبذلك نصل إلى الحق، وندفع الأهواء بعيـدا عن عقولنا، فتكون نظرتنا موضـوعية مقننة، وبغيـر ذلك فلن نصل إلى ما نريد وإلى أي تقدم تصبو له الأمـة؛ لأن معيار الحق غير موجود، وضوابط العدل بيننا كمسـلمين غير مستخدمة، فكيف ترقى الأمة بذلك؟

(١) الأنفال: ٦٣ . (٢) المائدة: ٣ .
(٣) يونس: ٩٨ .

إن مما يوجبه شكر الله علينا أن ندعو جميع المسلمين أن يجعلوا كتاب الله منهجا، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا، وأن يعودوا عما قد يكون منهم حين تتقدم الأهواء، وتتحكم العواطف، ويتخذ الناس الكتاب وراءهم ظهريا.

إنها دعوة للحق والعدل بين المسلمين، يوجبها شكر نعم الله علينا، في وقت نذكر فيه تلك النعم التي تصاحبنا في كل حين ولا نستطيع حصرها وإن عددنا بعضها وصدق الله: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾[1]. وصدق الله ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[2].

---

(١) إبراهيم: ٣٤ .

(٢) إبراهيم: ٧ .

الخاتمة

في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتـعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة؛ لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذفورة ، وتظل أبدًا يقظة عاملة ، مستنبطة لذخائر الأرض .

وسنة التدافع تعد من السنن الشـرعية والكونية التي تكتسب أهميـة بالغة في حياة الأمم والشعـوب ، ولقد بين القـرآن الكريم أهمية هذه السنن ومكانتـها في الكثـير من المواطن، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [(١)]، فالتدافع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان، ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد يتخذ هذا الصراع أشكـالا وألوانا ، فتارة يكون بالقلم واللسان ، وتارة يكون بالسيف والسنان ؛ لكنه يبقى دائرا في سنة التدافع التي بينها الله عز وجل .

وقد تناول الكتاب القضايا الملتهبـة ليعالج الحرب على الإسلام من خلال ما يجري في فلسطين وأفغانستـان انطلاقا من سنة التدافع واقعا وتاريخا وحـاضرا ومآلا في ضوء استـشراف المستقـبل وبعث الأمل ، وإيقاظ الهمم ، وتبـيان أسباب النصـرة والعزة ، وعوامل الضعف والهزيمة .

وحركة التـاريخ في دائرة الحضارات الكبرى الجـامعة كالحـضارة الإسلاميـة حركة دورية تنظمهـا مراحل الهبوط والصـعود . . الهبـوط بفعل التآمر والفـساد الداخليين، والصعود بفعل الاستجابة لتحديات خارجية قوية مثل التي تحياها الأمة في هذه الآونة .

وهذا الكتاب وقف بـنا على أهم القضايا الملتـهبة ، وفـقه التدافـع الذي ينبغي أن تنطلق من خلالة المجتمعات الإسلامية .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

ثبت بأهم المراجع

ـ **الاتجاهات الوطنيـة فى الأدب المعاصر** : د / محمـد محمد حسين ، طبعة دار الإرشاد بيروت ، ١٩٧٠ م .

ـ **الأصولية الإسلامية والنظام العالمى** : د/ أحمد الموصلى .

ـ **الإسلامية وخرافة المواجهة** : فريد هالبداى ، ترجمة محمد مستجير .

ـ **الإسلام والمستقبل** :د/ محمد عمارة .

ـ **الإسلام ومستقبل البشرية** : د/ عبد الله عزام .

ـ **أوراق حقيقية عن أفغانستان** : شبكة الإنترنت .

ـ **إنها الصحوة** : محمود مفلح ، طبعة دار الوفاء ـ مصر .

ـ **الخيانة العربية الكبرى** : أحمد رائف .

ـ **الرجل الصنم** : ضابط تركى ، ترجمة : عبد الله عبد الرحمن ، طبعة الشركة المتحدة ـ بيروت ، ١٩٧٧م .

ـ صحيفة الشرق الأوسط .

ـ صحيفة الوطن .

ـ عقيدة الإسلام أيديولوجية المستقبل ؛ د/ مهدى عبود .

ـ الفكر الإسلامى وآفاقه الجديدة : د/زكى نجيب محمود .

ـ **كتاب السنن** : د/ عبد الكريم زيدان.

ـ **لبنان وخطر التوطين**: محمود أحمد، وجهات نظر، عدد ١٥إبريل سنة ٢٠٠٠م.

ـ **اللوبى (اليهود وسياسة أمريكا الخارجية)** : ترجمة محمود زايد ، شركة المطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ م.

ـ **مجلة البيان** .

ـ **مختصر كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية**: أبو شامة،

اختصار : د/ محمد حسن بن عقيل موسى .

ـ **مخططات الاستعمار** : إشراف خالد الشـيبة ، وزارة الدفاع الإماراتيـة، الطبعة الثالثة، بنك دبى . د . ت .

ـ **مراجعات فى الفكر والدعوة** : عمر عبيد حسنة.

ـ **مقاتل من مكة** : خالد خليل أسعد .

ـ **المقدمة** : ابن خلدون .

ـ **هدير الإيمان** : منذر الشعار .

ـ **هذا الدين** : سيد قطب .

ـ **وثيقة خطيرة فى كشف مخطط عبد الناصر لضرب الحركة الإسلامية .د.ت.**

حصيلة الأربعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[1].

فحرصًا مني على استمرار طباعة كتبي في حياتي وبعد مماتي قمت بالتمويل الكامل لطباعة هذه الكتب في لبنان ومصر، على أن تكون هذه المبالغ وهذه الكتب في محفظة وقفية ثقافية لنشر الكتب ومساعدة طلبة العلم في العالم الإسلامي، وأنا اليوم في الأول من محرم سنة ١٤٣١ هـ الموافق الثامن عشر من ديسمبر ٢٠٠٩ م أضع اللمسات الأخيرة على إصداراتنا؛ لنغتنم العام الأربعين لإنتاجنا الثقافي الكتابي المقروء الذي أكرمني الله به، وقد وضعت نصب عيني ما ذكره الإمام النووي في كتابه الأذكار عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**﴾[2].

قال ـ رحمه الله: «اعلم أن ذكر محاسن الإنسان لنفسه ضربان: مذموم ومحبوب، فالمذموم: أن يذكره للافتخار، وإظهار الارتفاع، والتميز على الأقران، وشبه ذلك. والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف، أو ناهيًا عن منكر، أو ناصحًا، أو مشيرًا بمصلحة، أو مُعلِّمًا، أو مؤدبًا، أو واعظًا، أو مذكرًا، أو مُصلحًا بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شرًا، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنه ناويًا بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله، واعتماد ما يذكره، وقد جاء في هذا المعنى ما لا يحصى من النصوص، كقول النبي ﷺ: «**أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِب**»[3]، وقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»[4]، وقوله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ**»[5]، وقوله ﷺ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ**»[6].. وأشباهه كثيرة.

---

(١) الأحقاف: ١٥. (٢) النجم: ٣٢.

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٤، ٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٦) أخرجه البخاري (٢٠) بلفظ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا».

هذا وقـد قال الله تعـالى حكاية عن يوسف: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾(١).

وقد قال عـثمان # عن نفسـه، حين حُوصر: (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُـونَ أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؛ فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»؛ فَجَهَّزْتُهُ؟ فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَال)(٢).

كما إنني هنا إذ أذكر ما كـتبت، إنما أصيح على الملأ: هَذَا فَضْلُ الله الَّذي تَكَرَّمَ به عَلَى عَبْده الضَّعِيف الَّذي لا حَـوْلَ لَهُ وَلا قُوَّةَ، أُعْلِنُ لنَفْسي ولوَلَدي منْ بَعْدي أَنَّ مَا كَتَـبْتُهُ أَوْدَعْتُهُ مَعَ مَـا أَكْرَمَني الله به منْ مَال، أَضَعُهُ فِي مَـحْفَظَة وَقْفيَة ثَقَـافيَة في حَيَـاتي وَمنْ بَعْد مَـمَاتِي، بَيَّنْتُ تَـفْصِيلَهَـا فِي وَصِيَّـتي تَحْتَ وِسَادَتِي، سَـائلاً الله الـتَّوْفِيقَ وَالسَّـدَادَ.

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

هذه سلسلة «حصيلة الأربعين»

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة. ب ـ اسم الكتاب : وصية لا وصايا.

جـ ـ رقم السلسلة : ١ د ـ الرقم الفني : ١

هـ ـ تعريف الكتاب :

لفتات علمية وتربوية صادقة. . . راح المؤلف يضمنها من معاني التربية النبوية والمنهجية القرآنية والمبادئ الواقعية ما يجعلها وجبة دسمة تستحق أن تطرح على تلك الشبيبة من فتيان الدعوة المروم منهم أن يكونوا من ضمن تلك الثلة والفئة الراشدة التي أومأ إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[1].

فكانت هذه الوجبة. . . وكان هذا الزاد للعمل على تهيئة النشء على قيم الإسلام، ومبادئ الإيمان من خلال ثماني جرعات إيمانية تضمنتها ثماني رسائل هي على التوالي :

١ ــ كيف يكون الداعية شخصية محبوبة ؟

٢ ــ الدعوة والدعاة في منهج القرآن.

٣ ــ أولويات في تربية الناشئة.

٤ ــ الثقة بالله وأثرها في العمل الإسلامي.

٥ ــ معايير منهجية في الدعوة الإسلامية.

٦ ــ المراحل الانتقالية في الدعوة الفردية.

٧ ــ مُتطلبات الدعوة الإسلامية ومستلزماتها.

٨ ــ المجاهدة.

وهي أخي تتآزر وتتعاضد. . ويأخذ بعضها بحجز بعض في سبيل استنبات الجذور وابتناء السور. . .وأي سور؟ إنه سور القيم الواقي الذي نرجو أن ينعم به نشؤنا بعيدا عن تلك الملهيات المضيعات التي تخطفت زهرات كثيرات منهم. . .

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

(١) الكهف: ١٣ .

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: المشمرون.**

جـ - رقم السلسلة: ٢ **د - الرقم الفني: ٢**

هـ - تعريف الكتاب:

مع مسيرة البناء ومع استواء عود الفتيان الذين خاطبناهم في المجموعة الأولى تأتي هذه الدفعة من الرسائل لتخاطب العقل والوجدان معًا عند هؤلاء الشباب، وهي نفحات إيمانية تضع بين أيديهم مصابيح الهداية وتغرس في قلوبهم مجموعة من القيم والمعاني التي يحتاجها الشباب الذين بدأوا في سيرهم معركة الدعوة المباركة، وتأتي هذه المجموعة بعد وضع المعاني التي وردت في كتابنا «وصية لا وصايا» وهنا يكون من المناسب جدًا طرح معانٍ جديدة تبنى على ما سبق من أجل الاكتمال التربوي. وقد بينت هذه المعاني في الرسائل الآتية:

١ - الأخوة. ٢ - الصفات اللازمة للدعاة إلى الله.

٣ - الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله. ٤ - للدعاة فقط.

٥ - طريق الأمناء لتحقيق الوفاء. ٦ - إنسانية الرسول ﷺ.

٧ - حوارات في هموم الأمة. ٨ - العلم بين يدي العالم والمتعلم.

وهذه الرسائل لا يستطيعها: فهمًا وتطبيقًا والتزامًا إلا (الربانيون) الذين أتحدث إليهم بحرقة المحب لهذا الدين والعاملين له.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: عشاق الريادة.**

جـ - رقم السلسلة: ٣ **د - الرقم الفني: ٣**

هـ - تعريف الكتاب:

يمضي الركب وتتتابع المسيرة ويشب الفتيان ويدلف الشباب إلى طور النضج والرشد، لذا كانت هذه المجموعة من الرسائل؛ لكي نقف مع أبنائنا الذين بدأوا الطريق معنا في المراحل السابقة؛ لنختم معهم المسار في بيان للمسار العملي، والفقه الميداني، فيتعرفوا على ما هو مفيد ومؤصل في مسيرتهم الدعوية، ولهذا وضعنا سبع رسائل تكون إن شاء الله تكملة لما سبقها، وقد جاءت كالتالي:

١ ــ طريق الدعوة الإسلامية (أسرار ـ عوائق وعلاجات، وقفات ـ إشارات وهمسات).

٢ ــ ضوابط في العمل الإسلامي. ٣ ــ الفتور: آثاره وأسبابه وعلاجه.

٤ ــ القيادة (الأسباب الذاتية للتنمية القيادية). ٥ ــ ذاتية المؤمن طريق النماء.

٦ ــ الأوراق الثمانية من كوامن المائة الثامنة. ٧ ــ معاناة قلم وكلمات أمل.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب: العشرون الكبار.**

جـ ـ رقم السلسلة: ٤ **د ـ الرقم الفني: ٤**

هـ ـ تعريف الكتاب:

الكبار في كل عصر علامة فاصلة بين العلم والجهل، بين الحركة والسكون، بين الأثرة والإيثار. وهذه محاورات مع قامات عالية وهمم سامية ونفوس كبيرة رحلت عن دنيانا بأجسادها وبقيت بآثارها وأياديها. وقد اخترنا أسلوبًا في العرض يجعلك تعيش مع هؤلاء السادة بفكرك وقلبك كأنك تجالسهم وتحاورهم وتستمع لآرائهم وتبصر تحليلاتهم... في أسلوب طريف وعرض شيق، يعطيك الترجمة لهؤلاء الأعلام ولكن في صورة متحركة تنبض بالحس وتشي بالحياة، وبالطبع لا تستوعب هذه الحوارات حياة هؤلاء وآثارهم، وإنما نختار بعضًا من ذلك الضوء، على نية أن يكون لنا ــ بإذن الله ــ عود آخر لاحقًا، وكان منهجنا على النحو التالي:

١ ــ اختيار الحوارات بعناية ودقة، وقوام ذلك:

أ ــ كشف أوجه العظمة والنبوغ لدى هذه الكوكبة المتميزة.

ب ــ إثارة قضايا قديمة معاصرة معًا في مسيرة الدعوة العلمية والحضارية.

٢ ــ التركيز في الحوارات على الجوانب المتقاطعة مع ما تمر به الأمة من أزمات لنستنطق آثارهم ونسترشد بفكرهم.

٣ ــ الاعتماد على كتبهم ومصنفاتهم.

٤ ــ جاء الاختيار لهؤلاء الأعلام على النحو التالي:

أ ــ أئمة أهل السنة والجماعة. ب ــ شموع مضيئة من الأندلس.

جـ ــ بين إمامي الحديث والرأي. د ــ إمام المفسرين.

هـ ــ أئمة الحديث وحفاظه ورجاله الكبار. و ــ من قادة الدعوة المعاصرين.

ز ــ من أعمدة الدعوة والفقه والحديث المعاصرين.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب: الأربعون الأدبية.**

جـ ـ رقم السلسلة: ٥ **د - الرقم الفني: ٥**

هـ ـ تعريف الكتاب:

للأدب شعرًا ونثرًا فضل يبقى على الزمان، وهو ما كان العرب يجمعونه من كل لفظة ناصعة، وكلمة رائعة ؛ لتكون بنية للأدب الخالد، أقيمت له الأسواق، وسارت به وإليه الركبان.

وهذه الأربعينية تضم مختارات من صفوة الأدب العربي، مما سهل مأخذه وغلت قيمته.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب ـ اسم الكتاب: الإصلاح الاجتماعي والتربوي عند ابن الجوزي وابن حزم.

جـ ـ رقم السلسلة: ٦ **د - الرقم الفني: ٦**

هـ ـ تعريف الكتاب:

ـ كتاب يشتمل على دراسة لعلمين كبيرين من أعلام الإسلام وقاماته العظام، كانا مثالاً عن التجديد والحيوية في فكرنا الإسلامي عامة والتربوي على وجه الخصوص، وهما:

ــ علامة العراق: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (٥٠٨هـ: ٥٧٩هـ).

ــ علاَّمة الأندلس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٣٨٤هـ: ٤٥٦هـ).

وموضوع الدراسة: الإصلاح المجتمعي والتربوي والتجديد الحضاري. تناولناه في أربعين وجهًا بين العلمين الكبيرين؛ وذلك لضلاعتهما في المنهج الوضعي،

وسبقـهما في كثير من الـنظريات الاجتماعية، وقـوة عارضتهمـا في تشخيص الواقع الإسلامي، وبراعـتهـما في وضع الحلول المناسـبة، وطرح نظريات ومبـادئ واقعـية وإسلامية، وقد اتبعنا في الكتاب منهج التـحليل والمقارنة؛ حيث سعينا لتحليل الفكر السسـيولوجي (الاجتـماعي) والسـيكولوجي (النفسي) عند ابن الجـوزي وابن حزم، وقارنا بينهما وبين مـحدثينا ومعاصرينا من علماء المشرق والمغرب على سـبيل التنبيه، وسعينا لوضع مـبادئ، والجزم بنتائج بناء على شـواهد الدراسة، تصب جميـعها في صالح الفكر الإسلامي وسبقه للفكر الغربي في عالم الوعي الاجتماعي الواقعي على سبيل التشخـيص والعلاج. وقد أفردنا لكل علم قسمًا من الكتاب حـتى لا يستغرقنا المقام في المقـارنة بينهما عن الأهم في استـخلاص السمات الاجـتماعيـة لكل واحد منهما على حدة. ولسوف يجد القارئ الكريم الكثير من الألفاظ الاجتماعية والنفسية بما يتعـارف عليه المتـخصصـون المعاصرون، وسـعينا للكشف عن مـعناها من خلال سياقهـا العام دون دخول في جوهر ودلالة كل مصطلح ؛ لأن الدراسـة تخاطب غير المتخصصين في المقام الأول.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب: الأربعون الزهدية.**

جـ ـ رقم السلسلة: ٧ **د ـ الرقم الفني: ٧**

هـ ـ تعريف الكتاب:

قصـدنا في هذا الكتاب الإقبـال على النفس لتستكمل فـضائلها، والتـوجه إلى القلب ليسلم من علله، ووهم من ظن أن الوقت ليس وقت مخاطبة القلوب وإنما هو وقت الأسبـاب والمسبـبات.. فنقـول: صدقت ؛ إن حـالنا يتغيـر بتغـير الأسـباب والمسببات الدنيوية، ولكن كيف تتغير هذه الأسباب والمسببات ؟

إنها تتـغير في تصـوراتنا، وفي وعينا، وفي قلوبنا، ثم تنعـكس بعد ذلك على ظاهر حياتنا، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[1]، ولست في هذا الكتاب في مقام التأصيل بقدر ما أنا في مقام التذكير للنفس والمسلمين أنَّى وجدوا، نعيش مع الزهد ؛ هذه الكلمة التـي نعرفها لفظًا لـكنها تحتاج منا إلى عـقل رشيد وفـهم دقيق لمعناها ومقتضاها.

---

(١) الرعد: ١١.

والكتاب يقع في عشرة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: بين ضيق الدنيا ورحاب الآخرة. **المبحث الثاني:** كن ربانيًا.

المبحث الثالث: جواهر من الوعظ. **المبحث الرابع:** التفكر والاعتبار.

المبحث الخامس: عقد نضيد في غرر التحاميد. **المبحث السادس:** آداب قرآنية.

المبحث السابع: التوابون. **المبحث الثامن:** مهلكات السجايا.

المبحث التاسع: محبة الله والرضا به. **المبحث العاشر:** الصبر.

ثم جاءت الخاتمة في الترغيب والترهيب.

وهذه المباحث تنتظم أربعين وقفة عن الزهد والزاهدين وأوصافهم وكلامهم وحكايات عنهم، لعل الصورة تتضح ويتمثل الناس الزهد عن فهم وبصيرة.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: الأربعون الحدثية.**

جـ - رقم السلسلة: ٨ **د - الرقم الفني: ٨**

هـ - تعريف الكتاب:

تاريخنا الإسلامي بشخصياته ودوله وقادته، بحر لجي تعجز وريقات - وإن بلغت من التصنيف الآلاف - أن تلم بجوانبه، أو أن تقف على شرفة من شرفاته.

وفي هذا الكتاب المسمى بـ (اَلأَرْبَعُونَ اَلْـحَدَثِيَـةِ) حاولنا أن نجول في رحاب التاريخ الإسلامي منذ بعثة النبي ﷺ، وحتى وقتنا المعاصِر لنتعرف على أهم أحداثه، وأعظم قادته، مستخدمين المنهج التوفيقي الذي يعتمد على الاختيار والتوفيق بين أحداث تاريخنا الرائقة والفائقة، والتي تستنهض همم العاملين في ساحة الدعوة، ولتكون كذلك إنذارًا؛ حتى لا نقع فيما وقع فيه سلفنا إن كان الحديث هو مقام هزيمة وصرعة.

فاحرص - أخي الكريم - على هذا الكتاب فإن فيه منفعة إن شاء الله.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: زاد المسافر والحاضر.**

جـ - رقم السلسلة: ٩ **د - الرقم الفني: ٩**

هـ - تعريف الكتاب:

الكتاب ــ كـما يظهر من اســمه ــ زاد يتبلغ به المســافر في أسفــاره، يغنيه عن الكثيــر من المؤلفات ؛ بما يحويه من موضــوعات متنوعة تثـري عقله وتشبع عاطـفته، يطوي به المراحل ولا يتسرب الملل إلى نفسه، وقد حرصنا في هذا الكتاب أن يكون وافيًا باحتيــاجات القارئ أيًا كانت مــشاربه، وأنى سارت به ركــائبه، تقرأ فيه حــديثًا عن : الدعوة والدعــاة في منهج القرآن، وبعض الشبهــات التي يثيرها أعداء الدعــوة في وجه الدعاة؛ ليصرفوا وجوه الناس عنهم وعن دعوتهم؛ ويثبطوا همم الدعاة، كما يقدم زادًا طيبًا للدعاة إلى الله يبين لهم كيفية التــعامل مع الناس، وأصنافهم وفن التعامل معهم، كما يوضح أساليب الدعوة ووسائلها، والمحاضن التربوية التي تبقي جذوة الإيمان متقدة في قلب الداعية، وتجد فيه حديثًـا عن قيم العزيمة من قيم هذا الدين مثل : الأخوة. . . حقيقتها ومكانتها، وسبل تحقيقها. غض البصر، المجاهدة، حسن الخلق، الثبات، قيام الليل، الخوف من الله تعالى، الثقة بالله سبحانه، صلاح الأمة وخيريتها، أخلاق جيل النصر. . . وغيرها الكثير مما يشغل بال المسلم في كل زمان ومكان.

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة.

ب ـ اسم الكتاب : الجداول الفنية للآداب المرعية في السياسة الشرعية.

جـ ـ رقم السلسلة : ١٠ د ـ الرقم الفني : ١٠

هـ ـ تعريف الكتاب :

هذه الجداول هي تشجير علمي منهــجي لكتاب «الآداب المرعية» لابن مفلح وهو كتاب يقع في أربعــة مجلدات فيه خير كـثير ولكنه جاء متناثرًا في صفــحات الكتاب فمثلاً: قد يتطرق المؤلف في أول الكتاب لمبحث، ثم يستطرد فيتطرق لمباحث أخرى، ثم يرجع بعــد ذلك ويتكلم عن فــرع آخر هو تكملة لما بــدأ به، فتناثرت المعلومــات ضمن الكتــاب، فحرصنا لأهميــة الكتاب وما فيه مــن كنوز أن نقوم بإعادة صيــاغته بتشجير علمي منهجي نجمع فيه الفروع المـتقاربة مع بعضها البعض؛ لتخرج بعد ذلك شجرة علمية مجموع فيها مبــاحث غزيرة، وفوائد كثيرة، مستقاة من غزارة علم إمام من أئمة العلم يســهل على طالب الاستفــادة أن يحيط بهذه الآداب بتــسلسل منطقي سلس، وحقًا كما قال العلماء: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب : الهوية الإسلامية .**

جـ ـ رقم السلسلة : ١١ **د ـ الرقم الفني : ١١**

هـ ـ تعريف الكتاب :

قضيــة الهوية قضية مــحورية، ومن لم ينتبه إليهــا سيذوب حتمًــا في غيره، ثم تتــلاشى مميزاته الخــاصة ليكون ذيلاً للآخــرين. والأمم التي تريد أن تبــقى هي التي تحافظ على هويتــها، فالهــوية بمثابة العقل الجمــعي الذي يعرف الأمة انتــماءها الأول وولاءها الأكبر، وهي المنبع الذي تستقي منه ملامح شخصيــتها المتميزة المستقلة. وقد ظلت الأمة الإسلامــية محتفظة بهويتــها معتزة بشــخصيتها على مــدار تاريخها رغم موجات المد والجزر التي تعــرضت لها. وأعداء الأمة يحرصون بكل ســبيل مستطاع على طمس هويتها وتغيــيبها . وقصدنا في هذا الكتاب أن نــتعرف على مظاهر التأثر بالثقافات الوافدة (الفارسية ــ اليونانية ــ الهندية) في الثقافة والفكر، وفي السياسة والحكم، وفي الأخلاق والآداب، وفي التنظيم والإدارة، وكــذلك في اللغة والأدب، كما تجد حديثًا عن الأجنحة الثلاثة (الاستشراق ــ التبشير ــ حملات الاستعمار) وأثر ذلك على الهوية الإسلامية. . إضافة إلى مباحث أخرى تطالعها في هذا الكتاب.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة .

ب ـ اسم الكتاب: اللطائف النورانية على الأربعين النووية .

جـ ـ رقم السلسلة : ١٢ **د ـ الرقم الفني : ١٢**

هـ ـ تعريف الكتاب :

إسهام متواضع في بحر خدمة سنة خير البرية سيدنا محمد ﷺ، فهو يتحدث عن الفوائد المنــتقاة، واللطائف المســتقاة من الأربعين الــنووية، وهو عبارة عن عــقد جمعت لآلئه ودرره من كتب العلماء الســابقين كابن العطار وهو تلميذ الإمام النووي ــ رحمه الله ــ وهذا مــا يضفي عليه قوة معنوية، وكــابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم وغيرهم من العلماء ــ رحمهم الله أجمعين.

وهذا الكتاب لم يدع من أحاديث الأربعين النووية أي جزئية صغيرة أو كبيرة إلا وتحدث عنــها؛ ففــيه تراجم لرجــال السند والرواة، وفوائد مــن حياتهم مــن مواقف

وأقوال مأثورة عنهم، وفيــه شرح للحديث من كل جوانبه، وكل ما يتعلق بألفــاظه ومعانيه وتخريج أسانيده ومتونه، وفيه استخراج للطائف والأحكام المتعلقة به والمستفادة منه.

وقد تميز هذا الكتاب بأنه جمع ذلك كله بين دفتيه بأسلوب سهل ميسر يجمع قوة المادة مع سهولة الطرح والتعبير.

وختامًا، فلا غنى عنه لكل الناس عامة ومتخصصين، وعلماء ومتعلمين، وأسأل الله أن ينفع به كل المسلمين، وأن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: نحو فكر حركي متجدد.**

جـ - رقم السلسلة: ١٣ **د - الرقم الفني: ١٣**

هـ - تعريف الكتاب:

في هذا الكتاب نــتحدث عن مــفهوم التــجديد في الفكر الحــركي، والفروق بين التجديد، والاجتهاد والتطور، والإحياء، والحداثة، نحاول أن نقرأ مفهوم التجديد في ضوء القرآن والسنة، مع بيــان الحاجة إلى التجديد في الفكر الحركي، ونــتحدث أيضًا عن ضوابط التجديد، وسـبل النجاح في عمليات التجديد كما نتـحدث عن مجالات التجديد في الفكر الحركي الإســلامي من خلال الحديث عن المنهج والوسيلة والتنظيم والخطاب، إلى مباحث أخرى تطالعها في هذا الكتاب.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: رحلة الخلان للعتق من النيران.**

جـ - رقم السلسلة: ١٤ **د - الرقم الفني: ١٤**

هـ - تعريف الكتاب:

لله أيام ونفحات يتـعرض إليها المسلم الذي يحـسن اختيار زمانه والاســتفادة من وقته. وهذا الكتــاب هو قصة مجمــوعة من أهل الخير عاشــوا يومًا من أيام الله وهو (الاثنين) تطبيقًا عمليًا وفقهًا نظريًا من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء، عاشوا مع قوله ﷺ: «**ما اجتـمعت هذه في امرئ إلا دخل الجنة**»، قالها لأبي بكر # وهي لكل أتباعه من السلف والخلف، «فمن أصبح صــائمًا، وعاد مريضًا، وصلى على جنازة، وتصدق من طيب ماله، مع صدق وإخلاص يكون إن شاء الله من أهل الجنة».

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة . **ب ـ اسم الكتاب : دعاء لا يرد .**

جـ ـ رقم السلسلة : ١٥ **د ـ الرقم الفني : ١٥**

هـ ـ تعريف الكتاب :

هذه هديتي لكل مسلم ومسلمة، هدية إيمانية غالية ؛ ذلك أن موضوعه : الدعاء وذكر الله تعالى، تطمئن به القلوب وتزكو به النفوس، وتستعلي به الروح المعنَّاة على هجير الحياة وصخبها، وتتصل بقيوم السماوات والأرض في محبة غامرة، وجمعية كاملة وشوق عجيب، وتلك فرحة العمر، وسعادة الأبد، قال عنها الإمام الجنيد ــ رحمه الله: «نحن في لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

من أجل هذا حرصنا على جمع أغلب الأذكار والأوراد التي جاءت في السنة المطهرة بطريقة قصصية محببة إلى النفس. قدمت لها ــ من باب التأدب مع الله تعالى ــ ذكر التسبيح والتعظيم والمحامد لله سبحانه وتعالى.

ثم أتبعت ذلك بصيغ الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وبعد ذلك أوردت جملة من الأدعية التي يدعو بها كل مسلم ومسلمة في يومه وليلته، بدأتها ببيان شرف الدعاء ومنزلته، وكونه ذكرًا لله تعالى وتقربًا، كما أن الذكر والثناء على الله سبحانه لون من ألوان الدعاء الخاشع.

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضه الثناء

كذلك قراءة القرآن الكريم ؛ آكد الأذكار، ولذا ينبغي على كل مسلم أن يأخذ منه كل يوم قدر استطاعته في خشوع وتدبر. ثم جاءت قصة عبد الله حين أراد أن يتزوج وكيف بدأ حياته مع زوجه ثم ولده عبد الرحمن؟، لتحكي لنا القصة كيف يحيا المسلم يومه وليلته ذاكرًا لله تعالى في كل وقت وعلى كل حال. وهذا النموذج مخطوط بالحبر والقلم، منقوش على الورق، يظل هكذا لا نفع فيه حتى تتولاه أياد طاهرة من الآباء والمربين لتجسده في واقع أبنائنا. إنها قصة يجب أن ينظر فيها كل طالب وطالبة في الصف الثامن والتاسع ؛ ليحصنوا أنفسهم من شياطين الإنس والجن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(١).

---

(١) الفرقان : ٧٤ .

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب : الدقائق الغالية .**

جـ ـ رقم السلسلة : ١٦ **د ـ الرقم الفني : ١٦**

هـ ـ تعريف الكتاب :

الإنسان ما هو إلا دقائق ولحظات إذا مضت لا تعود أبدًا، وهى: إما له أو عليه! فإن كانت في طاعة الله فهي تساوي الكثير. ولذا روي أن قرية كانت تُعَنْونُ على شواهد قبورها بمقدار العمل الصالح الذي يعمله الإنسان، فيكتبون: مات عن خمسة، أو عشرة للسنوات التي قضاها في عمل الصالحات.

وهو منهج للأب مع أهله، وللأم مع أولادها، يشتمل على حكم الصالحين، وأقوال المفسرين، ولطائف الربانيين. . . فكانت ثلاثين دقيقة مرت سراعًا، تعددت موضوعاتها، لكنها في النهاية تصب في إناء القلب، نحاول أن نملأه يقينًا بالله، وثقة به، وتوكلاً عليه، ورضًا بقضائه، وصبرًا على بلائه، وشكرًا على نعمائه.

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب : حوار العجماوات .**

جـ ـ رقم السلسلة : ١٧ **د ـ الرقم الفني : ١٧**

هـ ـ تعريف الكتاب :

واقع الأمة الإسلامية يثير الأسى، بين كيد عدو وجهل صديق، ولكم تتوالى الأخبار وتقرع مسامعنا صيحات الشبهات وليس لها من عاصم إلا الله تعالى.

وعموماً فقد رحت أرصد أحوال العالم، ثم خصصت الرصد في عالم الغابة، ثم خصصته في العوالم الأرضية الأرنبية، وحاشيتها من الغرابيين والبوميين، وعنيت بهم العملاء، وفي مقابلهم عالم الهداهد، وعنيت بهم شباب الصحوة واتجاهاتها المتنوعة (على سبيل العموم)، وكيف تسعى الأرانب وحواشيها لضرب هذا العالم الهدهدي الصالح ؟! وقد جاءت في صورة أدبية مقامية. . . مكتنزة المعاني. . . مشعة الدلالات لأحملها وقائع ومشاعر جمة يعيها الأديب الفطن على ما قال القائل:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة . . . .

وقد جاءت في خمسة مشاهد :

الأول: وصف عوالم الغابة الأرضية. **الثاني**: ديار الإسلام.

الثالث: هداهد الإسلام وصراع أهل الظلام. **الرابع**: في فقه الجماعة والخلافة.

الخامس: معًا في الاعتزال العضوي والارتباط المعنوي.

وتحت كل مشهد لوحات بديعة.

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة. **ب ـ اسم الكتاب : المقامات الياسينية.**

جـ ـ رقم السلسلة : ١٨ **د ـ الرقم الفني : ١٨**

هـ ـ تعريف الكتاب :

مقامات أدبية جمعت بين خيوط الأدب وخطوط الشرع، وزاوجت بين القيم الشرعية والوقائع الاجتماعية والرؤى المستقبلية، تخاطب الذوق الأدبي، وتهمس إلى الضمير الخلقي، وتدق باب الشعور الإسلامي.

قصدت بها النصيحة، في ثوب مقامات حسان، وعقود بيان، أيقظت الإنسان من رقدة السهو والنسيان .

نقتدي بأئمة هذه الفنون، من عصر الحريري وابن زيدون، والسابقين لهم بإحسان في كل حلبات البيان، وفائق التبيان.

وقد درجنا في عملنا هذا على نهج واحد ذي تبيان، غير لجج ولا بذي هذيان؛ حيث التزمنا بمنهجية المقامات في الفكر والعبادات، فآنسناها بالسجع والبيان ووشيناها بمعقول ومنقول قول العربان.

وضمناها فكرًا شرعيًا، ومقاصد خلقية، وحججًا منطقية، ما بين كامنة وملفوظة، لدى العقلاء ملحوظة، في نقد حالنا، وكشف محالنا، عسى العاقل أن يستفيق، والغالي بغلوه يستضيق، فيرجع من قريب قبل قرع الرقيب، وحلول النحيب.

فمن الثناء على الله تعالى، إلى مدح النبي محمد ﷺ، إلى كشف حيل الشيطان، إلى موضوعات متعددة يجدها من يطالع الكتاب.

أ - عنوان السلسلة : بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب : أحاديث المحراب .**

جـ - رقم السلسلة : ١٩ **د - الرقم الفني : ١٩**

هـ - تعريف الكتاب:

واقع المسلمين اليوم يثير الأسى، ضعف بين، وعجز واضح، وتأخر ملموس في كثير من جوانب الحياة، فهل هذا يدعونا إلى اليأس والقنوط ؟ كلا، كلا فالأمل كبير أن ينتبه المسلمون من غفلتهم، وأن يفيقوا من غفلتهم؛ ولذا كان من اللازم العودة إلى النبع الصافي، الكتاب والسنة، فكان هذا الكتاب.

آثرنا أن نسميه (أحاديث المحراب) لما كان في المحراب من بشرى غيرت واقعًا ما كان يظن أحدٌ أن يتغير أو يتبدل !

أحببنا في هذا الكتاب أن نبرز شمول الإسلام لجوانب الحياة جميعًا، راعينا فيه الوسطية في كل شيء، فهو وسط بين الطول والقصر، وسط في طريقة التناول، وسط في لغته وعباراته، جاء في دروس لا يزيد اللقاء الواحد منها على خمس عشرة دقيقة تقريبًا ؛ ليستطيع إمام المسجد أن يتناوله مع المصلين، والمعلم في مدرسته، والأب مع أسرته، والأم مع أبنائها.

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة.

ب - اسم الكتاب : تأملات في المشهد الاجتماعي.

جـ - رقم السلسلة : ٢٠ **د - الرقم الفني : ١**

هـ - تعريف الكتاب :

إنَّ الدعاة إلى الله هم راحلة البشر وهم مادة الحياة، ومنزلتهم أعلى المنازل، لايتوحشون لقلة السالكين، ولا يغترون لكثرة الهالكين، عرفوا أن الأمة الإسلامية قد جاء دورها لتحقق ما أرداه الله لها: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[1]، ولكن هذا ليس بالأمر الهين، إنه بعث جديد لأمة واراها ركام الأجيال وركام التصورات وركام الأوضاع، ولكن لا مناص، فلابد

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

من البعث، ولابد من الخطوة الأولى وإن كانت مفترق طريق، فما لنا فكاك من البدء في هذه الرحلة الطويلة، فمن عاش لغيره عاش متعبًا ولكنه عاش كبيرًا ومات كبيرًا.

فإلى من جند نفسه وعزم على أن يكون في طليعة العاملين لهذا الدين أكتب هذه السطور التي هي اجتهادات شخصية بذلت فيها الجهد بالنصح والبيان، فما كان منها صوابًا فمن الله، وما كان منها خطأ فمن نفسي فأرجع عنه وأستغفر الله، إنها نظرات عامة ذكرتها من غير تكلف من خلال العيش العملي في الدعوة إلى الله.

أ - عنوان السلسلة: من وحي التجربة.

ب - اسم الكتاب: تأملات في المشروع الإسلامي.

جـ - رقم السلسلة: ٢١ **د - الرقم الفني: ٢**

هـ - تعريف الكتاب:

الكلمة ترجمان الفؤاد، تكشف مكنونه، وتبين ما انطوى في حناياه وزواياه، وبغيرها يظل الإنسان سرًا مغلقًا لا تدري أين مفتاحه، إلى أن تعثر على الكلمة منطوقة أو مسموعة أو مقروءة، فتزيل الحجب ويتم التواصل بينك وبين الآخرين فيعرفون عنك ويعرفون منك. وهل قامت الدعوات على اختلاف توجهها بغير الكلمات؟ وهل قامت حروب إلا مسبوقة بالتهديد والوعيد ؟ وإذا كانت تلك هي منزلة الكلمة بين الناس، فإنه من الواجب أن تكون كلمة صادقة لا تبغي غير الإصلاح، منزهة عن الهوى والغرض الشخصي، عاملة على النصح المخلص. إن لأمتنا آمالها وتطلعاتها في مستقبل يسعد فيه الناس ويأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وديارهم، ونحن في عصر الغافل فيه ميت لم يقبر، فلا غفلة عن الأحداث من حولنا، ولا غفلة عن المتغيرات العالمية التي تجري أمام أبصارنا أو تصل إلى مسامعنا، ولا غفلة عما يحدث في ديار العرب والمسلمين وفي هذا العالم الذي لم يعد يخفى فيه حدث أو أمر.

فلنا في ذاك كله رؤيتنا وآراؤنا التي يوافقنا فيها الكثير وقد يخالفنا فيها القليل.

وفي هذا الإطار تكون كلمتنا، التي أدعو الله أن يجعلها شعاعًا من الضوء يزيل أو يخفف غبش الظلام، وإن الكلمة الشريفة تستعصي على البيع والشراء، وإنها من

شرف الإنسان لا تباع ولا تشترى، أسمعت عن شريف يبيع عرضه؟ أسمعت عن حر يبيع ابنه؟ كذلك الكلمة الشريفة .

والمسلمون ــ بحمد الله ــ ليسوا ممن يبيعون ضمائرهم ولا شهاداتهم حتى تباع كلمتهم هنا أو هناك.

ومن أهم مباحث الكتاب :

المبحث الأول : تأملات في فقه المشروع الإسلامي المتكامل.

١ ــ أزمات مالية.

٢ ــ لنبعث روح الحياة من جديد.

٣ ــ سياسة التعامل مع المشروع الإسلامي.

٤ ــ قراءة في تاريخ الدعوة القديم والحديث.

٥ ــ العقل والمنطق في التعاملات الفكرية.

المبحث الثاني : تأملات في المشروع السياسي.

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة .

ب - اسم الكتاب : تأملات في فقه النهضة

جـ - رقم السلسلة : ٢٢ **د - الرقم الفني : ٣**

هـ - تعريف الكتاب :

اجتهدنا أن تكون كلمتنا صادقة في بواعثها، صادقة في غايتها وتوجهاتها، حتى لو آلمت بعض الناس ــ أحيانًا ــ وماذا يملك من يتحدث مع الناس أو يكتب إليهم في المشكلات اليومية، والهموم المستجدة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟ إنه في تشخيصه وعلاجه والتزامه المنهج لا يملك أن يرضي كل الناس، إذ ليس كل الناس ترضيه كلمة حق ترشده إلى هدى، أو تصده عن ردى. وقديمًا قالوا : لو أنصف الناس لاستراح القاضي. ولا يملك غيور على وطنه وأبناء بلده أن يقف صامتًا أمام مشكلات قليلها يأتي رغمًا عنا وكثيرها من صنع أيدينا، ولو أحسسنا وأخلصنا واجتهدنا ونصحنا لتخلصنا من كثير من المشاكل والعوائق بدون تكاليف

تذكر في الأنفس والأموال. وسنتحدث في هذا الكتاب عن :

١ ـ الحكومة الخفية. ٢ ـ شمعة في الظلام.

٣ ـ الخليج المؤرق. ٤ ـ حتى لا يخطئ التاريخ.

٥ ـ نحو تأصيل العمل السياسي في الإسلام. ٦ ـ الود باق.

٧ ـ أصحاب المناصب بين المصالح والمبادئ. ٨ ـ الإحباط.

٩ ـ لولا أن رأى برهان ربه. ١٠ ـ القرن القادم بين الخوف والألم.

١١ ـ يريدونها تفتيتًا ونريدها توحيدًا. ١٢ ـ أشجان مستقرة وآمال منتظرة.

١٣ ـ مصر الرائدة القائدة. ١٤ ـ الطريق إلى الهاوية.

١٥ ـ أهمية المؤسسات الشرعية في العمل السياسي.

١٦ ـ لك الاختيار في رمضان (حمامة مسجد أو غراب مفسد).

أ ـ عنوان السلسلة : من وحي التجربة. **ب ـ اسم الكتاب : تأملات في ثقافة التغيير.**

جـ ـ رقم السلسلة : ٢٣ **د ـ الرقم الفني : ٤**

هـ ـ تعريف الكتاب :

إن التغيير إلى الأحسن هو نصح في الله، وأمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو إرشاد إلى أقوم السبل، أو مشورة صادقة، أو رأي سديد، أو غير ذلك من مسالك مستقيمة تجري فيها كلمة الحق بالخير والبر، هذه الكلمة الطيبة لا تتملق عواطف الناس، ولا تجاريهم في أهوائهم، ولا تسير خلف رغباتهم، بل إنها قد تصطدم بمشاعر الناس، وقد تخالف أفكارهم أحيانًا، وقد يعارضونها أو يقبلونها، وليس هذا هو المهم، وإنما الأولى بالرعاية والاعتبار أن تكون الكلمة صادقة، نابعة من إحساس قوي، خالية من الانفعال والتكلف، لا تحمل أذى لأحد، ولا سخطًا على أحد، ولا تثير بين الناس زوابع من سوء الفهم والبعد عن القصد. ولذا حرصت على أن أبادر إلى إظهار الرأي وتسجيله ونشره بين الناس ليكون هذا الرأي ـ مع غيره من آراء المجتهدين ـ شمعة تبدد ظلام المشكلات، وقد تساعد الآخرين على تجنب العثرات، ومنذ الصغر كنا نحفظ : إن أوقدت شمعة فهو خير لك من أن

تلعن الظلام . والمشكلات يعرفهـا كل فرد؛ لأنه يعيشهـا وقد يكتوي بنارها، ولكن الحلول هي التي يمكن أن تغـيب عن الأذهان، وقـد حاولنا أن نقـدم بعض الحلول، لعل فيها راحة للمتعبين، وتبصيراً للسالكين.

ستجدونها في هذه التأملات :

١ــ دموع معتمر . ٢ــ الحرية بين الانفلات والانضباط .

٣ــ الـمساهمة الحضارية للمرأة (معايير وأصول).

٤ــ الأمم بين الاقتصاد والأخلاق . ٥ ــ مأساة الأندلس تتكرر .

٦ ــ حتمية الصراع بين المسلمين والصهاينة . ٧ ـ خطورة مصطلح الشرق الأوسط .

٨ ــ الإطار الذي يعصم الحضارة من الانهيار . ٩ ــ الطوفان القادم .

١٠ ــ المرأة بين الإبداع والتهميش . ١١ ــ موقع الإسلام في البعد الحضاري .

١٢ ــ المشروع الإسلامي مسئولية الجميع . ١٣ ــ هذا هو الطريق .

١٤ ــ حتى لا تسيل الدماء على المصحف .

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة.

ب ـ اسم الكتاب : تأملات في فقه التدافع.

جـ ـ رقم السلسلة : ٢٤ **د - الرقم الفني : ٥**

هـ ـ تعريف الكتاب:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن (الكلمة الطيبة صدقـة) والكلمة الطيبة هنا هي كلمة الحق. وقـد حاولت جـهدي أن تكون كلمـتي كذلك، صادقـة في بواعثـها، صادقة في غايتها وتوجهاتها، حتى ولو آلمت بعض الناس ــ أحيانًا ــ وماذا يملك من يتحدث مع الناس أو يكتب إليهم في المشاكل اليومية، والهموم المستجدة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؟

إنه في تشـخيصـه وعلاجه والـتزامه الصـدق لا يملك أن يرضي كل الناس، إذ ليس كل الناس ترضيه كلمة حق ترشده إلى هدى أو تصده عن ردى.

وقديـمًا قالوا : لو أنصف الناس لاستراح القاضي.

وهذا الكتاب خـلاصة تجربة وثـمـرة حياة لرجل يحب وطنه، ويـغار على دينه وأمـته، ولا يسـتطيع أن يقف صـامـتا أمـام مـا يعـرض لوطنه وأمتـه من عـوائق ومشكلات.

وإذا كانت المشكلات يعرفها كل فرد لأنه يعـيشها ويكتوي بنارها فإن الحلول قد تغيب عن الأذهان. ومباحث الكتاب مقسمة كالتالي :

الفصل الأول : قضية فلسطين.

الفصل الثاني : قضية أفغانستان.

الفصل الثالث : مستقبل الإسلام بين السنن الإلهية والجهود البشرية.

وهذا الكتاب يقـدم بعض الحلول للمحـتاجين إليهـا لعل فيهـا راحة للمتـعبين وتبصيرا للسالكين.

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة. **ب - اسم الكتاب : حتى لا نغبن.**

جـ - رقم السلسلة : ٢٥ **د - الرقم الفني : ٦**

هـ - تعريف الكتاب :

صيحة أطلقها المؤلف ليرتفع بهمـة إخوانه وأحبابه من بني الإسلام ؛ لكي يهبوا ليدفعوا الغبن عن أمتنا، وليوقفـوا تيارات الانتقاض والانتقاص لعرى الإسلام ؛ التي تتهاوى تحت ضربات بني جلدتنا من ساسة وأصحاب أقلام وأفكار مغبونة.

ويحتوي هذا الكتاب على المباحث الآتية:

المبحث الأول: لابد من تحقيق الأمن الاجتماعي:

١ ــ إحياء العمل الاجتماعي. ٢ ــ رب جرح وقع في مقتل.

٣ ــ التوتر سيد الموقف. ٤ ــ نعم... خائف على وطني.

٥ ــ انضم لقافلة البناء. ٦ ــ كما تدين... تدان.

المبحث الثاني: لابد من فهم واقعنا الإقليمي:

أ - عنوان السلسلة: من وحي التجربة. **ب - اسم الكتاب: شيء من الحقيقة.**

جـ - رقم السلسلة: ٢٦ **د - الرقم الفني: ٧**

هـ - تعريف الكتاب:

كتاب يعالج قضايا هامة تمس واقع الحركة الإسلامية من زوايا متعددة، منها ما هو فكري، ومنها ما هو حركي تنظيمي، ومنها ما يمس واقعنا الاجتماعي، في وضوح وصراحة، وهو محاولة لإظهار الأمور على حقيقتها دون وهم أو خداع.

وقد نعى القرآن الكريم على قوم يسيرون وراء الظنون ويضربون في عماية لا نهاية لها: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾(١).

وينقسم الكتاب إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: واقع الحركة الإسلامية.

الفصل الثاني: واقعنا الاجتماعي.

الفصل الثالث: أدب الحوار والاختلاف.

وتحت كل فصل عدة مباحث، وهي تجربة حياة أحببت أن تسهم في دفع عجلة الحركة الإسلامية، ومحاولة سد الثغرات التي تظهر في هذا البناء العتيد.

أ - عنوان السلسلة: من وحي التجربة. **ب - اسم الكتاب: الكشكول.**

جـ - رقم السلسلة: ٢٧ **د - الرقم الفني: ٨**

هـ - تعريف الكتاب:

هذا الكتاب جامع شامل لأطراف متباينة من فنون الأدب والحكمة والقول، لا يرتكز على موضوع واحد، وفكرة محددة، وإنما جمع فيه المؤلف من الحكم والمواعظ والآداب، ومنثور الكلام، وجميل الأشعار، وغريب الأخبار من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة التي تملأ مكتبتنا الإسلامية، وقد هدف من خلاله أن يكون عونًا ورافدًا للدعاة والواعظين.

---

(١) يونس: ٣٦.

والكتاب يجمع طرفًا من كل فن، فهو لون أدبي وعظي محبب إلى النفس، ومن شأن هذا اللون من التأليف أن يدفع السأم والملل والخمول؛ حيث تنتقل بين صفحاته بين منثور الكلام ومنظومه، من موضوعات مختلفة في وقت واحد.

وقد اشتمل على مقدمة وعشرة أبواب: خصص الباب الأول للعقيدة والتوحيد، والباب الثاني: بين العلم والعمل، والباب الثالث: الزهد في الدنيا والعمل للآخرة، والباب الرابع: الآداب والأخلاق، والباب الخامس: الأخوة الإيمانية، والباب السادس: وصايا للدعاة إلى الله تعالى، والباب السابع: العقل والعقلاء، والباب الثامن: العدل والحكم، والباب التاسع: وصايا وحكم، والباب العاشر: عيون من الحكمة من كلام الكبار.

ثم ختم الكتاب بمختارات شعرية متنوعة.

أ - عنوان السلسلة: السياسة الشرعية.

ب - اسم الكتاب: الدولة الإسلامية بين الواجب والممكن.

جـ - رقم السلسلة: ٢٨ **د - الرقم الفني: ١**

هـ - تعريف الكتاب:

موضوع الكتاب يعالج قضية من مباحث السياسة الشرعية، نخوضها على حذر؛ وهي قضية الدولة الإسلامية في التاريخ منذ البداية إلى السقوط، مع تذكر محاولات إعادة البناء الإسلامي للأمة. وهي من الأمور التي يكثر فيها الجدل، وتختلف فيها الجماعات، وتتهم فيها النيات.. والكتابة في هذا الموضوع في إطاره العلمي والمنهجي المتسم بالإنصاف يغضب الحاكم، ولا يرضى عنها المحكوم! بيد أنها أمانة التبليغ؛ التي تدفع الإنسان أن يعلن في الناس ما يعتقد أنه حق.

ونحن هنا لا نكتب تاريخًا وإن كان الكتاب يشتمل على بعض الحوادث التاريخية ولكنها ليست مقصودة لذاتها، ولكن المقصد من الكتاب قضية (الدولة الإسلامية) التي يريدها الإسلاميون بين ما هو موجود في الذهن من خلال النصوص وبين ما هو واقع بالفعل.

فهل هي دولة الخلافة الراشدة التي فيها قوة الصديق وحنكته، وعدل عمر وشدته، ورحمة عثمان وعفته، وولاية علي وحكمته - جميعًا - فهي

صورة ذهبية جميلة ينشدها الجميع، ولكن يواجهها في المقابل واقع ملموس، اختلطت فيه الأمور، وتشابكت فيه المفاهيم والقيم، حتى أصبح الإنسان لا يستطيع أن يقيم هذه الدولة في جمعيته، أو حتى بيته؛ فكان لابد من توضيح هذه المسألة من خلال مبحث أصولي وهو (الواجب والممكن) وكيفية التعامل مع هذه المسألة في العبادات، ليتم بعد ذلك إسقاطها على مباحث السياسة الشرعية والتي منها الدولة الإسلامية وحقيقتها، فجاء الكتاب في عدة فصول وهي:

الفصل الأول: مراحل تطور الدولة الإسلامية، بمباحثه الأربعة.

الفصل الثاني: حركات إصلاحية ودولة إسلامية، بمباحثه الثلاثة.

الفصل الثالث: الحركات الإسلامية وواقعنا المعاصر، بمباحثه الثلاثة.

ثم جاءت الخاتمة لتبين الهدف من الكتاب، وتبرز النتائج المستخلصة من البحث، وتوضح علاقة الحركات الإسلامية بالأنظمة الموجودة.

واشتمل الكتاب على ملاحق هامة في نهايته لكبار العلماء ورأيهم في أصل تقسيم الدولة إلى واجب وممكن، وحسب الكتاب أن يفتح النوافذ للرؤى والنظر في مجال الدولة الإسلامية ومتعلقاتها.

أ - عنوان السلسلة: السياسة الشرعية.

ب - اسم الكتاب: الإرهاب بين النتائج والأسباب.

جـ - رقم السلسلة: ٢٩ **د - الرقم الفني: ٢**

هـ - تعريف الكتاب:

تتابعت الأحداث في السنوات الأخيرة على العالم الإسلامي تتابعًا سريعًا؛ بحيث ألحقت به أضرارًا كبيرة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي هزت الديناصور الأمريكي، فقام يضرب بيمينه وشماله كل شيء في أرض الإسلام، وأصبح الإسلام ـــ بسبب هذه الأحداث ـــ في موضع الاتهام بالإرهاب، وبأنه وراء كل كيد مدبر لأي جهة في العالم!

فكان لزامًا علينا أن نلج الميـدان وأن نبين الحقائق، آخذين من كـتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ما نقيم به الحـجة، ونزيل به الشبهة، ونقـمع به الحقدة. . فكان هذا الكتاب ردًا على الـشبهات المـوجهة نحـو الإسلام مع بيان لكيـفية التـعامل مع الفتن، ومـوقف الحيـاة وهي أن (المسـتقـبل لهذا الـدين) وتوضيح ذلك من خـلال استعراض نصوص الكتاب والسنة والواقع.

أ - عنوان السلسلة : السياسة الشرعية.

ب - اسم الكتاب : الوعي السياسي بين السياسة الشرعية والعموميات الدعوية.

جـ - رقم السلسلة : ٣٠ **د - الرقم الفني : ٣**

هـ - تعريف الكتاب :

العاملـون في مجال الدعوة يعبرون عن مواقفهم بوضوح في أمور عديدة، فإذا تطرقوا إلى السيـاسة الشرعيـة وما يتعلق بها من أحكام وواقع سـياسي وجدت كثـيرًا منهم يلجأون إلى العموميات؛ مما يضع أبناء الدعوة في بعد عن فهم حقيقة الحكم الشرعي في الأحداث السياسية، أو يخوض فيها بجهل فيكون ضـرره أكثر مـن نفعه.

وهذا الكتـاب يلقي الضوء على الوعي السـياسي، وتوعـية العاملـين في الحقل الإسلامي بأهم الأمـور والإشكاليات الموجودة في الساحـة السياسية، والتـي تتعامل معها الحركات الإسلامية كجـزء أساسي ومهم في يومياتها، وذلك من أجل التأصيل للمفاهيم السياسيـة من المنطلق الشرعي المحكوم بالكتاب والسنة، مع النظر في كتب التراث الفقهي والسياسي والتاريخي. ويحتوي الكتاب على خمسة فصول :

- **الفصل الأول** : المصطلحات السيـاسية بين المفهوم الإسـلامي والغربي، فنتناول أهم المصطلحات السياسية في التاريخ الإسلامي كالخلافة، والدولة، والبيعة. . . ثم في العصر الحـديث كالدستور، والأحـزاب السياسيـة، والحكومة، ونظم الحكم. . . ثم نختم الفصل بالظلال العملية الميدانية في إطار المصطلحات السياسية.

- **الفصل الثاني** : يتناول مسائل مهـمة في الولاية : كحكم ولاية المرأة، وولاية

غير المسلم، وولاية الفاسق. . .

ـ **الفصل الثالث** : نتناول فيه الثـوابت والمتغيرات في السياسة الـشرعية، والواقع السياسي للعاملين بالدعوة، ثم نتناول التربية السياسية في الإسلام.

ـ **الفصل الرابع** : السياسة الشرعية في العلاقات الدولية.

ـ **الفصل الخامس:** تعريف لأهم ما كتب في السياسة الشرعية في القديم والحديث.

أ ـ عنوان السلسلة : السياسة الشرعية.

ب ـ اسم الكتاب : فقه المراجعات بين السلف المجددين والدعاة المعاصرين.

جـ ـ رقم السلسلة : ٣١ **د ـ الرقم الفني : ٤**

هـ ـ تعريف الكتاب :

فقـه المراجعـات ليس بدعًا من الموضـوعات المطروحـة، ولكنه منهج قديم عـرفه علماؤنـا وفقهـاؤنا، وعرفه قـادة الأمم وحكام الدول، والعاقل الحـازم هو الذي يراجع نفسه ويقوّم سيره، ولا يأنف من العود إلى الحق متى تبين له.

وفي عـصرنا توجـهت جمـاعات من الشـباب إلى نصـرة الإسلام، وأحـسبـهم مخلصين، بيد أنهم ينقصهم العلم ـ مع حرصهم عليه ـ أو الفهم الصحيح، مما أوقعهم في مخالفات شرعـية : من قتل أبرياء بدعوى خيانتهم وكفـرهم، أو اعتداء على أموال بدعوى أنها غنائم. . ! إلى غير ذلك.

وهذا الكتاب نتناول فيه فقه المراجعات، ويتكون من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :

ـ الفـصل الأول : تعريف ودلالة فـقه المراجـعة مـن الكتاب والسنة، ثم الثـوابت والمتغيرات في المراجعة، ثم أثر غياب فقه المراجعة على الفرد والمجتمع.

ـ الفـصل الثاني : أدب المراجـعـة، ونتناول فيـه (صـفات المراجع، أدب الحـوار والمناظرة، معوقات المراجعة، دور الحكومات الإسلامية في عودة المنحرف إلى الحـق).

ـ الفصل الثالث : الأحكام الفقهية المتعلقة بالمراجعة مثل (ارتكاب الجرائم كالقتل، الاعتداء على الممتلكات العامة، ما يتعلق بالزواج وأثره. . .).

ـ الفصل الرابع : صور مضيئة للمراجعات في التاريخ الإسلامي (مراجعة فكرية، مراجعة فقهية، مراجعة سياسية، مراجعة اجتماعية).

ـ الفصل الخامس : المراجعة الفكرية في العصر الحاضر (مصر نموذجًا).

أ ـ عنوان السلسلة : العلوم الشرعية. ب ـ اسم الكتاب : الجداول الجامعة.

جـ ـ رقم السلسلة : ٣٢ د ـ الرقم الفني : ١

هـ ـ تعريف الكتاب :

مع انتشار الفكر الإسلامي وخروجه من دائرة الجامعات الشرعية إلى جامعات الطب والهندسة، وخروجه من الجامعات الموجودة في البلاد الإسلامية والعربية إلى الجامعات الغربية والأمريكية، ومع منة الله تعالى على تسلم طلبة العلم التكنولوجي لزمام الحركة الإسلامية، ورفع راية التوحيد لله تعالى، ومع كثرة المشاغل التي تحيط برجل الدعوة الذي خرج من حظ نفسه فأخذ يتابع ما يستجد من بحوث في العلم الذي تخصص فيه سواء أكان طبًا أم هندسة أم غير ذلك، وكذلك أخذ يتابع الأحداث التي تعصف بالعالم، وهو مع ذلك حريص على أن يعبد الله على نور من الله، يرجو الثواب من الله، ويجتنب معاصي الله على نور من الله، يخاف العذاب من الله.

لهذه الاعتبارات وغيرها كانت هذه الجداول النافعة، والتي وضعناها بِقَصْدِ تَسْهِيلِ وُصُولِ طَالِبِ العِلْمِ إلى الحُكْمِ السَّرِيعِ الَّذِي يُرِيدُهُ وَيَبْتَغِيه، فَيَصِلُ فِي عِلْمِ العَرَبِيَةِ إلى مَا يَطْلُبُ فِي قِراءَةٍ سَرِيعَةٍ، ويُلِمُّ بِكَثِيرٍ مِنْ الأَحْكَامِ وَالفُروعِ الفِقْهِيَةِ بِنَظْرَةٍ خَاطِفَةٍ عَلى جَدَاوِلِ الفِقْه، ويُمَتِّعُ نَاظِرَهُ وَيَشْحَذُ فِكْرَهُ فِي إِطْلالَةٍ قَصِيرَةٍ عَلَى الجَدَاوِلِ الخَاصَةِ بِالنَحْوِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلُومِ الآلَةِ.

وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي عُلُومِ القُرْآنِ وَمُقَدِّمَاتِ التَفْسِيرِ وَغَيْرِهَا مِنْ العُلُومِ التِي قَدْ تَكِلُّ عَنْ قِرَاءَةِ المُصَنَّفَاتِ وَالمُطَوَّلاتِ فِيهَا الهِمَمُ، وَتَتَقَاعَسُ عِنْ الإِحَاطَةِ بِها نُفُوسُ العُصْبَةِ أُولِي القُوةِ وَالهِمَّةِ وَالعَزْمِ الشَدِيدِ.

ولَقَدْ عَمَدْنَا فِي هَذِهِ الجَدَاوِلِ إِلَى مَبَاحِثَ عَنْ عِلْمِ العَقِيدَةِ، وَهُو مَبْحَثٌ مِنْ

الأَهَمية فِي حَـيَاة الإِنْسَان بمكَان ولَا غِنًى لِلمُسْلِم عَـنْهُ بِحَال منَ الأَحْوَال، كَيْفَ وَهُوَ أَسَاسُ الدِّينِ وَسَبَبُ سَـعَادَة الإِنْسَان، وَالقَضِـيَّةُ المَصِيرِيَّةُ فِي حَـيَاته، فَهذَّبنَـا مبَاحِثَ العَقِيدَة لِلتسْهِيلِ عَلَى القَارِئ وَطَالِبِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ جَـاءَتْ هَذه الجُدَاولُ فِي قَـالَبٍ جَديد، وَحُلَّة قَشِـيبَة، وَنُـصُوصٍ مَضْـبُوطَةٍ بِالشَّكْلِ، وَمُخَرَّجة وَمَعْزُوَّة إِلى مَصَادرِهَا وَمَظَانِّهَا فِي الكُتُبِ الأَصْلِيةِ.

وقد اشتمل على المباحث التالية:

(الفقه): فقه الطهارة ــ فقه الصلاة ــ فقه الزكاة ـ فقه البيوع ـ فقه الجراح والقود والديات والقسامة ـ فقه الصوم ـ فقه الحـج.

(أصول الفقه) :

١ ـ مقدمات متعلقات الحكم. ٢ ـ قضايا متعلقة بأصول الفقه.

٣ ـ أدلة الأحكام المتفق عليها . ٤ ـ أصول مختلف فيها.

٥ ـ تابع أصول مختلف فيها. ٦ ـ القياس.

٧ ـ القياس «الركن الرابع العلة». ٨ ـ طرق استنباط الأحكام والقواعد.

٩ ـ تابع طرق استنباط الأحكام والقواعد.

١٠ ـ القواعد اللغوية الأصولية. ١١ ـ تكملة المباحث اللغوية.

(القواعد الفقهية) : وفيه عشرون قاعدة من قواعد الفقه.

(العقيدة) : فيه ستة عشر مبحثًا من مباحث العقيدة كتوحيد الله والرسالة والملائكة والقضاء والقدر وغير ذلك من مباحث العقيدة.

(الفـرق والملل) (علوم القـرآن) (علم التـجـويد) (علم مـصطلح الحـديث) (علم التخريج والتعرف على كتب الحديث) (علم النحو).

فَلأَجْلِ هَذَا أَنْصَحُ طَـلَبَةَ العِلْمِ اليَومَ أَنْ يَأْخُـذُوهُ بِقُوَّة ويَدْرُسُـوهُ جَيِّدًا وَيَتَـدَارَسُوا فُصُولَهُ، فَهُوَ حَرِيٌّ بِذَلكَ وَخَلِيقٌ بِه، وَأَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَمَلاً خَالصًا لِوَجْهِه، وَأَنْ يُثَقِّلَ بِهِ مَـوَازِينَ وَالِديَّ وَمِيزَانِي يَوْمَ تُوضَعُ المَوازِينُ القِـسْط لِيَومِ القِيَامَـة فَلا تُظْلَمُ

نَفْسٌ شَيَئًا، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

أ ـ عنوان السلسلة: العلوم الشرعية.

ب ـ اسم الكتاب: القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد «تحقيق».

جـ ـ رقم السلسلة: ٣٣ . د ـ الرقم الفني: ٢

هـ ـ تعريف الكتاب:

هذه الرسالة لمؤلفهـا العلامة الشيخ محمـد بن عبد العظيم المكي الحنفي، الرومي الأصل، المولود بمكة المكرمة سنة ٩٩٦ هـ والمتوفى بهـا أيضًا سنة ١٠٦١ هـ ـ رحمه الله ـ من خير الرسائل التي دونت في هذا الموضوع، وأكثرها وضـوحًا ويسرًا لفهمه وتقريره. أما موضوعها: فمسألة كثر فيهـا الجدل عند طلبة العلم وهي قضية «الاجتهاد والتقليد» وقد قرأتها قراءة بحث ودراسـة على شيخنا الفاضل العلامة عبـد الفتاح أبو غدة، وقد شعرت في نهاية القراءة أن الشيخ يود أن تطبع هذه الرسالة ويعتني بها، فعقدت النية في نفسي على ذلك ــ إن أتيـحت لي الفرصة والوقت، وحصلـت على نسخ للمخطوطة ــ وإدخالاً للسرور على قلب شـيخنا الفاضل الرباني، وقيامًـا بحق العلم، وخدمة لأهله في تحقيق هذه المسألة المهـمة في حياتنا العلمية، والتي ذهب فيـها طلبة العلم بين إفراط وتفريط، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم !!.

فحرصت عـلى بيان ما غمض فـيها، وشرح ما اخـتصر المؤلف ذكره، مـع تحقيق للمسائل الفقهية التي ذكرها المؤلف للتدليل على ما يقول.

نسـأل الله العلي القـدير أن يصلح سـرائرنا، وينيـر بصـائرنا، ويصـون أدلتنا من الغلطات، وألسنتنا من الفلتات، وأقلامنا من الشـطحات، وأقدامنا من الزلات، ويطهر قلوبنا من آفات التعصب وسموم الشهوات، الحمد لله رب العالمين.

أ ـ عنوان السلسلة: العلوم الشرعية. ب ـ اسم الكتاب: المرشد الوثيق.

جـ ـ رقم السلسلة: ٣٤ د ـ الرقم الفني: ٣

هـ ـ تعريف الكتاب:

هذا الكتاب يجمع بين هدفين ساميين:

أحدهما: الإرشاد إلى أصناف الكتب الفقهية تبعًا لموضوعاتها وما تراد له.

ثانيهما : تلخيص القواعد المثلى لإخراج النصوص محققة موثقة.

تقرأ في هذا الكتاب :

ـ تعريفًا للفقه والأصول.

ـ نبذة عن حياة الأئمة الأربعة ـ رحمهم الله.

ـ كيف تُكوِّن مكتبة إسلامية في بيتك، وفق مراحل متدرجة إكمالاً للبناء الفكري والثقافي.

ـ كيفية كتابة البحث.

ـ كيفية تحقيق المخطوطات.

ـ الفهرسة العلمية للمكتبة الثقافية.

أ ـ عنوان السلسلة : العلوم الشرعية.

ب ـ اسم الكتاب : الكلمات المنهجية من كلام ابن تيمية.

جـ ـ رقم السلسلة : ٣٥ د ـ الرقم الفني : ٤

هـ ـ تعريف الكتاب :

وضع هذا الكتاب ليسد به ثغرة من الواجب على كل مسلم أن ينهض ليسدها، فالساحة الثقافية والدعوية بحاجة ماسة لهذه الكلمات، وخصوصًا بعد الصحوة الإسلامية المباركة التي أتت بأصحاب العلوم الحديثة لينضموا إلى قافلة العمل الإسلامي والدعوي، انطلاقا من شعورهم بالمسؤولية عن إعادة هذا الدين العظيم إلى الأرض، وكانت طبيعة الدراسة لدى هؤلاء الشباب في كليات الطب والهندسة وغيرها سببًا في تفويت فرصة الاطلاع الكافي على جوانب العلم الشرعي التأصيلي، ولذلك ذكرنا كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية كلمات وتوجيهات، نقدمها لشباب الصحوة الإسلامية؛ لسد هذه الثغرة، ولتكمل لديهم نواقص العلم الشرعي، وتجيب عن كثير من مسائله العقدية والفقهية، فكانت هذه الكلمات التي اشتملت على ثلاثة

أصناف من التوجيهات: (توجيهات تأصيلية، وتوجيهات عقدية، وتوجيهات فقهية).

ففى التوجيهات التأصيلية: تناول المؤلف ثلاث عشرة مسألة بدأها بالأصول التى اعتمد عليها أهل السنة والجماعة، وخصائص أهل السنة والجماعة الإيمانية والعقدية، والخصائص الأخلاقية والسلوكية، وختمها بنظرة أهل السنة والجماعة إلى البدع، ومعاملة أهل السنة والجماعة لأهل البدع.

وفى التوجيهات العقدية: تناول ست مسائل هامة بسط فيها القول عن أصول وقواعد يرجع لها المسلم فى يومياته واجتهاداته، والخطأ المغفور فى الاجتهاد، وأثر الصلاح في المفتى، والوسطية في العبادات، والانتماء المذهبي، والأعمال الصالحة بين الإعلان والخفاء.

وفي التوجيهات الفقهية: تناول إحدى وعشرين مسألة بدأها بتقديم تجربة ابن تيمية في تأليف القلوب، ثم تناول البسملة من القرآن، والدعاء والذكر، والقنوت في الفجر والوتر، وقيام رمضان، ثم ختم برؤية الهلال وهل يلزم جميع بلاد الإسلام الصيام برؤيته في بلد معين.

أ ـ عنوان السلسلة: العلوم الشرعية.

ب ـ اسم الكتاب: تهذيب فتح الباري للباحث والقاري.

جـ ـ رقم السلسلة: ٣٦   د ـ الرقم الفني: ٥

هـ ـ تعريف الكتاب:

هذا الكتاب يتكون من اثني عشر مجلدًا، فيه خدمة للفتح الذي لا هجرة بعده، وهي محاولة لنقله من كتابٍ يعمد إليه الباحث والقارئ حينما تَعِنُّ له مسألة يريد أن يتعرف فيها على ما ذكر ابن حجر في الفتح، فكانت هذه المحاولة، وهي إخراجٌ جديد للفتح بصورة يسهل على القارئ القراءة والاطلاع فيه ولو من باب الثقافة والاطلاع، وقد كان الدافع فيه هو تحرير المسائل الفقهية التي ذكرها ابن حجر في الفتح وإحالتها إلى مواطن وجودها في كتب المذاهب، كما أن هذا الكتاب يخدم جميع الأحاديث التي ذكرها ابن حجر في الفتح من خلال ذكر الحكم للحديث الوارد

في الشرح، بإثبات ما ذكره الشيخ المحدث نبيل يعقوب البصارة في كتابه أنيس الساري في تخريج أحاديث فتح الباري، وقد اكتفينا بذكر الحكم ورقم الحديث في الأنيس ليسهل الرجوع إليه حين الاحتياج للتفصيل.

أ - عنوان السلسلة: العلوم الشرعية. ب - اسم الكتاب: المذهب في تدريس المذهب.

جـ - رقم السلسلة: ٣٧ د - الرقم الفني: ٦

هـ - تعريف الكتاب:

هذا الكتاب ثمرة مطالعتنا وتدريسنا لكتاب «زاد المستقنع» لمؤلفه موسى بن محمد بن أحمد بن موسى الحجاوي المتوفى سنة ٩٢٨ هـ على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ــ رحمه الله، وقد اقتصرنا فيه على شرح كتاب العبادات، آملين أن نبني جسرًا بين متون العلماء وطلبة العلم؛ ليسهل عليهم حفظ أصول المذاهب.

ومتن الزاد على مذهب الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ متن من عدة متون في المذهب، وقد اختص كتاب متن الزاد من قبل طلبة العلم والعلماء بالشرح والبيان والتعليم والتدريس في المعاهد والكليات في الجزيرة العربية في الفترة الأخيرة؛ مما أوجد له قبولاً خاصًا في الفتيا والتدريس، وقد تناوله العلماء بالشرح والبيان، وبيان مستنداته من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، فخرج بصور متعددة منها: «الروض المربع شرح زاد المستقنع» للعلامة منصور بن يونس البهوتي، ثم حاشية ابن القاسم على الروض المربع.

ثم جاء بعد ذلك العلامة محمد بن صالح بن عثيمين وقام بتدريسه وشرحه في جامعة الإمام محمد بن سعود. وقام على ترتيبه وتبويبه وإخراجه بإذن من الشيخ ــ رحمه الله ــ أستاذان كبيران هما: الدكتور: سليمان بن عبد الله بن حمود، والدكتور: خالد علي بن محمد المشيقح.

حيث أجاز لهم الشيخ التدريس، فأخرجوا هذا الشرح بصورة زاهية جميلة، وتحقيق علمي كبير تحت مسمى الشرح الممتع على زاد المستقنع.

وعندما نظرت إلى هذا الجهد وجدت من الوفاء للشيخ الوالد محمد بن صالح

ابن عثيمين ــ رحـمه الله ــ وكذلك للإمام أحمد ــ رحـمه الله ــ صاحب المذهب الذي جعله الله ــ عـز وجل ــ قدرًا من أقـداره في حفظ عقـائد المسلمين، وبعد أن دَرّستُ كـتاب العـبـادات وجدت عـندي مجـمـوعة من الدروس قـمت بتـرتيـبهـا وتنظيمها، مستفيدًا من «الشرح الممتع» وكذلك «الروض المربع» و «حاشية ابن قاسم»، وذلك حتى يسهل تناوله من أئمة المساجد ومن يرتادون البلاد الأوربية، وكذلك تيسيرًا وتقريبًا لطلابنا في أسفارهم حتى يكونوا على بينة من دينهم وشريعة ربهم.

وقد حاولت ــ جهدي ــ أن أصل فيـه إلى الحد الفاصل بين الاختصار المخل والإطناب الواسع، والعصمة فقط لكتاب الله تعالى ــ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نسأل الله العصمة من الزلل، والحمد لله أولاً وآخرًا.

أ ـ عنوان السلسلة: العلوم الشرعية. ب ـ اسم الكتاب: فقه المرأة (من المهد إلى اللحد).

جـ ـ رقم السلسلة: ٣٨ د ـ الرقم الفني: ٧

هـ ـ تعريف الكتاب:

هذا الكتاب يؤكد أن النســاء شقائق الرجال، وأن المرأة مطالبة بأن تقـيم العبودية لله تعالى كالرجل، وهي داخلة في عـموم قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ (١).

والمرأة المسلمة العـالمة بدينها الواعية لما يحيط بهـا البصيرة بأمـور الحياة هي التي تستطيع أن تدفع بعجلة الحياة الإنسانية إلى الطريق القويم.

والكتاب يعنى بالأمور الفقهية التي تخص المرأة، وقد جاءت أبواب الكتاب كالآتي:

١ ــ المرأة بين عدل الإسلام وجور الأديان.

٢ ــ حياة المرأة من الولادة إلى المراهقة إلى البلوغ والتكاليف الشرعية المتعلقة بها.

٣ ــ المساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية والمسؤولية الدينية.

٤ ــ خطاب التكليف للمرأة في القرآن والسنة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

٥ ــ الجهاد ودور المرأة فيه، وصور من حياة التابعيات في الجهاد.

٦ ــ نظام الأسرة في الإسلام، العلاقة الزوجية، عقد النكاح، الخطبة، المهر، ولاية النكاح، الكفاءة في النكاح، المحرمات من النساء، الرضاعة، الخلع، الطلاق، الظهار، الإيلاء، اللعان، العدة، الحضانة.

٧ ــ العزل والإجهاض والتلقيح الصناعي.

٨ ــ زينة المرأة. ٩ ــ تعدد الزوجات .

١٠ ــ النفقة.

١١ ــ التفرقة بين الرجل والمرأة في بعض الأحكام.

١٢ ــ الحقوق والحريات العامة للمرأة في الإسلام.

أ ـ عنوان السلسلة : وحدة أُمة.

ب ـ اسم الكتاب : وحدة أمة في إطار الكتاب والسنة.. نظرة واقعية (الرسالة الأولى).

جـ ـ رقم السلسلة : ٣٩ د ـ الرقم الفني : ١

هـ ـ تعريف الكتاب :

الأمنية الكبرى عند كل مسلم أن يتحد أهل القبلة تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهذا الكتاب خطوة على طريق وحدة فكرية بين علماء الأمة، مبرزًا خماسية رائعة تذلل كل العقبات في طريق الوحدة وهي : نجمع ولا نفرق، نعتذر لمخالفينا، نرفض الحزبية والسلبية، وحدتنا سلمية، نتحمل الهمز واللمز حتى نصل إلى الغاية وهي : إيجاد وحدة فكرية لأهل السنة والجماعة.

والكتاب يحتوي على :

١ ــ الحركة السلفية. . والإخوان. . مع مشروع وحدة الأمة.

٢ ــ ثلاثية الثوابت.

٣ ــ خماسية تذليل العقبات.

٤ ــ أربعة عشر ضابطًا للصحوة الإسلامية.

٥ ــ أصل عظيم نحن عنه غافلون.

٦ ــ أئمة كبار يوسعون دائرة أهل السنة والجماعة.

٧ ــ دلائل منهج وحدة الأمة: التوسط، الوضوح في التلقي للتنفيذ، رد المتشابه إلى المحكم، التقليد في العقيدة، ذم الخوض في علم الكلام، طريق السلف أسلم وأحكم.

٨ ــ مسائل تطبيقية على دلائل منهج وحدة أمة: رؤية الله تعالى، ختم النبوة بالنبي ﷺ، الإيمان بالقدر، الشفاعة، مسألة التكفير.

٩ ــ الحمد لله.. الكبار متفقون: مقارنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الشاطبي، والإمام حسن البنا ــ رحمهم الله.

أ ـ عنوان السلسلة: وحدة أُمة. **ب ـ اسم الكتاب: تعظيم الله جل جلاله.**

جـ ـ رقم السلسلة: ٤٠ **د ـ الرقم الفني: ٢**

هـ ـ تعريف الكتاب:

هذا الكتاب خطوة على طريق وحدة فكرية بين علماء الأمة، والتي تبدأ من الوحدة الفكرية العقدية، فمن المسلَّمات المعروفة أن الأصل الأصيل في حياة المسلم هو تعظيم الله سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

فكان من الواجب تجلية الأمر حتى لا يختلط الأمر على شباب الدعوة، معتمدين بذلك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأقوال السلف ــ رضوان الله عليهم.

والكتاب يحتوي على:

أولاً: المسائل المهمة في معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات:

أ ــ ما يجب على المسلم اعتقاده على وجه الإجمال والتفصيل.

ب ــ المنتسبون إلى السنة بين التنازع والاعتصام بالكتاب والسنة.

جـ ــ مسائل علمية يسع الخلاف في بعضها ولا يسع في البعض الآخر.

د ـ الخلاف في المسائل العملية والخبرية.

هـ ـ التأويل من المسائل المتنازع فيها مع التطبيق العملي لصفة اليد.

و ـ منهج السلف ليس حكرًا على أحد.

ثانيًا: قصة الخلاف في مبحث الأسماء والصفات وتأصيلها.

ثالثًا: قواعد ومصطلحات وتساؤلات في مبحث الأسماء والصفات:

أ ـ احترام الأئمة وتقديرهم.

ب ـ نثبت ما أثبته النبي ﷺ لربه سبحانه بالأحاديث الصحيحة، الاستواء والمعية، الابتعاد عن الكلام الذي فيه لبس، القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، كيفية التعامل مع آيات الأسماء والصفات، ذم العلماء لعلم الكلام، الأشاعرة وأهل الحديث، العلماء الدعاة في العصر الحديث يتعاملون مع آيات وأحاديث الصفات بالإثبات والتسليم، خماسية ابن تيمية في فهم موضوع الأسماء والصفات، مفاهيم عقدية من الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية، أهل الحديث هم زينة الدنيا وعندهم من الخير والجمال ما عند الناس.

رابعًا: المصطلحات المستخدمة في مباحث الأسماء والصفات.

أ ـ عنوان السلسلة: وحدة أُمة. **ب ـ اسم الكتاب: توقير الرسول وتعظيمه.**

جـ ـ رقم السلسلة: ٤١ **د ـ الرقم الفني: ٣**

هـ ـ تعريف الكتاب:

في هذا الكتاب حديث عن حق رسول الله ﷺ من توقيره وتعظيمه ونصرته واتباع سنته، من خلال مباحث شائقة يعنى بها كل مسلم ومسلمة، وصدق الله العظيم: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (١).

والكتاب يحتوي على:

أولاً: النبي ﷺ بين المغالاة والمجافاة وسط المسلمين، فن المديح النبوي بين التوسط

(١) الأحزاب: ٢١.

والغلو، الاحتفال بالمولد النبوي بين السنية والبدعية، التوسل، الاستغاثة، التصوف.

ثانيًا: مصطلحات: الزهد، الفناء، الكرامات، السماع.

ثالثًا: السبحة. **رابعًا**: الصحابة وآل البيت.

أ - عنوان السلسلة: وحدة أمة.

ب - اسم الكتاب: المستخلص القويم شرح الأصول العشرين.

جـ - رقم السلسلة: ٤٢ **د - الرقم الفني: ٤**

هـ - تعريف الكتاب:

سياحة علمية أصولية وتوجيه مصحوب بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة وبيان لدستور وحدة المسلمين من خلال تناول أصول فهم الإسلام والمسماة بالأصول العشرين، بينّا مكنون أسرارها من خلال النظر في كتاب الله عز وجل وصحيح سنة الرسول ﷺ، ثم التحليق حول كتب التفسير وشرح السنة النبوية مع التشبع بما في كتب العقيدة السليمة والطريقة المستقيمة طريقة أهل السنة والجماعة.

فجاء عرض هذه الدراسة جامعًا بين مادتي القديم والحديث، فظهرت الواجبات الملقاة على عاتق الدعاة إلى الله تعالى، المجاهدين في سبيله، كما اشتملت على المعلومات المفيدة والنصائح المهمة.

كما بينت هذه الأصول المرجعية للمسلم وضوابط فهمه للعبادة والمجاهدة وبيان لموقف الإسلام من البدع وأصحابها، ورأي العلماء في الاجتهاد والتقليد، وختمناها ببيان لقضية من أخطر القضايا ألا وهي قضية تكفير المعين.

وختامًا فالكتاب لا غنى لكل دارس عنه، فضلاً عن الدعاة العاملين وشباب الصحوة الإسلامية المخلصين، ووفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى.

أ - عنوان السلسلة: وحدة أمة. **ب - اسم الكتاب: الربانيون.. الحقيقة والمنهج.**

جـ - رقم السلسلة: ٤٣ **د - الرقم الفني: ٥**

هـ - تعريف الكتاب:

في زمن عزت فيه القدوة، وأصبحت المثل العليا الحقيقية عملة نادرة، وأصبح دعاة الأهواء والفتن من أهل الدنيا يلمعون بعضا منهم؛ ليطرحوهم كمثل عليا وكقدوة للناس ليبعدوهم عن الهدف الذي خلقوا لأجله، وأنشئوا وفطروا لتحقيقه، ألا وهو عبادة الله.

في هذا الزمن المتلاطم الأمواج يأتي هذا الكتاب، لا لينظر ويطرح أفكارًا ومعلومات فحسب، إنما ليوجد جيلاً من القادة الربانيين على أرض الحقيقة والواقع، ويقدم أنموذجًا عمليًا حيًا تفصيليًا لكل الدعاة إلى الله - سبحانه وتعالى، ويكون دليلاً واضحًا لكل من أراد أن يسير على درب الربانية الحقة لله - سبحانه وتعالى.

فمن أراد العلم والعمل، والفعل والمثل، فهذا الكتاب (الربانيون.. الحقيقة والمنهج) دال ومذكر ومعين له ليصل إلى ما لم يصلوا إليه من الغاية والأمل، يدل على الصراط المستقيم، ويذكر بمن قبله من الصادقين والمتقين، من خيرة السلف الصالحين.

كتب تحت الإعداد والطباعة

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة. **ب - اسم الكتاب: ثلاثيات السلوك.**

جـ - رقم السلسلة: ٤٤ **د - الرقم الفني: ٢٠**

هـ - تعريف الكتاب:

كلمات وأمثال، قيم ومعان، حرصنا على ذكرها وجعلها بين يدي المسلمين بطريقة محببة إليهم، وبأسلوب مشوِّق مع الربط ليومياتهم من خلال اختيار ثلاثية منتقاة من الأمثال الشعبية، وإرجاعها إلى أصولها عند العرب، وحرصنا على استنباط المعاني التربوية والقيم المجتمعية منها.

وكذلك أيضًا اخترنا ثلاثية أخرى من الكلمات الشعبية الخليجية لنرجعها إلى أصولها العربية، ونستلهم من بين طياتها المعاني المجتمعية، وإتمامًا للموضوع نظرنا في كتب غريب الحديث لنأخذ ثلاثية أخرى مما صح في هذا الباب لنعمل أيضًا على إسقاطها على أرض الواقع في البناء المجتمعي التربوي.

فجاء الكتاب مفعـمًا بالتوجيهات المجتمعيـة المبنية على الكتاب والسنة، والمدعمة بأقوال السلف، والمستفاد في بيانها مما ورد في كتب الأدب من المنثور والمنظوم.

وحري بكل أب وأستاذ في الجامعة أن يجعل في مقدمة حديثه مع أبنائه أو طلابه مقـدمة إيمانيـة تربوية مأخـوذة من تلك الثلاثـيات فهي كنـز وافر مما كتب فـي كتب السلوك عند سلف هذه الأمة.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة. ب ـ اسم الكتاب: البناء السلوكي في القرآن الكريم.

جـ ـ رقم السلسلة: ٤٥ د ـ الرقم الفني: ٢١

هـ ـ تعريف الكتاب:

إن القرآن الكريم كتـاب عظيم، لم ولما ولن تعرف البشرية كتابًا جـمع من الخير لهذه البـشرية جمعـاء مثل ما جمـعه هذا الكتاب الكريم، وإن من أهم القـضايا التي اهتم القرآن الكريم بها وأكـد عليها هو تصحيح سلوك الإنسان في كـل شؤون حياته ومعاملاته في الحـياة الدنيا؛ فلهذا عمدنا إلى القرآن الكريم لنغـرف من معينه العذب الصافي، ونرشـف من شهده الخـالص الشافي، فنظرنا مـا فيه من آيات يظـهر فيـها الاهتمـام الواضح بسلوك الإنسان، فأبحـرنا معهـا في خضم كتب التفـسير؛ لنبـينها ونفسرها ونظهر كل ما يتعلق بالسلوك الذي تتحدث عنه الآية. وقد اقتصرنا على بيان البناء السلوكي في السور التي جاء في فضلها نصـوص من السنة الصحيحة، وكذلك استرشدنا بما كتبه (محـمد طاهر) في كتابه (سمط الدرر في ربط سور الآيات والسور وخلاصتهـا المختصر لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر) في الوقـوف على مجمل ربط سور القرآن الكريم بما ورد في سورة الفاتحة، فجاء هذا الكتاب مرشدًا ومربيًا ومعلمًا ودالاً لكل من أراد أن تكون حياته وفق ما أمر به ربنا سبحانه وتعالى ونبينا ﷺ.

أ ـ عنوان السلسلة: العلوم الشرعية.

ب ـ اسم الكتاب: المجالس المفيدة للحياة السعيدة.

جـ ـ رقم السلسلة: ٤٦ د ـ الرقم الفني: ٨

هـ ـ تعريف الكتاب:

هي مجموعة مباحث حياتية يحتاجها الإنسان في يومياته جمعت ثلاثة مواضيع وهي:

المبحث الأول بعنوان: «الكلمات الميسرة في السفر والحاضرة» فيها بيان وتنبيه على استثمار الوقت في الطاعة والعبادة، بما أن الصلاة هي عماد الدين ولها شأن عظيم في الإسلام لا تصل إليها أي عبادة أخرى، فقد بحثت الصلاة على الراحلة فرضها ونفلها في السفر الطويل والسفر القصير وفي الحضر، وذكرت أقوال العلماء في ذلك مع الأدلة ومناقشة الأدلة وطريقة الصلاة في السيارة والطائرة والسفينة، فمن أراد أن يستثمر وقته كله في الطاعة والعبادة فليقرأ هذه الرسالة سيجد فيها بغيته وطُلبته إن شاء الله.

والمبحث الثاني بعنوان: «الأقوال السائرة للمرأة الحائرة» وهي مجموعة أقوال للعلماء موثقة في كل ما تحتاجه المرأة من مسائل فقه العبادات الخاصة بها.

وأما المبحث الثالث فهو بعنوان: «تحرير المسألة في الحيل الجائرة» وهي كلمات في الحيل الشرعية منها والمحرمة مع مدخل فيه بيان لكيد الشيطان وتحايله على الإنسان، وتطبيق المبحث على معاملة (التورق).

أ - عنوان السلسلة: العلوم الشرعية.

ب - اسم الكتاب: الرفيق إلى البيت العتيق.

جـ - رقم السلسلة: ٤٧ **د - الرقم الفني: ٩٠**

هـ - تعريف الكتاب:

لقد أكرمني الله تعالى بأن وفقني وسهل أمري ورفقتي للذهاب للحج لبيت الله الحرام أكثر من أربعين مرة، نسأل الله الزيادة والقبول والصدق والإخلاص، ولقد كان لنا في هذه الرحلات فقه وقصص وحكايات ومواقف ومكرمات أردنا أن نضعها بين يدي القارئ في صيغة قصة أدبية نشرح فيها كل ما ذكر من حوار بيننا في هذه الأسفار، فجاء الكتاب جامعًا لأحكام الفقه في المناسك، وقد أخذنا ذلك من كتابنا القديم «المنهاج فيما يحتاج إليه الحاج»، وقد أضفنا إليه الكثير مما يتبين لنا بعد كتابتنا لهذا الكتاب ثلاثين سنة مع بعض القصص التي حدثت لنا على وجه الإجمال؛ ليأتي هذا الكتاب رفيقًا لكل ذاهب إلى البيت العتيق.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب ـ اسم الكتاب: أحاديث فتح الباري تربية وبناء.

جـ ـ رقم السلسلة: ٤٨ د ـ الرقم الفني: ٢٢

هـ ـ تعريف الكتاب:

بعد إخراجنا لكتاب تهذيبات فتح الباري والتخريجات لأحاديثه والتي أخذناها من كتاب «أنيس الساري» ظهر لنا كم كبير من الأحاديث التي يستلهم منها مسائل تربوية تعليمية، وآداب اجتماعية توجيهية حاولنا إثراءها والإضافة إليها مما يناسبها من أقوال الشراح لكتب السنة التي أوردت أحاديث الفتح في مصنفاتها؛ فعلى سبيل المثال مثلاً: ما ورد في سنن أبي داود نظرنا في شرحها في كتاب «عون المعبود»، ثم نظرنا في قصص الأنبياء وسيرة المصطفى ﷺ، وأقوال الأدباء فيما يخدم المعنى التربوي الذي استقيناه وأخذناه من الأحاديث؛ ليأتي الكتاب بعد ذلك رفيقًا لكل مربٍ يستعين بما فيه من معانٍ وأدلة في بنائه التربوي لأبنائه وطلبته.

أ ـ عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب ـ اسم الكتاب: المستخلصات التربوية من الكتب السلفية.

جـ ـ رقم السلسلة: ٤٩ د ـ الرقم الفني: ٢٣

هـ ـ تعريف الكتاب:

كتب السلف كنوز أبدع علماء التحقيق والتخريج في جعلها في متناول طلبة العلم بعد أن كانت حبيسة الأرفف والأدراج في خزائن المخطوطات في العالم الإسلامي والغربي، وقد أسهمت الجامعات والرسائل العلمية في الدراسات العليا في ذلك الإبداع.

وقد نظرنا فيما هو موجود في المكتبة الإسلامية فرأينا أن نقوم بتلخيصه وإخراجه؛ ليسهل على الدعاة القراءة فيه والاطلاع على كنوزه، فعلى سبيل المثال: كتاب (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لابن القيم جاء في الطبعة القديمة (طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بتحقيق محمد سيد كيلاني) وعدد صفحاتها أكثر من ٤٠٠ صفحة بالخط الصغير، وقد لخصناها وعنونا لها بصفحات قليلة ركزنا فيها على موضوع الكتاب، ولخصنا فيها استطرادات ابن القيم والتي هي بلا شك فيها فائدة عظيمة، ولكنا حرصنا على أن نثبت في هذا الملخص ما يخدم عنوان الكتاب.

أ - عنوان السلسلة: من وحي التجربة.

ب - اسم الكتاب: المنهج القرآني بين التفصيل الفردي والمجمل المجتمعي.

جـ - رقم السلسلة: ٥٠ د - الرقم الفني: ٩

هـ - تعريف الكتاب:

إن القارئ والمتدبر في القرآن الكريم عندما ينظر في كتاب الله سيلاحظ أن القضايا الفردية قد جاء فيها كم كبير من التفصيل، فمسائل الحيض ومسائل الميراث ـ على سبيل المثال ـ قد جاءت مفصلة وبينتها السنة النبوية أكثر تفصيلاً وبيانًا.

أما القضايا المتعلقة بالمجتمع في المسائل السياسية والاقتصادية، فقد جاءت على شكل كليات فيها سعة للبحث والاستنباط؛ لتعطي المجتمعات في تطورها البشري مرونة في التعامل مع تطبيق الشريعة الإسلامية، فجاءت قضايا العدل، وعدم الظلم، والشورى، وتحريم الربا والسحت وأكل مال اليتيم بصور مجملة فصل فيها الفقهاء بعد ذلك في المباحث الفقهية اليومية والسياسات الشرعية.

أ - عنوان السلسلة: من وحي التجربة.

ب - اسم الكتاب: الخرائط الفنية في الاحتياجات الموسمية.

جـ - رقم السلسلة: ٥١ د - الرقم الفني: ١٠

هـ - تعريف الكتاب:

إن مما ينبغي على إمام المسجد في بيت الله، وعلى الآباء مع الأبناء أن يعايشوا من معهم في أيامهم وشهورهم وسائر أوقاتهم في ظل حوادث ومواسم الحياة الإسلامية التي تتكرر في كل عام من مواسم تعبدية كرمضان والعشر الأول من ذي الحجة وست شوال.

وكذلك المسائل الفقهية كالزكاة والحج، وأيضًا الغزوات والسير كبدر وأحد وسائر الفتوحات الإسلامية، وكذلك الاحتياجات السلوكية، فهناك كم هائل من الاحتياجات التي لابد من العيش فيها في ظلال تاريخ هذه الأمة وتشريعاتها؛ لتكون قضية الإسلام حية بين ظهرانينا.

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة.

ب - اسم الكتاب : أصحاب الحق بين فتن الخارج والداخل.

جـ - رقم السلسلة : ٥٢ د - الرقم الفني : ١١

هـ - تعريف الكتاب :

هي رسالة للدعاة تنير لهم الطريق بضرب المثال ممن سبقهم من الدعاة من الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وكبار التابعين والأئمة المجتهدين ومن سار على هداهم إلى وقتنا الحاضر.

وقد اخترت من الرسل أولي العزم ويوسف لخصوصية قصته وتميز محنته، وأطنبت التفصيل في المعاناة والألم الداخلي والخارجي في سيرة النبي ﷺ، واخترت من كل قرن أربعة أعلام تميزت سيرتهم بمحن وفتن داخلية وخارجية جعلت سيرتهم مثالاً يحتذى ويقتدى به.

أ - عنوان السلسلة : من وحي التجربة. ب - اسم الكتاب : هذا من فضل ربي.

جـ - رقم السلسلة : ٥٣ د - الرقم الفني : ١٢

هـ - تعريف الكتاب :

إنها جولة في حياتي امتدت طوال أربعين سنة مذ كان عمري عشرين إلى اليوم، وقد بلغ عمري الستين، ذكرت فيها ما أكرمني الله به من توفيقه وتسديده في مجالات العطاء الثقافي والفكري والدعوي والإعلامي والسياسي، فهي ليست مذكرات ولا ذكريات ولكنها إعلان بصوت مرتفع عن فضل الله عليَّ في سنواتي التي مضت، ثم ختمتها بتصوراتي عما أود أن أنهي به حياتي، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن تكون إعلان شكرٍ للمنعم وحده وبيانًا للدعاة ألا يهدروا أعمارهم سدىً.

هذا من فضل ربي...

أ - عنوان السلسلة : بيت الدعوة.

ب - اسم الكتاب : حكايات الناصحين لشباب العشرين.

جـ - رقم السلسلة: ٥٤ د - الرقم الفني : ٢٤

هـ - تعريف الكتاب :

هذا الكتاب هـو سلسلة من الحكايات مبناها على مـقطوعات أدبيـة أو نثرية أو شـعرية، أردناها خطابًا دعـويًا تربويًا أبويًا، لشـرائح الأسـرة المختلفـة من الشبـاب والشابات، والأبناء والبنات، والمتزوجين والمتزوجات.

عنونا كل قطعةٍ بعنوان يُعبر عن الفكرة المستخلصة من الحكايات المختارة، أضفنا إليها شرحًا أدبيًا توجيهيًا في أسطر قليلة، تحقق المراد بأسلوب بسيط.

وكتـابنا (حكايات الناصحين لشبـاب العشرين) هو جـزء من هذه السلسلة وهو حكايات هادفـة وموجهـة إلى أبنائنا الذين في سن العـشرين، والتي تعـتبر مـرحلة حساسـة من عمر شبابـنا وأبنائنا، فأتت هذه الحكايات لتدلهم على الطريق المسـتقيم الذي فيه كل الدلائل التي توصلهم إلى الخير والفلاح، وكذلك فيه كل المنبهات التي تبعدهم عن طريق الشر والهلاك.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب - اسم الكتاب: حكايات الحريصين لشابات العشرين.

جـ - رقم السلسلة: ٥٥ د - الرقم الفني: ٢٥

هـ - تعريف الكتاب:

هذا الكتاب هـو سلسلة من الحكايات مبناها على مـقطوعات أدبيـة أو نثرية أو شـعرية، أردناها خطابًا دعـويًا تربويًا أبويًا، لشـرائح الأسـرة المختلفـة من الشبـاب والشابات، والأبناء والبنات، والمتزوجين والمتزوجات.

عنونا كل قطعةٍ بعنوان يُعبر عن الفكرة المستخلصة من الحكايات المختارة، أضفنا إليها شرحًا أدبيًا توجيهيًا في أسطر قليلة، تحقق المراد بأسلوب بسيط.

وكتابنا (حكايات الحريصين لشابات العـشرين) هو عبارة عن لؤلؤة من عقد هذه السلسلة، وهو موجه إلى بناتنا في عـمر العشرين، والذي غالبًا مـا تكون فيه البنت في الجامـعة، فأتت هذه الحكايات لتـضرب لها المثل الـعليا ممن هن في مثل عـمرها وسنها، فتتعرف منهن ومن قصصهن وحكاياتهن على كل ما ينفعها ويزينها، وكل ما يُحَصِّنها مما يضرها ويشـينها، فحريّ بكل بنت أن تقرأه وتعمل به، ففـيه خير عظيم

ونفع عميم إن شاء الله تعالى.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب - اسم الكتاب: حكايات المجربين للمتزوجات والمتزوجين.

جـ - رقم السلسلة: ٥٦ **د - الرقم الفني: ٢٦**

هـ - تعريف الكتاب:

هذا الكتاب هـو سلسلة من الحكايات مبناها على مـقطوعات أدبيـة أو نثرية أو شـعرية، أردناها خطابًا دعـويًا تربويًا أبويًا، لشـرائح الأسـرة المختلفـة من الشبـاب والشابات، والأبناء والبنات، والمتزوجين والمتزوجات.

عنونا كل قطعة بعنوان يُعبر عن الفكرة المستخلصة من الحكايات المختارة، أضفنا إليها شرحًا أدبيًا توجيهيًا في أسطر قليلة، تحقق المراد بأسلوب بسيط.

وكتـابنا هذا (حكايات المجربين للمـتزوجات والمتـزوجين) يحكي تجارب أزواج وزوجـات، ومـواقف تحصل بـين كل متـزوجين، وتبين التـعـامل الأمـثل في هذه المواقف، فيكون عند كل زوج وزوجـة زاد كبير لكل ما يمكن أن يطـرأ على حياتهم في مستقبل الأيام، فيكون ذلك حصنًا منيعًا لأسرتهم، وسياجًا منيعًا لبيتهم وعائلتهم.

أ - عنوان السلسلة: بيت الدعوة.

ب - اسم الكتاب: حكايات المربين للآباء والبنين.

جـ - رقم السلسلة: ٥٧ **د - الرقم الفني: ٢٧**

هـ - تعريف الكتاب:

هذا الكتاب هـو سلسلة من الحكايات مبناها على مـقطوعات أدبيـة أو نثرية أو شـعرية، أردناها خطابًا دعـويًا تربويًا أبويًا، لشـرائح الأسـرة المختلفـة من الشبـاب والشابات، والأبناء والبنات، والمتزوجين والمتزوجات.

عنونا كل قطعة بعنوان يُعبر عن الفكرة المستخلصة من الحكايات المختارة، أضفنا إليها شرحًا أدبيًا توجيهيًا في أسطر قليلة، تحقق المراد بأسلوب بسيط.

وكتابنا (حكايات المربين للآباء والبنين) هو حلقة من هذه السلسلة المباركة، وهو دستور واقـعي للتعامل الراقي بين الآباء والبنين، يرشـد الآباء للطرق المثلى في تربية أبنائهم من خلال تجارب الحكماء والمربين، وكذلك هو دليل للأبناء ليكونوا على قدر كبير من البر والاحترام والتقدير لآبائهم.

أ ـ عنوان السلسلة : بيت الدعوة.

ب ـ اسم الكتاب : حكايات المربيات للأمهات والبنات.

جـ ـ رقم السلسلة : ٥٨ **د ـ الرقم الفني : ٢٨**

هـ ـ تعريف الكتاب :

هذا الكتاب هـو سلسلة من الحكايات مبناها على مـقطوعات أدبيـة أو نثرية أو شـعرية، أردناها خطابًا دعـويًا تربويًا أبويًا، لشـرائح الأسـرة المختلفـة من الشبـاب والشابات، والأبناء والبنات، والمتزوجين والمتزوجات.

عنونا كل قطعة بعنوان يُعبر عن الفكرة المستخلصة من الحكايات المختارة، أضفنا إليها شرحًا أدبيًا توجيهيًا في أسطر قليلة، تحقق المراد بأسلوب بسيط.

وكتـابنا (حكايات المربيات لـلأمهات والبنات) هـو دليل قصصي يعـرف البنات بحقوق الأمهات وكيفية التـعامل والتأدب معهن؛ فهن المعلمات والمربيات والمؤدبات، وكذلك هو مرشد للأمهات إلى الطريقة المثلى في تربية البنات وتأديبهن.

في الختام أقول : حسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، توكلت على الله، واعتصمت واستعنـت به، وفوضت أمري إليه، واستودعته ديني، ونفسي، ووالديَّ، وولـدي، وزوجي، وإخواني، وأحبـابي، وسائر من أحسن إلي، وجـميع المسلمين وجمـيع ما أنعم الله به علي وعليهم من أمـور الآخرة والدنيا، فـإنه سبحانه إذا اسـتودع شيئًا حفظه، ونعم الحفيظ.

والحمد لله رب العالمين

فهـرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الفصل الأول
قضايا أمة

الفصل الثانى
قضية فلسطين

الموضوع **الصفحة**

الفصل الثالث

قضية أفغانستان

الفصل الرابع

مستقبل الإسلام بين السنن الإلهية والجهود البشرية

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

يأتي إسهاما في نشر الوعي الفكري والتربوي والسياسي والدعوي وفق رؤية إسلامية تربط بين الماضي والحاضر، وتستشرف المستقبل انطلاقا من سنن التدافع ومداولة الأيام؛ لتضع بذلك الأصابع على مكمن الداء، وتبين سبل الارتقاء من خلال العودة إلى الإسلام، وإحياء روح الجهاد، ولا سيما في هذا العصر الذي افتُرست فيه شهامتنا، وديست كرامتنا، ونُسفت معالمنا، واعتُدي على مقدساتنا، فهذا الأقصى يندبنا، وأفغانستان والعراق والصومال والسودان يسهرون.. وعن واقعنا يتحدثون.. ومهما صال الباطل في ديارنا فإن لحظة النصر قد قربت، وساعة الحسم قد أزفت، والقافلة قد تحركت، وجيل النصر بدأ يكتب مجد الأمة، ويحقق روائع البطولة؛ ليعيد لنا أيام بدر وحنين وخيبر وحطين؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

المؤلف

مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت - المنطقة التجارية رقم ٩ بلوك ١ مكتب ١٢.
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com